

965

الكتاب والتحرير للدراسة



روح مصر القديمة

آنا روينز

ترجمة

إكرام يوسف

مكتبة الفهرنهايت

روح مصر القديمة

• المشروع القومي للترجمة
إشراف: د. جابر عصفور

* العدد: ٩٦٥

* روح مصر القديمة

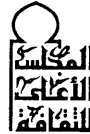
* آنارويز

* ترجمة: إكرام يوسف

* الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ - ديسمبر ٢٠٠٥م)

حقوق الترجمة والنشر باللغة العربية محفوظة

مكتبة الشروق الدولية



شارع الجبيلية بالأوبرا - الجزيرة

القاهرة، تليفون: ٧٣٥٢٣٩٦

فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسى - القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ - ٤٥٠١٢٢٩ - ٢٥٦٥٩٣٩

Email: <shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo. com >

روح مصر القديمة

أنارويس

ترجمة: إكرام يوسف

مكتبة الشروق الدولية



هذه ترجمة لكتاب :

The Spirit of Ancient Egypt

Ana Ruiz

Algora Publishing
New York

Copyright © 2004, by Algora Publishing, New York
All rights reserved.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى الناشر.

مقدمة المترجمة

ليس تحسرا على ما فات، ولا تعذيبا للنفس بجلدها.. وليس أيضا تباها بما حققه الأجداد، وما زال الأحفاد يجاهدون لمجرد الحفاظ عليه من الاندثار.. وإنما لو كان الأمر بيدي لقررت على تلاميذ المدارس المصرية - فى جميع سنوات التعليم الإلزامى - مادة أساسية، اسمها روح مصر القديمة؛ ولا ينتقل إلى السنة الدراسية الأعلى إلا من ينجح فيها بنسبة ثمانين فى المائة على الأقل.. ولحشدت من أجل إعداد كتب هذه المادة أفضل خبراء التعليم، والفلسفة، والتاريخ، وعلم النفس، والتربية، والاجتماع. وناشدتهم الحرص على إخراج هذه الكتب بالصورة التى تضمن إعادة تشكيل وجدان الأجيال الجديدة على النحو الذى يدفعهم إلى الشعور باحترام تلك الروح التى خلدت ذكر أسلافهم؛ والعمل على إعادة إحيائها من جديد، لبناء المستقبل الذى يليق بأحفاد هؤلاء أن يعيشوه.

تذكرت - وأنا أعكف على ترجمة هذا الكتاب - زيارة قصيرة إلى عاصمة الضباب؛ ولما كان الوقت والقدرة المادية لا يسمحان بأكثر من الإقامة لأيام معدودة؛ فقد حاولت فيها الاطلاع على أكبر قدر ممكن من معالم المدينة التى كانت يوما ما عاصمة «الإمبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس».. وكان من بين هذه المعالم بالطبع المتحف البريطانى الشهير. وعندما دخلته وجدت أن مشاهدة جميع أقسامه تحتاج وقتا أطول كثيرا مما أملكه. وعلمت أن هناك حلا مناسبا؛ يتمثل فى أن أدفع زيادة طفيفة فى تذكرة الدخول لأنضم إلى مجموعة من السياح يقودها مرشد يتولى انتقاء أهم ما فى المتحف لإطلاعنا عليه فى عجلة. واستملمت الفكرة لأنها على الأقل ستتيح لى التعرف على مختلف حضارات العالم من خلال مشاهدة أهم كنوزها التى نهبها الاستعماريون من مختلف البلاد التى وقعت فى قبضتهم. وبذلك أكون قد حققت أقصى استفادة ممكنة تتناسب مع ضيق الوقت وضيق ذات اليد، معا. وسارعت إلى اللحاق بطابور ضم مجموعة من

الأجانب تتقدمهم المرشدة. وإذا بها تمر بنا مر الكرام على عدد من أقسام المتحف، ثم تعلن لنا أن مسك ختام الجولة؛ الذى ستخصص له أكبر قدر من وقتها سيكون فى الجناح الذى يداعب أحلام جميع الزائرين للمتحف ويشهد الإقبال الأكثر كثافة. وفجأة وجدتنى أقف مع هؤلاء فى القسم المصرى لتشرح لنا فى إسهاب مقتنيات (أو بالأحرى منهوبات) المتحف القادمة من آلاف السنين ومن مهد الحضارات. وكدت أنفجر من الغيظ بالطبع بعد أن ضاع اليوم فى سماع شرحها السطحى لما أعلمه بالفعل بحكم قراءات واهتمامات؛ وحنين لا يهدأ لسنوات طفولة قضيتها أستنشق عقب الماضى من أغلب آثار مصر بحكم عمل الوالد كمهندس آثار. وبينما نتحدث المرشدة ببرود شريط تسجيل؛ حديثها الذى تردده كل يوم عدة مرات - من دون روح - على السياح؛ تلفت حولى لأجد عددا كبيرا من أطفال الانجليز- تتراوح أعمارهم بين الثامنة والثانية عشر- بعضهم يطالع باهتمام فائق آثارنا، ومعظمهم استلقى على الأرض متخذًا الوضع الذى يساعده على رؤية جيدة لما يحاول أن يرسمه من هذه «المقتنيات». وسألت أحدهم عما يفعل؛ فأخبرنى أن المدرسة كلفته بعمل بحث عن الحضارة المصرية؛ التى هى أول ما يدرسه أطفال المدارس البريطانية فى مادة تاريخ العالم. ولا أنكر أننى شعرت بما يشبه الحسد. وتمنيت لو وجد أطفالنا من يدلهم على هذه الكنوز التى بين ظهرانينا، ويشرح لهم كيف كانت روح مصر القديمة ملهمة لأبنائها؛ وكيف فاض هذا الإلهام فلسفة وعلمًا وثقافة وفنا وعمارة وطبا... و... و....

وبقدر ما استمعت بترجمة هذا الكتاب، بقدر ما تمنيت لو كان مقررا على تلاميذ المدارس فى بلدى؛ فهو يغوص بأسلوب سلس ممتع فى بحار الماضى السحيق، ليخرج لنا أثنى مكنوناته بنعومة، ودون إثارة لضجر كالذى تسببه كتب التاريخ الجافة.. حتى أن المؤلفة دأبت على ختم معظم فصول الكتاب بقصة أو أسطورة شيقة من كنوز القصص والأساطير الفرعونية؛ تشد القارئ غير المتخصص لمواصلة القراءة، وتدفعه دون قصد إلى المقارنة بين ما كان وما آل إليه الحال.. فأين من علموا الدنيا الفلسفة والعلوم، من أحفاد كادت عوامل كثيرة أن تنجح فى إبعادهم عن التفكير الجاد والبحث العلمى، ودفعهم إلى الانشغال بالتوافه من الأمور وصرف طاقاتهم العصبية والبدنية فيها؟.. وأين من اخترعوا التقويم السنوى وحسبوا مواقيت السنين والمواسم والشهور بدقة فائقة؛ من أحفاد باتت سمعتهم فى الاستهانة بالوقت وتضييعه تسبقهم أينما

يذهبون؟.. وأين «الفلاح الفصيح» والعمال الذين نظموا أول إضراب حضارى عن العمل مسجل فى التاريخ عام ١١٧٠ قبل الميلاد - استطاعوا بفضل الحصول على حقوقهم قبل أن يتشدد البعض من المحدثين بحقوق الإنسان وحرية التعبير عن الرأى؛ بأكثر من ثلاثة آلاف عام.. أين هؤلاء من أحفاد بات يقال عنهم أنهم غير ناضجين سياسيا لممارسة حريات من هذا النوع؟.. وأين «بيشيشيت» المصرية؛ أول طبيبة عرفت فى التاريخ المدون .. من حفيدات صرن أداة يستخدمها الجميع لتحقيق أغراض خافية فى نفوس كثيرين: من دعاة انغلاق ورجعية لا يرون فيها سوى جسدا مثيرا للفتنة، يظهرون رغبة فى المحافظة عليه بحبس قدراتها وكفاءتها وحرمانها من ممارسة حقوقها كإنسان فى مجتمع؛ إلى دعاة تحرر لا يرى فيها سوى نفس ما يراه فيها دعاة الانغلاق - جسدا مثيرا - لكنهم بدلا من أن يدعون لإخفائه وإنكاره كسابقهم ، يدعون لاستعراضه وتحويله إلى سلعة تجلب أرباحا. بل أن الحلبة دخلها مستغلون آخرون لا يرون فى المرأة حفيدة «بيشيشيت» سوى ورقة تستخدم للضغط على الحكومات من أجل تحقيق أغراض لا تمت لحقوق المرأة، المدعاة، بأدنى صلة..

لقد أكدت تجارب البشرية منذ فجر التاريخ أن أية قوى طمعت - يوما ما - فى تحقيق السيادة على العالم، كانت تدرك أن تأمين هذه السيادة يستلزم بسط سيطرتها على هذه المنطقة من العالم، حتى قبل ظهور العروبة والديانات السماوية.. ولم تنجح أى قوة عظمى فى بسط سيطرتها على هذه المنطقة - التى أصبح اسمها الآن المنطقة العربية - إلا فى فترات ضعف الدولة المصرية وهبوط روحها. وما أن تستعيد مصر روحها القوية حتى تسارع بطرد المحتلين من أرضها، ومن بقية الأراضى المجاورة لها أيضا .. وشواهد التاريخ ماثلة على ذلك: منذ الهكسوس والفرس والرومان والمغول والصليبيين وحتى الاستعمار الحديث الذى بدأ أواخر القرن التاسع عشر.. وإلى ما شاء الله.. فهل أن الأوان أن تبعث روح مصر القديمة من جديد؛ لتزيل الصدأ الذى ران على قلب مصر الجديدة؟ وهل تعود لتلهم - كما كانت دائما - جيرانها وبقية العالم قيم العلم والحق والعدل والخير والنماء؟ أعتقد أنه قد آن أوان بعث هذه الروح، والاعتصام بها، لرد جميل الأجداد، وتأمين مستقبل نستحقه ويستحقه الأبناء والأحفاد.

ولا يسعنى فى النهاية سوى أن أتوجه بكل مشاعر العرفان لزوجى «محمد فاوى»، على نبل تحمله وكريم معاونته خلال فترة تفرغى لترجمة هذا الكتاب؛ التى أهديها إليه، كما أهديها لأبنائى «زياد، وهبة، وبسام» وجيلهم؛ الذى أرجو أن يكون قد بدأ طريق البحث عن ميراثه الحقيقى فى «روح مصر القديمة».. عسى أن يكون أكثر إدراكا ووعيا من جيلنا بقيمة هذه الروح، وأكثر قدرة على استعادتها وبعثها من جديد.

إكرام يوسف

تسلسل زمني للووك مصر القديمة

زوسر	• عصر الأسرات المبكر أو العتيق
سخمخت	(٣١٠٠-٢٧٠٠ قبل الميلاد)
خابا	الأسرة الأولى (٣١٠٠-٢٨٩٠ ق.م)
هوني	نعرمر، أو مينا
الأسرة الرابعة (٢٦١٣-٢٤٩٨ ق.م)	أها
سنفرو	رچر
خوفو	رچت
چيديف رع	دن
خفرع	أنن چپ
منكاورع	سمرخت
شيبسيس كاف	قا
الأسرة الخامسة (٢٤٩٨-٢٣٤٥ ق.م)	الأسرة الثانية (٢٨٩٠-٢٧٠٠ ق.م)
أوسركاف	حتب سخموى
ساحورى	رانب
نفريركارع	نينتچر
شيبسيس كارع	پيربسن
نيوسيرى	خاسخم
منكاو حور	الدولة القديمة
چد كارع	الأسرة الثالثة (٢٧٠٠ - ٢٦١٣ ق.م)
لوناس	

الأسرة السادسة (٢٢٤٥-٢١٥٠ ق.م)

أمنمحت الأول

تيتي

سنوسرت الأول

أوسر كارع

أمنمحت الثاني

بيبي الأول

سنوسرت الثاني

نيتكرت (في بعض القوائم^(١))

سنوسرت الثالث

• عصر الاضمحلال الأول

أمنمحت الثالث

(٢١٥٠-٢٠٥٠ ق.م)

أمنمحت الرابع

الأسرة السابعة إلى العاشرة^(٢)

نفرو- سوبيك^(١)

• الدولة الوسطى

• عصر الاضمحلال الثاني

الأسرة الحادية عشرة

غزو الهكسوس ، الأستراتان الثالثة عشرة

والرابعة عشرة

(٢٠٥٠-١٩٩١ ق.م)

(١٧٧٥-١٥٥٠ ق.م)

إنيوتف الأول

الأسرة الثالثة عشرة

إنيوتف الثاني

ويجاف

إنيوتف الثالث

أمنمحت الخامس

متوحتب الأول

سوبك حتب الأول

متوحتب الثاني

حور

متوحتب الثالث

أمنمحت السادس

متوحتب الرابع

سوبك حتب الثاني

الأسرة الثانية عشرة

خندچر

(١٩٩١-١٧٧٥ ق.م)

(١) قوائم تشير إلى ملكات حاكمات.

(٢) حكم كثير من الملوك لفترات أطول أو أقصر، خلال كل من الأسرات الأربع قصيرة العهد، وطبقًا لقائمة أيبندوس للملوك حكم ٢٥ ملكًا خلال عصر الأسرة الثامنة التي استمرت ثلاثين عامًا. ولا تكاد توجد دلائل مكتشفة تشير إلى أي نقاط تحول في تلك الفترة؛ التي شهدت محاولات حكام الأقاليم تحقيق استقلال عن الحكومة المركزية، ومساعدتهم للسيطرة على مصر بتنصيب أنفسهم فراعنة، وجاءت مجموعة الملوك هذه من «حتن-نسوت» (هير اكليوبوليس)، ومن بني حسن (شمال هرموبوليس)، ومن فقط (كوتوس). وكانوا معروفين لدى سكان أقاليمهم، لكنهم غير معروفين في بقية أنحاء البلاد.

سوبك حتب الثالث

نفر حتب الأول

سوبك حتب الرابع

سوبك حتب الخامس

آى

نفر حتب الثانى

الأسرات الرابعة عشرة إلى

السادسة عشرة

لا يكاد يعرف شيء يذكر عن هذه الفترة

الأسرة السابعة عشرة

إنتيف الرابع

سوبك إم ساف

سقن رع تاو الأول

سقن رع تاو الثانى

كاموس

• الدولة الحديثة (١٥٥٠-١٠٨٧ ق.م)

الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٠-١٢٠٧)

أحمس الأول

أمنحتب الأول

تحتمس الأول

تحتمس الثانى

حتشبسوت^(١)

تحتمس الثالث

أمنحتب الثانى

تحتمس الرابع

أمنحتب الثالث

أخن آتون (أمنحتب الرابع)

سمنخارع

توت عنخ آمون

آى

حور محب

الأسرة التاسعة عشرة

(١٢٠٧-١١٩٦ ق.م)

رعمسيس الأول

سيتى الأول

رعمسيس الثانى

مرنبتاح

أمنموس

سيتى الثانى

سبتاحتوسرت^(١)

الأسرة العشرون (١١٩٦-١٠٨٧ ق.م)

ست ناخت

رعمسيس الثالث إلى الحادى عشر

• عصر الاضمحلال الثالث

(١٠٨٧-٧١٢ ق.م)

الأسرة الحادية والعشرون

(١٠٨٧-٩٤٥ ق.م)

سيمندس

أمنميسو

بسوسينيس الأول

● العصر المتأخر (٧١٢-٢٣٢ ق.م)

الأسرة الخامسة والعشرون

(٧١٢-٦٥٧ ق.م)

نخو الأول

بسامتك الأول

نخو الثاني

بسامتك الثاني

واحبيرع

أحمس الثاني

بسامتك الثالث

الأسرة السادسة والعشرون

(٦٥٧-٥٢٥ ق.م)

نيكو الأول

بسامتيك الأول

نيكو الثاني

بسامتيك الثاني

واهيب

أحمس الثاني

بسامتيك الثالث

الأسرة السابعة والعشرون

(٥٢٥-٤٠٤ ق.م)

● الحقبة الفارسية الأولى

كامييسس

داريوس الأول

اكرزكسيس الأول

أتاركزكسيس الأول

أميموبى

أوسوركون

سيمون

بسوسينيس الثاني

الأسرة الثانية والعشرون

(٩٤٥-٧١٢ ق.م)

شيشنق الأول

أوسوركون الثاني

تاكيلوت الأول

شيشنق الثاني

أوسوركون الثالث

تاكيلوت الثاني

شيشنق الثالث

بامى

شيشنق الرابع

أوسوركون

الأسرة الثالثة والعشرون

(٨١٨-٧٤٢ ق.م)

وهو يتجاوز تاريخ الأسرة السابقة

بيدياستيت الأول

أوسوركون الرابع

بيفتجاوا باستر

الأسرة الرابعة والعشرون

تيفناخت الأول

باكنرينيف

داريوس الثاني

الأسرة الثامنة والعشرون

(٤٠٤ - ٣٩٩ ق.م)

أميراتوس

الأسرة التاسعة والعشرون

(٣٩٩ - ٣٨٠ ق.م)

نفرتيس الأول

حاكوريس

نفرتيس الثاني

الأسرة الثلاثون (٢٨٠-٢٤٣ ق.م)

نختنبو الأول

تيوس

نختنبو الثاني

● الحقبة الفارسية الثانية

(٣٤٣ - ٣٣٢ ق.م)

أرتاكرزكسيس الثالث

أرسيس

داريوس الثالث

الأسرة المقدونية (٣٣٢ - ٢٠٤ ق.م)

(أو الأسرة الحادية والثلاثون)

الإسكندر الأكبر

فيليب أريدوس

الإسكندر الرابع

الأسرة البطلمية (٢٠٤-٣٠ ق.م)

(أو الأسرة الثانية والثلاثون)

بطليموس الأول سوتير الأول

بطليموس الثاني فيلادلفوس

بطليموس الثالث يوريجيتس الأول

بطليموس الرابع فيلوباتور

بطليموس الخامس ايفانز

بطليموس السادس فيلوميتر

بطليموس السابع نيوس فيلوباتور

بطليموس الثامن يوريجيتس الثاني

بطليموس التاسع سوتير الثاني

بطليموس العاشر الإسكندر الأول

بطليموس الحادي عشر الإسكندر الثاني

بطليموس الثاني عشر أوليتس

بيرينيس الرابعة^(١)

كليوباترا السابعة^(١) مع بطليموس الثالث

عشر، والرابع عشر، والخامس عشر

(قيصرون)

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٧	مقدمة : نشوء مصر وارتقاؤها
القسم الأول الحياة اليومية	
٢٧	١ - الشعب
٣٣	٢ - الحياة العائلية
٤٣	٣ - البيوت والأثاث
٥١	٤ - الطعام والشراب
٥٩	٥ - الملابس والحلى
٦٧	٦ - الشعر المستعار ومستحضرات التجميل
٧٧	٧ - الاستجمام
٨٥	٨ - العمل والحرف
٩١	٩ - النقل
٩٧	١٠ - التجارة الدولية قديما
١٠١	١١ - القانون والحكومة

القسم الثاني

المعتقدات

١١١	١٢ - التحنيط
١١٧	١٣ - الموت والخلود
١٢٧	١٤ - المعبودات

١٤١	١٥- أساطير الخلق
١٤٩	١٦- عبادة الحيوان
١٥٧	١٧- الرمزية
١٦٩	١٨- الكهنة
١٧٧	١٩- الأعياد
١٨٣	٢٠- السحر والتعاويد
١٩١	٢١- الأحلام والتنبؤ

القسم الثالث

المنجزات

١٩٩	٢٢- ملوك وفاتحون
٢١٧	٢٣- الملكات
٢٢٧	٢٤- معارك ومحاربون
٢٣٥	٢٥- الأهرامات
٢٤٥	٢٦- أبو الهول العظيم
٢٥١	٢٧- العمارة
٢٦١	٢٨- الفن
٢٦٩	٢٩- الأدب
٢٧٩	٣٠- اللغة والهيروغليفية
٢٨٩	٣١- الطب
٢٩٥	٣٢- التقويم السنوى
٣٠١	٣٣- حكمة النجوم
٣٠٩	قائمة المشروع القومى للترجمة

مقدمة

نشوء مصر وارتقاؤها

أنماط حضارية على ضفتي النيل

استقر الإنسان على ضفتي نهر النيل منذ نحو سبعة آلاف عام قبل الميلاد، وبعد أربعة آلاف عام من استقراره في هذه المنطقة، تعلم القراءة والكتابة، وأقام مجتمعا وعمل خلال الثلاثة آلاف سنة التالية على تنميته. وازدهرت مصر رغم الصعوبات، والصراعات الداخلية والغزو الخارجي. وقد أطلق عليها «هيرودوت»، المؤرخ اليوناني الذي ذهب إلى مصر في القرن الخامس قبل الميلاد «هبة النيل».

الرياح والمياه

يعتبر النيل مصدر حياة جميع المصريين. فلولا ذلك النهر المقدس، لكانت هذه الأرض جميعها قاحلة، جافة بفعل حرارة الشمس القاتطة والرياح. إذ تراجع سقوط الأمطار تدريجيا على منطقة مصر منذ حوالى بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد، وبمرور الوقت انعدم تقريبا. وبدأ الناس يتمركزون على طول الشريط الضيق من الأرض على جانبي النهر، حيث عاشوا على صيد السمك، والقنص، والجمع، والزراعة وتربية الحيوانات. وظلت بقية المنطقة صحراء، تعرف باسم «دشرت» - بكسر الدال والراء(*) - (الأرض الحمراء)؛ وهى منطقة كان ينظر إليها باعتبارها تشكل شؤما ومحفوفة بالمخاطر، الناس يتجنبونها غالبا. أما التربة السوداء والشريط الضيق المحتل من الأرض بطول النيل فكان يطلق عليه «خمت» - بكسر الخاء والميم - («الأرض السوداء»)؛ وهو يقدم نقیضا حادا «للأرض الحمراء» الجرداء.

(*) الجملة الاعتراضية هنا للمترجمة لتوضیح نطق الكلمة، وسنسير على هذا النهج فى الكلمات الفرعونية التى نستشعر احتمال وجود إبهام فى طريقة النطق - المترجمة.

وحصل النيل على اسمه الحديث من الإغريق الذين أطلقوا على النهر اسم «نيلوس»، وهو أطول أنهار العالم - بطول نحو ٤٢٠٠ ميل - لكن عرضه لا يزيد عن ٥٠٠ ياردة. ومن إثيوبيا ينبع النيل الأزرق، بينما يأتي من أوغندا النيل الأبيض؛ ويلتقيان في الخرطوم بالسودان ليتدفق النهر شمالا نحو مصر؛ ليصبح «إترو عا»(*) - بكسر التاء - (أو «النهر العظيم» كما يطلق عليه المصريون القدماء). والنيل هو النهر الكبير الوحيد الذى يتدفق شمالا؛ فوافده الكثيرة تنبع من الجبال جنوب خط الاستواء، ويخترق الطريق عبر التلال والمستنقعات على ضفتيه ليصب في البحر الأبيض المتوسط، أو «وادچ ور» - مع كسر الراء - («الأخضر العظيم») (كلا من «عا» و«ور» تترجم إلى «العظيم»). وهكذا يقع الوجه القبلى و«دشرت» في المنطقة الجنوبية بينما الوجه البحرى، ومنطقة المستنقعات، والدلتا في الشمال. وسميت المنطقتان «توى» («الأرضين»). ويطلق على المنطقة فى أقصى الشمال حيث تتفرع المياه إلى قنوات فى منطقة مثلثة الشكل، «دلتا»، وهو اسم الحرف الرابع من حروف الهجاء الإغريقية التى تماثلها فى الشكل.

وفى كل صيف، تؤدى الأمطار فى أفريقيا إلى ارتفاع مياه النيل فتفيض على الأرض لفترة من الوقت، مخلفة طبقة جديدة من الطمى - المثالى لنمو المحاصيل. وقدم الوادى الخصيب والمناخ الدافئ بيئة مثلى للقرويين أو «الفلاحين» ليصبحوا مهرة فى علم الزراعة.

وقامت الحضارة المصرية القديمة على خصوبة التربة؛ فغrst البذور التى يمكن للنيل أن يتولاها - وحده - بالتغذية. وكان الفيضان السنوى يخلف وراءه أدغالا ضخمة من نبات البردى. وحولت هذه السيقان المتنوعة إلى ضروريات لا حصر لها، مثل الورق، والحبال، والقماش، والصنادل، والسلال، والحصير، والمقاعد والقوارب النهريّة.

وكان مستوطنو هذه الأرض يترقبون فى أمل ارتفاع المياه إلى حد يكفى لتأمين الرى. ومع زيادة مناطق الاستيطان، ليس عدديا فحسب وإنما فى المساحة أيضا؛ تطلب الجهد الجماعى والالتزام بزراعة الأرض، تنظيما للعمالة المكثفة. وكانت أعمال

(*) يرى بعض الكتاب أن هذه التسمية أصل كلمة «الترعة» فى اللغة العربية - المترجمة.

الرى الآخذة فى التوسع مشروعا يتعين أداءه على مستوى ضخم، الأمر الذى أصبح بدوره عاملا حاسما فى تطور المجتمع .

وصار قياس وتسجيل مستوى الفيضان سنويا أمرا ذا أهمية قومية، وأطلق على الأداة المستخدمة فى هذه المهمة «مقياس النيل» . وهو يتكون من مؤشرات بسيطة فى شكل سلم هابط يؤدى إلى النهر، ويقوم مسئولون بملاحظة وتوثيق عمق المياه المرتفعة، ويستخدمون هذا المؤشر الاقتصادى لتحديد مستوى الضرائب بناء على المحاصيل المتوقعة للعام المقبل . وتراوح الارتفاع المثالى للمياه بناء على مقياس النيل بين ٢٥ و ٣٠ قدما . وكان انخفاض المياه - أكثر من ستة أقدام دون المستوى المستهدف ؛ يعنى نقص الغذاء، وربما المجاعة . بينما يعنى الارتفاع ستة أقدام فوق المستوى المستهدف كارثة أيضا : تدميرا للحواجز الواقية، والسدود، والبيوت المبنية بالطين، فضلا عن إغراق قرى بأكملها .

وفى السنوات الناجحة، يفيض النيل خلال شهور الصيف، ويغمر الوادى مهيثا المسرح للعام المقبل . وتتكون الدورة الزراعية من ثلاثة مواسم، تعتمد على دورة النيل . وكان الموسم الأول والأكثر أهمية يدعى «أخت» - بكسر الخاء -، وهو موسم الغمر الذى يستمر من منتصف يوليو حتى منتصف نوفمبر . ويلي «أخت» موسم «بيريت» أو «پوريت» وهو موسم الإنبات أو النمو، عندما ينمو النبات من منتصف نوفمبر حتى منتصف مارس . وأثناء تلك الفترة يعمل الفلاحون فى الحقل فى جنى الحبوب والكتان . والموسم الثالث، عندما يكون النهر فى أدنى مستوياته، مؤذنا بنهاية موسم الحصاد الممتد من منتصف مارس حتى منتصف يوليو، ويسمى «شمو» - بكسر الشين أو ضمها .

واعتقد المصريون القدماء أن منابع النيل نشأت فى الفردوس - أو عند الشلال الأول قرب جزيرة «فيلة» . واعتقدوا أن مياه النيل ذات قيمة غذائية ؛ فهى لا تمثل فحسب رمزا للنقاء والتجدد ، وإنما تصوروا أيضا أنها تمنح الحياة لمصر كل عام، كونها تسبب الفيضان . واعتقدوا أيضا أن النهر يحمل خصائص علاجية معينة، وكثيرا ما استخدمت مياهه فى وصفات طبية .

وأهدى شعب مصر القديمة العديد من الأغنيات للنيل، مثل «ترنيمة للنيل» و«الهيام بالنيل» و«ترنيمة لحعبي». وكان «حعبي» بفتح الحاء- إله النيل وحيد الجنس^(*)، وكان يعرف أيضاً بأنه «ابن النيل». ومع ذلك، لم يكن «حعبي» يعتبر مسئولاً عن الفيضان. وأوليت هذه المسئولية الجلييلة والخطيرة إلى «خنمو»- بكسر النون- الذى كان يعبد باعتباره «إله الفيضانات». ونسب إليه المصريون «إطلاق المياه» من الشلال الأول حيث اعتقدوا أنه يقيم. واعتاد شعب مصر التعبير عن عميق الامتنان للنيل وإلهه لوفرة المحاصيل التى توفر غذاء يكفى للعام المقبل.

الملوك والفوضى

نشأت مصر القديمة منذ ما قبل عصر الأسرات فى ٣١٠٠ قبل الميلاد، واستمرت حضارتها لعصر الأسرات ما يزيد عن ثلاثة آلاف عام. وخلال القرن الثالث بعد الميلاد، تولى المهمة الهائلة المتعلقة بتصنيف التاريخ المصرى، للمرة الأولى، باحث وكاهن مصرى يدعى «مانتو»^(**)- بكسر النون-، من «تجبنتير»- بكسر الجيم وتسكين الباء- (سبينيتوس). وبناء على طلب الملكين «بطليموس الأول» و«بطليموس الثانى»، أعد «مانتو» قائمة مرتبة زمنياً عن الفراعنة السابقين و فترات حكمهم. وقسم التاريخ المصرى إلى ٣٠ أسرة (سلسلة من الحكام الأقارب تنتهى كل منها بوفاة فرعون بلا وريث، أو عندما ينجح حكام من خارج الأسرة فى قطع التابع). وعلى مر العصور، أبقى المؤرخون على هذا التصنيف؛ وقاموا بدورهم بتقسيم قائمة «مانتو» للملوك إلى فترات زمنية ثلاث أطلق عليها «الدول» وثلاث فترات أخرى من الاضطراب السياسى الداخلى سميت بعصور الاضمحلال.

(*) بعض الآلهة المصرية كانت إناثاً والبعض الآخر ذكورا، أما حعبي فكان يحمل داخله صفات الجنسين فى إله واحد متكامل، وكان المصريون يصورونه على هيئة إنسان بدين منبعج البطن ذى تدين متدلين. ولونوه باللونين الأخضر والأزرق (بلون مياه الفيضان) وهو عارى الجسم طويل الشعر، وفق ما جاء فى معجم الحضارة المصرية الصادر ضمن سلسلة مكتبة الأسرة، الطبعة الثانية ١٩٩٦- المترجمة.

(**) يكتب أحياناً باللغة العربية «مانيتون»، وورد فى «معجم الحضارة المصرية القديمة»، إنه: «أحد أعظم المتعلمين فى الكليات الكهنوتية، عاش فى معبد سبينيتوس القديم فى بداية القرن الثالث ق.م. . . كان يقرأ اليهروغليفية وتعلم الديانة المصرية لكنه كان يعرف الإغريقية أيضاً. وقد ألف الكتب التى شهرته بهذه اللغة»- المترجمة.

ويجدر أن نضع فى الاعتبار أن التواريخ غالبا ما تتفاوت بعدة مئات من السنين ، وفقا للمصدر التاريخى الذى يرجع إليه المرء . وفى بعض الأحيان تتداخل التواريخ بسبب تقليد الوصاية على العرش الملكى .

ومن المتفق عليه بوجه عام أن الأسرة الأولى بدأت مع توحيد القطرين على يد الملك «نعرمر» سنة ٣١٠٠ ق م ، وهو ما يجعله أول الفراعنة . فقد احتل ملك الوجه القبلى «نعرمر» الوجه البحرى ، وهكذا وحد القطرين تحت حكم واحد للمرة الأولى فى التاريخ . (وهناك رواية منافسة تقول أن هذا الشرف يعود إلى الملك العقرب أو الملك «مينا» - وربما كانا شخصا واحدا) . واستطاعت مصر ، باعتبارها كيانا واحدا موحدا ، أن تستفيد وتزدهر من التعاون بدلا من المنافسة .

وفى ذاك الوقت ظهرت «الهيروغليفية» للمرة الأولى . فمع اندماج الشعب ، ظهرت الحاجة لتحسين الاتصال لضمان الاستفادة من ثمار النمو السكانى ، والفوز بالإدارة الناجحة وتنمية البلاد .

وأقيمت عاصمة مصر الموحدة حديثا فى «من نفر» (منف) ومعناها «راسخة وجميلة» . واختير موقعها بسبب وضعها الاستراتيجى عند رأس الدلتا بين الوجهين القبلى والبحرى . وعرفت «منف» أيضا باسم «إنب - هديج» - بكسر النون - ومعناها «الجدار الأبيض» (فى إشارة إلى الجدار الأبيض الذى يحوط القصر الملكى ، أهم معالم البلدة) . وكانت «منف» أو «إنب - هديج» العاصمة الرسمية للأسرة الثالثة ، وظلت مركزا دينيا وإداريا مهما خلال تاريخ مصر القديمة . وبنيت فيها الأهرامات والمقابر الملكية فى الجيزة وسقارة حاليا .

وازدهرت مصر خلال عصور الدولة القديمة ، والوسطى ، والحديثة . ويفصل بين هذه الإمبراطوريات فترات من الصراع والانهيال تعرف باسم عصور الاضمحلال الأول والثانى والثالث . وعندها كانت مصر تفتقر إلى حكومة مركزية قوية وتعانى من الاضطرابات السياسية الداخلية . وجذبت التجارة الخارجية والاتصالات مع البلدان الأخرى اهتماما وطمعا من القوى الخارجية أيضا ، مما تسبب فى الغزو الأجنبى .

وتشكل الأسرتان الأولى والثانية عصر الأسرات المبكر، أو العتيق، أو «الحقبة
الثينية»(*) .

وبدأت الدولة القديمة خلال عصر الأسرة الثالثة، نحو ٢٧٠٠ قبل الميلاد. وتعرف
هذه الفترة باسم عهد الاستقرار، أو عصر الأهرامات. فقد شهد المصريون الهدوء
والازدهار لمدة ٥٠٠ عام، خاصة أثناء عهد الأسرة الرابعة، حيث تحققت إنجازات
هائلة فى الفن والعمارة ظهرت فى شكل تشييد الأهرامات. وإبان هذه الفترة، أنشئ
نظام إدارى فعال، وأصبحت الحكومة أكثر مركزية. غير أن الإدارة المركزية تعرضت
لتدهور ظهر نتيجة تشتيت المهام والسلطات. وأدى هذا الاعتلال إلى انهيار مجتمع
الدولة القديمة فائق التنظيم.

وشهدت الأسرة السابعة ظهور أول عصر اضمحلال (نحو ٢١٥٠ ق م). وكانت
تلك فترة صراع داخلى، وثورة، وأعمال شغب، وإضرابات، وحرب أهلية استمرت
حتى عصر الأسرة العاشرة (نحو ٢٠٥٠)، فى أوائل الدولة الوسطى.

وتعرف الدولة الوسطى أيضا بأنها حقبة العظمة والنهضة. و إليها يرجع أروع أنواع
الأدب المصرى وأبداع حرف الخلى والفنون، التى لا تضاهى. وكانت الدولة الوسطى
فترة ازدهار، حيث أعيد إصلاح الإدارة، وأنشئت مدن جديدة. وتوسع المصريون
حتى النوبة وزادت قوتهم السياسية، وتجارتهم الخارجية واقتصادهم. وفى هذه الفترة
ظهرت طبقة اقتصادية جديدة (طبقة متوسطة) وأصبح لها نفوذ، حيث ضمت نوعية
جديدة من السكان، راغبة فى العمل الجاد من أجل نمو وتوسعة البلاد، ومؤهلة
لذلك.

وخلال الدولة الوسطى، ظهرت للمرة الأولى «أواست» أو «واست» (طيبة، أو
الأقصر والكركنا حاليا). وأصبحت أواست (وتعنى «السيادة») عاصمة الدولة خلال
عهد الأسرة الثانية عشرة. وكانت موطن أهم المراكز الدينية وأكثرها ثراء حتى العصر

(*) هى الحقبة التكوينية للحضارة المصرية، وأشار إليها مترجما معجم الحضارة المصرية باعتبارها (الطينية)،
غير أن المعجم يوضح أن التسمية ترجع إلى مدينة «ثنى» التى جاء منها «مينا» موحد القطرين، ولم يرد فى
تعريف المعجم أى إشارة للطين، وإن كان بعض الكتاب مثل المؤرخ عبد الرحمن الرفعى فى كتابه «تاريخ
الحركة القومية فى مصر القديمة» ترجم اسم المدينة التى نشأ فيها مينا Thinis إلى مدينة «طينة» وربما كان
ذلك سبب تسمية هذه الحقبة عند المترجمين بالطينية، لكننى أثرت اسم «الثينية» خشية الالتباس -
المترجمة.

التأخر؛ فقد بلغت ذروة مجدها كعاصمة لمصر خلال الدولة الحديثة، وخاصة خلال الأسرة الثامنة عشرة، عندما صارت بمثابة قلب مصر الدينى . ومع ذلك، تسببت قوى خارجية (من الشرق أساسا) فى انقسام الدولة، لتهنى عصر الدولة الوسطى .

وبدأ عصر الاضمحلال الثانى مع انهيار الدولة الوسطى خلال عهد الأسرة الثالثة عشرة (حوالى ١٧٧٥ ق م) . واستمرت فترات الاضطراب لما يزيد عن قرنين؛ واتسمت بالفوضى، وبفترات حكم قصيرة تولاها حكام أجنبى ضعاف . وخلال عهد الأسرة الرابعة عشرة تولى حكم مصر «الهكسوس» الآسيويون، الذين أطلق عليهم «الملوك الأجنبى» أو «الملوك الرعاة» . وأقام «الهكسوس» - الذين عبروا الصحراء واستقروا قرب الحدود الشرقية لمصر - مراكز تجارية فى أنحاء الدلتا، باسطين سيطرتهم فوق معظم هذه المنطقة . ولا تعرف أصول الهكسوس على وجه الدقة، ولكن معظم الباحثين يرجحون أنهم ربما جاءوا من فلسطين أو سوريا . وكان هؤلاء «الآسيويين الحقراء» كما أسماهم المصريون ذوى شعر أكرت، ولحى مجعدة كما يظهر من صور تلك الفترة . وأقيمت العاصمة الجديدة عند «پر رعمسو» - بكسر الباء - (بيت رعمسيس)، أو ما يعرف باسم بلدة «أواريس» .

وأخيرا عندما طرد الملك «أحمس» الهكسوس، وأعاد بذلك توحيد مصر، كانت الدولة الحديثة تستهل عصرها . وبدأت الدولة الحديثة مع الأسرة الثامنة عشرة (نحو ١٥٥٠ ق م)؛ وتعرف هذه الحقبة أيضا بالحقبة العظيمة والعصر الذهبى، وخلال هذا العصر، قدر عدد سكان مصر بما يقرب من ثلاثة ملايين نسمة، وهو رقم ضخم للغاية فى تلك العصور .

وشهدت الدولة الحديثة، أشهر الشخصيات التى حكمت أرض مصر . فقد تولى الحكم فى هذه الفترة الزاهرة فراعنة مثل: «تحتمس» الأول حتى الرابع، و«حتشبسوت»، و«أمنحتب» الأول حتى الثالث، و«أخن آتون» (أمنحتب الرابع)، و«توت عنخ آمون»، وسيتى الأول والثانى . كما ظهر عصر الرعامسة أيضا خلال الدولة الحديثة؛ من عهد رعمسيس الأول وحتى الحادى عشر . وبلغت مصر مستويات عالية جديدة من السيادة والعظمة خلال عصر الدولة الحديثة . وأعيدت عبادة «أمون» (الخالق)، وعادت «أواست» مرة أخرى عاصمة للبلاد .

ومع ذلك ، فخلال فترة حكم «اخن أتون» بالغة الإثارة للجدل ، نقلت العاصمة إلى «أخت أتون» (العمارنة) . وأسفرت الاختلافات السياسية والدينية بين الكهنة ، والجيش ، وكبار رجال الحكومة ؛ مع ضغط أجنبي متزايد من «الهكسوس» و«الكوشيين» (النوبيين) ، إلى القضاء على مركزية الدولة ، وشكلت عاملا لدفع هذه الحقبة إلى نهايتها . وبدأ عصر الاضمحلال الثالث مع الأسرة الحادية والعشرين (حوالي ١٠٨٧ ق م) . وفى ذلك الوقت ، انهارت الإمبراطورية المصرية ، واستولى عليها «الكوشيون» ، وبعدهم «الآشوريون» الأقوياء .

وبدأ العصر المتأخر مع الأسرة الخامسة والعشرين (حوالي ٧١٢ ق م) عندما كانت مصر تحت سلطة «الكوشيين» - ثم تحت حكم الفرس مرتين بعد ذلك . وكانت تلك فترة متقلبة . ففي ٣٣٢ ق م ، وصل الإغريق إلى الحكم ، وأقاموا الأسرة الحادية والثلاثين ، التى بدأت مع الإسكندر الأكبر ، واستمرت باسم الحكم البطلمي . وانتقلت العاصمة إلى مستعمرة سميت «راكوتا» ، وهى التى أعاد اليونانيون تسميتها باسم «الإسكندرية» على اسم مؤسس الأسرة والمدينة .

بيد أن الإمبراطورية تحطمت تحت ضغط الغزو الرومانى سنة ٣٠ ق م ، الذى أنهى الحضارة المصرية القديمة وتاريخها وثقافتها . وأصبحت مصر ولاية تابعة لروما . ولم يعد الفراغ لحكم البلاد بعد ذلك .

القسم الأول
الحياة اليومية

- ١ -

الشعب

ماذا كانوا؟

كان المصريون القدماء شعبا ذكيا، واجتماعيا، ونشطا، ومسالما. فبالرغم من المصاعب العديدة التي واجهت حضارتهم الفريدة، حافظوا على كبريائهم، وتفاؤلهم وحبهم للحياة. وتمركزت أولوياتهم حول آلهتهم، وعائلاتهم، وعملهم.

وكما أوضحت كتابات كثيرة، فليس هناك شعب من الشعوب القديمة احتفى بالحياة إلى حد بعيد مثل المصريين، كما لم يكن هناك، في أى زمن فى التاريخ، شعب كرس مثل هذا الاهتمام الكبير للاستعداد للموت. . فكانت الحياة عزيزة عليهم حتى أنهم سعوا إلى إطالتها، والإبقاء عليها عبر الأبدية. ويبدأ الاستعداد للحياة التالية بمجرد أن يولد الشخص. واعتبرت الحياة الأخرى استمرارا لوجودهم المؤقت على الأرض.

ولم تكن الحياة فى مصر القديمة سهلة؛ وبلغ متوسط عمر الشخص العادى نحو ٣٥ عاما بينما يزيد العمر الافتراضى عند أبناء الطبقات العليا؛ الذين توفرت لهم حياة ثرية تخلو من العمل البدنى الشاق، فضلا عن تمتعهم بتغذية أفضل. ويعتقد أن «رعمسيس العظيم» عاش حتى ناهز السادسة والتسعين، بينما عاش «پيبى الثانى»، وهو من فراعنة الأسرة السادسة، حتى بلغ المائة. وكان الفرعون يبقى فى الحكم طوال حياته غالبا، ثم ينتقل إلى وريثه بعد ذلك.

عاشت الآلهة، أو «نيترو»، والمصريون من جميع الطبقات، وفقا لقوانين «ماعت»؛ وهى مفهوم «ربة» تجسد الحقيقة، والنظام، والعدالة. و«ماعت» فى

الأساطير، هي ابنة إله الشمس «رع». وتميزت بريشة النعامة البيضاء التي ترتديها فوق رأسها، وهي تجسد التناغم الذي يسود في الحياة الحالية والتالية. ولم تكن الحياة متخيلة، بدون وجود «ماعت»؛ ويعاقب القانون على الأعمال المنافية لهذا المفهوم. وليس هناك من حضارة أخرى لم يطرأ تغييرا يذكر على ثقافتها مثل الحضارة المصرية القديمة، كما لم تفعل حضارة أخرى مثلما فعلت للحفاظ على قوانين آداب السلوك، والشرف، والنظام على طول تاريخها.

وانقسم المواطنون إلى خمس طبقات اجتماعية وفقا لمهنتهم. وتأتى الأسرة الملكية، بالطبع، أولا، ويتبعها الوزير أو المستشار، وكبار الكهنة، والنبلاء. وتشمل الطبقة الثالثة المسؤولين الحكوميين، والكتبة «سيش»، والكهنة، والأطباء، والمهندسين. ويشكل الفنانون، والحرفيون، والجنود، والتجار، والعمال المهرة؛ الطبقة الرابعة. أما أفقر مستويات المجتمع التي تمثل الطبقة الأكثر اتساعا فتشمل العمال غير المهرة، وصيادى السمك، ويتبعهم الخدم، أو «هيمو»، بينما يقبع العبيد فى أدنى قاع السلم الاجتماعى.

وجلب العبيد أساسا من بلاد أجنبية؛ من آسيا، والنوبة، أو القوقاز؛ وربما كانوا من أسرى الحروب، الذين يبعوا بعد ذلك كعبيد. وأجيز للمواطنين أيضا أن يبيعوا أنفسهم كعبيد، كما أجيز لهم أن يشتروا أنفسهم ليتحرروا من العبودية. وعلى أى حال، تمتع العبيد والخدم بمعاملة حسنة، وكانوا يحصلون مقابل أعمالهم على الغذاء والسكن، فضلا عن حصولهم على المؤن من الكتان والزيتون. بل أن بعضهم كان لديه ممتلكاته الخاصة. ويستطيع الشخص من أفقر الطبقات أن يبلغ أعلى المستويات الرسمية بالتعليم المناسب، والتدريب، والإصرار. وهذا ما تدل عليه القصة الشعبية المتوارثة منذ عهد الأسرة التاسعة بعنوان «الفلاح الفصيح».

والقصة تدور حول فلاح^(*) كان يتكسب رزقه المتواضع من التجارة فى سلع مثل الملح والأعشاب. ومن هذه التجارة كان يقيم أود أسرته. وكان يمر كل يوم ومعه

(*) يقول الدكتور سليم حسن إن تسمية «الفلاح» أطلقها العلماء تجاوزا، وإن الاسم الحقيقى لبطل هذه القصة فى اللغة المصرية القديمة «ساكن الحقل» أى أنه أحد سكان «حقل الملح» وهو «وادي النطرون حاليا» - موسوعة مصر القديمة، الجزء السابع عشر، الأدب المصرى القديم، سليم حسن، مكتبة الأسرة عام ٢٠٠٠، ص ٥٤ - المترجمة.

حميره المحملة بضاعة عبر نفس الطريق إلى القرى المجاورة . وفى أحد الأيام مر بطريق أحد الموظفين الذى كان قد عزم على أن يطعم أسرته من عمل غير شريف ؛ فقام بوضع قطعة من النسيج لسد الطريق الذى يمر منه الفلاح ؛ فلم يكن أمام الأخير خيار سوى أن يقود حميره على حافة الطريق ، لتدهس حواف حقل الذرة الذى يملكه الموظف . وتشاجر الرجلان ؛ وضرب الموظف الفلاح وسرق جميع بضاعته . ولما شعر الفلاح بالمهانة والغضب ، وما من شاهد هناك ليساعده ، فقد رفع الأمر إلى كبير الموظفين (*) وشرح له بلواه .

وروى الفلاح قصته بأسلوب غاية فى الوضوح والبلاغة ؛ فطلب منه أن يعود فى اليوم التالى ، حتى يمكن أن يدون الكتبة الملكيين قصته ليسمعها الفرعون . ومثل الفلاح فى اليوم التالى ، والذى يليه لمدة تسعة أيام أخرى ، أملاً أن يبلغ أمله بتحقيق العدالة . وعندما قرأ كبير الموظفين ما دونه الكتبة من قصة الفلاح ، سر الفرعون أيما سرور ، بل أنه تأثر بما سمع . وفى نفس الوقت ، أمر الملك بالعناية بشئون أسرة الفلاح ، دون علمه ، مكافأة له على ما قدمه من تسلية ، وتعويضاً عن محنته .

وفى اليوم العاشر ، ثبتت عزيمة الفلاح ، وشعر أن كلماته لاقت آذاناً صماء . وأيقن كبير الموظفين أنه حان الوقت لكشف دوافع الفرعون الحقيقية ونواياه أمام الفلاح المحبط . ووجد الموظف من ممتلكاته ، التى منحت للفلاح مقابل أقواله المفعمة بالحكمة ، والنزاهة ، والعدل . وأصبح الفلاح فى آخر الأمر ، كما تقول القصة ، وزيراً من أهل الثقة ، ومشرفاً مقرباً من الفرعون .

والقصة ذات دلالة من حيث أنها توضح إمكانية ترقى أولئك المتعلمين والأكفاء ؛ وهو ما يعادل الحصول على شهادة علمية فى عصرنا الحالى . ففى مصر منذ آلاف السنين ، مثلما هو الحال اليوم ، كانوا يقدرون المواهب . وتشير تقديرات إلى أن عدد المتعلمين فى مصر القديمة تراوح بين ١٪ و ٥٪ من عدد السكان ، وهى نسبة كبيرة فى عصر كانت الكتابة فيه اختراع حديث ؛ وكان عدد كبير من العامة أنصاف متعلمين على الأقل . وما زال هناك دليل على ذلك فى صورة رسوم منقوشة عند المحاجر الصخرية حيث يعمل الناس العاديون وفى القرى حيث يعيشون . وزادت نسبة المتعلمين بين

(*) يطلق عليه الدكتور سليم حسن فى المرجع السابق «المدير العظيم للبيت» وفقاً للترجمة عن المصرية القديمة - الترجمة .

السكان منذ الأسرة السادسة والعشرين. وتلقى الأولاد العلم على أيدي الكهنة في مدارس المعابد. وتعين على الطلاب أن يتقنوا نحو ٧٠٠ حرف هيروغليفي، وبنهاية الحقبة الفرعونية، بلغ عدد الرموز المستخدمة في الكتابة نحو ٥٠٠٠ رمز مختلف.

وحظى الكتبة المحترفون بعدة امتيازات، منها الإعفاء من دفع الضرائب ومن أداء الأعمال اليدوية مدى الحياة. وصاروا من أكثر أعضاء المجتمع احتراماً، فلا يتتابه الخوف من البطالة، لأن هذا المؤهل جعلهم مرشحين للعديد من الوظائف في خدمة القصر، والنبلاء، ومناصب الإدارة، والجيش، والمعابد، والمصالح الحكومية. وباستطاعة الكاتب أن يصعد إلى مراكز السلطة في مجالات القانون، والضرائب، والدبلوماسية كما يمكنه أن يصبح معمارياً أو مهندساً بارعاً. وحظى الكتبة برواتب أفضل من النحاتين، والرسامين، والفنانين.

وتولى الكتبة مهمات عديدة من بينها: تدوين الأنشطة اليومية، والعقود، والبيانات الإحصائية، فضلاً عن صياغة المراسلات والنقوش التذكارية. كما تولوا أيضاً حفظ سجلات المؤن الغذائية، والتقديرات الضريبية، والتقارير الحكومية، وقوائم جرد البهائم والحبوب، والأحداث المهمة، فضلاً عن القياس السنوي للنيل بالغ الأهمية.

وارتقى كاتب مهم وقائد للجيش، يدعى «حور محب»، عاش إبان عصر الدولة الحديثة في عهد «توت عنخ آمون» من قائد عسكري إلى فرعون لمصر. ولأن «حور محب» لم يكن له وريث يخلفه، عين قائداً عسكرياً آخر ليخلفه هو «رعسيس الأول» الذي أنشأ الأسرة التاسعة عشرة.

وبخلاف أي حضارة قديمة أخرى، حظيت النساء في مصر القديمة بالمساواة الكاملة تقريباً مع الرجال. وتمتعن باحترام كبير، حيث الوضع الاجتماعي يحدده مستوى الشخص في السلم الاجتماعي وليس نوع الجنس. وتمتعن نساء مصر بقدر أكبر من الحرية والحقوق والامتيازات مقارنة بما عرفته نساء الإغريق. وحظى عدد وافر من الربات بالتقديس عبر تاريخ مصر. وكان إظهار عدم الاحترام لامرأة، وفقاً لقانون «ماعت»، يعنى معارضة أسس المعتقدات المصرية والوجود المطلق.

وأجاز المصريون للمرأة أن تصبح وريثة للعرش، إلا أن الرجل الذي تختاره زوجاً لها هو الذي يصبح حاكماً أو فرعوناً. وتتمثل مهمتها في الحفاظ على الدم الملكي واستمراره.

وتمتعت النساء بالعديد من الحقوق القانونية؛ مثل المشاركة فى التعاملات التجارية، وامتلاك الأراضى والعقارات الخاصة، وإدارتها وبيعها. وكان للنساء حق ترتيب عمليات التبنى، وتحرير العبيد، وصياغة التسويات القانونية، وإبرام التعاقدات. وكن يشهدن فى المحاكم، ويقمن الدعاوى ضد أطراف آخرين، ويمثلن أنفسهن فى المنازعات القانونية من دون حضور قريب أو ممثل لها من الرجال.

وفتح باب العديد من الوظائف «المهنية» أمام النساء مثل: النائحة، والنساجة، والخبازة، والقبالة، ومستشارة الفرعون. واستطعن أيضا تولى مناصب عليا فى المعبد، مثل الراقصات أو كبيرة الكاهنات وهو منصب بالغ الاحترام.

ولم يكن مستغربا أو محظورا أن ترتقى امرأة عاصمية من ناحية الوضع الاجتماعى أو المنصب. فمن بين النساء الشهيرات من خارج الأسر الملكية امرأة تدعى «نبت» - بكسر النون والباء - كانت متزوجة من حاكم أحد الأقاليم خلال عهد الأسرة السادسة. وقد حملت «نبت» أعلى الألقاب مكانة؛ لقب الحاكم، والقاضى ووزير الفرعون.

وأتيح للنساء العمل ككاتبات وطيبات، وإن كُنْ بأعداد أقل من نظرائهن الرجال. وترجع السجلات التى ورد فيها أسماء طبيبات إلى الدولة القديمة. ومن هؤلاء الطبيبات السيدة «پيشيشت» التى عاشت إبان عهد الأسرة الخامسة؛ وحملت لقب «رئيسة الأطباء» وفقا للنقش الموجود على شاهد قبرها (فى مقبرة ترجع إلى الدولة القديمة، اكتشفت خلال القرن العشرين من عصرنا) ويعتبر الباحثون السيدة «پيشيشت» أول طبيبة فى التاريخ المدون.

الحياة العائلية

حظيت علاقة الزواج بأقصى قدر من الاحترام؛ باعتبارها علاقة مشاركة شريفة . وكان من المفترض أن يحيا الزوج والزوجة على أساس من المساواة، وأن يظهر كل منهما للآخر مشاعر الاهتمام والحب . ويتم الزواج عادة بين شخصين من نفس الطبقة الاجتماعية، غير أن قواعد خاصة تطبق على أفراد الطبقة العليا، وبوجه خاص داخل الأسرة الملكية؛ حيث يجوز للرجل اتخاذ أكثر من زوجة واحدة، كما يحدث الزواج غالبا بين أبناء العمومة وغيرهم من ذوى القربى القريبين (أو البعيدين) . وكانت حالات الاقتران بين الأخوة تحدث داخل الأسرة الملكية فقط - فتتزوج الابنة الكبرى للفرعون غالبا من شقيقها أو أخيها غير الشقيق - بهدف الحفاظ على السلالة الملكية .

وفى مصر القديمة، كان الزوجان يشيران فى حب على بعضهما البعض بلفظ «أخ» أو «أخت» . وأثناء الدولة الحديثة، كانت اللفظة «أختى» مرادفا للفظ «عزيزتى» أو «زوجتى» . ولا شك أن هذا هو سبب الفهم الحديث الخاطى أن الزواج بين الأخ وأخته كان منتشرا بين عامة المصريين، من غير الأسرة الملكية .

زوجة واحدة - ثم زوجات

كان للفرعون أن يتخذ زوجة رئيسية، وعدة زوجات أقل مرتبة يتخذهن من بناته أو أخواته، فضلا عن العديد من الخليلات . وكان لدى «رعمسيس الثانى» سبع زوجات أساسيات، وعدة زوجات ثانويات، وجناح للنساء يزخر بال خليلات الشرعيات . ويعتقد أن وجود أجنحة النساء يرجع إلى عصر الأسرات الأولى . فكانت الأميرات

الأجنبيات يصبحن غالبا ضمن حريم الفرعون، كزوجات سياسيات أرسلهن أبائهن لتعزيز التحالف الدبلوماسي بين الحاكمين. فتزوج «رعمسيس الثاني» ضمن زوجاته الكثيرات (أو حريمه) الأميرة «هيتيتي» من «طرسوس» (تركيا) بهدف تسوية خلافات طال أمدها بين البلدين. وإبان عصر الأسرة الثامنة عشرة، تزوج كل من الفرعون «تحتمس الرابع» و«أمنحتب الأول» أميرتين من «الميتانيات» (من سوريا). واتخذ «أمنحتب» عدة زوجات منهن شقيقة أحد ملوك بابل.

ولم يكن حريم الملك بغرض التسلية أو السياسة فحسب؛ وإنما لإنجاب ورثة ذكور للعرش. غير أنهم ربما جلبن المتاعب أيضا. ومن المعتقد أن أولئك اللاتي ألحقن بحريم «أمنمحت» تسببن في القضاء على عهده. كما تسببت إحدى زوجات «رعمسيس الثالث» الثانويات، واسمها «تاي» في موته (أو على الأقل اعتبرت مسؤولة عن وفاته)؛ فخلال السنة الحادية والثلاثين من حكم الفرعون، كان هدفا لما عرف بعد ذلك «مؤامرة الحريم». فقد دبرت «تاي» بمعاونة ٣٢ متأمرة، اغتيال الفرعون حتى يرث ابنها «بيتتيوير» العرش. وافتضحت المكيدة الخطيرة قبيل تنفيذها. ومع ذلك، وأثناء المحاكمة التي أعقبت المؤامرة، توفى «رعمسيس الثالث» وألقيت مسؤولية التسبب في موته على عاتق «تاي» وشركائها. وكان من بين الشركاء في الجريمة عدة نساء من حريم «رعمسيس»، بالإضافة إلى مسئولين حكوميين، وعسكريين، بل وحتى كاهن. وعوقب هؤلاء الرجال والنساء بتشويه وجوههم^(*). وقضى البلاط الملكي على بعضهم بأن يقتلوا أنفسهم. واعتلى «رعمسيس الرابع» موقعه الصحيح كوريث للعرش مثلما أراد والده.

وشملت المرشحات للحريم الملكي الراقصات، وغيرهن من الجميلات اللاتي يلفتن نظر الفرعون. ويجوز أن يحسب أبناؤهن ضمن الأسرة الملكية، أو لا، بناء على اختيار الفرعون.

وكانت الفتيات يتزوجن في سن مبكرة تتراوح بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة، وغالبا ما تتزوج بنات الفلاحين في الثانية عشرة؛ وبوصولهن إلى سن الثلاثين يكن قد أصبحن جدات. وكان المتوقع أن يتخذ الشاب زوجة له بمجرد أن يمتلك السبل المادية لإعالة حياتهما معا وبناء أسرة.

(*) بعقوبة «جدع الأنف» على الأرجح كما سيبين من سياقات قادمة - المترجمة.

وبينما اعتبر اختيار الشريك اختيارا حرا للزوجين عادة ، فإن معظم الارتباطات يرتبها زوج المستقبل مع والد العروس الصغيرة . ومع ذلك ، يتعين موافقة كل من الرجل والمرأة على الزواج ؛ الذى يتم بموجب عقد يجوز إلغاؤه أو إنهاؤه فيما بعد ، بالطلاق . وخلال الحقبة المتأخرة أصبحت لعقود الزواج صياغة متعارف عليها .

وليس هناك دليل يثبت وجود حفلات للزواج فى مصر القديمة . وإنما يقام حفل كبير بعد الزفاف يتلقى فيه المتزوجان حديثا الهدايا ويشاركان مع الأسرة والأصدقاء فى الاحتفال بالزواج . وتنتقل العروس إلى بيت الزوج ، الذى يضم غالبا عائلته أيضا . وتتولى العروس الجديدة دورها باعتبارها «سيدة البيت» أو «نبيت - پر» . ولا يسع المرء سوى أن يتعجب من ناموس الحياة فى تلك الأسر الجديدة ، حيث ينتهى اعتبار الحماة كسيدة لبيتها .

إلى أن ننفضل

ولم يكن الطلاق شائعا بين المصريين القدماء ، ولكن فى حال حدوثه ، يحق للزوجة السابقة الاحتفاظ بما كانت تملكه عند زواجها بالإضافة إلى ثلث العقارات والممتلكات المشتركة التى كسبها الزوجان أثناء فترة الزواج . وتؤول حضانة الأبناء للأم (مات) . وكان الطلاق فى حد ذاته شأنا بسيطا وخصا ، يتمثل فى إعلان بإنهاء العقد والارتباط أمام شهود . وبمجرد انتهاء هذا الإجراء يصبح كل من الشريكين حرا فى الزواج مرة أخرى .

وإذا كانت الزوجة غير مخلصه ، لا تستحق المساندة ، بل إنها غالبا ما تخضع لعقوبة جدد الأنف المؤلمة والمشوهة . ومن الطريف أن التعبير عن الحب كان يتم بحك الأنفين معا ، والتعبير الهيروغليفى عن الفرح والسعادة والقبلة عبارة عن رسم جانبى لأنف . ولأن الخيانة من جانب المرأة من شأنها إثارة شكوك حول أبوة الطفل ، فإن النساء تتعرض لعقوبة أشد من عقوبة الرجال بسبب الخيانة .

وفى حالة وفاة الزوج ، تستحق الزوجة ثلثى أملاكهما المشتركة . ويقسم الثلث الباقى بين الأبناء ويليهم أخوة الزوج . وقبل وفاة الرجل ، يجوز له أن يتبنى زوجته كابنة له (سيت) حتى ترث نصيبا أكبر ، ليس فقط كقرينة له ، بل كوريثة أيضا .

كونى مثمرة

اعتبر المصريون إنجاب وريث ذكر مهمة رئيسة للزوجة، ويشكل الفشل فى أدائها سبباً للطلاق. وكان الزوجان يشجعان على الإنجاب بمجرد زواجهما. فالأبناء يعتبرون أعظم النعم؛ وكانوا يقولون إن الآلهة تتبسم لأجل أولئك الذين يعولون أسراً كبيرة العدد. ويمكن لبعض الأسر أن تفاخر بأن لديها ١٠ أو ١٥ طفلاً. بينما كانت الآلهة تتجهم فى وجه البيت الذى يخلو من أصوات ضحك الأطفال، وكان من المفترض أن يلجأ الزوجان العقيمان إلى التبنى إذا لزم الأمر، لتعويض النقص. فأى إعجاب واحترام ناله «رعمسيس الثانى»، وهو الذى يروى أنه كان أباً لمائة ابن على الأقل وخمسين ابنة!

وإذا كان لدى الأسرة بالفعل العديد من الأبناء ولا تستطيع أن تعول أكثر، يكون منع الحمل هنا خياراً. وهناك وصفة شعبية لمنع الحمل تتكون من ألياف نباتية مغلقة فى مزيج من العسل واللين الرائب، وروث التمساح وملح النطرون (ويوجد النطرون فى مستودعات ضخمة من أملاح الصوديوم عند قيعان البحيرات الجافة فى مصر، وبوجه خاص فى الموضع المعروف بوادى النطرون قرب القاهرة الحديثة. وعرف المصريون معالجة النطرون منذ عصور ما قبل الأسرات). وتتكون وصفة أخرى من قطن مغموس فى مزيج من لحاء النخل والسنتط. وكان الحمض اللبنى يعمل كمادة فعالة فى قتل الحيوانات المنوية.

وعلى الوجه الآخر، إذا وجد زوجان صعوبة فى الإنجاب، فبإمكانهما اللجوء للسحر. وتشمل طقوسه جلوس المرأة الراغبة فى الحمل فى وضع القرفصاء فوق بخار مزيج من الزيت، والبخور، والتمر، والجمعة، فإذا تقيأت من الروائح الناجمة عن هذا الخليط، تعتبر قادرة على الحمل؛ أما إذا لم تتيقأ؛ فيعتقد أن رائحة المزيج حبست داخل جسد المرأة بما يمنعها من الحمل.

ويتضرع الزوجان المحرومان من الإنجاب للإلهات طلباً للبعون الإلهى. وتكتب الرسائل وتوضع فوق مقابر الأقارب الراحلين، بأمل أن يستخدم هؤلاء الراحلون تأثيرهم الروحى مع الآلهة. وإذا فشلت كل هذه السبل، يصبح التبنى البديل الأخير. وتوضح السجلات شيوع التبنى خلال عصر الدولة الحديثة.

وكان للأبناء أهمية قصوى؛ فهم يعينون الوالدين عندما يتقدمان في السن، بينما يضمنون لهما الخلود عبر دفنهما على نحو سليم. وفي حال عجز الزوجين عن إنجاب ذكر يرعاهما عندما يتقدم بهما العمر؛ يجوز للزوج، بموافقة الزوجة، إنجاب ابن من زوجة ثانوية أو ذات منزلة أدنى، وربما تكون خادمة، أو جارية. فإذا جاء الطفل ذكرا، يتبناه الأب وزوجته العاقر. وإذا لم يكن للفرعون أبناء ذكور، تنتقل وراثة العرش إلى الرجل الذى تتزوج منه كبرى بناته، أو إلى ابن «سا» ينجبه الفرعون من زوجة ثانوية. وهذه كانت الحال مع «أخن أتون» الذى أنجب ست بنات ولم ينجب ولدا من زوجته الرئيسة «نفرتيتي».

وغالبا ما تنجب العروس الجديدة خلال العام أو العامين الأولين من الزواج. ويجرى اختبار حمل مبكر سكب بول المرأة على بذور نبات، فإذا أنبتت كانت المرأة حاملا. وهناك اختبار آخر لمعرفة جنس الجنين، وهو أن تبول المرأة على بذور قمح وشعير، فإذا أنبتت بذور القمح أو لا يرجح أن يكون الجنين بنتا، أما إذا أنبت الشعير، يتوقع ولادة طفل ذكر. أما إذا لم ينبت القمح أو الشعير، فلا تكون المرأة حاملا. ولم تكتشف - للأسف - سجلات تشير إلى نسبة نجاح هذه الطرق.

وبالرغم من أن ولادة طفل اعتبر حدثا بالغ البهجة، إلا أنه عرضة أيضا للكثير من المخاطر، حيث كان يعتقد أن النساء الحوامل معرضات لتأثير الأرواح والقوى الشريرة. فبرغم كل شئ ارتفعت نسبة وفيات الأم والطفل معا؛ حيث يتوفى واحد من كل ثلاثة مواليد، أثناء الولادة.

وقبيل مجيء اللحظة المرتقبة، تحظى الأم بأفضل عناية ممكنة، ومعاملة خاصة لمدة أسبوعين بينما تحرسها توائم للحماية، ووصفات سحرية.

وكانت «تويريت» حارسة وإلهة الأمهات المنتظرات. وهى على صورة جسم أنثى فرس النهر حامل، وأرجل وبرائن أسد، وغطاء للرأس من ذيل التمساح. وكانت هيئتها، فى صورة تمثال، حاضرة دائما خلال عملية الولادة، حيث يتضرع إليها، وتساءل العون والنجاح فى توليد الطفل. ويساعد «پس» الإله المرح القزم أيضا فى إبعاد الأرواح الشريرة أثناء الولادة. وكانت «حكت» - بكسر الحاء والكاف - الإلهة الضفدع، إلهة الخصوبة والولادة، تستحضر لتسهيل عملية الولادة. وعرفت «حكت» أيضا بأنها القابلة الروحية.

وتلد معظم النساء أطفالهن بينما هن فى وضع القرفصاء، داخل صندوق الولادة فى البيت. وهو صندوق من قوالب الطين بحجم حوض الاستحمام تقريبا، به فتحة عند حافته تسمح بالدخول. وينقش على هذه الصناديق صوراً للمعبودات ذات النفوذ والحارسات، فضلا عن الإلهات المسئولة عن الولادة، لمساعدة الأم على الولادة السليمة. فإذا لم تكن الأسرة قادرة ماديا على الحصول على أحد هذه الصناديق، تلد الأم على سطح المنزل؛ باستخدام صورة متواضعة من صندوق الولادة تتكون من قالبى طوب كبيرين يوضع كل منهما على مسافة من الآخر، فوق منصة آمنة. وفى العديد من المعابد، توجد أبنية تسمى «ماميسوم» بنيت فوق مساحة مقدسة حيث صورت «أوست» (إيزيس) «الأم العظيمة» على جدران المعبد أثناء ولادتها «حورس» (حورس). وعند «ماميسوم» معبد «ندرة» نقشت صور تمثل الزواج الإلهى بين «حتحور» و«حورس»، الذى نتج عنه ولادة ابنهما «إيحي».

وقام بمعاونة الأم قبلتان، تمثلان الإرشاد الحارس الذى تقدمه «أوست» وشقيقتها «نبت-حت» (نفتيس)، وهما تؤديان معاطف السلامة والشفاء أثناء ولادة الطفل. وفى هذه الأثناء تفرغ صفاقات مصنوعة من العاج، تنحت غالبا على شكل الكفوف، لطرد الأرواح الشريرة. وترسم دائرة حامية ذات رموز سحرية حول الأم، وفيما بعد حول الابن، أثناء نومه.

وربما تلد نساء الإقاليم أيضا فى بيت للولادة يسمى «ماميسى». وبعد ولادة ناجحة، تظل الأم بمعزل داخل الماميسى لمدة أسبوعين للنقاها والتماسا للعناية الخاصة. وبعد ذلك تعد وليمة ويقام احتفال كبير، تتلقى فيه الأم الجديدة العديد من الهدايا.

وخلال السنوات الثلاث الأولى، يرضع الطفل من أمه أو من مرضعة، تلقى عادة احتراما بالغا وتعتبر فردا من الأسرة. وكان معدل وفيات الأطفال مرتفعا، ولم يكن أطفال كثيرون يستمرون على قيد الحياة بعد السنوات الثلاث الأولى عندما يحل الغذاء الصلب محل لبن الأم أو المرضعة، معرضا الطفل لارتفاع مخاطر العدوى والأمراض. وقد اكتشفت أعدادا ضخمة من قبور الأطفال فى سن حوالى الثالثة. وتحتوى جبانة واحدة فى دير المدينة على ما يزيد عن مائة قبر لأطفال.

وعندما يولد وريث للفرعون، يحتفظ بالمشيمة، فقد كان يعتقد أنها طاقة قوى الحياة للطفل الوليد. ولا يكاد يعرف شىء يذكر عن بقاء توائم على قيد الحياة. غير أن هناك

توأما عاشا فى الأسرة الخامسة، اسم الأول «خنموحتب» والثانى «نينخ خنمو» وكانا مرتبطين للغاية أحدهما بالآخر، حتى أنهما دفنا معا فى قبر واسع فى سقارة. ويوضح المشهد المؤثر للأخوين المتعاقبين مدى ارتباطهما، وتعلقهما الواحد بأخيه.

الأطفال هم المستقبل

لم يكن الطفل يعتبر شخصا إلى أن يحدد له اسم، لذا كانت الأسماء تختار وتطلق على الأطفال عقب الولادة مباشرة. . وغالبا ما تعتمد التسمية على أسماء المعبودات، التى يعتقد أنها تحمى الأطفال الذين يحملون أسماءها؛ وعلى سبيل المثال: «ميريت أتون» (محبوبة أتون)، و«سيت آمون» (ابنة آمون)، و«رع حتب» (رع راض). وكثيرا ما تختار الأسماء لتضفى على الأبناء صفات معينة، يرغب فيها الوالدين؛ فعلى سبيل المثال: «نفر حتب» (جميلة وراضية)، و«سينب» (وافر الصحة)، كما شاع إطلاق أسماء تدليل الحيوانات الأليفة على الأبناء، مثل «ميو شيرى» (القطيطة الصغيرة).

وعند وقوع حالة الإجهاض التعيسة، يستطيع الطفل الذى تحدد اسمه بالفعل المرور إلى الحياة الأخرى. فالطفل الذى ليس له اسم لا تعرف هويته، ولن تتذكره الآلهة. وهذا يماثل الموت مرة ثانية دائمة، وهى الوفاة التى يخشاها الناس أكثر من الأولى.

وفى طبقات المجتمع الدنيا تتولى الأم تربية الأطفال؛ بينما فى الطبقات العليا توفر الخادومات الرعاية اليومية للطفل. ويتولى الأبناء مسئولياتهم فى الحياة عند سن مبكرة؛ ويسلك البنين والبنات مسالك مختلفة. فالبنون يتعلمون تجارة أو حرفة من الأب «إت» أو من عضو آخر من أعضاء الأسرة أو من حرفى، أو فنان، أو نجار، أو صانع فخار. ويتوقع من الصبى أن يسير على خطى والده، ويتولى المهمة المقدسة المتمثلة فى أن يمنح الحياة لاسم والده بعد انتقال الأب للعالم الآخر.

أما الفتيات فيتلقين تدريبهن فى البيت، بينما يساعدن فى أعمال المنزل. وعند الحاجة يسهمن أيضا فى العمل بالحقل. وتتعلم الفتيات من أمهاتهن أعمال البيت من طهى، وحياكة، ونسج، وتنظيف. كما يتعلمن فنون العلاج، والرقص، والموسيقى، والغناء. فضلا عن تعلم أساليب التعامل فى الحياة، والتجميل، وتربية الماشية إلى جانب كيفية أن تصبح الفتاة زوجة وأماً مثالية.

وعند وفاة الأبوين ، يرث الابن الأرض ، بينما تراث الابنة المجوهرات والأثاث وأدوات المنزل . وإذا لم يكن هناك أبناء في الأسرة تصبح الابنة مالكة كل شيء .

وكانت أسر الطبقة العليا وحدها هي القادرة على إرسال أبنائها للمدرسة . ويتلقى أبناء الفرعون تعليمهم وتدريباتهم في فصول دراسية بالقصر الملكي ، وغالبا ما يسمح لأطفال مختارين بعناية - عادة من بين أبناء المسؤولين والنبلاء - بالدراسة والتعلم مع أبناء الأسرة الملكية . ويتلقى هؤلاء الأطفال المتميزون العلم على أيدي معلم خصوصي ، أو كاتب كبير .

أما الأولاد الآخرون من أبناء الطبقة العليا ، فلهم من الحظ ما يتيح إرسالهم إلى مدارس المعابد ، منذ سن الثامنة تقريبا . وكان الصبية ؛ سواء من يتلقون التعليم في القصر ، أو على أيدي كهنة مدارس المعبد ، يتعلمون الفضائل مثل ، آداب السلوك ، والأمانة ، والتواضع ، وضبط النفس ، والاحترام . وتعتبر الكتابة والقراءة والحساب المواد الدراسية الأساس ، يليها الديانة والتاريخ والجغرافيا . ومع ذلك ، كانت تعاليم مدارس المعابد تميل ، بالطبع ، إلى التوجهات الدينية أكثر من الأكاديمية . ويدرس العديد من الطلاب الصغار بهدف أن يصبحوا رسامين ، أو موظفين حكوميين ، أو صناعا ، فضلا عن الوظيفة الأكثر احتراما على الإطلاق : الكاتب . ويمكن للطالب أن يؤدي دروسه على «أوستراكا» (ألواح من رقائق الفخار أو الحجر الجيري) - وقد عثر على العديد من الواجبات المنزلية المكتوبة على هذه الألواح المصنوعة يدويا ، وما زالت تصويبات المعلم واضحة عليها . واستخدمت «الأوستراكا» على نحو أوسع من ورق البردي الأكثر تكلفة والذي يحتاج إلى جهد أكبر في صناعته . وكان حلم كل أب أن يفلت ابنه من مشقة العمل اليدوي ، ويصبح كاتباً ، حيث فرص الحياة غير المحدودة والمربحة .

وينتهي هذا الفصل بقصة شعبية من مصر القديمة ، تصور العلاقة الوثيقة بين الأب والابن ، ودروس الحياة التي يتعلمانها . فقد اشتاق الكاهن الأكبر - الابن الحادى عشر لرعمسيس العظيم ، «سيتناخع إم واست» ، وزوجته إلى إنجاب ابن . وأمضى الاثنان سنوات فى التضرع إلى الآلهة دون أن تجاب دعواتهما . وفى إحدى الليالى زار الإله الزوجة فى الحلم ولقنها تعويذة تحقق الحمل . فنفذت ما تعلمته ، وسرعان ما أصبحت حاملا .

ومرة أخرى تمثل الإله في حلم ، ولكن للزوج «سيتنا» هذه المرة . وأبلغه أن الطفل لن يكون صبيا عاديا ، ونصحته أن يسميه «سا- أوزير» بمعنى ابن أوزير . وبعد خمس سنوات ، أخذ «سيتنا» ابنه «سا أوزير» (كما أمر في الحلم) ليدرس مع الرجال الحكماء في معبد «بتاح» . وخلال شهور قليلة فحسب ، تمكن الابن من إجادة الكتابة الهيروغليفية بفضل قدراته غير العادية في هذه السن الصغيرة . وأصبح الطفل أروع طالب تشهده مدرسة معبد على الإطلاق . وفي أحد الأيام ، كان الطفل في السابعة من عمره عندما نما إلى سمعه - هو ووالده - أصوات جلبة خارج بيتهما ، فاندفعا إلى النافذة ، وشاهدا موكبا جنائزيا رائعا لمتوفى من النبلاء ؛ حيث يحمل الكفن المطلى بالذهب موكبا جليلا من مسئولين عسكريين وكهنة معابد ، بينما تتوح ندابات محترفات على طول الموكب . وعلى مسافة قريبة ، تبعته جنازة أخرى ، لم يكن موكبها يتضمن سوى جثمان عامل فقير ، ملفوف في حصيرة بسيطة من القش ، ويحمله ولداه ، بينما تنوح زوجته وابنته بجواره .

التفت «سيتنا» إلى ابنه قائلا : «حتى في الموت ، ما أسعد الرجل الغنى !» ، فأجابه الابن فوراً : «أمل فقط أن تشارك الرجل الفقير مصيره» . فصدمت هذه الكلمات «سيتنا» وألمته بشدة .

أخذ الصبي بيد والده وذهب به إلى الطرقات ، ثم أركبه قاربا نيليا أخذهما عبر النيل إلى «مدينة الموتى» ، في منطقة الصحراء الغربية ؛ حيث دخل الاثنان ، لمشاهدة عالم الموتى بفعل بعض الكلمات السحرية التي ردها الابن الحكيم . وشاهدا أرواح الموتى أثناء محاكمتها ، وعذاب أولئك الذين فشلوا في امتحانات «ماعت» . وكان هناك رجل يرتدى أحسن أنواع الكتان يقف إلى جوار أوزير (أوزيرس) ، قاضى الموتى ؛ فقال الغلام «أترى تلك الروح المتألقة؟ إنها روح الرجل الفقير ، الذى شاهدناه فى أكثر الجنازات تواضعا» . والرجل يحاكم وفق قوانين «ماعت» وأدت به أعماله الطيبة الكثيرة إلى أن تبوأ المكان الذى يستحقه إلى جوار «أوزير» . وأوضح الولد لأبيه أن الرجل الغنى كان قاسيا فى حياته ويحمل على عاتقه أوزار العديد من التصرفات الأنانية ، لذلك سجن فى العالم السفلى الحافل بالمهالك . ولكون «سا أوزير» حكيما ، فقد عرف مصير المتوفيين ، ولم يكن يتمنى سوى الأفضل لوالده ، عندما دعا له أن يحظى بمصير الرجل الفقير .

البيوت والأثاث

كانت الصحراء مكانا شديدا الحر ومخيفا، بينما الأرض الخصبة ضرورية لنمو المحاصيل. ومن ثم صارت أفضل المواقع السكنية على طول الشريط الضيق من الأرض الذى أطلقوا عليه «خمت» - بكسر الخاء والميم - قرب النهر الذى لا غنى عنه، مصدر المياه الوحيد، وطريق المرور الرئيسى - ولكن لم تكن البيوت تقام فى طريق الحقول. وتدرجيا، ظهرت مستوطنات على الأرض المرتفعة عن السهل المعرض لمياه الفيضان، ولكنها قريبة من الحقول المزروعة. ولأن المساحة محدودة، بنيت المساكن رأسيا وتكونت غالبا من طابقين أو ثلاثة طوابق. وكانت تزاخم بعضها بعضا، وتقع مداخل بعض المنازل على شارع ضيق، بينما يواجه البعض حديقة مسورة. ومازال تخطيط مقبرة ملكية وقرية قديمة فى «دير المدينة»، أنشئت خلال الأسرة الثامنة عشرة فى الدولة الحديثة، واضحا حتى الآن، وما زالت الجدران المنخفضة باقية. وكانت هذه القرية المقامة على الضفة الغربية من «أواست» (طيبة) موطنا للعمال والصناع الذين شيّدوا المقابر الملكية فى «وادي الملوك». وبالرغم من اندثار القرى والبلدات عبر القرون، إلا أنه مازال بالإمكان تحديد تصميمات سبعة عشر بيتا. كما بقيت أيضا آثار كافية فى مدينة «أخت أتون» (العمارنة) تقدم تصورا قيما عن بناء المساكن وتخطيط القرى القديمة.

وخلط المصريون الطمى الناتج من النيل مع القش المفروم، والرمل والحصى، ثم قاموا بصبه فى قوالب خشبية مستطيلة. وعندما يعتق الخليط، عن طريق تعريضه لحرارة الشمس الحارقة عدة أيام، تزال القوالب. واستخدم طوب الطمى المحروق بفعل الشمس، والمعروف باسم «چيبات» لبناء الجدران، التى تغطى بعد ذلك بالطمى

الأملس ، وتزين باللون الأبيض أو الألوان الهادئة . وكانت جدران الطوب ملائمة تماما لمناخ مصر ، لأنها تجعل المنازل باردة في الصيف ودافئة في الشتاء . وقد صورت حرفة صناعة الطوب تصويرا جيدا في مقبرة ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة لوزير اسمه «رخمير» .

ولم يكن يستخدم سوى طوب الطمي لبناء المنازل ، سواء كانت لفلاح أو لفرعون . وبنيت معظم هذه المنازل فوق أرض مرتفعة لمنع الأضرار الكبيرة الناجمة عن الفيضان السنوى ، ومع ذلك ، يحتاج العديد منها لإصلاحات عقب الفيضان . وفى آخر الأمر ، تنهار المنازل ، وتبنى أخرى جديدة فوق أنقاض القديمة .

وخصصت الأحجار لبناء المعابد . بينما ندرت الأخشاب القوية فى مصر ، وتعين استيرادها من بلاد أخرى . وكان الطلب مرتفعا على الخشب ، لأهميته فى إنتاج العديد من المواد الضرورية ، مثل الأبواب ، ومصاريع النوافذ ، والأقفاص ، والأثاث ، والتمائيل ، والمقاعد ، والرماح ، والتوايت .

واستخدم الخشب أيضا فى بناء أسطح منازل القادرين على تكلفتها . وصنعت أفضل الأسطح من جذوع النخل ، تكسوه ألواح كبيرة من الطمي . وعاش أبناء الطبقة الفقيرة فى أكواخ من حجرة واحدة يعلوها سطح من أعواد القصب ، والقش والنجيل . واستخدمت الأسطح أيضا كأماكن للنوم فى ليالى الصيف الحارة ، ويستخدم للوصول إليها سلم يبنى خارج البيت .

عاشت الطبقات الفقيرة - إلى حد بعيد - فى الهواء الطلق ، وفى ظروف ضيقة مع أثاث لا يذكر أو بدون أثاث . وتكونت بيوت الطبقة المتوسطة من منزل ذى طابقين تزدان بحديقة متواضعة . بينما قد يشمل مقر إقامة أى من موظفى البلاط ما يصل إلى ٣٠ حجرة . ويوجد على كل من أبواب هذه البيوت نقش يحمل اسم مالك البيت .

أما النوافذ فهى عبارة عن مربعات صغيرة ، مرتفعة بحيث تُخفف حرارة الصيف الحارقة ، وتمنع الأتربة والأشعة والذباب من دخول المنزل . وتصف النوافذ بحيث يواجه كل منها الآخر ، بما يسمح بتنقية تيارات الهواء أو النسيم المتعاكسة . وتسمح الفتحات الموجودة فى سطح البيت أيضا بتدوير الهواء . واستخدمت الحصر المجدولة دون إحكام(*) كحاجب على النافذة لصد سخونة الشمس وأشعتها الحارقة .

(*) بحيث تسمح بثغرات لإدخال الهواء - المترجمة .

وتتضمن مساكن الطبقة العليا جدراناً مطلية بلوحات جدارية فخمة، أو مزينة بمعلقات نسجية رائعة. بينما الأسقف مزخرفة بسخاء بلوحات جصية تثبتها حدود من حصير القصب، والخشب والحطب. وتكسو طبقات من الطين الأملس مع الجبس الصلب أو رقائق القرميد، الأرضيات التي تحميها وتزينها حصر القش أو الكثير من البسط التي ينسجها نساكات محترفات. بينما يسير الفقراء على أرضيات مصنوعة من التراب المضغوط. وتشكل جذوع النخيل المنحوتة على شكل نباتات، أو أزهار اللوتس، وحزم نبات البردي؛ أعمدة لدعم الأسقف. وغالباً ما يطلى القرميد والجدران بوحدات زخرفية تمثل الحياة البرية والأزهار.

وبحلول الدولة الحديثة، بدأ إنتاج الزجاج على نطاق واسع. وأدى تقدم صناعة الزجاج إلى صناعة رقائق، تكسو بأناقة أرضيات وجدران بيوت الأثرياء.

واتسمت بيوت النبلاء الأثرياء بالروعة البالغة، وتكونت من ثلاثة أو أربعة طوابق، تضم عشرات الغرف، بما في ذلك أجنحة الضيوف وغرف النوم الرئيسية. وتقع هذه المساكن الفخمة في الريف أو على أطراف المدن، بينما عاش العمال قرب مواقع المقابر أو الحقول حيث يعملون.

وتمت بيوت الطبقة العليا جناح النساء أو «الحريم» الذي تختار النساء فيه من المصريات أو من بلاد أجنبية. ورغم أن اللفظ «الحريم» يعني «سكن المنعزلين» إلا أن السيدات لا تقتصر إقامتهن على جناح الحريم، كما لا يحظر على الآخرين الدخول إلى سكنهن الخاص. وشملت أجنحة الحريم العديد من الأنشطة - بالإضافة إلى النشاط المعروف - بما في ذلك الحياكة واللعب مع الأطفال وتناقل الأخبار بين النساء.

وأحاطت الجدران العالية بيوت الأثرياء وحدائقهم المبهجة الزاخرة بالزهور، التي كانت محل تقدير بسبب عطورها واستخداماتها الكثيرة فضلاً عن روعة منظرها. فكانت الزهور تشبك في الشعر للزينة، وتزين وتعطر البيوت، ومن المعتاد إهداؤها للضيوف في المآدب تعبيراً عن الترحيب. وكثيراً ما تهدى زهور اللوتس بوجه خاص إلى الآلهة وأقارب المتوفين. وتجميل أواني الزهور ذات التصميمات المعقدة، والمملوءة بالأزهار متعددة الألوان كل حجرة في بيوت الموسرين. وتزهو بعض الفيلات بحدائق أو متنزهات تتنظم حول حوض للسباحة، وتنعكس صورها على مياهه، وتكملها ممرات وبرك للسماك يحيطها النخيل، وأشجار الفاكهة والكروم.

وتنتشر فى أنحاء البيت قوائم خشبية أنيقة تحمل أباريق الماء وجرار الخمر . كما تُشَبَّع فتائل مصنوعة من ألياف مجدولة من الكتان أو القطن بالدهن ، ثم توضع داخل وعاء يحتوى زيت الخروع أو السمسم . واستخدم الفخار والمرمر والأحجار المجوفة وصحون الطمى المحروق كمصابيح جيدة . وقد عثر على مصباح زيت رائع (مازال به بقايا قليلة من آثار الزيت) ضمن الكنوز العديدة فى مقبرة توت عنخ آمون . وقد نحتت هذه القطعة الفنية من لوح واحد من المرمر وشكلت على صورة نبات اللوتس خارجا من بركة ماء ومعه زهرة أصغر منه حجما على كل جانب من جانبيه .

وفى بيوت الأثرياء ، يؤدى المدخل الرئيس إلى ساحة استقبال يجرى فيها الترحيب بالضيوف . ويقع الجزء الخاص بمعيشة الأسرة ، والسكن الخاص بالخدم ، وحجرات النوم ، وحجرات الضيوف فى مؤخرة البيت . وإذا كان المنزل يتكون من أكثر من طابق ، يخصص الدور الأول (الأرضى) لشئون العمل وأغراض الترفيه ، مثل المآذب والحفلات الساهرة ، بينما يقع القسم الخاص بالأسرة فى الطابق الثانى مراعاة للخصوصية . وفى البيوت المكونة من طابق أو اثنين ، ترتبط المستويات المختلفة بعضها ببعض الآخر بواسطة مدرجات أو سلالم ، عادة من خارج المنزل . وتقع أملاك الرجل من النبلاء حول الاسطبلات ، والأماكن المقدسة ، وورش العمل .

وكان وجود الخدم/ الخادومات ، أو البستانيه ، أو عمال النظافة ، أو الطهارة ، أو الموسيقيين ، أو المشرفين على الولايم أو المريات ؛ أمرا ضروريا لجميع بيوت الطبقة العليا . وعاش الخدم فى أقسام خاصة داخل البيوت أو فى أكواخ قريبة منها . وفى الملاحق السكنية كانوا يخبزون الخبز ، وينخلون الحبوب ، وينسجون القماش ، ويخمرون الجعة ويعبئونها فى زجاجات .

وتعين على النساء منهم أن يسرن إلى النيل فى جماعات منهن لجلب المياه اللازمة للشرب ، والغسيل ، والطهى . وتقوم الخادومات «باكت» برحلات متكررة من هذا النوع حاملات جرار ثقيلة تتوازن على رؤوسهن .

ونظرا لأن عملية الطهى تنتج سخونة وروائح قوية ، فمن المعتاد أن يقام المطبخ فى مبنى منفصل وأصغر حجما أو فى مكان محاط بجدار خلف البيت الرئيس . ومعظم المطابخ مجهزة جيدا ، وتحتوى على فرن مقبب من الطمى المحروق . وفى البيوت الكبيرة ، تجتمع عملية الخبز وعملية التخمير فى نفس المكان .

ولم تكن شوارع مصر القديمة تتمتع بنظام صرف سليم، فاستخدمت القنوات لتصريف المخلفات. وقد مثَّل التخلص من النفايات مصدراً دائماً للقلق. فكانت قمامة المنازل تكوم في مقلب للنفايات خارج المدينة وتحرق أو تسوى على الأرض، وقد تبنى مساكن على الموقع فيما بعد. ويتخلص من مياه الصرف إما في النيل أو في الأزقة.

ويستحم معظم الناس، خصوصا من أبناء الطبقات الفقيرة، في النيل، بينما كان البعض قادرا على الاستحمام في حوض ماء بالبيت. وفي بيوت الأثرياء بنيت المراحيض والحمامات عادة بجوار غرفة النوم. وتكونت مرافق الحمام من حجرة مربعة صغيرة فيها حوض ماء ولوح من الحجر الجيري، يجلس عليه صاحب البيت بينما يصب الخادم الماء فوقه. وتصرف المياه المتخلفة عن الاستحمام عبر منفذ يشبه الأنبوب، وتفرغ في الأرض.

وامتلك العديد من أبناء الطبقة العليا أماكن للاستحمام أيضا خارج حدود القرية. وكانت فيلا (بيت) الرجل النبيل تحميها جدران عالية تحوط الاسطبلات، وأجران القمح، والآبار، وكوخ ناظر الأملاك، وورش عمل. وضمت البيوت أيضا مزارات وأماكن للعبادة، تمنح أهل البيت فرصة للتواصل مع الراحلين وسط خصوصية بيوتهم. وحيث تقدم القرابين أيضا إلى تماثيل السلف والآلهة.

واستلزم دخول بيوت الأغنياء وجود مفاتيح من الحديد والبرونز. وقد عثر على مفاتيح يصل مقاسها إلى خمس بوصات، تعود إلى حوالي ١٥٥٠ قبل الميلاد.

ويرجع إنتاج الأثاث الفخم إلى عصر الأسرة الأولى. وكان للكراسي في بيوت الأثرياء قواعد مصنوعة من السيور الجلدية ولها أرجل خشبية مزينة بإتقان ومنحوتة على هيئة برائن حيوان، مثل الأسد. وعثر في مقبرة «توت عنخ آمون» على نموذج لكرسي قابل للطى مصنوع بالكامل من العاج وخشب الأبنوس، ذي مقعد ملون مطبوع عليه صورة نمر. وأرجل الكرسي مثبتة بإحكام.

ويعتبر الأثاث المنزلى في مصر القديمة ضئيل بمقاييس العصر الحالى. وغالبا ما يزخرف الأثاث بصور الحيوانات التي تمثل آلهة معينة. وكانت المقاعد الخشبية والمناضد المنخفضة هي القطع الأكثر شيوعا التي توافرت لدى جميع بيوت الفقراء تقريبا. وقد

تكون المناضد مربعة، أو مستديرة، أو مثلثة، ذات أشكال زخرفية. وبالرغم من أن الخشب كان الأكثر شيوعاً في صناعة المناضد، إلا أن بعضها صنع من الحجر أو المعدن. ولم تكن موائد حجرات الطعام الضخمة مستخدمة في مصر القديمة، حيث يتناول الناس الطعام على مناضد صغيرة ذات ثلاثة أو أربعة أرجل.

وربما يصنع أثاث قصر الفرعون من الذهب الصلب المطعم بالزجاج الملون والأحجار شبه الكريمة. ووجدت خزائن مصنوعة بإتقان ومنحوتة من خشب الأبنوس لحفظ الملابس ومفارش الأسرة، وأدوات الزينة، والحلى. بينما كان هؤلاء الأقل ثراءً يستخدمون سلالاً مجدولة لتخزين الأغراض التي يملكونها.

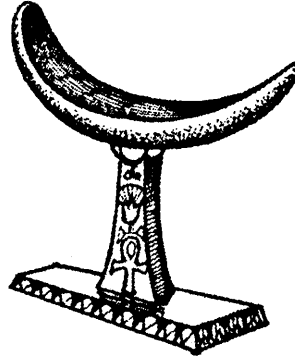
ويعتبر الأثاث الجنائزى للملكة «حتيت فيرس» بالغ الروعة من حيث إتقان الصنعة. وهذه الملكة هي والدة «خوفو» باني الهرم الأكبر في الجيزة، خلال عصر الأسرة الرابعة. ويأتي الأثاث الموجود في مقبرتها في المرتبة الثانية مباشرة بعد محتويات مقبرة «توت عنخ آمون» من حيث الجمال. وتمثل مقبرة هذه الملكة، المكتشفة عام ١٩٢٥ ميلادياً، الأناقة والرفق في مستوى المعيشة الملكي. ومن بين نفائس هذه المقبرة سرير ووسادة للرأس، وأريكة ملكية منخفضة الارتفاع، وخزانة لحفظ مفارش الأسرة، وهيكل متنقل لحمل الوعاء «الكانوبى»^(*)، وجميعها مصنوعة من الخشب المطلى بالذهب.

ونام أبناء الطبقة الفقيرة على حصر مجدولة، بينما نام الأثرياء على أسرة مصنوعة من خشب الأبنوس المستورد. وصنعت المراتب من سيور الجلد والحبال المضففة وملاءات مطوية من الكتان الخشن (أرخص ثمناً من الكتان الذي يستعمل في صناعة الأثواب). ويغطى الإطار الخشبي مستطيل الشكل بالكتان وجلود الحيوانات. وكان السرير يقام على موضع مائل، بحيث يرتفع عند مكان وضع الرأس. وغالباً ما كانت أرجل السرير تشكل على هيئة أقدام الحيوانات، كالثور مثلاً.

وعندما يحين وقت الراحة، يستخدم المصريون القدماء مساند للرأس مزخرفة هلالية الشكل (تسمى ويرز)، كانت تصنع من الخشب أو العاج، أو المرمر البارد بالنسبة للأثرياء (بينما يستخدم الفقراء نسخة متواضعة مصنوعة من الفخار). ولما كانت

(*) وعاء فخارى كان المصريون القدماء يستخدمونه لحفظ أحشاء الموتى - المترجمة.

هذه المساند غير مريحة للنوم فعليا، وربما استخدمت وسائد خفيفة من الكتان الخشن المحشو للنوم المريح ليلا. وكان المعتقد أن مساند الرأس تساعد في جلب النوم الهادئ عن طريق حماية النائم من الحشرات الزاحفة على الأرض، ونقشت صور الآلهة الحارسة على هذه المساند للمساعدة في طرد الأرواح الشريرة التي كان يعتقد أنها تجلب الكوابيس. واستخدمت مساند الرأس أيضا في التحنيط والأغراض الجنائزية. وكان يعتقد أنها تحمي رأس المتوفى.



الطعام والشراب

تكون معظم طعام المصريين من محاصيل حبوب تنمو فى الحقول . فقد حولوا القمح القاسى والشعير إلى خبز وجعة ، وهو الغذاء الرئيس لهم . وتظهر لوحات منحوتة متكررة من الدولة القديمة عمالا يصنعون الخبز والجمعة ، بينما تحتوى لوحات فى مقابر بسقارة على مناظر للرعى ، والقنص ، وصيد الأسماك . وتوضح لوحة من النقش البارز فى مقبرة كاتب حقل من الأسرة الثامنة عشرة يدعى «مينا» ، فى «أواست» ؛ كيف كانوا يعملون فى الحقول ويدرسون القمح باستخدام الماشية ، والأغنام ، والحمير .

ويبدو أن أول خبز مخمر فى العالم ظهر فى مصر القديمة ، وكذلك أول الأفران المصنوعة من الطين . وبحلول عصر الدولة الحديثة ، كان المصريون يستخدمون أربعين نوعا مختلفا من الخبز ، المضاف إليه التين ، أو العسل ، أو المتبل بالأعشاب أو البهارات مثل السمسم والكزبرة والينسون . وكان كعك الخبز يشكل على هيئة أرغفة مفلطحة أو مخروطية أو مربعة أو مستديرة . ، كما يظهر فى نقش بارز يرجع إلى الدولة القديمة . واستخدم أبناء الطبقتين العليا والمتوسطة القمح ، بينما استخدم الفقراء كعك الشعير بديلا له . وأثناء عملية الطحن ، حيث تستخدم بلاطات من الحجر لسحق الحبوب ، كانت حبيبات من الرمل والصخر تجد طريقها للطحين ؛ الأمر الذى تسبب فى تدهور أسنان الناس سريعا ، كما يمكن أن نرى بفحص المومياءات .

وفرضت الأعراف الدينية على الأسر ترك طعام وغذاء فى المقابر لتغذية الراحل فى الحياة الأخرى . وبفضل جفاف المناخ ، ظلت بقايا من هذه القرابين حتى الآن ، وقام العلماء بتحليل مخلفات أوعية فخارية تم العثور عليها ضمن أنقاض قرى قديمة .

ليس بالخبز وحده!

عرف المصريون أطعمة متنوعة، منها الأرز، بالإضافة إلى الحبوب التي سبق ذكرها، والفاكهة والخضروات مثل الخس، والخيار، والسبانخ، والفجل، والجزر، واللفت، والبصل، والكراث، والبلح، والعنب، والبطيخ، واليقطين، والتين والرمان. وحصلوا على البروتين من العدس، والفاصوليا، والحمص، واللحوم، مثل لحم الثور، والخنزير، والغنم. وتأتي اللحوم الأكثر شعبية من الحمام، والبط، والإوز، والسمان. وكانت الطيور إما تسلق أو تشوى، وغالبا ما تستخدم أحشاؤها في الوصفات الطبية. وقد صورت عملية صيد الطيور على جدران مقبرة أميرة تدعى «إيتت» (الأسرة الرابعة)، زوجة «نفر ماعت» ابن الفرعون ووزيره، في «ميدوم». ويظهر في اللوحة رجلان منحنيان وهما يجران حبالا مربوطة بشبكة مطبقة على عدة طيور وقعت في الشرك. ومن الصحراء يجيء الوعول والغزلان، التي يتمتعون بلحمها في المناسبات. وغالبا ما يقدم الكرنب النيئ كفاتح للشهية قبل الوجبات، لما كان يعتقد من أنه يزيد الرغبة في الخمر، فضلا عن أنه يشجع على الإفراط في الشرب!

وفي الأسر العادية، تولت النساء مهمة الطهي، في مكان مسور خلف البيت. أما في بيوت الطبقة العليا، فالخدم هم الذين يعدون الطعام، إما مطهوا بالغيلان البطيء، أو مقليا، أو محمصا، أو مخللا، أو مسلوقا، أو مخبوزا في الأفران المصنوعة من الطين، أو مشويا على النار مباشرة. ويضاف لمعظم أنواع الطعام نكهة قوية باستخدام الثوم أو البصل، كما يتبل جيدا بالبهارات مثل الملح، والكزبرة، والمردقوش، والكمون، والزعتر. وشاع استخدام الثوم، حيث كان يعتقد (وهو ما ثبتت صحته الآن) في احتوائه على خصائص مقاومة للأمراض. وأخذت الدهون اللازمة للطعام من اللحوم، واستخلصت الزيوت من بذور الجرجير، ونبات الخروع، والسمس. واعتبر جوز الهند ترفا، و الماندراك(*) فاكهة العاطفة. واعتبر الخس، بسبب عصارته اللطيفة، منشطا جنسيا يقوى الخصوبة.

وجذبت الحدائق المزهرة في بيوت الأغنياء النحل الذي يفرز العسل. واستخدم العسل في تحلية الطعام والمشروبات، وصناعة الحلوى. كما استخدم كرمز للبعث، حيث مثل العسل الدموع التي ذرفها الإله «رع»، وولد منها الإنسان. وهناك أسطورة

(*) نبات ذو تأثير مهدئ - المترجمة.

مشابهة تجعل العسل رمزا لدموع «رع» عندما بكى تأثرا بالخلق المجيد للبشرية . بينما استخدم الفقراء عصير الفاكهة والبلح لأغراض التحلية . وازدهر نخيل البلح فى أنحاء المنطقة منتجا ثمارا وفيرة .

وعرفت القلة امتياز تذوق لحم البقر ، حيث لم تكن الماشية مكلفة من حيث تغذيتها فحسب ، وإنما بسبب الضرائب الباهظة المفروضة عليها أيضا . وغالبا ما كان البقر يربى من أجل إدرار اللبن فقط ، أو كأضاحى للآلهة . واعتبر العديد من الناس البقرة حيوانا مقدسا ، لم يأكلوا لحمها أبدا ، احتراما للبقرة المبجلة إلهة الفرح والموسيقى والاحتفال «حت - حيرو» (حتحور) . ومع ذلك ، توضح المناظر المصورة فى مقبرة «بتاح إى روك» المشرف على الجزر ، فى سفارة ، أربعة رجال يذبحون ثورا . ونشاهد فى مقبرة صغيرة فى «أواست» لرجل اسمه «دسر كارع سنوب» ، ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة ، لوحة تصور جزارا يقطع رأس ثور ، بينما يمسك مساعده أرجل الحيوان .

ومثل لحم البقر ، كانت لحوم العجول ، والبقر الوحشى ، والغزلان ، والفواكه ، واللحوم المحلاة بالعسل ؛ تقدم على موائد الأغنياء . واعتبر لحم الإوز المشوى على النار مباشرة ، طبقا مفضلا . وعرف منذ عصور مبكرة استهلاك لحوم الطيور البرية الشعبية للغاية ، والسماك المتوافر بكثرة ؛ ويصاد بشباك الصيد أو الصنارات . وقد عثر على بعض صنارات الصيد التى ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات . وفى مقبرة نحاس اسمه «إيبى» فى «أواست» ، ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة ؛ لوحة تصور رجلين يجران شبكة صيد يفترض أنها مليئة بالسماك .

وشاع تناول السمك كطعام لدى الطبقة الدنيا ، بينما اعتبره الأغنياء «غير نظيف» ومن ثم يحظر أكله . ويرجع ذلك على الأرجح لرائحته القوية - حيث ارتبطت الروائح غير المستحبة بالإثم والخطايا . وتجنب المخلصون لأوزير أيضا السمك ، بسبب الأسطورة التى تقول إن سمكة ابتلعت القطعة المفقودة من جسده ممزق الأوصال ، عندما ألقى به «ست» ورجاله ، فى النيل . ولم يكن كهنة المعابد يأكلون السمك أبدا ولا يقدمونه كقرابين للآلهة . وفى الواقع ، كان رمز الشئ البغيض والمحرم فى الهيروغليفية . . سمكة ! . واعتبر الخنزير أيضا «غير نظيف» وارتبط بالإله «ست» المخيف . ، الذى يصور غالبا على هيئة خنزير أسود . ومن ثم حرم تناول لحم الخنزير ، خاصة ضمن جماعة الكهنة . وحظر تناول لحم الغنم أيضا ، باستثناء فى «زاوتى» ،

حيث كان يؤكل من باب الاحترام للذئب التي عبدت في تلك المنطقة . (أطلق الإغريق على «زاوتي» لقب «ليكوبوليس» الذي يعنى «مدينة الذئب»).

وكانت القرابين تقدم باستمرار إلى الآلهة بغرض الحفاظ على علاقة مودة واتصال مفتوح معها . وبعد أن يتغذى الآلهة على الجوهر الروحي لهذه القرابين ، يتناول الكهنة الطعام المقدس لاحقا .

وتناول المصريون طعامهم على موائد صغيرة قريبة من الأرض (يبلغ ارتفاعها نحو ست بوصات) . وتغسل الأيدي قبل الأكل وبعده ، ولم تكن تستخدم سكاكين للمائدة . ومع ذلك ، عثر على ملاعق مزخرفة بأناقة من العاج ، والعظم ، والبرونز ، والخشب ؛ والأرجح أنها كانت تستخدم لصب الشوربة وغيرها من السوائل . ولم يكن المصريون يستخدمون فى الأكل سوى أصابع الإبهام والسبابة والوسطى . واعتبر تناول الطعام بالأصابع الأخرى سوء سلوك ، ودلالة على انخفاض المستوى الاجتماعى . وصنعت الأطباق من البرونز ، أو الفضة ، أو الذهب . أما الفقراء فاستخدموا الفخار العادى أو المصقول . وحظى الفخار بتقدير كبير بسبب استخداماته العديدة فى الطهى ، وتقديم الطعام ، وحفظه . فضلا عن ملاءمته تماما للاستخدام فى الأفران الطينية ، وعلى النار المباشرة . وحول المصريون روث الأبقار والخشب إلى وقود لازم للطهى .

وخزن الطعام والماء فى جرار كبيرة من الطين . وغالبا ما يحمل الماء الذى يجلب من الآبار فى جلود الحيوانات . وقد عثر على العديد من الآبار فى «بير - رعمسيس» ترجع إلى عصر الدولة الحديثة . وكانت المياه ترفع من النيل برافعة تسمى «شادوف» ، وهى عبارة عن عمود بسيط أو عارضة خشبية يربط فى أحد طرفيها جبل فى نهايته دلو ، وفى الطرف الآخر ثقل موازن . ومازال الشادوف يستخدم حتى الآن فى رى الأرض .

وحظى اللبن ، الذى سمي «إرتيت» بإجلال بالغ وكان مخصصا لأوست(*) ، حيث اعتبر زادا للروح .

زجاجة نبيذ ، فاكهة الكرمة

تعتبر اللفظة الدالة على النبيذ طريفة للغاية . . «إرب» . ويرجع استخدام النبيذ إلى (*) ذكرت المؤلفه سابقا أن «أوست» هى الإلهة إيزيس - المترجمة .

عصور ضاربة فى القدم، وقد استخدم أصلا لأغراض دينية صرف، ولم يكن يسمح باحتسائه سوى للبالغين .

وخصصت أنواع النبيذ الحلو القاتم، أساسا لإيزيس ، واعتبرت هذه الأنواع محتوية على خصائص طبية . ومع ذلك، كان السكر أمرا بالغ التحريم فى احتفالات معبدها . كما ارتبطت الإلهة اللطيفة «باست» ذات رأس القط، بالشرب والسكر، ويروى أنه خلال أحد احتفالاتها فى مدينة «بير - باس» استهلك الناس من الخمر أكثر مما استهلك خلال بقية العام بأكمله . وتفاجر «رعمسيس الثالث» (الأسرة العشرون) بأنه قدم لأمون ٢٠٠٧٨ جرة نبيذ، وقدم ٣٩٥١٠ جرة أخرى فى احتفالات دينية .

وكان إنتاج النبيذ يكلف الكثير من الوقت والمال، ومن ثم لم يكن متاحا سوى للأغنياء وامتلك العديد من الأسر الغنية بساتين الكروم الخاصة بها، لكنهم كانوا يجلبون أيضا أنواع النبيذ وعصير العنب غير المخمر من الواحة البحرية فى الصحراء الغربية، ومن منطقة الفيوم (كروكو ديوبوليس) . كما جاءت أنواع العنب الممتاز من أراضي الدلتا وأيضا من على طول سواحل البحر المتوسط . وأنتجت هذه المناطق المثمرة خمسة أنواع من العنب . وترجع قوارير النبيذ إلى عصر الأسرة الأولى، حيث كانت تصنف وفقا للأختام الموضوعه عليها، والتي توضح مدى جودة النبيذ ومدة تعتيقه، فضلا عن المنطقة الجغرافية التي جاء منها العنب .

وعند صناعة النبيذ، يهرس العنب ويعصر بوضعه فى كيس، يلف على قائمين خشبيين، يدار كل منهما بعكس الآخر، ويفرغ العصير المستخلص فى وعاء موضوع تحت الكيس . كما يهرس العنب أيضا بالضغط باليد والقدم . وفى مقبرة ضابط من عصر الأسرة الثامنة عشرة يدعى «نيب أمون»، فى «أواست» رسما لرجلين يجمعان العنب لإنتاج النبيذ . يقف أحد الرجلين، بينما ينحن الثانى، وهما يقذفان العنب فى السلال . وداخل حجرة دفن أحد حكام المدن، واسمه «سن نفر»، من عصر نفس الأسرة، رسم فنان بارع مجموعة من أوراق وعناقيد العنب مترابطة عبر الكروم التي يبدو أنها صاعدة من الأرض حتى السقف . وفى مقبرة «أوشرحت» المسئول والكاتب فى القصر الملكى (الأسرة الثامنة عشرة) فى أواست، يظهر مشهد هرس العنب، حيث يدوس ستة من الرجال العنب بأقدامهم بينما يتعلقون بفروع من سطح المكان للارتكاز عليها وحفظ توازنهم . ونقش على جدران مقبرة مغنية اسمها «نفر» فى سقارة (الأسرة

الخامسة) مشهداً آخر لعصر العنب، وهنا نرى كيسا كبيرا يتم لفه بواسطة رجال يحملون عصيا خشبية، بينما ينسكب العصير في وعاء ضخم.

وتحلى أنواع النبيذ المفضلة وتمزج بالعسل أو عصير البلح أو الرمان. وتحتسى هذه الأنواع فى أقداح من البرونز أو الزجاج. وأنتج المصريون أنواع النبيذ الأساسية الثلاثة من عصير العنب أو البلح أو سعف النخل ويبدو أن النبيذ الأحمر كان الأكثر انتشارا خلال عصر الدولة القديمة؛ غير أن النبيذ الأبيض أصبح نبيذ الصفوة منذ عصر الدولة الوسطية وما بعدها. وكان المصريون أيضا أول من مزج النبيذ الأحمر بالأبيض لعمل النبيذ الوردى. وخلال عصر الدولة الحديثة، صارت عدة أنواع من النبيذ تمزج معا.

دورة أخرى من الجعة

اعتبرت الجعة، أو «هنكت»، المشروب القومى الأول. وأقر الإغريق بأن المصريين أول من ابتكر هذا الشراب. وتقول الأسطورة إن «أوزيريس» علمهم طريقة صنع الجعة من القمح القاسى والشعير، وتحليتها بإضافة البلح. ومثلما هو الحال مع الخبز والنبيذ، جرى تخمير عدة أنواع من الجعة بنكهات مختلفة ودرجات قوة متباينة. ويبدو أن الجعة القائمة كانت أكثر شيوعا من الأنواع الخفيفة. وبلغ من شعبية هذا المشروب أن الأطفال يأخذونه معهم إلى المدرسة ضمن وجباتهم (لا شك أن هذا ينطبق على الأنواع ذات نسبة الكحول الخفيفة).

وركزت إحدى الأساطير الرائعة العديدة، التى توارثها الناس عبر آلاف السنين على شرب الجعة وتأثيراته على القدرة على التهدئة والتسكين وتحسين الحالة المزاجية. وتبدأ الأسطورة حين شاخ إله الشمس «رع» عندما كان فرعوننا بشريا على الأرض. فاستهان به شعبه - واعتبره حاكما عجوزا، واهنا وضعيفا. وشعر «رع» بخيانة البشر له. كيف تسنى لهم ألا يحترمونه؟ فالمصريون رغم كل شىء ولدوا من دموعه. ولشعوره بالألم والغضب، سعى إلى مشورة الآلهة، الذين نصحوه بأن يوجه عينه الجبارة ضد البشر كعقوبة فى صورة ابنته الإلهة «سخمت» الرهيبة.

وعندما سلط «رع» نظرتة القوية على شعب مصر، ظهرت «سخمت»، فواصلت الإلهة المنتقمة الهياج؛ ذبحا فى البشر، وشربا من دمائهم. واستمر هذا التدمير عدة

ليال، حتى فاض النيل باللون الأحمر. وبدأ «رع» يشعر بالشفقة على الناس الذين هلك العديد منهم بسبب ثورة «سخت». وتملك «رع» الندم العميق لأنه خلقها. وتوسل إليها لتوقف دمارها، إلا أن شهيتها زادت للدم. وعندما أحس «رع» باليأس منها، قرر أن يتولى الأمر بنفسه. فبعث رسله إلى بلدة «أبو» ليحضروا له نباتات الماندراك، وأكسيد الحديد الأحمر، وهي منتجات اشتهرت بها هذه البلدة. وأمر النساء بتخمير كل ما يستطيعونه من جعة؛ حتى امتلأت سبع آلاف جرة. وأمر الرجال بأن يمزجوا الجعة بالماندراك وأكسيد الحديد الأحمر. وسكب هذا المزيج على كل الأرض التي عاثت فيها «سخت» تخريبا.

ثم جاء اليوم الذي أُلقت فيه «سخت» بصرها على المنطقة التي ألحقت بها الضرر الشديد. فوقعت في هوى صورتها القرمزية، وشرعت في شرب الجعة المصبوغة باللون الأحمر. وسرعان ما أصبحت ثملة تماما وغلبها النوم. وخلال هذه الفترة تراجعت ميولها العنيفة والتدميرية، حتى تلاشت تماما. (وهناك أساطير أخرى تحكى أن «رع» سلب منها قواها، مثلما منحها إياها).

وعندما استيقظت «سخت»، كانت رغبته في القتل قد انتهت. وغير «رع» اسمها إلى «حت-حيرو» الإلهة ذات رأس البقرة. وتقول أساطير أخرى أن «سخت» أصبحت «باست» الإلهة ذات رأس القطة. وكلا من «حت-حيرو» و«باست» إلهة رقيقة للحب، والسرور، والسكر. وظلت «سخت» إلهة الدمار في تاريخ وأساطير مصر القديمة. وصار من الممكن التوسل بسلطتها لفائدة البشر، بطرد الشر والمرض.

ومنذ ذلك اليوم، ظل كهنة «حت-حيرو» يشربون الجعة المصبوغة باللون الأحمر، على شرفها، خلال مهرجان السكر السنوى الذى يقع فى الشهر الأول من موسم الفيضان. ويشرب الناس هذه الجعة بفرح خاص، حيث أنقذ هذا المشروب قبلا البشرية من وحشية «سخت»، الإلهة الأقوى.



الملابس والحلى

الملابس السائدة

مثلما هو الحال الآن، كرست الطبقة العليا وقتنا واهتماما كبيرين لمظهرها، بينما لم يكن لدى الطبقة الفقيرة نفس الاهتمام. وتباهى الرجال بأنهم على نفس قدر الأناقة الذى لدى النساء، إن لم يكن أكثر. ومع ذلك، ظلت قواعد الملابس ثابتة دون تغيير خلال تاريخ مصر المبكر. وكانت الجونلة أو التنورة الخفيفة هى الزي الرئيس للرجال. وكان زى الفلاحين عبارة عن قطعة قماش حول الخصر أو جونلة قصيرة مصنوعة من قطعة مستطيلة من قماش الكتان تلف حول الفخذين؛ بينما يسير الرجال بوجه عام، وصدورهم عارية. وظلت هذه التنورة زيا سائدا للفلاحين، والخدم، والكتبة، خلال التاريخ المصرى. وفى القطاعات الأكثر ثراء، طال الثوب تدريجيا حتى منتصف الساق. وتطور بمرور الوقت، وبحلول عصر الدولة الوسيطة، تدلى حتى الكاحل، مع إضافة طبقة ثانية للتنورة؛ وترك الجزء العلوى من الجسد عاريا. وفى عصر الدولة الحديثة، أضيفت طيات صغيرة عمودية مزخرفة، ذات شراريب تحاك عند الحواف. بينما ارتدت النساء ثوبا طويلا، ضيقا، محكما على الجسم، يربط من الخلف عند الرقبة أو الكتفين، وينسدل من تحت الذراعين.

وخلال شهور الصيف الحارة، كان العبيد وجامعو الحطب، وصانعو الطوب، وصيادو السمك، والمراكبية والأطفال يرتدون القليل من الملابس أو لا يرتدون شيئا على الإطلاق. فلم يكن العرى مشكلة فى تلك الأيام.

وكان نسيج الكتان هو المفضل للملابس ، بسبب نوعيته الخفيفة والرقيقة ، وسهولته فى الحركة . وهو يصنع من ألياف نبات الكتان ، الذى ينمو بوفرة على ضفتى النيل . وتحصد أعواد النبات فى ذروة إزهاره . وتتولى النساء تجهيز وغزل خيوط الكتان بدقة ، ومن ثم تتحول إلى نسيج فى ورش خاصة ، لصناعة الملابس الأنيقة . واستخدم التطريز على نحو واسع ، لإضافة حواف رقيقة غاية فى الذوق وذات شراريف للشوب . وبالنسبة لملابس الأسرة الملكية ، يجدل الخيط وينسج مع خيوط من الذهب .

وفى عصور ما قبل الأسرات ، صنعت السكاكين من الحجر ، ونحتت إبر الخياطة من العظم . وخلال عهد الدولة القديمة ، صنع كلاهما من النحاس ؛ وبحلول عصر الدولة المتوسطة ، صنعت السكاكين وإبر الخياطة من البرونز .

وتباينت نوعية نسيج الملابس بين مختلف الطبقات الاجتماعية . فاستخدم الفلاحون غالبا نوعا أكثر سمكا من النسيج ، سواء الكتان الخشن والأرخص تكلفة أو الصوف . وقد اعتبر صوف الماعز أو الغنم غير نظيف ، ومن ثم ، نادرا ما استخدم كملبس للإنسان . وعندما يستخدم لهذا الغرض ، لا يلامس بشرة مصرى ؛ ولكن فى الليالى الباردة وخلال شهور الصقيع ، كانت عباءة من الصوف ترتدى لجلب الدفء فوق الثوب الكتانى سواء للرجل أو المرأة .

وكان زى الطبقة العليا السائد ، عبارة عن ثوب صنع من أجود أنواع الكتان ، وأصعها بياضا ، لتأثيرها اللطيف فى الجو الحار . أما الزى الملكى للفرعون فهو جونلة مزينة بذيل أسد . وأثناء الاحتفالات ، يوضع جلد ثور على كتف الفرعون .

وبالرغم من أن اللون الأبيض كان المفضل ، صبغت الملابس أحيانا بصبغة يأخذونها من نبات العصفور للحصول على لون أصفر خفيف ، أو مقارب للحمرة . وشاع ذلك مع الملابس المكونة من طبقتين أو أكثر . ويبدو أن الملابس الملونة كان يستخدمها الأجانب والأسرة الملكية المصرية .

ويبدو النفوذ الأجنبى فى اتجاهات الزى السائدة فى الدولة الحديثة ، عندما بدأت الملابس الملونة فى الظهور ، وزخرفت ملابس النساء بطبقة من القماش المطرز بالخرز . وشبكت أيضا أحجار صغيرة وأصداف عند الحواف . وبحلول ذلك العصر أيضا ، حل النول الرأسى محل النول الأفقى ، الأمر الذى جعل التصميمات الملونة أيسر . وتطلب تشغيل هذا النول قوة أكثر ، وهكذا بدأ الرجال يحلون محل النساء فى ورش النسيج .

وعاش المصريون حفاة حتى وهم يرتدون أكثر الأثواب أناقة؛ غير أن الصندل أو «تجيبت» أصبح سائدا خلال عصر ازدهار الدولة الحديثة. وارتدى الناس العاديون صنادل مصنوعة من أوراق البردى أو أوراق النخيل المجدولة، بينما استخدمت الطبقات الفقيرة صنادل مصنوعة من النجيل والقصب. وفي المناسبات الخاصة (ولكن ليس في حضور فرعون أو صورة لإله)، ارتدى الأغنياء صنادل مصنوعة من الجلد المدبوغ أو غير المدبوغ، مزخرفة بإتقان، وذات سيور بين الأصبع الأكبر للقدم والذي يليه. وغالبا ما زينت صنادل الفرعنة المتصرين بمناظر للأعداء المغلوبين، حتى يتحقق تأثير السيطرة الكاملة حرفيا «السير فوق الأعداء».

وعثر على زوج من الشبشب الجنائزي، رائع مطلى بالذهب خاص بزوجة تحتمس الثالث السورية، يشبه الصندل العادي المصنوع من الجلد المدبوغ، وهو مزخرف برسم الأزهار عند موضع كعب القدم. وفي مقبرة «توت عنخ آمون» عثر على زوج صندل ذهبي رائع في حالة سليمة، ذو نعلين مضلعين رسم عليهما صورة أسرى مكبلين. كما عثر على زوج صندل آخر مطلى بالذهب مدفونا ضمن الأغراض المدفونة في مقبرة الفرعون «شيشنق الثاني».

الحلى

شاع استعمال الحلى للغاية في أنحاء مصر، وارتداها الرجال والنساء والأطفال من مختلف الطبقات الاجتماعية. واستخدمت كزينة شخصية، كما استخدمت في الأعمال الجنائزية، لإضافة لون إلى الثوب الكتاني الأبيض الفاتح، وبما يشير إلى مرتبة المتوفى. كما استخدمت الحلى أيضا لأغراض السحر في صورة تائم رمزية حارسة.

وخلال عصر ما قبل الأسرات، كانت الحلى تصنع من الصدف الذي يجلب من البحر الأحمر. واستخدمت أيضا الأحجار، وأنياب الحيوانات، والأسنان والعظام لإنتاج حلى رائعة للزينة. وارتدى كل من الأحياء والموتى التائم الحارسة، فقد كان يعتقد أن تأثيرات شريرة وأمراض معينة يمكن طردها بارتداء قطع معينة من الحلى منقوش عليها تعاويذ الحماية. وكانت هناك تعاويذ تهدف للحصول على، أو تحقيق البقاء، والصحة، والاستقرار والشباب والغنى.

ولم تكن أحجار الكوارتز، واليشب، والعقيق جذابة فحسب، وإنما ترتدى أيضا بسبب القوى الخارقة التي يعتقد أن هذه الأحجار تحوزها. كما كان يعتقد أن هذه التماثيل تحتوي على خواص شفاء يصبح لها فعل السحر، عندما ترتدى بتركيب معين وبألوان محددة. وكثيرا ما ارتدى الأطفال «دلايات» معينة على هيئة سمكة لتوفر لهم الحماية من الغرق.

ولم تكن الأحجار الكريمة مثل الألماس والياقوت معروفة لدى قدماء المصريين. بينما اعتبر حجر اللازورد من أكثر الأحجار شعبية واحتراما، حيث اعتبرت درجة زرقة العميقة مع شوائبه الذهبية رمزا للسماء ذات النجوم. وكثيرا ما استورد المصريون أحجار الجشمت، والأونكس(*)، والعقيق، والعقيق الأحمر التي كانوا يقدرونها للغاية.

وارتدت الطبقات الدنيا حليا مصنوعة من النحاس والخزف. بديلا عن اللازورد. وحتى أفقر الفلاحين وجدوا ما يتحلون به؛ فارتدوا حليا من الزجاج الأزرق، أو حتى جدائل من الأزهار البرية.

وغالبا ما يرتدى الأثرياء أساور معصم واسعة، وخلاخيل، وأساور أذرع، وقلائد، وأطواق للرقبة مطعمة بأحجار شبه كريمة. وقد وضع الملك «توت عنخ آمون» ثلاثة عشر سوارا على ساعديه؛ سبعة في الساعد الأيمن وستة في الأيسر، كما صنعت أساور مدهشة مثل التي تخص «رعمسيس الثانى» بدبابيس ومفاصل متحركة لتيسير ارتدائها وخلعها من المعصم.

وخلال عصر الدولة الحديثة بوجه خاص؛ ارتدى أعضاء الأسر الملكية صدريات على صدورهم. وصنعت أيضا أطواق مطعمة بالمجوهرات أو الخرز (سميت «وى سخ») وأطواق أثقل وزنا (مينات) صنعت من الخرز مستدير أو بيضاوى الشكل، توازن- من على الظهر- بثقل زخرفى مواز، ويلبسها رجال ونساء طبقة النبلاء والأسرة الملكية. واعتبرت «مينات» المصنوعة من المعدن، أو الزجاج، أو الأحجار أو الخزف؛ مكرسة على نحو أكبر للإلهة «حتحور» كرمز للحياة، والخصوبة، والبعث. وغالبا ما

(*) وفقا لما جاء فى معجم اللغة العربية هو معدن سلىكى يشبه العقيق لكن الخطوط التى به طولية وليست مقوسة كالعقيق. واستخدمت التسمية الأعجمية لأنها الشائعة بين المهتمين بالأحجار الكريمة- المترجمة.

تهدى «مينات» إلى «حتحور» خلال الاحتفالات الدينية لإظهار الإخلاص فى العبادة للإلهة وما تمثله . وتحمل هذه الأطواق فى اليد اليسرى عند تقديمها للمعبودة . وقيل أيضا أن «مينات» كانت تجلب الصحة ، والبهجة ، والقوة لمرتيديها ؛ فغالبا ما تنقش على هذه الأطواق تعاويذ وأدعية . وفى الولايم ، يقدم المضيف لضيف الشرف طوق «مينات» تعبيرا عن الترحيب .

وعشر على تيجان من أروع وأبدع المشغولات ، ترجع إلى عصر الأسرة الثانية عشرة . فتاج الأميرة «خنوميت» ، الذى عشر عليه فى مقبرتها فى «دهشور» ، يعتبر تحفة فى حد ذاته . وهو مصنوع من الذهب وأحجار شبه كريمة (مثل الفيروز ، واللأزورد ، والعقيق الأحمر) ، وصيغ الذهب على هيئة سلك رفيع مشكلا تجزيعات من الأحجار فى بتلات أزهار زرقاء . ويعود تاج رائع آخر ، من نفس الفترة الزمنية ، إلى الأميرة «سيت - حتحور - لونيت» . ويتكون هذا التاج من شريط من الذهب به خمس عشرة وحدة زخرافية بهيئة الورد ، مطعمة بالأزورد والعقيق الأحمر . وشبكت ريشتان ذهبتان رأسيان إلى خلفية التاج مع ثلاث شرائط ذهبية منفصلة ، تسدل بسلاسة لتزين الشعر أو الشعر المستعار . وفى مقدمة التاج الأفعى الملكية المنتصبة «أوراكوس» . ولم يكن يرتدى الكوبرا المقدسة «أوراكوس» سوى الأسرة الملكية ، حيث أن ارتداها فى وضعها المنتصب فوق الحاجب ، يجعلها تحمى الفرعون ، رمزيا ، وتنفخ النار فى وجه من يقترب منه من الأعداء .

وكان ولع قدماء المصريين شديدا بالخواتم ، بتصميمات مختلفة منها على هيئة الأصداف ، أو الأنشوطه ، أو الشعبان . فيرتدون خاتمين أو ثلاثة - فى كل إصبع - ولكن أغلب الخواتم ترتدى فى أصابع الكف اليسرى ، خاصة فى الإصبع البنصر . وغالبا ما يزين الإبهام أيضا بالحللى . وعشر على خمسة عشر خاتما ترتديها مومياء «توت عنخ آمون» .

واعتقد المصريون أن الذهب «نوب» هو لحم «رع» إله الشمس ؛ ولأنه يرمز إلى الشمس ، قدره المصريون تقديرا كبيرا . أما معدن الفضة ، الذى سمي «حدج» أو «الذهب الأبيض» فقد كان أندر من الذهب ، ومن ثم اعتبر أثمن منه . وارتبطت الفضة بالقمر واعتبرت عظام آلهة القمر . وسمى مزيج الذهب والفضة «تاچم» - بكسر الجيم - وهو عبارة عن معدن طبيعى يتكون من جزء من الفضة وثلاثة أجزاء من الذهب ؛ عشر عليه فى مناجم النوبة . بينما جلب النحاس «حمت» من مناجم سيناء ولم يكن البرونز

على نفس القدر من الشيوع ولكنه استخدم غالباً لصنع خواتم الأختام؛ وقد عثر على العديد من هذه الخواتم تحتوى على ختم باسم الملك. وارتدى الخواتم حتى غير الأثرياء، غير أن خواتمهم كانت تصنع على الأرجح من العاج أو الخبز الأزرق.

وشاع استخدام الأقراط بشكل خاص، وعلى الأخص بين النساء، والأميرات الشابات. وكان الشكل الأكثر شيوعاً بين النساء على هيئة طارة مستديرة كبيرة من الذهب. وأظهر فحص مومياوات مكتشفة تعود إلى حوالي عام ١٤٠٠ قبل الميلاد ثقباً في شحمت الأذن، وتحمل مومياوات تحتمس الرابع، وسيتي الأول، ورمسيس الثانى آثار ثقب في شحمت أذانهم. ويظهر تمثال رائع للملكة «نفرتارى»، الزوجة الرئيسة للفرعون «رعمسيس الثانى»، شحمتى أذنيها مثقوبتين بقرط على هيئة أفعى، كما تشير أعمال فنية أخرى تمثل الفراغنة إلى ثقب شحمتى الأذن.

وحظى صناع الحلى بتقدير كبير من المجتمع، ونالوا أجوراً جيدة على مهاراتهم. وفي العصور المبكرة، كان الأقزام يدرّبون ويوظفون كصائغين؛ حيث كانت أيديهم الصغيرة قادرة على التعامل مع فراغات الثقوب الضئيلة التى يتعين ملؤها بأحجار شبه كريمة. ومع ذلك، فبمرور الوقت حل الحرفيون الأجانب محلهم تدريجياً فى صناعة الحلى البديعة.

قصص من البردى

ينتهى هذا الفصل بقصة مذهشة من بردية كتبت خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة. وهى قصة حكيت فى الدولة القديمة، خلال عصر بناء الأهرامات، وتوضح عشق المصريين للحلى:

حيث وجد الملك «سنفرو»، والد خوفو باني الهرم الأكبر، نفسه ضجراً للغاية وملولاً، بعد ظهيرة أحد أيام الصيف الحارة الرتيبة. فقرر أن يستدعى ساحره الخاص ويطلب منه أن يعرض عليه أفكاراً مسلية أو يقدم له أياً من أنواع الترفيه. واقترح الساحر على الفرعون المتململ أن يأخذ معه إلى قاربه الملكى عشرين من أجمل المغنيات ليجدفن بالقارب عبر النيل، غير مرتديات سوى شبك صيد السمك.

وسر الفرعون بهذا الاقتراح كثيرا، ومضى قدما فى تنفيذ الخطة. وكان الفرعون سعيدا بينما الفتيات الصغيرات الجميلات يغنين ويجدفن بالقارب. ولكن، بعد قليل من بداية الرحلة، فقدت إحدى الفتيات قطعة من الحلوى النفيس كانت تربط بها شعرها الطويل المتهدل. فتوقفت فورا عن الغناء والتجديف، وفعلت صاحباتها الجميلات نفس الشيء. وأبلغت الفرعون، فى جراءة، أنها لن تواصل المشاركة فى الرحلة ما لم تستعد حليتها. فوقع الفرعون فى حيرة، واستدعى ساحره الخاص مرة أخرى، الذى ظهر فورا، وتمتم بتعويذة قوية، شقت مياه النيل. وهناك، عند قاع النهر كانت الحلوية الذهبية راقدة. فأخذها الساحر، وأعادها إلى الفتاة، ثم مضى يعيد مياه النيل إلى سابق عهدها. وواصلت المغنية الشابة الغناء من كل قلبها، والتجديف بكل قوتها، وتبعها أيضا الفتيات الأخريات. ومرة أخرى عاود الملك «سنفرو» التسلية والمتعة. ونال الساحر مكافأة ثلاثم عبقريته، ومهاراته السحرية.

الشعر المستعار ومستحضرات التجميل

الشعر والعناية به

ازدهرت مهنة صناعة الشعر المستعار في مصر القديمة . وانتشرت أشكال متنوعة من الشعر المستعار ، الذى يرتديه الرجال والنساء من جميع الطبقات الشعر داخل البيوت وخارجها . حيث كان دلالة على المكانة الاجتماعية ، كما شكل حماية من الحشرات ومن حرارة الشمس . ومثل الشعر المستعار جزءا مهما للغاية من زينة الشخص فى الاحتفالات ، وكان يزين بالخرز ، والشرائط ذات الشراريب ، وأكاليل الزهور . وبالطبع ، وجدت بعض الاستثناءات ؛ فالكهنة يحلقون رؤوسهم وأجسادهم كلية ، ولا يرتدون الشعر المستعار إطلاقا . فالشعر ؛ سواء كان بشريا أو صناعيا محرم بشدة فى طبقة الكهنة ، حيث اعتبر جاذبا للنجاسة . وتميز العامة بالشعر القصير ، بينما ربط الخدم الشعر من خلف الرقبة .

وخلال عصر الدولة القديمة ، صنع الشعر المستعار من شعر الحيوانات ، وفى وقت لاحق ، بحلول الدولة الحديثة ارتدى الأثرياء الشعر المستعار الأسود الكثيف المأخوذ من شعر البشر . كما صنعت بدائل أقل تكلفة ، من ألياف النباتات (مثل سعف النخل) ومصادر أخرى كصوف الغنم ، ذات حشوة من ألياف النخل تضيف كثافة عليه .

وقد عثر على بقايا ورشة لصناعة الشعر المستعار فى الدير البحرى ، واكتشفت عدة «باروكات» من الشعر المستعار . كما عثر أيضا على نموذج لرأس ، مع مواد أصلية للملحقات المستخدمة فى تخزين أو تركيب الشعر المستعار . وبقايا مادة منظفة ، ربما نوع من أنواع الشامبو .

وارتفع الطلب على مصنفى الشعر وأخصائى التجميل بين أسر النبلاء والأسرة الملكية. ومن بين أشهر من خلد ذكرهم، التوأم «خنموحتب» و«نينخ خنمو»، وهما الرجلان اللذان توليا المنصب الرموق «المشرفان على أخصائى التجميل فى القصر» فضلا عن كونهما «كاتمى سر الملك» (وفقا لما نقش على مقبرتهما فى سقارة) وهما لم يتشاركا فى المنصب فحسب، وإنما دفنا معا أيضا. ومنذ اكتشاف المقبرة عام ١٩٦٤، كثرت التوقعات حول العلاقة بين الرجلين. وتظهر مشاهد نادرة داخل المقبرة للرجلين متعانقين. غير أن مناظر أخرى توضح أن لكل منهما زوجة وأسرة. وهناك مشاهد منفصلة لكل منهما مع أسرته، منهمكا فى صيد السمك بالرمح فى سعادة. وربما كان الرجلان صديقين حميمين وشريكين فى الحياة العائلية، بالإضافة إلى كونهما توأما؛ والأكثر أهمية هو الإعزاز المتبادل بينهما وتعلق كل منهما بالآخر.

وغالبا ما ترتدى النساء شعرا مستعارا غزيرا يغطى الأذنين يصل طوله إلى الذقن أو إلى الكتفين؛ ويفرق الشعر من المنتصف، وينتهى بقصة ناعمة. وشاعت قصة الشعر على الجبين إلى ما فوق الحاجب، كما شاع أيضا استخدام وصلات الشعر البشرى. وكان شعر الرجال قصيرا مع كشف الأذنين أو حليقا تماما. ويبدو أن اللون الأسود كان المفضل لشعر كل من الرجال والنساء. وتحوى لوحة من النقش البارز تصويرا جميلا لخادمة تصفف بعناية شعر الملكة «كاويت»، زوجة الفرعون «منتوحتب الثانى» (الذى حكم خلال الأسرة الحادية عشرة). وتصور اللوحة الملكة جالسة، ممسكة بمرآة فى إحدى يديها، وفى اليد الأخرى وعاء صغير تنبعث منه رائحة عطرية متصاعدة. وتميزت مقبرتها فى الدير البحرى بالمشاهد الدقيقة والرائعة لطقوسها فى التجميل.

واعتبرت اللحية منفرة، ومظهراً غير نظيف، علامة على الهمجية. ولم يكن يسمح للرجال بترك شعر ذقونهم ينمو قليلا إلا فى فترات الحداد. ومع ذلك، كانت اللحية المستعارة من الشعر المجدول تعلق من حول الأذنين، علامة فرعون عظيم، كما تشير إلى مكانته الجليلة، ورجولته، وقدسيته. ويظهر استثناء نادر لشعر الوجه فى نحت على حجر جبرى يرجع إلى أواخر عصر الأسرة الثالثة أو أوائل عصر الأسرة الرابعة لمسئول يدعى «رع حتب»، وهو ابن «سنفرو» وأحد كبار كهنة «لونو» (هليوبوليس). وتصوره اللوحة بشارب خفيف نوعا، وإلى جانبه زوجته الأميرة «نوفرت»، وتصويرها مهم أيضا؛ فاللوحة النحتية تصورها مرتدية شعرا مستعارا أسود

مع طوق للرأس من الزهور، ومع ذلك ظهرت من تحت الطوق خصلات من شعرها
البنى الطبيعي .

وكانت تسريحات الشعر المستعار متأنقة وشملت الضفائر وشبك المجوهرات
والخرز في الشعر . واستخدم غسول محضر من شمع نحل العسل أو الراتنج للحفاظ
على ثبات الضفائر . ولتقوية الشعر ، استخدم علاج موضعي يتكون من مزج مسحوق
سن حمار مع عسل . واعتبر الشعر الأشيب منفرا، وكان يعالج باستخدام جرعة تتكون
من دم حيوان أسود (مثل قط أو ثور أو عجل) يغلى مع زيت، ويصاحب ذلك استخدام
التعويذة المناسبة . ولمنع الشيب، ابتكروا دهانا من مغلى قرن أسود لغزال؛ كما استخدم
غسول آخر يستلزم استخراج الدهن من ثعبان أسود . وكان يعتقد أن سواد لون الحيوان
سيتقل إلى الجزء الذى سيعالج به من الجسد . ولعلاج سقوط الشعر، كان من الممكن
استخدام دهن الأسد، أو فرس النهر، أو التمساح، أو القط، أو الثعبان أو طائر أبو
منجل .

ويحلق الصبيان الصغار رؤوسهم، باستثناء خصلة تترك معلقة عادة على الجانب
الأيمن من الرأس، وغالبا ما تضفر . وسميت هذه التسريحة «سبرى» أو «خصلة
الجانب الشبائية»، وكان يعتقد أنها الأسلوب الذى اتبعه الإله «حورس» (وهو مثل
أعلى لجميع الأطفال) الصغير فى تصفيف شعره . وأحيانا ما تتبع الفتيات أسلوب
«خصلة الجانب الشبائية»، لكنهن غالبا ما يربطن الشعر على هيئة ذيل حصان أو ذيل
خنزير .

البخور والمر

فى مناسبات خاصة، مثل الحفلات، توضع معاجين على هيئة قمع مخروطى، ذى
رائحة ذكية على قمة الشعر المستعار الذى ترتديه نساء الطبقة العليا . وبدأت هذه
الطريقة تظهر فى اللوحات خلال عصر الدولة الحديثة . وتألقت هذه المعاجين من
دهن، أو شحم، أو شمع، معطر أو محمل بالبخور؛ يذوب ببطء معطر الجسم
والثوب برائحة عطرية حلوة ودبقة . وكان لهذه الأقماع فوائد أخرى، حيث تعمل على
إنعاش الجو وطرده الحشرات . وتظهر اللوحات أن الرجال ارتدوا أقماعا أيضا، وإن لم
يكن بنفس كثرة ارتداء النساء لها .

ويرى باحثون، مؤخرا، أن هذه الأقماع فى اللوحات ربما لم تكن سوى مجرد رمز لارتداء الفرد شعر مستعار معطر أو مبخر. ومع ذلك، توضح مقبرة اثنين من النحاتين فى أواست (نيب آمون وإيبو كى من الأسرة الثامنة عشرة) معلومات كثيرة عن هذا الموضوع. فى لوحة داخل المقبرة، تظهر خادمة صغيرة تحمل صينية صغيرة بإحدى يديها، وباليد الأخرى تقوم بتشكيل المعجون فى موضعه فوق رأس كل من ضيفتين جالستين معا. بينما جلست ثلاث سيدات فى المقدمة؛ وخادمة صغيرة أخرى تقدم لهن العطر، وهى تصب المادة العطرية فى وعاء صغير تمسك به إحدى الضيفات. ونظرا لأن هؤلاء النسوة الثلاث يجلسن أمام السيدتين الأخريين، فقد حظين بالفعل بأقماعهن المعطرة المشكلة والمستقرة فوق الشعر المستعار لكل منهم بدقة.



وفى اللغة المصرية القديمة، تعنى «نفر» الجميلة أو الطيبة، وهكذا نجد اسمى الملكتين «نفرتيتى» و «نفرتارى». أما «نفرتم» فهو إله اللوتس للعطر، وهو يصور بتاج من زهور اللوتس فوق رأسه. وكانت زهرة اللوتس مصدرا للبهجة بسبب رائحتها العطرية الطبيعية، وتقدم للضيوف فى الحفلات. وتصور إحدى اللوحات كاهنة من الأسرة الخامسة تستشق فى سرور عبير زهرة اللوتس.

وتقدم مخلفات وبقايا وجدت خلال الاكتشافات الأثرية، دليلا مقنعا عن المقادير التي استخدمت لإنتاج العطور والزيوت. ولا جدال في أن هؤلاء الناس كانوا يخصصون وقتا كبيرا من أجل مظهرهم وهندامهم. وكانت طقوس النظافة الشخصية أدق ما تكون بين أبناء الطبقة العليا. وبدلا من الصابون، استخدم مزيج من زيوت حيوانية ونباتية مع مسحوق الحجر الجيري أو أملاح قلووية. وأنتجت زيوت التنظيف أيضا من مستخلص نبات الخروع البري الذي يمزج بالرماد (لتحقيق تأثير التقشير) ويمكن أن يضاف هذا المزيج أيضا إلى رغوة فعالة. وعلى الأرجح، استخدم ملح النطرون مع الماء لغسيل الفم. وتوافر النعناع في مصر منذ ما قبل عصر الأسرات، وتمضغ أوراقه لإنعاش رائحة الفم. وكان يعتقد أن رائحة فم «إيزيس»، المعبودة الكبرى، وزوجة «أوزيريس»، معطرة، وعبيره أطيب من رائحة الزهور.

ولم يكن العطر ترفا غاليا فحسب، وإنما سلعة تصدير قيمة أيضا. وصارت مصر مشهورة في أنحاء العالم القديم بعطورها. واستخدم الرجال والنساء العطور لتطيب رائحة الجسم، الأمر الذي كانت له أهميته. وأعدت العطور من زيوت مستخرجة من نباتات، وأعضاء حيوانات، وشحوم هذه الحيوانات مثل الثور، والإوز، والقط، وفس النهر، والتمساح؛ معطرة بمقادير عطرية مختلفة.

وتألفت العطور الشائعة من زيت الزعفران الأصفر، وأوراق نبات الحناء، ونبات القرفة، واللوز المر، والسوسن، وزهور الزنبق. وكان العطر يستخلص ثم ينقع في زيت شجرة اليسار لإنتاج العطور السائلة. ولصنع الدهان المعطر، يخلط العطر بالشمع أو شحم حيوان. وقد عثر على بقايا دهانات مصنوعة من الزيت والليمون. واستخدمت الفانيليا كمعطر، وكمثير للشهوة الجنسية أيضا. وتضمنت وصفات أخرى اللوز، وزيت الخروع، وخشب الصندل، والزهور، والخمور ذات الرائحة الزكية، والبخور، والمر، والسنا(*) (وهي تشبه القرفة).

وحفظت هذه التوابل العطرية في قوارير أنيقة منحوتة من المرمر ذات تصميمات مبتكرة وجذابة: فأحداها على هيئة قزم يحمل قنينة فوق كتفه، وأخرى على شكل فتاة تسبح، أو سمكة. وعثر على قنينات مصنوعة من الخزف، ومن الأونكس، والزجاج الملون، والعاج، والعظم، ومزينة بأصداف أو أحجار شبه كريمة. وعثر على قنينة

(*) يطلق عليها القرفة الصينية - المترجمة.

رائعة تنسب إلى «ميرينا» (الذى حكم البلاد خلال عصر الأسرة السادسة) على هيئة أنثى حمار جالسة. والملفت للنظر فى هذه القنينة من المرمر الشفاف، أنه يمكن للمرء أن يرى داخل جسم التمثال أنثى الحمار تضم جنينا بحنان إلى جسدهما كما لو كان مازال فى رحمها.

وفى مصر القديمة، اعتبر الزيت رمزا للبهجة و ضرورة من ضروريات الحياة اليومية. وكان للزيوت أهمية كبرى بسبب حرارة الشمس المسببة للجفاف، والرياح الجافة، والهواء الساخن فى وادى النيل. وعندما يضاف العطر إلى الزيوت، يصبح سلعة ترفية. بلغ من أهمية زيت تعطير الجسم للمصريين القدماء أنه صار من أكثر المواد المعتاد صرفها للعمال كرواتب مقابل أعمالهم. كما قدمت الزيوت كقرابين للآلهة وكانت التماثيل تدهن بالزيوت العطرية. وفى الطقوس الجنائزية، استخدمت تشكيلة طقسية عرفت باسم «الزيوت السبعة المقدسة» فى تضيخ المومياة خلال عملية التحنيط. وفى اللوحة الخلفية لعرش «توت عنخ آمون، الذهبى، رسما يصور زوجته «عنخ سن آمون»، وهى تضحك فى حنو زوجها، وهو جالس، من كأس تحمله.

وتمتعت الزيوت الأكثر عطرية، مثل زيوت المر، واللبان، والزنبق، بتقدير عال وغالبا ما كانت تخلط بعطور من الزهور، والفواكه والأعشاب. واستخدم العسل لرائحته ولأنه يمنع ظهور التجاعيد؛ كما كانت معاجين الطمى المصنوعة من مسحوق حجر الشب، وروث التمساح المجفف، وزيت نبات الحلبة العطرى؛ مهمة أيضا فى المساعدة على الحفاظ على شباب البشرة. وعثر على كتابات تؤكد أن كليوباترا السابعة كانت تستحم بلبن الحمير، اعتقادا فى أنه يمنع التجاعيد ويحافظ على طراوة البشرة.

الظهور بوجه جميل

استخدم الرجال والنساء والأطفال، من جميع الطبقات، مستحضرات التجميل قبل ألفى عام من بناء الأهرامات. كما اعتقد المصريون أن هذه المستحضرات ستستخدم فى الحياة الأخرى. وعثر على العديد مواد التجميل فى المقابر وصورت فى اللوحات الجنائزية. كما عثر على لوحات تلوين، منحوتة من الإردواز، لمزج مساحيق التجميل، تعود إلى حوالى عام ٣٣٠٠ قبل الميلاد.

واستخدمت مساحيق التجميل للزينة بالطبع، بيد أنها استخدمت أيضاً لأغراض دينية، وللحماية من أشعة الشمس. وكان يعتقد أن مستحضرات التجميل تنطوي على خصائص سحرية وعلاجية، وتم إعداد وصفات خاصة منها لعلاج ضعف النظر، وأمراض العين المعدية.

واعتبرت العين المنطقة الأساس التي يركز عليها التجميل أو «ميسدميت»، وهى تجميل بحيث تشابه أو تستدعى إلى الذهن صورة عيني «رع» أو «حورس». واستخدم لتجميل العين مساحيق باللونين الأسود أو الأخضر، وهما لونا البعث والبهجة، على التوالي. وشمل الأسلوب السائد فى رسم العيون، رسم خط ثقيل من اللون الرمادى الغامق أو الأسود على الجفن العلوى، ثم خط رفيع من اللون الأخضر على الجفن السفلى. وترسم العين على نحو يمنحها شكل لوزة جذاب، يمتد نحو خط الشعر.

واستخرج اللون الأخضر لرسم العيون من المالاكيت، خام النحاس الأخضر الذى عثر عليه فى سيناء والصحراء الشرقية؛ أما الكحل أو اللون الأسود لرسم العيون، فيحضر من كبريتيد الرصاص، وهو خام الرصاص الرمادى القاتم. واستعمل أيضاً فى تجميل العيون أبيض الرصاص (الاسيداج)، والسنبار (*)، والأنتيمون (**)، ومسحوق الرصاص، والسناج، واللبان، واللوز والفحم. وتسحق هذه المكونات ثم تخلط بالشحم والزيت والماء والصبغ لتشكيل عجينة. وكانت هذه المكونات تمزج وتخزن فى قدور، وزجاجات وقوارير صغيرة، مصنوعة من المرمر أو الخزف. وعثر فى مقبرة تعود إلى الدولة الحديثة على نوع من الحاويات الأنبوية الصغيرة المصنوعة من أعواد النبات لتخزين الكحل، ونوع آخر على هيئة حاوية أنبوية يحملها قرد. ووضع لاصق على المنتجات يحمل وصف «أصلى» و «فاخر». وأثناء عمل «الماكياج» كانوا يستخدمون طبقا، أو لوحة لمزج الألوان على شكل حيوان (مثل كبش) أو سمكة. ويوضع المزيج

(*) معدن يتبلور فى فصيلة الثلاثى، ونظام الأوجه فيه شبه منحرف، البلورات معينة الأوجه عادة وغالباً ما تكون على هيئة كتلية حبيبية أو ترابية أو قشور أو حبيبات منتشرة فى الصخور. لون المعدن أحمر قرمى عندما يكون نقياً لكنه معتم حال كونه غير نقى، مخدش المعدن أحمر وبريقه الماسى وصلادته (٥، ٢) ووزنه النوعى (١، ٨)، تركيبه الكيميائى كبريتيد الزئبق (بق كب) (Hg S) والزئبق هو المصدر الوحيد الهام لفلز الزئبق - المترجمة نقلا عن معجم المصطلحات العلمية الصادر عن مجمع اللغة العربية.

(**) عنصر فلزى فضي اللون بزرقة خفيفة ومنه الإثمد وهو الكحل الفاخر الذى حرصت بلاد البحر المتوسط القديمة على استيراده من مواطنه فى شبه الجزيرة العربية وبعض المناطق القريبة منها - المترجمة نقلا عن المعجم السابق.

باستخدام عصا خشبية صغيرة، أو فرشاة، أو بأطراف الأصابع. وشاع أيضا استخدام الملاعق المصنوعة من الحجر، أو العاج، أو العظم، أو المعدن. وبالمثل، نحتت ملاعق التجميل على أشكال وأنواع مذهلة. وتضمنت الملاعق المكتشفة من عصر الدولة الحديثة، واحدة مصنوعة من المرمر، على هيئة فتاة صغيرة تسبح وهي مادة ذراعها أمامها، ممسكة بحاوية منحوتة على شكل حيوان. وصنعت ملعقة أخرى، تعود لنفس الفترة الزمنية، من الخشب، ونحتت على هيئة راقصة تعزف على دف مربع الشكل بين زهرتي لوتس طويلتين.

ولإضافة التورد إلى الوجدتين وتلوين الشفتين، يسحق أكسيد الحديد الأحمر، أو مسحوق حجر الدم، ويمزج بالماء. ويحضر اللون الأحمر أيضا من خضاب أوراق نبات الحناء (أو حنو) الذي ينمو في الحقول. واستخدمت نساء مصر القديمة، المهتمات بمتابعة أحدث صيحات الأناقة، الحناء أيضا لصبغ أظافر أكفهن وأقدامهن، ولصبغ الشعر، بل وأيضا راحة الكف، وباطن القدم. ويعزز الجمال الأثوى بالوشم. وتوجد أقدم الدلائل على ذلك في لوحات وتمائيل تعود إلى عصر ما قبل الأسرات. وغالبا ما يتكون الوشم من نقاط صغيرة، أو صورة معبود، مثل «بس». وبالطبع، فمن المحتمل أن هذا الوشم - بعكس الأقماع المعطرة - كان مجرد مزاعم فنية.

أدوات المهنة

استخدمت مرايا مصقولة بعناية (تسمى عنخ)، مصنوعة من البرونز، أو النحاس، أو الفضة، عند وضع مستحضرات التجميل. وعثر على مرايا أيضا موضوعة تحت رؤوس المومياوات، أو في مقابل وجوهها، كما حدث مع مومياء مسئول من الأسرة الحادية عشرة، مدفون في «أواست». وأنتج صناع المعادن مقابض أنيقة بأشكال بديعة مثل فتيات صغيرات، أو زهور، أو حيوانات، أو رمز للحياة الأخرى - المعروف أيضا باسم عنخ - والعديد من التصميمات الدقيقة الأخرى. وكثيرا ما زينت صورة «حتحور»، إلهة الحب، والبهجة، والجمال جانبي المرايا أيضا، بينما غالبا ما اتخذت مقابضها شكل ساق نبات البردى.

وصنعت أمشاط ودبابيس شعر ذات أسنان واسعة من البرونز، أو الفضة، أو العظم، أو العاج. كما عثر على أمشاط للشعر ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات،

ولبعضها مقابض مزخرفة على هيئة غزال . واستخدمت السيدات الأنيقات ملاقيط من البرونز لتسوية حواجبهن على شكل قوس ضيق . كما استخدمن حجر الخفاف وأمواس من البرونز أو الذهب لإزالة الشعر غير المرغوب فيه . ووجدت مثل هذه الأمواس فى مقبرة الملكة «حتيفيرس» والأميرة «سيت هاتور لونيت» . وخلال الألفية الثالثة قبل الميلاد، صنعت الأمواس من أحجار مسنونة مثبتة فى مقابض خشبية .

ووضعت قوارير التجميل فى صناديق مصنوعة من مواد نادرة مثل خشب الأبنوس والعاج، مطعمة بأحجار شبه كريمة، ومطلية بأزهى الألوان . وقد نقشت خزانة التجميل الخاصة بالأميرة «سيت هاتور لونيت»، على هيئة مقصورة وصيغت من الذهب والفضة، والعاج، والأبنوس، والعقيق الأحمر والخزف . واحتوت هذه الصناديق أيضا على أمشاط، ومرايا، وأدوات رسم الماكياج ولوحات تلوين حجرين . وغالبا ما تصحب السيدات معهن فى الحفلات، صناديق أو خزانات التجميل، تحسبا، لغرض تعديل الماكياج الذى لا مفر منه . ويضعنها بالقرب منهن، تحت مقاعدهن، تماما كما يفعلن اليوم مع حقائب اليد .



الاستجمام

كل، واشرب، وابتهج

كان المصريون اجتماعيون للغاية، وعرفوا كيف يتمتعون بأوقات فراغهم، كفاصل راحة مبهج، من الكد اليومي. وكثيرا ما أقام الأثرياء الحفلات والمآدب الباهظة؛ حيث يصل الضيوف قرب منتصف النهار، ويرحب بهم بتطيب رؤوسهم بمزيج العطور الزكية. وكانت العادة أن يقدم المضيف لضيوفه الزهور من باقة مبهجة. وتتولى إحدى خادمات البيت خلع صندل الضيف وتقدم له/ لها زهرة لوتس للشم، أو ربما لوضعها في طوق الرأس. كما تقدم الأكاليل والقلائد من الزهور، بالإضافة إلى براعم اللوتس، التي يمكن أن تشبك في خصلات الشعر المستعار.

ويدور الخدم من الصبية والفتيات على الضيوف لتقديم الطيوب المعطرة، وأكاليل الزهور، والعطور النادرة، وطاسات الخمر. وفي مقبرة أحد الطباقين الملكيين، ويدعى «نفر أونبت» (عاش خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة) عثر على لوحة جميلة تصور أربع سيدات جالسات في مأدبة. وفي هذه اللوحة تشم إحدى السيدات زهرة اللوتس، بينما ترفعها لها صديقتها لتستمتع بها.

وتقدم الخمر للنساء من وعاء صغير يسكب في كئوس شرب بديعة، بينما يشرب الرجال من أقداح أو أوعية أكبر حجما.

وشكلت الموسيقى والرقص جانبا أساسيا في ولائم المصريون القدماء. فبينما يعد الغذاء بعناية، تتولى فرقة من الموسيقيين المستأجرين تسلية الزوار، بينما تقوم لاعبات أكروبات وراقصات بالترفيه عن الضيوف. وتضم الفرق الموسيقية رجالا ونساء؛ أو

راقصة واحدة قد يصاحبها ثلاث أو أربع مغنيات . وتوجد لوحات تصور نسوة في أوضاع راقصة ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات . وفي مقبرة «نيب آمون» التي ترجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة في أواسط ، لوحة تصور راقصتين شابتين تؤديان الرقص في إحدى الحفلات . وتقف المغنيات «الكورال» أو يجلسن خلف الراقصة مباشرة . ويتحدد الإيقاع بالتصفيق اليدوي ، على نحو يشبه إلى حد بعيد ما يحدث في موسيقى الفلامنكو الإسباني ، حيث يعتبر فنا في حد ذاته . وفي العادة ، تكون الراقصات إما خادمت مدربات ، أو جوار ، أو سيدات من الحریم ، أو راقصات محترفات يستأجرن للمناسبات الخاصة . وخلال عصر الأسرة الرابعة ، تلقت بعض الراقصات قلائد ذهبية مكافأة على أدائهن .

وبعد الغذاء ، جرت العادة على أن ترفع صورة خشبية للإله «أوزيريس» ، إله البعث ، يتراوح ارتفاعها بين قدم ونصف القدم وبين ثلاثة أقدام ، ويقصد بهذه الصورة التذكير بأن الحياة نفيسة وعزيزة جدا ، رغم أنهم يقضون كل حياتهم على الأرض وهم يستعدون للموت . كما تساعد في دعوة المصريين القدماء إلى التواضع ، اعترافا بأن العمر محدود ، وأن أعمالهم في هذا العالم تؤثر على حالتهم في العالم التالي وتحددها .

واعتبرت جميع الطبقات الاجتماعية الموسيقى والرقص جانبا مكملا لجميع المهرجانات ، والتشريفات ، والاحتفالات . وكان الإنشاد يؤدي أثناء إقامة الشعائر في المعابد والاحتفالات الجنائزية . وشاعت أغنيات الحب ، وتناقلتها الأجيال . وغنى المصريون أثناء العمل في الحقول مثلما يغنون أثناء الولائم ، والاحتفالات ، والمهرجانات . وكان «إيحيى» ابن «حتحور» ، إله الموسيقى والرقص عند قدماء المصريين . وهو يصور عادة على هيئة طفل يعزف على الصلاصل ، أو الجلاجل المقدسة . وكانت «حتحور» و«بايت» إلهتى الموسيقى والرقص والمرح . غير أنه للأسف ، لم يعثر على أى نوتات موسيقية أو تسجيلات مدونة لمقطوعات موسيقية .

آلات العزف

تعتبر المصلصلات ، وهى آلة نقر بسيطة ، من أقدم الآلات الموسيقية المسجلة في مصر . ويعتقد أن شكلها مستوحى من المغزل . وصنعت من الخشب ، أو العظم ، أو

العاج، ولم تكن تستخدم فى الحفلات فقط، وإنما يعزف عليها رجال أيضا بينما يقوم العمال بعصر العنب، أو يعملون فى الحقول. واستخدمت كوسيلة لرفع معنويات الفلاحين الكادحين حيث يعملون على وقع النغمات المتفائلة للأغاني. وكانت المصلصات أيضا تدفن مع بقية مستلزمات الدفن لطرده الأرواح الشريرة. وقد عثر فى مقبرة «توت عنخ آمون»، على زوج من المصلصات المنحوتة بإتقان من العاج وسن فرس النهر، على هيئة كفين ومنقوش عليها صورة الإلهة «حتحور». كما تعزف المصلصات، على شرف «حتحور» أثناء ولادة الأطفال، لتسهيل عملية الولادة.

كما تطورت الكاستانيت الإسبانية أو «كاستانيوكلاس» المصنوعة من الكستناء (كستانيا بالإسبانية) والخشب، عن الصناعات المصرية (التي كانت تصنع فعليا من الفضة، أو النحاس الأصفر). وفى إحدى مقابر أواست، عثر على صناعات أصابع معدنية يبلغ قطرها نحو أربع بوصات، تعود إلى حوالى عام ٢٠٠ قبل الميلاد.

وشاع استخدام ألتى «الجنك» و«الكنارة»(*) اللتين كانتا تزخرفان بالألوان الزاهية، وربما تحتان على هيئة أشكال مختلفة، ويرسم عليهما رموز مثل الزهور. وكانت آلات «الكنارة» الرأسية الضخمة (التي يصل طولها إلى خمسة أقدام) يعزف عليها الموسيقيون وهم وقوف، بينما كان العازفون يداعبون أوتار الآلات الأصغر حجما بينما يجلسون فى وضع الركوع أو القرفصاء. أما آلة «الجنك»، المفضلة فى ذلك العصر، فكانت بسيطة أو معقدة من حيث التصميم والصنعة، وتحتوى على ما يتراوح بين أربعة أوتار، وأربعة وعشرين وترا، وغالبا ما تحمل على قاعدة مسطحة. ويعزف على هذه الآلة إما وقوفا أو جلوسا طبقا لحجم الآلة. وكانوا يعتقدون أن صوت الجنك الهادئ، والمهدئ يسر الآلهة، لذلك كانت تعزف غالبا عزفا منفردا، كما كان معتادا أن تصاحب مغنيا، أو تعزف ضمن فرقة موسيقية متطورة. وشاع استخدام آلات

(*) يشير الدكتور صبحى أنور رشيد فى كتابه «تاريخ الآلات الموسيقية» الصادر عن: المؤسسة التجارية للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى (تاريخ الطبعة غير مذكور) إلى كثرة استعمال كلمة قيثارة فى اللغة العربية للدلالة تارة على الكنارة (lyre) وتارة أخرى على آلة الجنك (harp) مؤكدا على عدم صحة هذا لأن القيثارة الأصلية تختلف عن الألتين المذكورتين. ويقول الدكتور فتحى عبد الهادى الصنفاوى فى كتابه «الموسيقى الهيدائية وموسيقى الحضارات القديمة» الصادر عن الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٥ م. إن الجنك كان الآلة الوترية الوحيدة فى الدولة القديمة، بينما ظهرت الكنارة فى الدولة الوسطى وهى تشبه آلة الطنبورة النوبية تماما - (المترجمة).

«الجنك» ذات القاعدة الضخمة خلال عصر الدولة القديمة. كما عثر على تماثيل خشبية مطلية لفتيات يعزفن «الجنك»، ترجع إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة.

وعشر على آلات «الطبل» التي يعزف عليها بالأيدي، تعود إلى عصر الأسرة الوسطى. وغالبا ما كان العازفون على المزمار والناى من الرجال، بينما تعزف النساء غالبا المزمار المزدوج والدف، ذى الشكل الدائرى، أو المستطيل، أو المربع. ويصاحب الدف، مثلما الجنك والكنارة، الموسيقى التي تعزف في المهرجانات، والمواكب العسكرية، بالإضافة إلى الطقوس الدينية. كما كانوا يستمتعون أيضا بالعود، الذى يشبه المندولين. ويعتقد أنه - مثل الكنارة والأوبوا - جاء إلى مصر بواسطة الهكسوس خلال عصر الدولة الحديثة.

وفى مقبرة واحد من الكتبة، ومشرفى المعابد، اسمه «ناخت» توجد لوحة تصور عازفا أعمى جالسا وهو يعزف الجنك. كما يظهر فى لوحة جدارية بمقبرة «حور محب» فى أواسط، مغن أعمى، يصفق بيديه. وتزين صورة ثلاث عازفات، مرتديات أثواب بيضاء ضيقة من الكتان، مقبرة الوزير «ريخمتر». وفى هذه اللوحة تداعب امرأة راكعة أوتار «جنك»، بينما تعزف أخرى العود، وتضرب امرأة ثالثة دفا مستطيل الشكل.

وتحكى أسطورة رائعة كيف ظهرت "الكنارة" للمرة الأولى. فبعد أن فاض النيل فى إحدى السنوات وغمر الأرض، ثم عاد إلى حدود ضفتيه، خلف وراءه طبقة من المخلوقات البحرية. ومن بين هذه المخلوقات سلحفاة، جف لحمها بسبب حرارة الشمس اللاهبة. ولم يتبق داخل الصدفة سوى أوتار وأعصاب متليفة، ولأن حرارة الشمس جعلتها مشدودة فقد صارت رنانة. وفى أحد الأيام، كان «تحتوتى» (تحتوت) إله الاتصال والتعلم، يتمشى على شاطئ النيل، فمر على هذه الصدفة، وركلها عرضا. فإذا بالصوت الذى انبعث من الصدفة يثير فى نفسه سرورا هائلا. فأخذ هذه الفكرة كنموذج، وتوسع فيها، لينشئ آلة موسيقية على هيئة السلحفاة، ويزودها بأوتار من أربطة حيوانات ميتة.

أما البوق (الذى سُمى شينيب)، فكان يعزف فى معظم الأحوال خلال المواكب والأحداث الدينية والعسكرية. وقد عثر على بوق مصنوع من النحاس أو البرونز ومطلى بالذهب، مع سدادته الخشبية بين كنوز توت عنخ آمون، بالإضافة إلى بوق

آخر مصنوع من الفضة . والأمر المثير ، أن البوق لم يعزف عليه أبدا في مدينتي «زاوتى» و «رچدو» (بوزيريس) . ولم لا؟ . فالصوت كان ماثلا لنهيق الحمار ؛ الحيوان الذى ارتبط بالإله ست المخيف ، غير المحبوب ، الذى صور على هيئة إنسان برأس حمار .

واعتبر الرقص نشاطا مفضلا لتمضية الوقت داخل البيت وخارجه ، غير أن الرجال والنساء يرقصون منفصلين ، ومن النادر أن يرقصوا معا أزواجا . وربما يرقص الفلاحون فى الشوارع ، لكنه كان من غير اللائق بالنسبة لأبناء الأصول أن يرقصوا فى الأماكن العامة . ويعتقد أن الرقص المصرى نشأ مع النساء فى أجنحة الحريم ، كوسيلة لتسلية أنفسهن ، وكثيرا ما أمتعت الراقصات المحترفات الجماهير التى تحتشد لمشاهدتهن فى الشوارع . وكان الرقص فى حد ذاته عبارة عن حركات بهلوانية ومعقدة للغاية ، يتم من خلاله القيام بحركات العجلة الدوارة ، والشقلبة ، والقفز ، والوقوف على اليدين ، والانحناء إلى الخلف ، والدوران ، والانزلاق على الأرض ، والرقص على أصابع القدم . وكانت أدوات الراقصة عبارة عن الدف وصناجات الأصابع . وتؤدي الراقصة حركاتها حافية القدمين ، مرتدية الحلى وحزام حول الأرداف . ولم يكن ثوب الراقصة يترك شيئا يذكر للتخيل ، فعادة ما يكون شفافا ، أو ذا ألوان خفيفة ، مصنوعا من أجود أنواع النسيج ، يلتف بليوننة وانسيابية . وغالبا ما يرتدى معه حزام يلتف حول الأرداف .

ونقشت مشاهد رائعة لراقصين من رجال ونساء فى مقابر «أواست» من بينها مقبرة وزير يدعى «أنتيفو كى» عاش خلال عصر الأسرة الثانية عشرة ، فى عهد «سنوسرت الأول» . وعثر على لوحة أخرى عبارة عن نحت بارز على حجر جبرى مطلى على جدران مقبرة «نيخفت - كا» فى سقارة ، ترجع إلى عصر الأسرة الخامسة . وتصور هذه اللوحة مغنيات ، وعازفات «الجنك» ، وراقصات ، ونساء يصفقن ويغنين . ومثل الرقص عنصرا بالغ الأهمية فى المهرجانات الزراعية والدين ، واعتبر جزءا أساسيا من الثقافة المصرية القديمة .

وبوجه عام ، كان الأطفال يفضلون اللعب خارج البيت ، فلعبوا بالنحلة الدوارة المصنوعة من الطين ، أو الحجر أو الخشب ، كما لعبوا بكرة الجلد المدبوغ المحشوة . وعثر على مجموعة دمي عبارة عن ثلاثة أفزام راقصة مصنوعة من العاج ، ترجع إلى عصر الأسرة الثانية عشرة ، ويمكن تحريك هذه التماثيل باستخدام مجموعة من الخيوط

والبكرات. وشاع نحت دمي على هيئة حيوانات من الخشب أو العاج؛ كما عثر على تماثيل لتماسيح، وفطط، بل وحتى خيول، على عجالات. البعض منها؛ ومن بينها أسد، لها فك يمكن تحريكه بواسطة خيط. وعثر على العديد من القطع التي يمكن جذبها بواسطة خيط أيضا، منها ضفدع، مصنوع من الحجر، له فك متحرك، وقطع أخرى تمثل أشخاصا يميلون إلى الأمام لغسيل الملابس أو لإعداد العجين.

واستمتعت الفتيات بالرقص، ولعين بدمى مصنوعة من الطين والخشب، ذات أذرع وأرجل متحركة. ومارس الأولاد الألعاب التنافسية، مثل المصارعة، والرماية، والتحطيب بالعصى، وشد الحبل. كما مارس فتيان الطبقة العليا الرماية بالسهم، والفروسية. وفي مقابر بنى حسن الصخرية لوحات تصور الأطفال وهم يلعبون كرة الظهر والكتف معا، كما شاعت لعبة القفز فوق ظهور بعضهم البعض (*).

وكانت مسابقات الرماية تعقد بين الرجال، وكذلك مسابقات المصارعة التي كانت شعبية. وظهرت لوحات تصور الرجال، وهم يتصارعون مع بعضهم البعض (سواء لاستعراض الرياضة أو التدريب على القتال) على جدران حجرة الدفن في مقبرة الحكيم «بتاح حتب» (الأسرة الخامسة). وفيها يظهر الرجال وهم يتصارعون المصارعة الزوجية. بينما كانت مصارعة الثيران - حيث يصرع الثور ثورا آخر - أكثر إمتاعا. وتمنح الجائزة لصاحب الثور الفائز. وشاعت أيضا رياضة صيد الطيور؛ حيث يضرب الطير بمغزل، أو يغوى بطعام، ويوقع به في شرك للطيور.

ومارست الأسرة كلها رياضة صيد الطيور، وصورت مثل هذه النزعات كثيرا في اللوحات البارزة بمعابد «أواست». وتظهر إحدى هذه اللوحات "نخت" حاملا طعاما على هيئة طائر لجذب الضحايا الحقيقيين أثناء نزهة عائلية. وشاركت جميع الطبقات في هذه الرياضة. واستخدم المحترفون في هذه الرياضة الشبك، والفخاخ، بينما استخدم الهواة عصي الغزل.

ووفر النيل العديد من مصادر اللهو والتسلية. فشاعت رياضات العوم، والتجديف، وصيد التماسيح والأسماك. واستخدمت الرماح أو شباك الصيد لصيد السمك من أطواف صغيرة تصنع من البردي، واستخدمت السلال أيضا لحمل

(*) يمارسها أطفال الأرياف والأحياء الشعبية حتى الآن باسم «نطة الانجليز» - المترجمة.

السّمك . واعتبر «فرخ النيل» أكبر وأقوى أنواع السمك، الأمر الذى جعله الهدف الرئيس للصيادين . وعرفت رياضة صيد فرس البحر التى استلزمت شجاعة كبرى، وحرابا طويلة .

واعتبر القنص فى الصحراء، وسيلة النبلاء المفضلة لقضاء وقت الفراغ، حيث يصطحبون معهم كلابا مدربة . لقنص الثعلب، وابن أوى، والذئب، والثور، والغزال، والأرنب البرى، والقنفذ، والبابون، والماعز، والنمر، والضبع . وحظى النعام بتقدير كبير نظرا لريشه الزخرفى ، الذى اعتبر رمزا للحقيقة المقدسة . ونقش مشهد للصيد على جدران مقبرة «أوزير حت»، حيث أرنب برى يفر بحياته من الصياد . وغالبا ما تستخدم الكلاب، خاصة من النوع السلوقى، لسرعتها وولائها وشجاعتها أثناء مصاحبته لسيدها . وفى أول الأمر، مارس الرجال القنص سيرا على الأقدام، ولكن بالطبع مع حلول عصر الدولة الحديثة، استخدمت الخيول والمركبات ذات العجلات .

وعشق أبناء الأسرة الملكية صيد الأسود . وخلال إحدى نزاهات «أمنحتب الثالث» قتل ما لا يقل عن مائة أسد . وصحبت الأسود الأليفة أيضا الأسرة الملكية خلال بعثات الصيد، لما تتميز به من سرعة الحركة، والشجاعة، والشراسة . وكثيرا ما اصطحب «رعمسيس الثانى» أسدا أليفا معه .

وشاعت ألعاب تمارس داخل البيوت، مثل النرد، والسيجا (وهى لعبة تشبه الشطرنج) . وصنعت رقايع لعب رائعة من الخشب، أو العاج، أو الأبنوس، أو غيرها من المواد النادرة، ومثلت عظام مفاصل الحيوانات مادة جيدة لصناعة النرد . وترجع لعبة «محن» - بكسر الميم والحاء - إلى عصر الدولة الحديثة . ولعبها أبناء الأسر الملكية، وربما آخرون أيضا، على رقعة دائرية . كما تعتبر لعبة تسمى «سنت» - بكسر السين والنون - أكثر ألعاب الرقايع شعبية عند جميع الطبقات، أحياء وأموات؛ حيث كانت هذه اللعبة تدفن مع الراحلين لتسليتهم فى الحياة الأخرى . ولعل أقدم دليل على هذه اللعبة، لوحة مرسومة على مقبرة ترجع إلى الأسرة الثالثة . كما عثر على أربعة ألعاب من هذا النوع بين كنوز «توت عنخ آمون»، وعثر على رقعة للعب «سنت»، مصنوعة من الخبز الأزرق المصقول تخص «أمنحتب الثالث» . وفى حجرة الدفن الخاصة

بالمملكة «نفرتارى» ؛ لوحة تمثلها وهى جالسة بأناقة، تحمل فى يدها صولجان الإلهة «سخمت»، بينما تستمتع بلعبة «سنت».

وتعلق المصريون من جميع الأعمار بسرد القصص، وكانوا خلاقين ومبدعين فى هذه الصنعة مثلما كانوا فى النحت. وامتلكوا دائما مددا كافيا من القصص للارتجال أو الاستظهار من الذاكرة. ومن السهل أن يتخيل المرء الرواة وهم يغزلون قصصا ساحرة فى شوارع القرى أمام جمهور مأخوذ.

العمل والحرف

الزراعة

كانت الزراعة العمل الرئيس لعامة المصريين، وتليها الصناعات الزراعية مباشرة. حيث يحول الشعير إلى خبز وجعة، بينما يعالج نبت الكتان، الذى ينمو فى الشتاء، ليصبح نسيجاً (يسمى منخ). وكان الطلب على نسيج الكتان مرتفعاً، ليس من أجل الملابس فحسب، وإنما من أجل أغطية الأثاث، وأكفان الموتى، التى تتطلب طبقات كثيرة من القماش. وكان إنتاج ملابس وأنسجة الكتان من أكثر المهن ربحية؛ ومن هذه المهن أيضاً زراعة البردى، أو «جت» الذى يكثر بأراضى المستنقعات فى الوجه البحرى. وساعد «الشادوف»، آلة رفع المياه للرى، فى تيسير أعمال الزراعة إلى حد كبير، وزاد إنتاج المحاصيل سنوياً. وفى مقبرة «إيبى» لوحة تصور قزما يدير شادوفا. ويعتقد أن هذه الآلة المهمة، جاءت مع الهكسوس، أثناء غزوهم مصر فى عصر الاضمحلال الثانى. ومازال «الشادوف» يستخدم حتى الآن فى المناطق الريفية من مصر.

حكم مطلق بكل المقاييس

كان الفرعون مالكا لكل شىء فى مصر. وأبدعت الإدارة نظاما بيروقراطيا، لتطبيق الإشراف الكامل، وضمان وصول فوائض المحصول إلى الطبقة الحاكمة. وصار الاقتصاد تدريجيا معتمدا إلى حد كبير على الضرائب التى يدفعها النبلاء؛ ووصلت هذه الضرائب إلى ارتفاع حاد خلال العصر البطلمى.

وكما ذكرنا سابقا، كانت الضرائب تفرض وفقا لفيضان النيل، حيث يحدد الفيضان مساحة الأرض التى ستخصب. ويزور موظفو القصر المزارع، ويحددون

حصّة الحبوب، أو كمية الحبوب التي يتعين دفعها كضرائب. وعادة ما تودع هذه الكمية المقدرة في صوامع المعابد، أو صوامع الدولة التي يديرها مسؤولون حكوميون. وكانت المعابد تملك مباشرة نسبة كبيرة من الأراضي الزراعية، التي يدعم ريع محاصيلها طبقة الكهنة. وتشير تقديرات إلى أن صوامع المعابد غالباً ما كانت تخزن ما يزيد عن إنتاج عامين من الحبوب.

مقاييس ملكية

تظهر لوحات على جدران مقبرة «ميناً» مسؤولين حكوميين، يمدون حبلاً عبر حقل، لتقدير مساحته، ومن ثم غلته المتوقعة. ويظهر في أسفل الصورة كتابة، يلاحظون الأرقام ليسجلونها في سجلات الحكومة، كما ينبغي. ويبلغ الذراع الملكي - وهو وحدة القياس الأساس - ٦, ٢٠ بوصة (غير أنه يجب ملاحظة أنه كان يستخدم نوعاً ثانياً من الذراع، فيما يبدو، طوله ٢٥ بوصة). واستخدم «خت» - بكسر الخاء - وهو مقياس يبلغ ١٠٠ ذراع ملكي، في قياس الأراضي. وسميت قطعة الأرض البالغ مساحتها ١٠ آلاف ذراع ملكي مربع «سيتجات»، وهي تساوي نحو ثلثي أكر. وبالنسبة للقطع الصغيرة، يقسم الذراع إلى وحدات تسمى «أكف» التي تنقسم بدورها إلى وحدات تسمى «أصابع». واستخدم مقياس «ريمن» أيضاً، ويبلغ طوله ٢, ٢٩ بوصة، كوحدة للقياس مستلهمة من الذراع الملكي.

علاقات العمل

كان الأسبوع لدى المصريين القدماء عشرة أيام عمل يليها ثلاثة أيام عطلة. ويتوقف العمل خلال العطلات الدينية المهمة. واستخدم الإنتاج الزراعي لدفع رواتب موظفي الحكومة والعمال على حد سواء. وكانت الأجور تصرف في صورة قمح جاف، والشعير، والسمك، والخضراوات، والملابس، والزيت. وبين حين وآخر توزع أجور إضافية مثل الملح، والجمعة، والخمر، وغيرها من مواد الرفاهية. ويأتي بين أصحاب الحرف عليّة الأجور، الصناع والكتابة، بينما تضم الفئة الأعلى أجوراً على الإطلاق موظفو المقبرة الملكية، بينما يقبع العمال غير المهرة، عند سفح سلم الأجور كالعادة.

وخلال شهور الفيضان، التي تمثل فترة راحة من أعمال الزراعة، يقوم البلاط الملكي والنبلاء باستدعاء الفلاحين للعمل في الأشغال العامة، مثل إقامة نظم الري، وإصلاح السدود، واستخراج المعادن، وإنشاء المعابد، وبناء المقابر، بالإضافة إلى الخدمة العسكرية. فكان هناك عمل دائما للقادرين بدنيا.

وحدث أول إضراب مسجل في تاريخ مصر عام ١١٧٠ قبل الميلاد، خلال الشهر السادس من السنة التاسعة والعشرين من حكم «رعمسيس الثالث». عندما تأخرت الحكومة ٢٠ يوما في صرف الأجور من الحبوب، فألقى العاملون في وادي الملوك بأدواتهم وتركوا العمل، بعدما لم تلق التماساتهم استجابة. واحتشد الرجال في مسيرة إلى معبد «حور محب»، المجاور للرعمسيوم، ونظموا اعتصاما سلميا خارج جدران المعبد. ورفضوا أن يتزحزحوا من مكانهم حتى فتحت صوامع القصر.

وأصر العمال على موقفهم، ورفضوا مناقشات المسؤولين لهم للعودة إلى العمل. وفي النهاية، منحوا نصف مستحقاتهم، في صورة ذرة وحصاة من الحبوب، مع وعد بتسوية أحوالهم «فورا». وتطلب الأمر، عدة مسيرات احتجاج أخرى، قبل تسوية المظالم، وحصل العمال على أجورهم كاملة.

الحرف

عمل في المعابد والبلاط الملكي، العديد من المصريين كفنانيين، ومعماريين، ونحاتين، وكتبة، ومعلمين، وخبازين، وجزارين، ومحاسبين، وسقاة، وموسيقيين، ونجارين. وصورت حرفة النجار على جدران مقبرتي «نيب آمون» و«إيبوكي». وكانت النجارة، والتصوير، والبناء بالحجارة، وصناعة الخزف من بين أقدم الحرف. وعمل الحرفيون المصريون في دكاكينهم الصغيرة بنظام المشترك، حيث أنتجوا معظم السلع المصنعة. وتميز الطلب على النجارين بالارتفاع ليس من أجل صناعة أثاث المنازل فحسب، وإنما أيضا من أجل صناعة أثاث المقابر.

وشاركت نسبة ساحقة من النساء في صناعتى النسيج والملابس، كما عملن في ورش الغزل والنسيج لتقديم الأطعمة والمشروبات إلى النبلاء وأبناء الأسر الملكية. وفي بعض الأحيان، عملن في صناعة الفخار، وحولت البارعات من هؤلاء

العاملات الطين إلى قطع بديعة للغاية من الخزف . واستخدم الفخار على نحو واسع فى صناعة آنية الطعام، والأكواب، والأقداح، والقدور، وأنية الزهور، والجرار والأطباق . وغالبا ما كان الخزف يصقل باستخدام المعادن، ويستخدم فى صناعة الحلى والتمايم البديعة . وأبداع صناع الفخار أوانى زهور من الطين الناضج المزخرفة، بأشكال متميزة لحيوانات، ووحدات زخرفية مائية، وصور بشرية؛ عشر على كثير منها يرجع إلى حقبة ما قبل التاريخ المدون، نحو نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد . كما استخراج نوع متميز من الفخار، يعود إلى عصر ما قبل الأسرات (الذى يبدأ نحو ٥٢٠٠ قبل الميلاد) من مقابر البدارى فى الوجه القبلى؛ وهى مرحلة «البدارى» من مراحل تطور الحضارة . ويمكن وصف الفخار فى هذه الفترة بأنه كان يتميز بسطح موج مصقول .

وعشر على بعض من أروع القطع الفخارية فى مقابر الوجه القبلى، التى ترجع إلى نحو عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد، فى قرية شمال «أواست» تسمى «نقادة» . وأدت المنتجات التى اكتشفت فى هذه المنطقة إلى تسمية مرحلة حضارية أخرى، باسم نقادة الأولى أو العمرة . وعرف الفخار الذى يعود إلى هذه الفترة بأنه «الآنية ذات الحواف السوداء» وهو نوع متميز من الفخار الأحمر له حواف مزخرفة سوداء ناعمة، وهو التأثير الذى يحدثه حرق القدور فى وضع رأسى مقلوب .

كما عشر على أوانى حجرية للزهور، وسكاكين منحوتة بدقة من الحجر الصوان ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات . وترجع بقايا ورشة فخار مكتشفة، إلى عصر الأسرة السادسة، ومن بين الأنقاض أماكن لإعداد الطين، وحرقه، وتجفيفه، وإضفاء اللمسات الأخيرة .

وعشر أيضا على مصنوعات جلدية تعود إلى حقبة ما قبل التاريخ المدون . فكانت الصنادل، والحقائب، والوسائد، وقرب الشرب تصنع من الجلد الذى استخدم أيضا لزخرفة الأثاث، وتغطية الآلات الموسيقية الخشبية مثل «الجنك» و«الكنارة» .

وشهدت مصر طفرة اجتماعية، وحضارية، واقتصادية، خلال الفترة التى عرفت باسم «نقادة الثانية» (أو «جرزين») التى بدأت نحو ٣٦٠٠ قبل الميلاد . وزخرفت القطع الفخارية والآنية خلال هذه الفترة بمناظر حيوانات، وقوارب، ومشاهد من الحياة

البرية . ويبدو أن استخدام مثل هذه الوحدات الزخرفية ، جاء من التأثير الأجنبي الناجم عن التجارة مع البلاد الأجنبية . وفى أواخر هذه الفترة تطورت المساكن من أكواخ بسيطة بيضاوية الشكل مبنية من العيدان السميقة وفروع الأشجار ، إلى مساكن مثلثة الشكل مصنوعة من قوالب الطين المجففة تحت أشعة الشمس .

وترجع حقبة «نقادة الثالثة» إلى أواخر عصر ما قبل الأسرات ، (حوالى ٣٣٠٠ قبل الميلاد) ، الذى أسفر عن التوحيد الحضارى للوجهين القبلى والبحرى بعد قرنين من الزمان .

الحجر والمعدن

تميزت مصر بوفرة المعادن والأحجار . وربما امتازت لبنان بأشجارها ، لكن مصر كان لديها المحاجر التى تنتج كميات ضخمة من الجرانيت ، والحجر الجيرى ، والحجر الرملى ، وهو ما مكن المصريين من بناء الأهرامات وغيرها من الآثار ، واحتاجت هذه المشروعات لتوظيف آلاف الرجال .

وكانوا يحصلون على الأحجار والمعادن شبه الكريمة من الصحراء بصفة أساسية . ويعتقد أن النحاس أول المعادن التى قام قدماء المصريين بتعدينها . وهناك دلائل على أنهم عرفوا ، منذ عصر ما قبل الأسرات ؛ طرق استخراج المعدن من خامات النحاس فى سيناء والصحراء الغربية ، والذهب من الوجه القبلى . وعثر أيضا فى مقابر ترجع لعصر ما قبل الأسرات ، على نماذج من معدن الرصاص ، الذى كان نادرا للغاية . وعمل آلاف الرجال فى المناجم ، فأنشأوا صناعة مهمة ومربحة ، تطورت ضمن منظومة يديرها كبار المسئولين والأمراء . وأصبحت المعادن احتكارات يسيطر عليها البلاط ، حيث خضعت إدارة المناجم والمحاجر لإشراف كبار رجال الدولة .

كما عثر على أزاميل لنحت الحجر الجيرى والنحاس تعود إلى عصر الدولة القديمة . وأنتج الصناع أسلحة ، وأدوات ، ومساحيق الزينة ، والحلى ؛ من الرصاص ، والذهب ، والفضة والنحاس . وعمل الأقزام ضمن العاملين فى تصنيع المعادن ، كما توضح لوحة عثر عليها فوق «مصطبة» وزير من الأسرة السادسة يدعى «ميريروكا» . ومن بين فئة الصناع ، كان العاملون فى صياغة الذهب الأكثر مكانة ، فهم يحيلون

الذهب إلى رقائق تستخدم فى تذهيب الأثاث، والأسلحة، والحلى، وأقنعة الوجه، والتوايت. وكانت الفضة أكثر ندرة من الذهب فى هذه المنطقة، فاستوردت من الشرق الأقصى، واستخدمت فى صناعة المعدات، والأسلحة، وأدوات المائدة للأثرياء. وعثر فى مقبرة «توت عنخ أمون» على إناء زهور بديع على هيئة ثمرة رمان منقوش عليها زهور وأوراق شجر. وهذا الإناء مع بوق، هما الوحيدان المصنوعان من الفضة بين ما عثر عليه داخل المقبرة. كما دفن مع إحدى زوجات «تحتمس» السوريات، التى توفيت نحو عام ١٤٦٠ قبل الميلاد، مجموعة من الأقداح والعلب الصغيرة الفضية الرائعة، عليها نقوش هيروغليفية.

وتطورت تقنية التعدين تدريجيا، ووجد المصريون وسيلة لإنتاج البرونز، ثم الحديد، اللذين كانا الأفضل لصناعة المعدات والأسلحة، إذا أمكن الحصول عليهما. وأطلق على الحديد اسم «با-إت-بت» (المعدن القادم من الفردوس أو السماء) وربما يوحي ذلك بأن المعدن انصهر أولا من النيازك والشهب. ونال الحديد تقديرا عاليا نظرا لندرته فضلا عن قوته. وبدأ تصنيع السيوف والمعدات الحديدية للمرة الأولى نحو أواخر الدولة الحديثة. وخلال عصر الأسرة الثالثة والعشرين، أصبح الحديد معروفا على نحو أكبر، ولكن لم ينتشر استخدام الحديد على نطاق واسع إلا فى العصر الإغريقى الرومانى. وتظهر السجلات أن أحد ملوك «الحثيين» أرسل سيفا حديديا إلى «رعمسيس الثانى» نحو عام ١٣٠٠ قبل الميلاد، ووعده بهدايا ماثلة من نفس المعدن.

ويعتبر المصريون القدماء أول من طور علم استخراج وتصنيع العديد من المعادن. واستخدموا الزئبق لفصل الفضة والذهب من الخامات الأولية. وتخلفت عن هذه العملية مادة سوداء، كان يعتقد أنها تحتوى على قوى هائلة، حيث كان يظن أنها تحتوى المكونات اللازمة لتحويل المعادن الرديئة إلى ذهب. وحوار العرب الكلمة المصرية المعبرة عن هذا المسحوق الأسود (أسود أى «خم» فكما ذكرنا سابقا أطلق المصريون على وطنهم «خم» بمعنى الأرض السوداء، كنوع من أنواع التقدير للتربة السوداء الخصبة والغنية التى يخلفها النيل وراءه) بإضافة حرفى «ال»، ومن ثم أصبح هذا الفن يدعى «الخمياء»، أو الكيمياء كما نعرف الآن. وبهذا المعنى ترجع جذور الكيمياء إلى مصر القديمة.

النقل

السير مع التيار

كان النيل السيد المهيمن، هو الشريان الرئيسى، لحركة التجارة، وجميع أنواع الانتقالات الأخرى. كما كان (وما زال بالطبع) الطريق الرئيسى الذى يربط جميع المدن المصرية بعضها ببعض. وبحلول عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد، صنع المصريون أطوافا من حزم أعواد نبات البردى، مربوطة بحبال من الألياف المجدولة. وبعد قرنين من الزمان، أصبح لديهم حاجة متزايدة لاستيراد السلع، والدفاع عن بلدهم، ونقل المواد الثقيلة؛ فاستلزم ذلك بناء مراكب أكبر وأقوى قادرة على الملاحة فى البحار المفتوحة. فتطلب الأمر الحصول على ألواح الخشب السميكه، وهو ما يعنى استيراد الأخشاب.

ومكنت المراكب البسيطة المصنوعة من الخشب - أو «حتى» - والحبال، المصريين من السفر، والتجارة مع البلاد الأخرى، ونقل مسئولى الحكومة والعمال، وشحن السلع بما فى ذلك أحجار البناء، والمسلات؛ فضلا عن تحريك القوات والقتال فى المعارك البحرية. ولم تكن السفن الحربية المصرية هى الأفضل فى المنطقة، غير أنها ساهمت فى إنجازات هائلة أحرزها «تحتمس الثالث» و«رعمسيس الثالث» فيما يتعلق بالتوسع التجارى والمعارك البحرية. وحظيت البراعة المصرية فى مجال بناء القوارب والمراكب الشراعية بأهمية حيوية لقوة البلاد اقتصاديا وسياسيا. وأسفرت التجارة والاتصالات بين الفرعون والحكام الأجانب، عن بروز مصر كدولة موحدة ذات نفوذ فى العالم القديم، بينما أسهمت فى توسعة المملكة. وكان تأمين سبل اتصال جيدة بين الوجهين القبلى والبحرى، فضلا عن الاتصال بين الفرعون وحكام الأقاليم المصرية، أمرا ضروريا. وباستخدام المعدات، تحقق ذلك بسهولة واستمر مع سفر المصريين القدماء

شمالا وجنوبا عبر النيل . وواصل المصريون صنع القوارب الصغيرة والأطواف من أعواد البردى، وغالبا ما استخدمت أطواف البردى الصغيرة فى صيد السمك . وكانت هذه الأطواف تستقر فى المياه الضحلة، للصيد بالشباك . بينما استخدم الصيادون الحراب والرماح للحصول على الأسماك فى المياه العميقة .

وبحلول عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد، كان المصريون قد صنعوا القوارب الشراعية، وأصبحت الرياح قوة دفع، وهو مبعث راحة لمن يتولون بالتجديف! . ونظرا لأن الرياح تهب من الشمال بوجه عام، كما أن الإبحار عكس الرياح لم يكن قد عرف بعد، فقد استخدمت المجاديف بصورة أفضل فى السفر باتجاه مجرى النهر، بينما خففت المراكب الشراعية من صعوبة السفر ضد التيار . وصممت الأشعة بحيث يمكن فكها عند عدم الحاجة لاستعمالها . وأصبحت الكلمة المعبرة عن الإبحار مع مجرى النهر «خد» - بكسر الخاء - ويمثلها شكلا يصور قارب بلا شراع، بينما تشير «خنتى» إلى الإبحار عكس التيار، ويمثلها قارب له شراع .

وتركزت معظم القرى والمعابد قرب النيل، ويمكن الوصول إليها بالقارب (الذى أسماه المصريون «ديبيت») - وهو أمر منطقي أيضا، حيث تنقطع الطرق خلال موسم الفيضان السنوى، وتعزل القرى بعضها عن البعض الآخر . ومن ثم، كانت القوارب أكفأ وسائل السفر والانتقال على مدار العام، حتى بعد أن جلب الهكسوس معهم العجلات خلال عصر الاضمحلال الثانى .

وبحلول عصر الأسرة الثالثة، شقت المراكب التجارية المصرية البحر الأحمر وشرق البحر المتوسط، حاملة البضائع، فى مغامرات منتظمة . ولم تكن القوارب تستخدم فقط كمراكب لشحن البضائع فى البعثات التجارية، ولكن استخدمت أيضا فى نقل كتل الجرانيت من المحاجر إلى المواقع المختارة لبناء المعابد والأهرامات . وقامت المراكب الكبيرة بنقل أعمدة ضخمة من الأحجار والمسلات - التى يزيد وزنها عن ٣٠٠ طن - لتزيين القصور الملكية والآثار المقدسة . كما استخدمت المراكب أيضا فى المواكب الاحتفالية، حيث تحمل صورة المعبود على هيئة تمثال خلال الاحتفالات الدينية . وخلال عيد «أويت» السنوى المكرس لآمون (الخالق) حيث يجر تمثاله على مركب كبير من بيته فى معبد الكرنك إلى معبد آخر فى الأقصر .

كيف تواصل الحياة بعد وفاتك؟

مثلت القوارب والمراكب الوسيلة الرئيسة للنقل، ليس للأحياء فحسب وإنما للراجلين أيضا. وكان يعتقد أنه مع الشروق، تبدأ الشمس رحلتها اليومية فوق السموات على ظهر مركب الشمس، التي يقف رع عند دفتها. وتصحب أرواح الذين رحلوا في ذلك اليوم رع والشمس في الرحلة عبر السموات. وعند الغروب، يأخذ مركب الشمس الراحلين حديثا عبر مملكة العالم السفلى إلى محكمة «أوزيريس»، حيث يحكم على كل امرئ وفقا لما قام به من أعمال في حياته. ولهذا الغرض، تركت نماذج لقوارب صغيرة مع الراحلين في قبورهم. وقد عثر على نموذج خشبي لمركب الشمس الخاص بالفرعون «توت عنخ آمون» بين كنوزه الكثيرة، كما كدست بين ممتلكاته سبعة نماذج لقوارب. وأحد هذه النماذج منحوت من المرمر المزخرف ومثبت فوق قاعدة مطلية. ونحت القارب ببراعة على هيئة وعل ذي رأسين، واستكمل الشكل بقرون حقيقية. وعلى ظهر القارب شخصان، أحدهما قزم يدفع المركب للأمام، والآخر فتاة صغيرة تشبك برعم زهرة لوتس على صدرها. وعثر أيضا على عدة نماذج لقوارب وعلى ظهورها رجال ونساء، في مقبرة مستشار من عصر الأسرة الحادية عشرة، يدعى «ميكيترا»، مع نماذج مصغرة من قوارب النزهة التابعة له، بالإضافة إلى نموذجي مركب من البردي، مع ١١ صيادا يجذبون شبكة مليئة بالسماك.

وغير بعيد عن هرم خوفو الأكبر في الجيزة، عثر في العام الميلادي ١٩٥٤ على حفرة ضخمة مثلثة الشكل ويبلغ عمقها مئة قدم. وتحتوي هذه الحفرة مركب شمس الملك خوفو الاحتفالية مسطحة القاع، وهي مفككة. واعتبرت هذه المركب أقدم سفينة مكتشفة على الإطلاق. وكانت الحفرة مغطاة بما يزيد عن أربعين كتلة من الحجر الجيري الملتصق، وتحمل ألواح ضخمة من خشب الأرز الرائع من بابل، فضلا عن اثني عشر مجدافا، وبلغ عدد القطع التي عثر عليها ما يزيد عن ألف قطعة، مرتبة في ١٣ مجموعة. وقد وضعت علامات على القطع الرئيسة، حتى يمكن تجميعها بسهولة. وفي أقل من ١٤ عاما جرت إعادة تجميع المركب، الذي بلغ طوله ١٤٠ قدما، وهو معروض حاليا في متحف مركب الشمس بالجيزة. وربما كان هذا هو المركب الذي نقل خوفو في رحلته الأخيرة إلى مكان مقبرته، أو ربما لم يستخدم هذا المركب على الإطلاق، وكان المقصود منه نقل «خوفو» إلى الحياة الأخرى.

ولم يكن المصريون محبين للسفر، وعندما يضطرون لمغادرة أرضهم، كانوا يفعلون ذلك في دعر هائل . . فالموت في أرض أجنبية من شأنه أن يحول دون إجراء مراسم دفن صحيحة، وهذا يمنع الشخص من أية فرصة للخلود .

فى البر

أما الانتقال برا، فيمارسه العامة سيرا على الأقدام، أو فى أحسن الأحوال يركبون الحمير . ويستقل أفراد الأسرة الملكية، والأثرياء، وقادة الجيش، محفة أو هودجا مصنوعا من الخشب الفاخر المستورد، مثل الأبنوس . ويدعم هذه المحفات أعمدة خشبية مطلية بالذهب، ويحميها من الشمس مظلة أو سقف يحمله موكب من الخدم .

وعلى الرغم من أنه يبدو أن الخيول استخدمت فى العديد من الأغراض بعدما جلبها الهكسوس (خلال غزوهم لمصر فى عصر الاضمحلال الثانى)، إلا أن هناك دليلا على أن استخدام الخيول بدأ قبل ذلك بمائتى عام، فى شكل نحت لحصان يعود إلى نحو العام ٢٠٠٠ قبل الميلاد . بالإضافة إلى العثور على بقايا عظام خيول من عصر الدولة الوسطى . وما أن جلب الهكسوس المركبات ذات العجلات والخيول (حوالى ١٦٠٠ قبل الميلاد)، حتى أخذ الأثرياء يركبون المركبات التى يجرها الخيول، وكانوا يسمون هذه المركبات المصنوعة من المعدن «السفن التى تبخر فى الصحراء» . واستعملت الخيول لجر مركبات صغيرة خاصة للصيد، بالإضافة إلى الانتقال . واستخدمت مركبات أكبر فى الحملات الحربية، ومواكب الاحتفالات . وفى مناسبات خاصة تزين الخيول بزخارف فخمة منها أقنعة بديعة التصميم، وشرابيب طويلة، وريش طيور كبيرة . ويقتصر هذا الاستعراض على أفراد الأسرة الملكية، وكبار مسئولى البلاط، وقادة الجيش؛ حيث مثلت الخيول ترفا، فهى باهظة الثمن، فضلا عن تكلفة تربيتها المرتفعة .

ولم يستخدم الجنود المصريون الخيول كفرسان، وإنما لجر العجلات الحربية بالتحديد . فهل اعتبروا امتطاء ظهور الخيل أمرا مهينا؟ . . ويعتقد أن «رعسيس الثانى» امتلك العديد من اسطبلات الخيول التى غطت مساحة تبلغ نحو ألفى متر مربع .

وعرفت الإبل فى مصر القديمة، رغم أنها لم تصبح وسيلة انتقال مهمة حتى جلب الفرس معهم أعدادا كبيرة منها عند غزوهم البلاد (٥٢٥ قبل الميلاد). وكان الجمل قادرا على البقاء من دون طعام وشراب لفترة أطول من الحمار، كما كان أسرع فى الترحال. وقد عثر على قبر لجمل يرجع إلى عصر الأسرة الأولى والثانية، وفى «جدو» عثر على أوانى للزهور منحوتة على هيئة هذا الحيوان، ترجع إلى الدولة القديمة.

من قصص العصور

نقشت على بردية ترجع إلى نحو ١٨٠٠ قبل الميلاد، مجموعة من قصص مغامرات فى أعالي البحار، منها قصة شعبية بعنوان «الملاح التائه». وتبدأ ببحار يقص على الوزير الأكبر، قصة اصطدامه الهائل بجزيرة زاهرة فى عرض البحر المتوسط، مع تعهده بهدايا للملك. فقد أبحر البحار ومعه ٥٠٠ من أشجع رجال مصر وأكثرهم حنكة، على ظهر سفينة ضخمة يزيد طولها عن مئة قدم وعرضها عن ثلاثين قدما، فى بعثة إلى المناجم. وبينما هم مبحرين، هبت عليهم رياح هوجاء، وعاصفة مهلكة. واصطدمت السفينة بأموج عاتية، وصل ارتفاعها إلى ٣٠ قدما، فهلك العديد من الرجال، سقطوا فى البحر، وفى النهاية تبعتهم السفينة نفسها.

وألقى بحارنا، الذى يجاهد للبقاء على قيد الحياة، بنفسه من فوق المركب الذى بدأ فى الغرق؛ وتشبث بلوح من الخشب، وظل التيار يجرفه وهو متشبث باللوح الطافى لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال. وفى اليوم الرابع، طرحته موجة عملاقة على شاطئ جزيرة غريبة وغامضة؛ جزيرة «كا». فزحف لاهثا إلى مأوى تحت شجرة.

وبعد أن استراح قليلا، سرعان ما قرر أن يستكشف ما حوله، ويبحث عن ناجين آخرين. وتسمر من هول المفاجأة عندما رأى قدرا هائلا من الكروم والشجيرات التى تحمل العنب، والتين، والتوت. وشاهد حيثما وجه بصره، فيضا من الحياة: القمح، والشعير، والخيار، والكراث، والبطيخ، والسّمك، والطيور، والأفيال، وأفراس النهر، والقروود، والكلاب، والزراف؛ كلها تجول فى الجزيرة غير الآهلة بالبشر. وبعد أن ملأ معدته بالفاكهة، قرر أن يحفر حفرة ويشعل فيها النار. وشرع فى طهى بعض اللحم وسمكة لنفسه، وقدم قرايين مشوية للآلهة امتنانا من أجل سلامته، وحسن حظه.

وسرعان ما بدأت الأرض تهتز، والأشجار تضطرب. وفجأة برز شعبان عملاق جسمه مكسو بحراشف ذهبية، رافعا رأسه نحو البحار الممتلئ رعبا. وفتح الشعبان فكيه، وتحدث الشعبان بصوت هادر، سائلا البحار عن المكان الذى جاء منه. وقال إنه إذا كانت إجابة البحار مغايرة لما كان- الشعبان- قد سمعه فعلا من قبل، فسيلتهمه.

وحكى البحار، وهو يرتعد رعبا، قصة العاصفة المهلكة، وموت زملائه من طاقم السفينة. وكان فزعا حتى أن الشعبان تحدث، وطمأنه أنه آمن لأنه جاء للجزيرة عبر البحر، وأنه كان المخترع والناجى الوحيد من الكارثة التى هلك فيها العديد من الرجال العظماء. وكشف الشعبان عن أنه واحد من ٧٥ شعبانا عاشت على الجزيرة، بالإضافة إلى فتاة صغيرة جاءت مؤخرا، عندما سقط نجم (*). وأخبر الشعبان البحار أن لديه نعمة القدرة على التنبؤ، وتنبأ له بأن سفينة إنقاذ ستصل خلال أربعة شهور لتعيده إلى بلده. ونظرا لإحساسه الغامر بالامتنان، تعهد البحار بالعودة إلى الجزيرة ومعه كنوز وقرابين- عطور، وبخور، وحيوانات من مصر- كهدايا للشعبان.

وضحك الشعبان؛ فلم تكن جزيرته بحاجة لأى شىء يمكن أن يحضره البحار. وأضاف أن جزيرة «كا» سوف تغرق فى البحر الذى جاءت منه بعد أن يرحل البحار، ولن تظهر نفسها مرة أخرى إلا للثائه المخترع التالى.

وبعد مرور أربعة أشهر، وصلت السفينة. وأهدى الشعبان للبحار هدايا من العاج، والكحل، والعطور الفاخرة، ونبات السنا، والتوابل، والأخشاب، والذهب، والفضة، والزراف، والقروء، ليأخذها معه إلى مصر. وأمضى هو ورفاق السفينة الجدد شهرين مبحرين، وشاهد الجزيرة تتضاءل وتتضاءل حتى اختفت من مجال البصر- تماما كما أخبره الشعبان.

وتأثر الوزير بهذه القصة للغاية، ونقلها للفرعون، الذى أمر بدوره رئيس الكتبة «أمون أمونا» بتدوينها على البردى. وكوفئ البحار بمنصب كبير موظفى القصر، تعويضا له عن محنته ومكافأة عن روح المغامرة- أو ربما لإبداعه فى اختراع هذه القصة لتفسير الكيفية التى أصبح بها ثريا!

(*): القصة المذكورة باختلاف بسيط فى التفاصيل فى موسوعة سليم حسن «مصر القديمة»، الجزء السابع عشر، حيث يذكر الشعبان فى صفحة ٥٣ إلى أن شهابا سقط على الجزيرة فأحرق بقية الثعابين والطفلة، وبقي هذا الشعبان وحده- المترجمة.

التجارة الدولية قديما

فى العصور القديمة، جاب المصريون البحار فى سفن تجارية، وأقاموا علاقات تجارية مع العديد من البلاد. وبمرور الوقت، أقيمت طرق للتجارة إلى النوبة، وبلاد بونت، وقبرص، وسوريا، وبلاد الإغريق، وكريت. وكانت الحبوب سلعة تصدير مثمرة ومربحة، ومثلها ملح النظرون، والبردى، والجمعة، والنبيد، والعطور، والحلى، والقرميد، والكتان. وعززت التجارة مع النوبة وسيناء من الوضع السياسى والاقتصادى لمصر، وساعد الذهب على كسب الدعم السياسى من الحكام الآسيويين.

الأخشاب

نظرا لندرة الأنواع الجيدة من الأخشاب المحلية، استوردت مصر الخشب بكميات كبيرة. فلم تكن الأشجار المحلية - الجميز، والطرفة، والسنت - تنتج خشبا من نوعية تصلح للبناء. وكان الطلب شديدا على الخشب للبناء، وصناعة الأبواب، وإطارات النوافذ، والتوابيت، والأثاث، والأسلحة، والآلات الموسيقية، والسفن - فمن دون خشب الأرز لم يكن المصريون بقادرين على بناء السفن الرائعة التى خاضوا بها المعارك. كما استوردوا الأبنوس، وغيره من الأخشاب الصلبة الاستوائية من شرق أفريقيا، وغالبا ما كانوا يبادلونها بأخشاب مثل الأرز، والصنوبر والسرو من بابلوس (لبنان حاليا).

وكانت بابلوس من أهم شركاء مصر التجاريين فى ذلك العصر، حيث كانت تورد الحديد والفضة والأخشاب. ويرجع استيراد مصر لخشب الأرز من بابلوس إلى عصر

الأسرة الأولى، واستمر حتى ما قبل قرن من الميلاد. وكان موقع ميناء بابلوس استراتيجيا حيب وفر وسيلة ملائمة للحصول على الأشجار المطلوبة بشدة. وأطلق الإغريق على هذه المدينة، وعلى البردى، اسم «بابلينا»، وفيما بعد كانت هذه التسمية تعنى «الكتاب» ومنها جاءت تسمية «الكتاب المقدس» باليونانية.

كنوز من كل نوع

جلب المصريون الفيروز من صحراء سيناء. وترجع تجارة مصر مع سيناء إلى بداية عصر الأسرة الثالثة، حيث استوردت منها النحاس والأحجار شبه الكريمة، والزيوت، وخشب الأرز. ويعتقد أن المصريين استوردوا القصدير من بلاد فارس والشام. وجلبوا التوابل وجلود الحيوانات النادرة من مناطق فى أنحاء الشرق الأوسط. وبدأ استيراد الخيول خلال عصر الدولة الحديثة، وسرعان ما أصبح الحيوان الأليف الوحيد الذى يتم التعامل فيه تجاريا بكميات كبيرة مع البلاد الأخرى.

ورغم أن إنتاج مناجم الذهب المصرية كان معقولا، إلا أن المصريين استوردوا أيضا الذهب من النوبة (فى السودان). وأطلق المصريون على الذهب اسم «نوب» ومن ثم أصبحت «نوبيا» تعنى «أرض الذهب». ومن النوبة جاءت التوابل المستوردة، والعاج، والنحاس، والأبنوس، والصمغ، والأخشاب، والجرانيت، وحجر الجمشة؛ وجرى تبادل هذه السلع مقابل معادن أخرى ولفائف البردى المصرية، والقمح، والشعير. وأمدت النوبة مصر أيضا بريش النعام، وجلود النمر، وحلقات الذهب، والعبيد، والحيوانات مثل القروود، والزراف، والكلاب، والماشية فى مقابل السلع المصنعة المصرية ومن بينها الأدوات النحاسية، والسلك المملح، ومنتجات الجلود، والكتان بالإضافة إلى الحبوب.

ومن «أرض البخور» المعروفة باسم «بونت» استورد المصريون شجيرات العطر لصناعة العطور، والزيوت والبخور (الذى كان يعرف باسم ستجر). وترجع العلاقة التجارية بين مصر وبلاد «بونت» إلى عصر الأسرة الخامسة. وخلال عصر الأسرة الثامنة عشرة، خرجت الملكة «حتشبسوت» على رأس بعثة تجارية من خمسة سفن إلى بلاد «بونت»، وسجلت هذه البعثة على جدران معبد الدير البحرى. ونتيجة لهذه البعثة التى سافرت خلال السنة التاسعة من حكم «حتشبسوت»، جلبت الملكة ورجالها

إلى مصر كميات كبيرة من البخور والحيوانات النادرة. وتحدثت المشاهد التفصيلية المسجلة على جدران المعبد الكثير عن الرحلات التجارية إلى «بونت».

وفى عهد الملك الطفل «پيى الأول» الذى حكم خلال عصر الأسرة السادسة، أرسلت بعثة شهيرة أخرى. وقاد هذه البعثة «حارخوف» الذى أرسل رسالة إلى الفرعون يخبره فيها إنه التقى بقرم راقص مسل. وابتهج الفرعون الذى كان طفلا، وانتظر عودة البعثة بلهفة. ووصل «حارخوف» والقرم سالمين؛ وطبقا للنقوش على مقبرته، عاد «حارخوف» ومعه ٣٠٠ حمار، حاملين شحنة من البخور، والزيت، والحبوب، وجلود النمر، والأبنوس، وسن الفيل. وحصل «حارخوف» على مكافأة مجزية، ورقى إلى منصب حاكم الإقليم الذى يقيم فيه.

ويعتبر المصريون أول من عرف تشكيل الزجاج، فأبدعوا قطعاً فنية فى هيئة جرار، وزخارف وأشكال. ومنذ عصر الدولة القديمة، كانت التماثيل والتماثيل الصغيرة للحيوانات تصنع من الزجاج. وقد عثر على بقايا أعمال زجاجية ترجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة. وتوضح اللوحات المنقوشة على المقابر، انتشار صناعة تشكيل الزجاج انتشاراً كبيراً. وحظى هذا الفن بشعبية خلال عصر الدولة الحديثة، عندما بدأ تسويق الأواني الزجاجية على نطاق واسع، وأصبحت اللآلئ المقلدة المصنوعة من الزجاج سلعا للتصدير.

أما الخزف، أو على الأصح مزيج التزجيج^(*) (الذى أطلقوا عليه تجهنت)، فيصنع بتسخين مسحوق الكوارتز. وأصبح صقل الخزف الأسلوب السائد فى زخرفة التماثيل والأنية خلال الدولتين الوسطى والحديثة، نظراً لكونه أقل تكلفة من حجر اللازورد، المستورد من أفغانستان. وصارت الحلى، والتماثيل، وأواني الزهور والأقداح ضمن المنتجات الهائلة المصنوعة من الخزف، وسرعان ما أصبحت صادرات مشهورة.

الموازن

استخدمت الموازين القياسية لوزن السلع، وحساب قيمتها. فكان «دبن» - بكسر

(*) وفقاً لتعريف مجمع اللغة العربية هو «خليط مصهور من الرمل والأكاسيد يستعمل فى صنع الزجاج والخزف». . . ويسمى فى معاجم أخرى الفريته - المترجمة.

الدال والباء يعادل ٣,٣ أوقية . أما «كايت» (الذى ظهر بعد عصر الأسرة الثانية عشرة) فيزن ٣,٠ أوقية . واستخدم «كايت» لوزن الذهب والفضة، بينما استخدم «دبن» لوزن النحاس .

ولا يعتقد أن العملات استخدمت قبل الغزو الفارسي، حوالي ٥٢٥ قبل الميلاد . حيث كانت حلقات غير مدموغة من الفضة والنحاس، تستخدم قبل ذلك كقيم نقدية . وتتم المقايضة باستخدام سلع مثل الذهب، والفضة، والنحاس والحبوب . وانتشرت الأسواق فى المناطق المفتوحة، كمراكز تجارية حيث تجرى المقايضات والمعاملات التجارية .

القانون والحكومة

أصبحت مصر أول أمة، أو دولة، موحدة في العالم، مع ضم إقليمى الوجه القبلى والوجه البحرى، كقطر واحد تحت حكم الفرعون، حوالى عام ٣١٠٠ قبل الميلاد، فى أوائل عصر الأسرات. واحتاج هذا الكيان القومى الكبير لعمل منسق ومنظم على نطاق واسع، مع نظم إدارية جديدة وحكومة لإدارتها.

وكان الفرعون أكثر الأشخاص نفوذا فى مصر، حيث يعتقد أنه نصف بشر ونصف إله، أى هو تجسيد للمعبود. وكملك وحاكم، أعتبر وسيطا بين جماهير مصر وألتهما. ونظرا للاعتقاد فى أنه مختار من قبل الآلهة أنفسهم، اعتبر الفرعون حائزا لأسرار السماء والأرض. ومنحت هذه القوة الكلية المتصورة سلطات كاملة للفرعون، ووضعت على عاتقه مسئوليات عديدة تجاه شعبه وتجاه الآلهة. فكانت أهم واجباته خدمة الآلهة من خلال الحفاظ على السلام والانسجام فى ظل قوانين «ماعت». فسيطر الفرعون على الحكومة، والجيش، والاقتصاد بأكمله. ووضع القوانين المنظمة، وأدار البعثات التجارية والتعدينية، وأشرف على أعمال الرى، وتولى إدارة السلطة القضائية؛ فكان الكاهن الأكبر، والقائد الأعلى للجيش، والمسئول عن تطبيق القانون.

ولما كانت هذه الالتزامات، أكثر من أن يستطيع شخص واحد القيام بها مباشرة، فقد كلف الفرعون مسئولين وكهنة لتنفيذ المهمات الحكومية، والقيام بالوظائف الدينية. وقسمت الحكومة إلى فروع: الخدمة المدنية، والدينية، والعسكرية. واعتبر الوزير- الذى يعينه الملك من بين أبناء الأسر الملكية- أعلى المسئولين مكانة، ويشار إليه

باعتباره «الرجل الذى نرفع إليه تقاريرنا جميعا». ولم يكن الوزير أو المشرف العام الذى يسميه المصريون «تجاتى» يساءل إلا بواسطة الفرعون، الذى يتولى تنفيذ أوامره وقراراته. ومن ثم، فهو على اتصال يومى وثيق مع الفرعون، وأيضا مع كبار الكهنة، وقادة الجيش؛ ويهتم بأمور الأعمال، وتطبيق القوانين فى أنحاء البلاد، منتقلا نائبا عن الفرعون ومتحدثا باسمه. وترجع السجلات الموجودة والمذكور فيها إشارة إلى منصب الوزير فى مصر، إلى عصر الأسرة الثالثة. وفى أول الأمر كان الفرعون يعين وزيرا واحدا؛ وبحلول الأسرة الثامنة عشرة صار يعين وزيرين الأول للوجه القبلى من «أواست» ويحكم الثانى الوجه البحرى من «منف».

وشملت مسئوليات الوزير الإشراف على أمور العدل، والزراعة، والرى، ومشروعات البناء والأشغال العامة. ويتولى الوزير أيضا المالية، والإيرادات، وجباية الضرائب، والنظام العام. كما يشرف على صوامع الغلال، والمزارع، والمناجم، والمحاجر. وبالتالي، يمكن للمرء أن يتخيل أن يحصل الوزير فى المقابل على ثروة وامتيازات ضخمة.

وخلال عصر الأسرة الثانية، قسم الوجهين القبلى والبحرى، إلى أقاليم إدارية؛ أطلق عليها المصريون «سيبات». ولكن ربما كان القارئ على معرفة أقرب بالتعبير اليونانى «نوم»^(*). وقسم الوجه القبلى إلى ٢٢ إقليما، وضم الوجه البحرى ٢٠ إقليما. وكثيرا ما كانت الحدود تتعرض للتعديل، غير أن عدد الأقاليم ظل ثابتا عند رقم ٤٢. ولكل إقليم خزائنه الخاصة، ومركزه الإدارى أو العاصمة، ومحكمة، وجيش، ومعابد مخصصة لآلهة معينين تعبد فى هذه المنطقة بوجه خاص. ويعين الفرعون حاكما للإقليم يدير شئون إقليمه، ويتولى تنفيذ المهام الملقاة عليه، ويحافظ على النظام داخل الإقليم، بينما يسهم فى نجاح إدارة البلاد ككل. ويخدم كل حاكم إقليم ضمن الحكومة المركزية الرئيسة، ويدير إقليمه فى ظل السلطة المنفردة للفرعون. ويرفع حكام الأقاليم تقاريرهم اليومية للوزير (الوزيرين). وللوزير هيئة موظفيه التى تتكون من مسئولين حكوميين ومشرفين آخرين، يخضعون لسلطته. وهؤلاء المسئولون يعملون كجهة اتصال مع الفلاحين والمزارعين. ويعمل تحت سلطة هؤلاء المشرفون الكتبة، الذين يحفظون سجلات بجميع التعاملات ويسجلون جميع المعلومات الضرورية التى يطلبها الفرعون.

(*) المؤلفه تصد بالطبع القارئ للكتاب الأصلى بلغته الانجليزية - المترجمة.

وكانت مصر دولة ثيوقراطية، حيث سيطر رجال الدين عليها جزئيا. وعمل العديد من الكهنة كمستشارين ووزراء للفرعون، لمجرد أنهم اعتبروا جديرين بهذه المسؤوليات. وخلال عصر الأسرة الخامسة، تزايدت سلطات الكهنة وبدأوا ينافسون الفرعون. وللحفاظ على علاقات ودية، بين السلطتين، ولمصلحة التعاون المتبادل، استثنى الفرعون الكهنة من دفع الضرائب. ولم تسفر هذه الخطة إلا عن تعزيز السلطة الدينية، وإلى حد ما، إضعاف اقتصاد الدولة؛ ومن ثم ساهم في أفول الدولة القديمة.

وبحلول عصر الأسرة السادسة، حصل حكام الأقاليم أنفسهم على سلطات ضخمة، منحتهم امتيازات وحصانات عديدة. وعندما أصبح المنصب وراثيا، بدأت سلطات حكام الأقاليم واستقلاليتهم تتزايد، ولم يعد الفرعون يستطيع الاعتماد عليهم، مما ساهم أيضا في سقوط الدولة القديمة.

وبمجيء عهد الدولة الوسطى وما بعدها، بدأ الفراعنة والوزراء تنظيم الإدارة على نحو مغاير. فأصبح يمكن لأى ذكر متعلم ومؤهل الالتحاق بالعمل الحكومى. وخلق هذا العامل طبقة من المصريين الأكفاء القادرين الجادين فى العمل الذين يستحقون الحصول على مقابل مجز لعملهم. واتسعت فرص التوظيف المهني، حيث ظهرت مناصب جديدة بحاجة لمن يشغلها. وبدأ فتح المدارس لتأهيل الرجال ليصبحوا كتبة وموظفين رسميين، وساهم ذلك كله على نحو كبير فى دعم اقتصاد البلاد.

ويعتبر «إمحتب» العظيم أبرع وأشهر الوزراء، ويعنى اسمه «أقبل فى سلام». وهو وزير الفرعون «زوسر» من الأسرة الثالثة. وبدأ «إمحتب» حياته كرجل من العامة، ولكنه ترقى عبر صفوف الحكومة وخدمة المعابد، ليصبح الكاهن الأكبر لمعبد «بتاح» مستشار الفرعون وكاتم أسراره. ولم يكن وزيرا فقط، ولكن أيضا طبيبا بارعا وكاتباً. واشتهر بعبقريته المعمارية؛ حيث صمم أول أثر فى التاريخ بنى من الحجر كليا، وهو هرم سقارة المدرج. واعتبر «إمحتب» حكيما، وبحلول الدولة الحديثة صار «راعى الكتبة»، وابن الإلهين العظيمين «بتاح» و«سخمت». وبعد ألفى عام، تأله «إمحتب» تماما وصار إله الحكمة، والطب، والعمارة، والفلك. وكان الوحيد من غير أبناء الأسر الملكية الذى يؤله ويعبد فى مصر. وبنيت المعابد فى أنحاء البلاد لعبادته. وقد عثر على تماثيل من البرونز تصوره كإله. واعتبر الإغريق «إمحتب» هو نفسه «أسكليبيوس» إله الطب عندهم.

القانون والنظام

مثلت «ماعت» القانون الأساس لجميع الطبقات الاجتماعية. وشكلت العدالة، والاحترام، والأخلاق القيم التي عاش بها جميع المصريين؛ ولم يكن هناك من هو فوق هذا القانون على الإطلاق. وبوجه عام، كان المواطنون في مصر القديمة طائعين للقانون، حيث خشوا العقاب في الحياة الدنيا والآخرة. وكانت الدعاوى القضائية تنظر في المحاكم المحلية، باستثناء الجرائم التي تنطوي على عقوبة الإعدام، التي ينظرها الفرعون باعتباره القاضى الأعلى. وأقيمت في كل إقليم المحاكم التي عرفت باسم «كينيت». وأنشئت محكمة عليا في عاصمة كل إقليم. ودارت أشهر دعوى قضائية في مصر القديمة حول «مؤامرة الحریم» ضد «رعمسيس الثالث». حيث حوكم أربعين شخصا، من ضمنهم زوجة ثانوية للفرعون، وأحد كبار المسؤولين يدعى «هوى» كان يشرف على قطعان ماشية الملك، وأحد قادة الجيش، والمشرف على الخزانة، وعدد من الكتبة، وخدم من القصر وستة نساء من الحریم. وتولى نظر هذه الدعوى ١٤ قاضيا، وأصدروا أحكامهم ضد المدانين بتشويه وجوه البعض، وإعدام البعض الآخر.

واعتبر الحنث باليمين، والرشوة، والسرقة، وتخريب أو نهب المقابر، وحياسة سلع مسروقة ومقاومة مسئولى الدولة تهما جنائية، بينما اعتبرت سرقة المقابر أسوأها. وفي عهد «رعمسيس التاسع» اتهم بناء اسمه «أمون بنفر» بسرقة مقبرة، وانتزعت منه اعترافات تفصيلية بواسطة ضربه بالعصى. كما اعتبرت جريمة عدم الوفاء بالدين خطيرة للغاية، وغالبا ما يحكم على مرتكبيها برد المبلغ المستحق، مع نسبة فائدة مرتفعة. ومن الممكن أن تأخذ الأحكام صورة دفع التعويض الإجبارى، أو الغرامات، أو السجن، أو العمل الإجبارى، أو النفى إلى النوبة، أو مصادرة الممتلكات، والعقوبة الأشد، هي الإعدام. ويعاقب المجرمون العاديون بالضرب، أو الجلد، أو تشويه الملامح، أو البتر. وكانت المظالم تقدم بواسطة المواطنين، ففتح تحقيقات، تؤدى إلى استجواب واستقصاءات حول خلفية المتهم وتاريخه.

وكثيرا ما تدخلت السلطات الدينية فى القضايا الثانوية، حيث يستدعى وسطاء رويون لتسوية النزاعات، أو للمساعدة فى الإمساك بالمجرمين. وحدثت إحدى هذه القضايا المدونة على البردى، خلال عصر الدولة الحديثة، عندما اعتقد أن تمثال «أمون» حل لغز جريمة بشأن عامل اسمه «بيتجو-إم-دى-أمون»، خلال مهرجان عيد

«أوبت» فى أواست . حيث سرقت خمس قطع من الملابس من مخزن للملابس أثناء نوم الحارس . فبعد تلاوة أسماء عدة مشتبه بهم ، أو ما تمثال آمون - باعتباره وسيطا روحيا - عند ذكر اسم العامل ، الذى أصر أنه برىء ، وطالب بالحصول على (أو على الأرجح تضرع من أجل) فرصة أخرى مع وسيط روحى آخر . وأكد الوسيط الثانى حكم الأول . ثم أكد الحكم وسيط ثالث ، وبعد أن ضرب المتهم مئة مرة بجريدة نخل ، اعترف ووافق على إعادة الملابس المسروقة . وأمرته المحكمة أن يقسم بأنه لن يتراجع عن وعده ، وإلا ألقى به إلى التماسيح .

وكثيرا ما تولى ضباط الجيش أمر تنفيذ القانون . وخلال عصر الدولة الوسطى أو بداية عصر الاضمحلال الثانى ، كان أفراد «فيالق الصحراء» يجندون من أبناء النوبة ، وعرفوا باسم «مدجاي» . وخلال عصر الأسرة السابعة عشرة ، كان أفراد قوات «مدجاي» يوصفون بأنهم محاربون ممتازون ذوو قوة هائلة ومهارة . وبحلول عصر الدولة الحديثة ، صار هؤلاء الرجال الأشداء الذين عاشوا فى الصحراء مرادفا لمفهوم «الشرطة» حاليا . وخلال عصر الأسرة الثامنة عشرة ، اتهم «ميناء» القائد الأعلى لقوات «مدجاي» واسمه «مينت موسى» ، بعدم الوفاء بدين مستحق له ، ورفع «ميناء» الدعوى إلى المحكمة ؛ واستمر نظر القضية ١٨ عاما ، وفى آخر الأمر تم التوصل إلى تسوية القضية من خلال تبادل سلع .

وأدى الفساد والنهب إلى شلل فى أحوال الدولة خلال الأسرتين العشرين والحادية والعشرين . ويقال أنه خلال هذه الفترة غاب احترام الموتى ، ونهبت ممتلكاتهم ، حيث سرقتها من مقابرهم عصابات منظمة من المجرمين . وفى عهد «رعمسيس التاسع» (الأسرة العشرين) ، أجريت محاكمة خاصة بنهب مقبرة . وتظهر هذه المحاكمة ضعف الحكومة ، وسلطة الملك ، والقانون فى تلك الأيام . حيث طلب «پاسر» ، وهو وزير ومن كبار كهنة آمون ، إجراء تحقيق بشأن عمليات سطو على مقابر قام بها أمير ومسئول كبير اسمه «پويرو» بالتواطؤ مع مسئولين آخرين . وواجه «پاسر» تهديدات عديدة ، وإهانات من «پويرو» ، الذى تصادف أيضا أن كان حاكم البر الغربى من «أواست» ورئيس شرطة مدينة الموتى فى ذلك الوقت . وتبين أن عدة مسئولين ذوى مراكز عليا مذنبون ؛ ومع ذلك لم يعرف مصير «پويرو» . ووصفت أحداث المحاكمة فى بردية «أبوت وأمهرست» .

نختم هذا الباب بقصة مصرية شعبية بعنوان «سارق الكنز»، التي يعتقد أنها وقعت في عهد رمسيس الثالث، الذي نجح في صد غزوات الأعداء من البلاد الأجنبية، واتسعت المشروعات التي بنتها الدولة، وأرسل العديد من البعثات التجارية. وجمع الفرعون ثروة طائلة، حتى أنه احتاج خزانة خاصة لحفظ هذه النفائس. فاستدعى وزيره وكبير بنائيه «حور محب»، وأمره ببناء خزانة ضخمة من الأحجار المتينة، لها أكثر الجدران سمكا، بما لا يسمح بدخول أى شخص بشكل غير مشروع لهذا البناء.

وسر «حور محب» بمهمته الجديدة بالغة الاحترام، وشرع في تصميمات بناء الخزانة. وبأوامر منه جند أفضل البنائين المصريين للعمل ليلا ونهارا في هذا المشروع العظيم (وهو ما زال باقيا حتى الآن ويعرف باسم مجمع مدافن مدينة هابو). وما أن اكتمل بناء هذا السرداب الشاسع الفخم، حتى أودعت فيه نفائس «رعمسيس الثالث». وزودت الأبواب المصنوعة من الحجر والحديد والبرونز، بأثقل أقفال يمكن تصورها، وختمت بالختم الملكي الخاص بالفرعون.

بيد أن «حور محب» كان قد بنى، بغير علم الفرعون (وأى شخص آخر) ممراسريا على نحو بارع؛ بنية منح نفسه مكافأة إضافية فوق ما سيحصل عليه من الفرعون بمجرد انتهاء العمل. ولكن «حور محب» سقط مريضا عقب قليل من انتهاء المشروع. فاستدعى ولديه، وكشف لهم من على فراش موته، موضع الممر السرى. وحذا الولدان حذوه، فقاما بقليل من الرحلات السريعة للتنقيب في خزانة الملك. وفي نفس الوقت، تصادف أن اكتشف الفرعون، أن كنوزه تتناقص، على نحو غامض، بشكل طفيف ومتكرر؛ من دون فض الأختام الملكية، فدهش الفرعون تماما؛ كيف تختفى نفائسه ببطء؟ وبدافع من إحباطه، وضع عدة فخاخ داخل الخزانة.

وفى اليوم الذى انتوى الشقيقان أن يشهد آخر غزواتهما للخزانة، زلت قدم أصغرهما وسقط في الفخ الذى وضعه الفرعون. ولم يكن ثمة من سبيل لإخراجه. فقد سقط على ساقيه جلمود صخر ضخم سحقهما، وتركه في عذاب مقيم. وكانت الصخرة أثقل كثيرا من أن يستطيع شقيقه تحريكها ولو على نحو طفيف. وصار مثبتا فى الأرض بلا أمل فى الإنقاذ. وتوسل الصغير لشقيقه أن يخلصه من مصيبته، وأصر عليه

أن يقتله ، لأنه لم يعد بقادر على احتمال المزيد من الألم . وتردد الشقيق الأكبر ، لكن الصغير حثه على الإسراع ، مضيفاً أنه سيكون من الأفضل لواحد منهما على الأقل أن يستفيد من الكنز ، لأنه في حال اكتشاف أمرهما فمن المؤكد أنهما سيعدمان لقاء هذه الجريمة . واقتنع الكبير بمنطق أخيه ، وسحب سيفه وذبح أخيه . ولأنه لن يمكن التعرف على جثة بلا رأس ، ومن ثم تصبح الأسرة بعيدة عن الاشتباه ، رحل الشقيق بكل ما أوتى من حذر ، حاملاً في يديه رأس أخيه .

وفى اليوم التالي ، جاء الفرعون مرة أخرى ، ليمتع عينيه بنفائسه ويعددها . وارتاع عندما أبصر أمامه جسداً بلا رأس يرقد محطماً داخل شركه . غير أنه ظل حائراً ، حيث وجد الأختام كما هي لم تمس . فأمر رجاله بتعليق الجثة في القرية مع السجناء الآخرين . وكان الفرعون يأمل أن تحاول أسرة المتوفى استعادة الجسد لتضمن له دفناً معقولاً نسيبياً . ومن ثم تنكشف هوية السارق . وتمركز الجنود على مقربة ، ولكن بعيداً عن أعين الناس ، على أهبة الاستعداد للقبض على أسرة اللص . وعندما سمعت زوجة «حور محب» بما حدث ، توسلت إلى ولدها الباقي ليعيد جسد أخيه حتى يدفن على نحو ملائم . فتعهد بتلبية رغبة أمه ، حيث لم يكن هناك سبيل آخر ليضمن لأخيه فرصة السلام والخلود في العالم الآخر .

وتنكر في ملابس تاجر وحمل بغلين بقرب من جلد الماعز مليئة بالنبيذ . وفى طريقه لوسط القرية حيث جثة أخيه معلقة فى خزى علنى ، افتعل حادثة لتنقلب القرب وينسكب السائل على الأرض . وأثار حالة من الاضطراب على النحو الذى جذب انتباه الجنود المختبئين على مقربة ، فجاءوا لتقديم يد العون . بينما قام هو بأداء دور الضحية المرتبك ، وشرع يحادث الجنود ، الذين سرتهم الحادثة للغاية . وبينما حرص على أن يظل منتبهاً ، أخذ يقدم للحراس فى إلحاح المزيد والمزيد من النبيذ ، قائلاً أنه كان سيخسر على أى حال . ولم يمض وقت طويل حتى فقد الحراس وعيهم .

وعندما هبط المساء ، وصار وسط المدينة معتما كعيون الحرس ، قطع اللص الحبال ، وسقط جثمان أخيه على الأرض . فلف الجسد فى قماش نظيف من الكتان وحمله على ظهر أحد بغليه إلى البيت . وتمت عملية الدفن بنجاح مع ظهور أول أشعة الشمس فى طريقها إلى الأفق .

وحين بلغ الفرعون نبأ سرقة الجثة، ثار بشدة، وأمر بضرب الحراس واحدا إثر الآخر بسبب غفلتهم. ولم يكن ليرتاح قبل أن يكشف هوية اللص. فوضع خطة بارعة أخرى، بمساعدة ومشاركة إحدى بناته. حيث عرض الزواج من ابنته مكافأة لمن يكشف للأميرة أدهى الأعمال التي اقترفها وأكثرها شرا. وكان الفرعون يأمل أن يوقع باللص، غير أن ابن «حور محب» لم يكن أحقما، واشتبه في الخدعة التي تكمن وراء هذا الطلب العجيب.

وقرر اللص أن يفوق الفرعون دهاء، فقطع ذراعا لأحد المساجين الذين نفذ فيهم حكم القتل وعلقوا في وسط المدينة، وأخفاها تحت عباءته. ثم ذهب إلى القصر طالبا السماح بزيارة الأميرة، وقص عليها قصة أعماله غير المشروعة، فما أن سمعت القصة، حتى صرخت منادية الجنود الذين كانوا مختبئين في مكان قريب ليقبضوا على اللص. وتشبثت بذراعه لتمنعه من الفرار. غير أنها وجدت نفسها ممسكة بذراع مبتورة من رجل ميت، بينما انطلق اللص في عتمة الليل.

وعندما سمع «رعسيس الثالث» بالحادثة، تأثر بجرأة وبراعة اللص، الذي جرؤ على أن يتفوق على الفرعون حيلة ودهاء. وأدرك أنه، على الأقل، عثر على واحد من أكثر الرجال دهاء في مصر؛ وأن حذق الرجل الماكر قيمة عالية ينبغي ألا تبدد. فأصدر عفوا عاما عنه وأعلن أن اللص البارع تم تبرئته، وسينال مكافأة إذا اختار أن يخدم الفرعون بصدق وولاء، لأن مصر معروفة برجالها الحكماء، ومهارة هذا الشخص ستفيد المملكة.

وهكذا، كشف سارق الخزانة عن شخصيته، وتزوج الأميرة بالفعل، وكوفئ بمنصب حكومي كخادم مخلص لرعسيس الثالث.



القسم الثاني
المعتقدات

التحنيط

فى عصور ما قبل الأسرات، كان الموتى يوسدون فى حفرة غير عميقة. ويوضع الجثمان على جانبه الأيسر فى وضع الانحناء. كما يوضع معه بضعة أغراض مفيدة؛ مثل جرار فخارية مملوءة بالطعام والشراب. وتلف رأس المتوفى باتجاه الغرب حيث مدينة الموتى والشمس الغاربة. وكان يعتقد أن هذا الوضع يفضى إلى البعث والعودة للحياة. وغالبا ما كان الجثمان يلف فى دثار من الحصرير أو جلود الحيوانات، وفى سلال بحجم الإنسان فيما بعد. أما أولئك الموسرين، فكانوا يدفنون فى توابيت خشبية، ويمدون بكل ما يلزمهم فى الحياة الأخرى.

وخلال عصر الأسرة الأولى. كان المتوفى يودع فى مأوى للأرواح، أو حجرة دفن تسمى «مصطبة». ويمكن ترجمة هذه الكلمة إلى «منصة» بالعربية الحديثة، وتشبه المصاطب المنصتات المنخفضة الموجودة خارج بيوت المصريين الحديثة(*) . وكانت المصاطب منخفضة ومستطيلة الشكل، تعلوها قاعدة من قوالب الطين اللبن أو القرميد مطلية باللون الأبيض، لتحمى الجثمان والأغراض المدفونة معه لاستخدامها فى الحياة الأخرى. وشكلت المصاطب قاعدة أساس الأهرامات فى الأسرتين الثالثة والرابعة.

وخلال عصور ما قبل الأسرات، كانت الجثث تدفن فى الرمال، وتبين أن الجسد يمكن حفظه طبيعيا، نتيجة للمناخ الجاف غير العادى. وبناء على هذه الفكرة، أصبح التحنيط عرفا سائدا خلال عصر الأسرة الثانية (رغم وجود دلائل على التحنيط قبل

(*) يعرف عامة المصريين لفظ «المصطبة» ويستعملونها حتى الآن خصوصا فى القرى، أو بعض المناطق الشعبية فى المدن، للدلالة على مكان للجلوس يبنى من الطوب اللبن - المترجمة.

ذلك). وعشر على عدة جثث لفت رؤوسها وأذرعها وأيديها بلفائف من الكتان، مدفونة تحت حصر؛ ترجع إلى نحو ٣٥٠٠ قبل الميلاد. واعتقد المصريون القدماء أن الروح يمكنها العيش في خلود، طالما ظل الجسد سالما، ومن ثم كان من الضروري حفظ الجسد، وحمايته من الضرر والتآكل.

مع كل الاحترام الواجب

وأمام أسرة المتوفى ثلاثة خيارات وفقا لقدرتها المالية. فيتطلب الخيار الاقتصادي يوما واحدا أو اثنين لاستكمال طقوس الدفن. ويستغرق الخيار المتوسط ٣٠ يوما. حيث تكلف عملية تحنيط المتوفى وصنع القناع الجنائزي؛ ما يساوي راتب عمل المواطن العادي في أربعة شهور. بينما يستغرق البرنامج الفاخر للدفن ٧٠ يوما. وتؤدي خلال هذه الفترة أعمالا أكثر من مجرد التحنيط. فيتعين إعداد التابوت (الذى كان ينحت من الحجر في عصر الدولة الوسطى) والمقبرة، بإتقان لاستقبال الجثمان. وقد نشأت لفظة التابوت باللغة الانجليزية «sarcophagus» عن اللفظتين اليونانيتين «sark» بمعنى اللحم، و«phagus» بمعنى يأكل. فكان الإغريق يرون في التوابيت - التى تحوى أجساد الراحلين - صنديق «تأكل اللحم». واعتبر إعداد مواد الدفن عملا مهما للفنانين، والصناع، والنجارين، فضلا عن بنائى المقابر. كما ينهمك الكهنة والكتبة فى إعداد النصوص الجنائزية لتوضع مع المتوفى.

وتبدأ العملية التى تستغرق ٧٠ يوما، ولا يقدر عليها إلا أولئك الذين يعتلون قمة السلم المالى، بتنظيف الجسد. وتذاب مادة الدماغ أولا بحقن سائل مذيب فى تجويف الدماغ، ثم ينزع الدماغ، بإدخال أداة لاقطة عبر إحدى فتحتى الأنف. وتوجد دلائل على أن الدماغ كان يزال أحيانا من ثقب يحدث فى قاع الجمجمة. واعتبر هذا العضو مادة مهمة، يؤدي إلى الرطوبة والتحلل. ومن ثم، يتخلص منه، ثم يملأ تجويف الدماغ بالراتنج. وبعد ذلك، تنزع الأحشاء الداخلية، المعرضة للتحلل السريع. ويحدث شق بالبطن ناحية الجانب الأيسر من الجسد بسكين حادة من حجر الصوان أو الزجاج البركانى الجرانيتى من إثيوبيا.

وينزع الكبد، والمعدة، والأمعاء، وتوضع منفردة فيما أطلق عليه الإغريق الجرار «الكانوبية». ويشير أحد الآراء إلى أن هذه التسمية اشتقت من قرية «كانوپس»

(أبو قير) الواقعة فى دلتا النيل قرب الإسكندرية . فى هذه القرية ، كانوا يقصدون الجرار ذات الغطاء على هيئة رأس بشرية خلال العصور الفرعونية المتأخرة^(*) باعتبارها تجسيدا لأوزيريس . بينما تعتبر الرواية اليونانية أن هذه الجرار سميت نسبة لكانويس قائد أسطول الملك الاسبرطى «مينلاوس» فى الإسكندرية ، الذى بدأ حرب طروادة . ومات «كانويس» فى مصر ، وأطلق الاسم بعده على مدينة . وبعد ذلك قدست الأوعية «الكانوبية» فى منطقة الدلتا خلال العصر الفرعونى المتأخر^(*) ، فى هيئة جرة بغطاء على هيئة رأس بشرية ؛ وصنعت من الطمى ، أو الخشب ، أو المرمر ، أو الحجر الجيرى أو الخزف . وينقش عليها تعاويذ يعتقد أنها تعيد لم شمل الجسد مع أعضائه فى الحياة الأخرى بطريقة سحرية .

وعثر بين كنوز توت عنخ آمون على مجسم لمقبرة يعمل كخزانة كانوبية ، ويحتوى على أربعة أجزاء أسطوانية ، منحوتة من كتلة مرمر واحدة . ونحتت الرباط الحارسات الأربع «أوزيريس» و «نبت - حت» و «سلكت» و «نيت» فى كل ركن من الأركان لحراسة أحشاء الملك المحنطة .

وصمم كل وعاء «كانوبى» بغطاء أو سدادة على هيئة رأس واحد من «ميسو حيرو» الأربعة ، أى أبناء حورس الأربعة : فمثل «إمست» برأس بشرى يحمل الكبد ، و «حعبي» برأسه الذى يشبه القرد لحماية الرئتين ، و «كيب سنوف» ذى رأس النسر لحراسة الأمعاء ، و «دوا موتف» الإله ذى رأس ابن آوى ، لحفظ المعدة . وتحمى أبناء حورس ، بدورهم ربات الحماية الأربع .

وبحلول عصر الأسرة الثانية والعشرين ، أصبحت الأوعية «الكانوبية» رمزية تماما ، حيث كانت الأحشاء تنزع ، وتلف بالكتان ، ثم يعاد وضعها داخل تجويف الجسد . وعادة ما يترك القلب ، أو «بذرة العقل» أو «مصدر الحياة» كما كان يطلق عليه ، داخل الجسد . حيث أن القلب هو الذى يتحدث باسم المتوفى فى قاعة الدينونة .

وتتمثل الخطوة التالية فى إزالة الرطوبة عن الجسد . فتوضع كتل من ملح النطرون ملفوفة بالكتان داخل تجاويف الجسد ، والمزيد من كتل النطرون ، ومسحوقه ، حول الجسد . وعمل هذا «الملح المقدس» كما أطلقوا عليه ، كعامل تجفيف فعال . واعتبر

(*) يشير إلى الفترة من عصر الأسرة السادسة والعشرين إلى الحادية والثلاثين وتنتهى بقدم الإسكندر غازيا لمصر - الترجمة .

النظرون مانعا للتعفن ، نظرا لكونه مطهرا طبيعيا . وبعد أربعين يوما فى هذا الحمام من النظرون ، يصبح الجسد هيكلا مجففا ، غير قابل للرطوبة أو التحلل . وملح النظرون هو كربونات صوديوم ، تنشأ طبيعيا فى بحيرات ملحية مع رواسب أخرى .

وعندما تصبح الجثة مجففة ، تزال كتل ملح النظرون ، ويغسل الجسد بنبيد النخل ، أو مياه النيل الشافية والمقدسة . وبعد ذلك ، يعالج بزيت خاصة وراتنجات معطرة مثل المر والقرفة الصينية . وتحشى هذه الراتنجات أيضا فى تجاويف الجسد ، مع نشارة الخشب ، مع حشوات من الكتان المغموس فى الراتنجات والزيوت ، بهدف الحفاظ على شكل الجسم .

وما أن ينتهى العمل فى الجسد ، حتى تبدأ عملية لفة . وتستخدم مئات الياردات من قماش الكتان ، وبينما يلف الجسد ، يتلو الكهنة تعاويذ وصلوات . وتستغرق عملية لفة الجسد نحو ١٤ يوما ، حيث يلف كل إصبع على حدة من أصابع اليدين والقدمين فى طبقات من قماش الكتان الأبيض المغلف بالمومياء (التعبير الفارسى / العربى الذى يعنى القار أو القطران) قبل أن يتم لفة اليد أو القدم كلها . وجاء لفظ «mummy» من مومياء ، وهو راتنج أسود لاصق يستخدم فى لفة المومياءات . وعثر على «المومياء» فى الشرق الأقصى وكانوا يظنون أنه يحوز قوى علاجية خاصة .

وكانت مومياء الفراعنة توضع بحيث تتقاطع اليدان فوق الصدر ، كدلالة على الملكية . أما التمام ؛ مثل «عين حورس» ، أو «حزام أوزيريس» ، أو «الجعران» (الخنفساء المقدسة) فتدس بين الأربطة فى أماكن محددة بعينها . فالجعران ، وهو تميمة ذات تأثير ، يوضع فوق قلب المومياء ، مع نقش تعويذة عليه لمنع القلب من توريط صاحبه أو خيائته ، على نحو رمزى . وأحيانا ما تنقش أدعية أو تعويذات على لفائف الكتان نفسها ، فضلا عن أنه غالبا ما يوضع بدلا من القلب بالكامل تميمة على هيئة جعران كبير ، لتيسير عملية البعث . وكانت تميمة القلب الجعران تصنع من اللازورد ، أو العقيق الأحمر ، أو أحجار أخرى شبه كريمة . ومن بين كنوز «توت عنخ آمون» ، عثر على ما يزيد عن ١٤٠ تميمة داخل أربطة مومياء توت عنخ آمون ، الملفوفة فى ١٣ طبقة من أفخر أنواع الكتان .

وعند هذه المرحلة يطلى اختصاصى فى التجميل الوجه ، مضيفا لونا للشفتين ، والعينين ، والخددين ، والأظافر ، والكفين وباطن القدمين . وغالبا ما توضع عينان

مقلدتان فى محجرى العينين ، إذا كانت أسرة المتوفى قادرة على تحمل هذا التبذير .
وبالنسبة لمن يستطيعون تحمل المزيد من النفقات ، يضاف قناع جنازى وشعر مستعار
لمساعدة الروح على التعرف بسهولة على الجسد الذى تنتمى إليه .

ثم توضع المومياء بعد تكفينها فى تابوت مزدوج الغطاء من خشب الأرز أو غيره من
الأخشاب الفاخرة . وتحمى الطبقة الخارجية التابوت الأول والجسد . وتزخرف طبقتا
التابوت الخشبيتين بمشاهد من حياة المتوفى وأعماله ، فيما يمثل سيرة حياة مصورة .
وأخيراً يوضع الجسد والتابوت المزدوج داخل التابوت الحجرى ، مكان الراحة الأبدية
للجسد . وترسم عينان على الوجه الخارجى للتابوت الحجرى ، حتى يستطيع المتوفى
أن يطل منهما . وعندما تكتمل العملية كلها ، ينقل الكهنة ، والأقارب ، والأصدقاء
والندابات التابوت إلى موضع الدفن .

وزينت جدران المقابر بمشاهد لأسرة المتوفى ، فضلاً عن الأنشطة التى كان يمارسها
أثناء حياته (أو حياتها) ، ويتطلع إليها فى الحياة التالية . وداخل المقبرة ، يحفظ الجسد
المادى ، ويصان ، ويحاط بأغراض لاستخدامها فى الحياة الأخرى ؛ وهى نفس
الأغراض المطلوبة للحياة على الأرض . ومن بين الأشياء التى يتعين أن يأخذها المرء
إلى مقبرته ، الملابس ، والشعر المستعار ، وأدوات الحرف ، والأسلحة ، وأدوات
الكتابة ، والألعاب ، والحلى ، والأطعمة من أجل «كا» أو القرين . وغالباً ما تستخدم
نماذج مصغرة ، مثل نموذج لقارب ، حيث تأخذ مساحة أقل ، وتكلفة صناعته أقل ،
بينما تؤدى رمزياً الغرض منها ، مثلها مثل الأغراض الأصلية .

ويمد المتوفى أيضاً بمستحضرات التجميل ، والعمود ، والزيت ، والجرار ،
والخزائن ، والأوانى ، والكتان ، والأثاث ، والحيوانات الأليفة ، والخدم فى صورة
«أوشاپتى» ، أو «شاواپتى» . وكانت «أوسپ» هى الكلمة المصرية التى تعنى «يجيب» ،
أما «أوشاپتى» أو المجبون ، فهم تماثيل صغيرة أو نماذج لخدم ، ذكورا وإناثا ، منحوتة
من الحجر ، أو الخشب ، أو المعدن ، أو الخزف ، ظهرت للمرة الأولى خلال عصر
الدولة الحديثة . والغرض من هؤلاء «الأوشاپتى» هو أداء الأعمال ، والمهمات التى
يكلف الآلهة بها المتوفى ؛ ومن ثم يتعين أن يدفن الميت مع جميع «الأوشاپتى» التى
يتوقع أن يحتاجها لأداء المهمات الكونية التى قد تطلبها الآلهة مقابل توفير الحماية
والخلود للمتوفى . وفى المعتاد ، يحتاج الشخص الثرى ٣٦٥ «أوشاپتى» ، بمعدل واحد
لكل يوم من أيام السنة ، بالإضافة إلى ٣٦ مشرفاً (واحد لكل مجموعة مكونة من عشرة

أشخاص). ودفن الملك «توت عنخ آمون» مع ٤١٣ «أوشايتي» مصنوعة من الخشب، والحجر الجيري، والمرمر. وعثر في مقبرة «سيتي الأول» على ما لا يقل عن ٧٠٠ «أوشايتي» منقوش عليها الفصل السادس من «كتاب الموتى». وغالبا ما كانت تنقش تعويذة على ظهر كل تمثال من تماثيل «الأوشايتي»، ويفترض أن تتلى هذه التعويذة لتنشيط الخادم. وغالبا ما ينقش على التماثيل اسم المتوفى.

بلاى احترام على الإطلاق!

فى العصر الحديث، انتشرت عمليات «انتهاك المومياوات». وبحلول القرن الحادى عشر الميلادى، كانت المومياوات المصرية تطحن لتتحول إلى مسحوق، وتباع باسم «خلاصة المومياء» على أنها منشط جنسى ودواء. ووصف الطبيب الفارسى العظيم «ابن سينا» «المومياء» تقريبا لعلاج جميع الأمراض. وبحلول القرن السادس عشر الميلادى، اشتد الطلب على «خلاصة المومياء»، وبيعت فى صيدليات بمختلف أنحاء أوروبا خلال القرن السابع عشر.

ومن الطب إلى الترفيه؛ ففى أوائل القرن التاسع عشر، أصبح من الشائع إقامة حفلات العشاء فى أوروبا، حيث يسرى عن الضيوف بفك الأربطة عن مومياوات مصرية أصلية. وفى وقت لاحق من القرن التاسع عشر، كان العرب يبيعون مسحوق المومياء مخلوطا بالزبد كمرهم لعلاج الإصابات.

ولعل أشد أنواع الانتهاكات على الإطلاق، ما حدث خلال الحرب الأهلية الأمريكية، حيث تبنى صانع ورق اسمه «إيزاك أوجستس ستانود» فكرة مروعة تتمثل فى استيراد مومياوات مصرية لمواجهة النقص الحاد فى الأسمال المطلوبة لصناعة الورق. فاستورد كميات ضخمة من المومياوات من أجل أربطتها من الكتان؛ التى تنزع عنها ثم تحول إلى لباب. وسرعان ما أصبح الأمريكيون يتوقعون لف ما يشترونه من لحم فى أوراق بنية اللون- مثلما هو الأمر حاليا فى العديد من محلات الجزارة. وكلفت هذه العملية «ستانود» أقل من نصف ثمن شراء الأسمال فى أمريكا.

غير أنه اضطر للتوقف عن هذا الأمر عندما نفشت الكوليرا، لتحصد أرواح العديد من العاملين فى مصانع الورق التى يملكها. فهل هى لعنة إقلاق المعبودات المصرية؟

الموت والخلود

ذكرت كتابات كثيرة أنه ما من حضارة تعلقت بالحياة مثلما فعل المصريون، ولم يحدث أن كرس غيرهم - خلال أى فترة من فترات التاريخ - مثلما كرسوه من وقت استعدادا للموت. فقد اعتبروا الحياة رحلة واستعدادا للموت، وما بعده. وكانت الحياة عزيزة على المصريين حتى أنهم أولوا اهتماما كبيرا لتمديدتها عبر الأبدية. واعتبر جميع المصريون القدماء الحياة الأخرى استمرارا، وصورة مثالية لوجودهم المؤقت على الأرض.

ومنذ وفاة «أوزير» (أوزيريس) فى موت فان، وعودته للحياة كإله، ساد الإيمان بأن عبادة الشمس، من شأنها أن توفر مدخلا لحياة أبدية. وكان شروق وغروب الشمس والنجوم رمزا للبعث والحياة الأخرى. ومن ثم، كان المتوفى ينقل إلى الضفة الغربية للنيل، موقع الجبانات فى مملكة الموتى، حيث تغرب الشمس، أو تموت. ويسكن الأحياء الضفة الشرقية، حيث تشرق الشمس. واعتبر الأفق الغربى الحد بين العالم السفلى للموتى، وأرض الأحياء. وأطلق المصريون القدماء على الجبانات «خيرت - نتر» التى تترجم إلى «ما تحت الإله»، وكان يشار إلى الموت باعتباره «الذهاب غربا».

وبحلول عصر الدولة الحديثة، كان الانتماء للأسرة الملكية شرطا للاستقرار فى مقابر ملكية نحتت بعمق فى الصخور الصلبة لمدينة الموتى الملكية على الضفة الغربية من النيل عند أواسط، فى وادى الملوك. واستخدم وادى الملوك، كمكان لدفن أفراد الأسر الملكية لما يزيد عن ٥٠٠ عام. وبالقرب منه، اكتشفت أكثر من ٨٠ مقبرة فى وادى الملكات، بما فى ذلك المقبرة الفخمة للملكة «نفرتيتى» من الأسرة التاسعة عشرة.

وعندما يموت أحد النبلاء، تستأجر ندابات محترفات، وهن نسوة من طبقة اجتماعية متدنية يطلق عليهن «النائحات»، للقيام بطقوس الجنازة، فيندين ويصرخن فى أنحاء القرى، ووجوههن ملطخة بالتراب، وتضرب الواحدة منهن صدرها بيد بينما تشد شعرها وملابسها باليد الأخرى. ويتنقل موكب جنازى مكون من أقارب المتوفى، وأصدقائه، وخدمه، ويتصدرهم الكهنة؛ إلى موقع المقبرة على الضفة الغربية من النيل. وتحمل بعض الندابات زهورا، وأطعمة، وزبوتا، بينما تحمل أخريات ملابس وأمتعة لتركها داخل المقبرة.

وفى مقبرة «حور محب» صورة تمثل موكبا جنازيا، ولوحة أخرى تظهر نائحات رسمن باللون الأحمر اللامع، وبخطوط رشيقة ولينة ومرنة. وربما كان ذلك ما دعا بعض علماء المصريين إلى الربط بين هذا اللون والحداد. وتظهر فى مقبرة «راموس»، الوزير وحاكم «أواست» الذى عاش خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة، مجموعة أخرى من النساء والفتيات النائحات يرفعن أذرعهن فى ضراعة «دعاء» فضلا عن الوضع التقليدى للنواح (أطلقوا عليه «لاكبيت»). وفى مقبرة «أبيوكى» و«نيب آمون» لوحة تصور إحدى النائحات، كما صورت عدة نائحات فى مقبرة «أوزير حت». وتجتمع النائحات مرتين يوميا لإنشاد أناشيد جنازية تكريما للمتوفى على رؤوس الأشهاد.

أما راقصو «مو»، فهم مجموعات من الرجال المحترفين، الذين ينتظرون فى موقع المقبرة لتحية الموكب الجنازى عند وصوله. ويؤدى الرجال- أزواج- رقصات شعائرية إيقاعية. ويهدف الرقص إلى استحضار «پى» وهى أرواح «پو» كل من «حورس» و«حعپى» و«إمست» وغالبا ما يرتدى راقصو «مو» أغطية للرأس من سيقان نبات البردى أو قلنسوات مرتفعة مخروطية الشكل. ويرافق الراقصين موسيقيون، كما تنشد أناشيد جنازية.

وعند وفاة فرعون، تقام فترة حداد مدتها ٧٠ يوما، بينما يجرى لجثمانه المعالجات والطقوس اللازمة. وترتل الترانيم التى تهدى لذكراه، بينما تغلق أبواب المعابد، وتحظر القرايين، والولائم، والاحتفالات تماما خلال فترة الحداد.

ويحتفل برحيل الشخص المحبوب إلى العالم الآخر، مثلما يحتفل بالزواج أو أى مناسبة أخرى من مناسبات الحياة الفانية. فبعد الجنازة، تقام الولائم على شرف الراحل العزيز عادة عند موقع المقبرة وبعد انتهاء الموكب والاحتفالات وإغلاق المقبرة للأبد؛

يدعى الضيوف لاحتساء النبيذ حتى يصلون إلى السكر الذى يبلغهم حالة من النشوة تجعلهم على اتصال بالفقيد . ويؤدى ذلك بأقصى قدر من الاحترام للمتوفى ، وعلى نحو بالغ الجدية . وتترك الأدعية وقرابين الطعام عند موقع المقبرة . وغالبا ما يقص أفراد الأسرة خصلات من شعرهم رمزا للحداد .

وأشد ما كان يخشاه المصرى ، هو أن يموت خارج وطنه الحبيب أو «تا ميرى» . فإذا لم يتسن إعادة الجثة إلى مصر ، ولم يتح حفظ الجسد ، لن يضمن لنفسه الخلود .

أمران أحلاهما مر!

من بين أشهر القصص فى مصر القديمة ، واحدة بعنوان «مغامرات سنوهى» . والقصة حدثت خلال عصر الأسرة الثانية عشرة ، فى عهد «أمنمحات الأول» وتعكس خوف المصرى من الموت فى أرض غريبة .

حيث كان الفرعون مهددا دائما من أولئك الذين يأملون فى إزاحته حتى يستولون على العرش لأنفسهم . وسمع «أمنمحات الأول» شائعات عن مؤامرة بين حريمه تتهدد حياته . وخشية على مستقبل مصر ، بدأ الإعداد لتسمية ابنه «سنوسرت» باعتباره الوريث الحقيقى و الشرعى .

ونما إلى علم «سنوهى» ، وهو أحد المسئولين ومن أخلص رفاق «سنوسرت» ، نبأ الإعداد لمؤامرة لقتل الفرعون . وخوفا على حياته ، من كل من الطرفين - سواء حاول تحذير الفرعون ، أو أصبح متورطا فى هذه المؤامرة البشعة - ولعدم رغبته أن يشهد افتضاح المؤامرة ، هرب «سنوهى» إلى بلاد «رتنو» (فلسطين) . وهناك لقى ترحيبا من الملك الذى عينه قائدا للجيش . وتزوج ابنة الملك الكبرى وعاش فى رغد .

ودافع «سنوهى» عن «رتنو» ضد أعدائها من البلاد والقبائل المجاورة . وخدم الملك على أتم وجه سنوات عديدة ، مما أكسبه ثقته وعطفه . ولما كان الملك لم ينتج ذكورا ، انتقلت الخلافة بالطبع إلى «سنوهى» . وعندما توفى الملك ، أصبح «سنوهى» حاكم «رتنو» . ولكن مع مرور الوقت ، اشتاق «سنوهى» إلى وطنه . فأرسل رسائل إلى «سنوسرت» ، متوسلا إليه أن يغفر له تركه مصر منذ سنوات ، وملتصا عفوا ملكيا يتيح له العودة إلى مصر . وسرعان ما استجاب «سنوسرت» ورحب بعودته إلى مصر .

ومكافأة على إخلاصه مدة طويلة فى خدمة «أممحات الأول» والد سنوسرت، حصل «سنوهى» على وعد بجنازة فخمة ولائقة غرب «أواست» عندما يحين أجله .

وترك «سنوهى» بلاد «رتنو» فى رعاىة ابنه الكبير وخليفته، وعاد إلى مصر . وصار مشرفا على بلاط الفرعون خلال السنوات القليلة الباقية من عمره . وقبل وفاته، دون جميع المغامرات التى خاضها قبل عودته إلى مصر؛ ويعتقد أن هذه المغامرات هى أساس مجموعة قصص «سندباد» الشهيرة .

أريد أن أحيأ إلى الأبد

تركز الهدف النهائى للمصريين، من أفقر الفلاحين حتى أغنى الملوك، فى الخلود . وكان هذا الامتياز فى الأصل قاصرا على الملك فى بداية الدولة القديمة، غير أنه مع حلول الدول الحديثة، أصبح لجميع الطبقات الاجتماعية فرصة الحصول على حياة أبدية . وينبغى على الراحل أن يمر بالعديد من الاختبارات، والتجارب لاستكمال رحلة محفوفة بالمخاطر عبر العالم السفلى، المعروف باسم مملكة «دوات» التى يحكمها «أوزيريس» . وبحلول العصر البطلمى، أعتبرت «دوات» موضع عقاب أولئك الملوثين بالخطيئة .

على من سيقم مع الآلهة بعد الموت أن يواجه العديد من الأرواح الحارسة، والعراويل، والاختبارات، والمفاجآت غير السارة وأن يتغلب عليها . وهناك نصوص مقدسة تهدف لإرشاد المتوفى عبر «دوات»؛ حيث يحوى «كتاب الموتى» جميع التعاويذ اللازمة، والأدعية، والشعائر، والمعرفة المطلوبة لمواجهة هذه المخاطر بنجاح . وكان لجميع المصريين فرصة الحصول على الخلود، مع توفر الأموال الكافية للجنازة والدفن، ونسخة من نصوص الموتى . رغم أن مسلكهم خلال الحياة الحالية هو الذى يحدد ظروف الحياة التالية .

وكان يعتقد أن «دوات» تقع تحت الأرض، حيث تقم العديد من الأرواح، وتتلاقى، ومن المفترض أن تمر الشمس عبر «دوات» فى رحلتها اليومية من الغرب إلى الشرق . ومثلما عاش الملك والشخص العادى فى عالمين منعزلين أحدهما عن الآخر على الأرض، كانا كذلك فى الحياة الأخرى . فالفرعون المتوفى، باعتباره كائنا مقدسا،

يصل إلى العالم الآخر عبر رحلة سماوية على مركب الشمس «ويا» تمثله الجوزاء «سah»، فيما يرمز لأوزير «أوزيريس» فى هيئته الفلكية والدورة العظمى للبعث . ويسافر الفرعون الراحل عبر «دوات» لينضم إلى نظيره الإلهى فى «أمنيتى» (أرض الموتى) التى يحكمها أيضا «أوزير» . (وكان المتصور أن أمنيتى تقع على الشاطئ الغربى للنيل). أما جميع الموتى من غير الملوك، فيبقون مرتبطين بالأرض، ويخضعون لمحاكمات شاقة ورحلة محفوفة بالمخاطر عبر «دوات» .

وفى العالم السفلى، يسأل المتوفى أسئلة، ينبغى أن يكون تعلم الإجابة الصحيحة عليها من النصوص المقدسة أثناء حياته؛ حيث كان من الممكن شراء النصوص مقدما من الكهنة الكتبة . ومن المفترض أن لدى معظم ملتمسى الخلود فكرة جيدة عما يجب أن يقولونه أمام قاعة المحكمة، حتى أنه ليس من المحتمل أن يكونوا قصرُوا فى استذكار هذه التعاويذ بالغة الأهمية، عندما كانت لديهم الفرصة .

ومع ذلك، هناك الكثير مما يتعين بحثه، فخلال عصر الدولة القديمة، كان يمكن العثور على الأجوبة فى متون الأهرامات، المنقوشة على الجدران الداخلية لحجرات الدفن الملكية . وتتكون النصوص مما يزيد عن ١٥٠ من الترانيم، والخرائط، والتعويذات السحرية، وأدعية الحماية والإرشاد إلى (وعبر) مناطق الخطر فى مملكة «دوات» . وتعتبر الحجرة الداخلية من هرم الفرعون «أوناس» من الأسرة الخامسة بسقارة، أول جدران عرضت عليها متون الأهرامات . وبحلول عصر الدولة الوسطى، كانت النصوص تعرف باسم النصوص التابوتية، حيث تسجل داخل التابوت الحجرى . وفى عصر الدولة الحديثة، صارت هذه الإرشادات الجنائزية تكتب على لفائف من البردى، وتوضع داخل التابوت الحجرى مع الجسد . وأطلق المصريون على هذه النصوص «پرت إم حرو» (التى ترجمت إلى «كتاب اليوم الوشيك القدوم»)، ونحن نعرفها بالعنوان الذى أطلقه العرب عليها «كتاب الموتى» .

وبعبور البوابات الاثنتى عشرة الخاصة بساعات الليل الاثنتى عشرة، تصل روح المتوفى إلى محكمة «أوزيريس» . وما أن يدخل قاعة «ماعت»، حتى يقوم «أنپو» (أنوبيس) - حارس الموتى - بوزن قلبه (أو «أب» فى هيئته الروحية) . والقلب يرمز للتفكير والشعور، حيث تتسارع دقات القلب مع اشتداد قوة العواطف . كما اعتبر القلب مصدر الحياة وجميع الأفكار النقية والشريرة . ويوضع القلب على ميزان

العدالة، مقابل ريشة «ماعت»، التي تجسد مفهوم الحقيقة والاستقامة. ويعتبر ميزان «ماعت» أصل الميزان الذي يستخدم حاليا كرمز للعدالة، وللعلامة الفلكية لبرج الميزان.

ويسجل «تحوت»، إله الحكمة وكاتب الآلهة، النتائج. فإذا كان القلب نقيًا من الخطايا، وبرئًا من الآثام، يتوازن مع الريشة. ومن ثم، يلتحق المتوفى بأوزير في «أمنيتي». أما إذا كان القلب ثقيلاً بالذنب، وأمال كفة الميزان، فإن «مفترس الأرواح»، المسمى «أمنيت» (أو «ببى» في روايات أخرى) يقف على أهبة الاستعداد متلهفًا، ومنتظرًا الفرصة للانتقام للقلب. وما أن يلتهم القلب، حتى يفقد المتوفى كل فرص الخلود. فالنتهام «أمنيت» قلب الميت يعادل الموت للمرة الثانية والأخيرة. وهذا الوحش الأسطوري ذو الشهية النهممة، له فك تمساح، ويشبه الجزء الأمامي من جسده مقدمة جسد أسد، والجزء الخلفي يشبه خلفية جسد فرس النهر، والثلاثة من أكثر الحيوانات إثارة للخوف.

أما إذا اجتاز المتوفى الاختبار، فإن «تحوت» يعلن المتوفى «ماعت حيرو» بمعنى «صاقد الصوت». ويؤدى «أنبو» (أو الكاهن الجنائزى المرتدى قناعه، والذي يعمل نائبًا عنه) عند مدخل المقبرة، وبعد انتهاء الموكب الجنائزى، «احتفال فتح الفم» الأخير والأكثر أهمية. وكان ذلك يجرى باستخدام أداة معدنية تدعى «أدز»، فلمسة خفيفة من «أدز» على جفنى وشفتى المتوفى، تعيد الشعور والحياة إليه. ويتبع هذا الطقس، طقسًا آخر، على نفس النحو، باستخدام أداة تسمى «پش-إن-كف»، ويهدف إلى تمكين المتوفى من تناول الغذاء بعدما استعاد حواسه. فقد أصبح الآن قادرًا-روحيا- على أن يقيم في «أمنيتي» بين أرواح الراحلين والآلهة في السماء.

وآمن المصريون القدماء أن المتوفى (الذى أطلق عليه «خات» في صورته المحنطة) عند موته المادى، يتخذ عدة صور للحياة، وهى الهويات الروحية أو الفلكية السبع التى تتشكل إثر الوفاة المادية. وتعتبر «كا» أو القرين هى الأولى، وقد ولدت فى نفس وقت ميلاد الجسد، وعادت لتتوحد معه مباشرة، إثر الوفاة، وتواصل الحياة بعد ذلك. وكان يشار للموت أيضا بأنه ذهاب الشخص إلى «كا» الخاصة به. ويأخذ الشكل الهيروغليفى للفظ «كا» ذراعين مرفوعين لأعلى يحتضنان السماء. وأثناء الحياة، تعمل «كا» كناصح وضمير. وعند الموت تقيم فى مقبرة المتوفى، أو فى تمثاله، وتعيش

على الجوهر الروحي لقرابين الغذاء اليومية أو «أوت» التي يقدمها الكهنة والأقارب . وتترك القرابين بالتحديد لتغذية ال «كا» ، حتى يمكنها مغادرة المقبرة والعودة إليها كلما أرادت . وعندما يتوقف تقديم القرابين فى نهاية الأمر ، تتغذى «كا» - روحيا - على اللوحات المرسومة لأنواع الطعام ، داخل المقبرة . و «كا» هى قوة الحياة ، والقرين الفلكى ، أو التوأم الروحي ، وتقيم فى شمال المتوفى . ومن دون الجسد المادى ، لا تستطيع «كا» أن توجد ، وهذا هو السبب الرئيس فى ضرورة الحفاظ على الجسد . ومن دون «احتفال فتح الفم» ، لا يستطيع المتوفى تذوق أو تناول القرابين . وقد عثر على «كا» الملك «توت عنخ آمون» ضمن كنوزه الملكية ، ببشرة سوداء بلون الموت ، ترتدى تنورة ، وقلادة وغطاء رأس ، كلها مذهبة .

اما «با» ، فهى قوة الحياة الموضوعية للنفس ، وهى جوهر السمات الفردية والتميزة للمرء . وعندما يموت الجسد ، تولد «با» ، وهى قادرة على مغادرة المقبرة خلال ساعات النهار ، لتعود ليلا . ويعتقد أن «با» هى الشخصية ، والروح ، أو النفس الثانوية . وفى العالم السفلى تأخذ شكل نسر برأس إنسان وذراعين أو جناحين ، وغالبا ما تظهر محلقة بخفة فوق المومياء فى النقوش الجنائزية .

و«آخ» هى تصور «كا» و «با» مجتمعتين . وهى روح من الضوء والشكل القادر على الاتصال والتفاعل مع الأحياء ، فى حين تنتقل بين المنازل السماوية . وإلى " آخ " يرسل الأقارب رسائلهم ، عندما يطلبون نصيحة ، أو مساعدة ، أو إرشاد ، أو المغفرة من أحبائهم الراحلين . وغالبا ما تكتب الرسائل إلى الأقارب الراحلين فى صورة نقوش على أوان ، ويبدأ نص الرسالة من الحافة العليا ، ثم يتخذ طريقه دائريا وهابطا حتى قاع الإناء الذى يوضع فى مقبرة المتوفى . و«آخ» هى الحالة النهائية من حالات تحول روح المومياء . وهى الشكل والظل المتألقان والساطعان ، اللذان تتخذهما الروح بعد الموت ، حيث تنتقل «آخ» عبر الأبدية فى «أمنيى» «بلاد الموتى» .

ويبرز الرقم سبعة دائما عبر الأساطير وتاريخ مصر ، كما سنوضح فى فصل لاحق . ومن ثم أضيفت أربع أنفوس روحية ، بالإضافة إلى «كا» (الروح) ، و«با» (الشخصية) ، و«آخ» (الخلود) ليصبح المجموع سبعا : «خو» وهى جانب آخر من جوانب النفس الخالدة ؛ روح عقل المتوفى ، و«ساهو» وهى نفس الفلك وهى على درجة متقدمة من المعرفة والتأثير ، أما «خاييتى» فهى جسد الظل ، و«أورا» التى توفر الحماية من الأذى .

ماذا يكمن فى الاسم؟

يمنح الطفل اسمين؛ واحد للاستخدام اليومي، والآخر يبقى تحت حراسة وثيقة، خشية أن يستخدم ضد الطفل. وكان يظن أن معرفة الاسم الحقيقي لشخص يضمن التأثير والسيطرة عليه، ويعتقد أن جوهر الشخص، أو الحيوان، أو الإله، يتجسد فى اسمه الحقيقي. وينقش الاسم الحقيقي للمتوفى (أو «رين» مثلما كان يطلق عليه) على حجر، ويعتقد أنه يحتوى روحه الدينية. ويؤدى محو الاسم إلى تبديد أى فرصة لخلوده، حيث تزول الروح الدينية مع زوال الاسم. ومن دون هذا الاسم، لا يمكن للمرء أن يوجد، ولا أن يدخل مملكة الآلهة. ويعتقد أيضا أن الحديث عن الميت يعيده للحياة ثانية، بالإبقاء على ذكره وروحه حية. وكان «رين» يذكر فى النصوص الجنازية للمتوفى، وينقش على جدران المقبرة وأغراض الدفن.

وكان للآلهة خمسة أسماء. فمثلا كان لدى «رع» عدة أسماء، لكن «رين» الخاص به هو مفتاح قوته الحقيقية وجوهره. وإذا عرف أحد الاسم الحقيقي للإله - الذى لم يكن يتلفظ به - فإنه يستطيع أن يسلبه السلطة. وتوضح القصة التالية أهمية الاسم السرى للمرأة:

قصة رع وإيزيس

مع تقدم سن «رع» خالق الجميع، فى حياته الفانية، كان سائرا على الأرض التى خلقها، واللعب يسيل من فمه كرجل مسن. فدبرت «إيزيس» التى يملؤها الطموح واللهفة على النفوذ خطة لتجريد «رع» من قوته حتى تكسبها لنفسها. وقامت «إيزيس» بجمع بضع قطرات من لعاب «رع» وخلطتها بالتراب. ومن هذا الخليط صنعت «أبوفيس» الثعبان السام والعدو الأبدى لرع، ونفخت فيه الروح. وفى حرص، وضعت «إيزيس» «أبوفيس» فى الطريق الذى يسير فيه «رع» يوميا، ثم توارت عن الأنظار. ومع اقتراب «رع» ارتفع «أبوفيس» من الأرض ولدغ كاحله أثناء سيره. وبعدها اختفى وعاد إلى داخل الأرض.

وصرخ «رع» من الألم وتعجب، من أين جاء هذا المخلوق الشرير - لأنه يعلم أنه لم ينفخ الروح فى هذا المخلوق السام، ومن ثم ليس له سلطان عليه. ووسط يأسه،

استدعى رع الآلهة لطلب العون. فجاءوا من الرياح، ومن الأرض، والصحراء، والماء. وجاءت «إيزيس» من ضمنهم، وكانت أول من خطى إلى الأمام وتحدث.

وباعتبارها «ربة السحر» وعدت «رع» بتخليصه من عذابه، إذا صارحها باسمه الحقيقي. وحاولت إقناعه أنها ستضع هذه المعرفة والقوة الجديدة ضمن تعويذة تشفيه من الألم، غير أن «رع» رفض. واستمر الألم يشتد، مع سريان السم في جسده، وفي نهاية الأمر كشف عن جميع أسمائه... ما عدا الـ«رين». ولم يكن من السهل خداع «إيزيس» الماهرة، فبدأ صبرها ينفد. وتزايد كرب «رع»، وأصبح عظيمًا إلى الحد الذي دفعه لأن يسر باسمه الحقيقي الـ«رين» في أذنها.

وفورا، انتقلت قوة «رع» إلى «إيزيس»، وتوقف سريان السم في جسد «رع». وتعهدت «إيزيس» باستخدام قوتها الجديدة في أغراض الخير والخدمة البشر.

كان يتعين أن يكون لها مستقبلا واعدة كشخصية سياسية!

المعبودات

عبد المصريون القدماء آلهة وربات، أو «نتر» عديدة، ولدت من المعتقدات الجمعية للشعب. فكل ما يحدث في الطبيعة - مجاعة، فيضانات، زلازل، عواصف، وجميع الأحداث المؤثرة على الحياة البشرية بوجه عام - اعتبر أنه نتيجة لأعمال إله معين. وكل شيء خاضع لحماية (أو تهديد) هذه المجموعة العظيمة من الآلهة، التي كثيرا ما يندمج بعضها في إله واحد؛ مثل «أمون-رع»، و «پتاح-سوكر»، و «أوزير-حاب».

وصورت القوى الإلهية في هيئة بشرية، أو حيوانية، وعلى نحو خاص في صورة تجمع بين الهيئتين. ولم يكن ذلك نوعا من الشرك، بمعنى تعدد آلهة متساوية المكانة، وإنما كانوا يعبدون إلهها مركزيا واحدا باعتباره الخالق الحى الذى لا يموت، والمصدر الأول والكائن الأعلى الذى جاءت منه جميع الآلهة.

وتتنوع سمات وملامح الآلهة المتعددة. كما نشأت آلهة محلية فى الأقاليم، كل منها له شخصيته وتقاليده. وقد بدأت عبادة «رع» العظيم فى «لونو»^(*)، و «أمون» فى «أواست» و «پتاح» فى «منف»، باعتبارها آلهة محلية، ارتقت فى آخر الأمر وأصبحت تعبد باعتبارها آلهة للدولة. . وعبدت آلهة كونية أيضا، باعتبارها الكائنات التى شاركت فى خلق البشر. واستمرت عبادة الآلهة الكلية، مثل «ماعت» و «نون» (الكتلة المعتمدة الرطبة التى نشأ عنها جميع الآلهة) خلال تاريخ مصر القديمة. كما عبدت آلهة ثانوية، مثل «توريت» و «بس» على مستوى شخصى، داخل البيوت، كآلهة منزلية.

(*) توضح المؤلفة فى موضع لاحق من الكتاب أنها هليوبوليس بالإغريقية أو «عين شمس» - المترجمة.

وربتت بعض الآلهة ضمن ثالوث؛ مجموعات من ثلاثة آلهة مرتبطة معا؛ عادة في هيئة أسرة من أب وأم وطفل. وبين هذه المجموعات، الثالوث المقدس في «أبو» وفي «أواست»، و«منف».

القوى ذات الأهمية

فيما يلي قائمة أبجدية(*) لبعض الآلهة «نترو» التي استمرت عبادتها لما يزيد عن ثلاثة آلاف عام. ويشار إلى الآلهة بأسمائها المصرية الأصلية، مع التغييرات المناسبة

● Akru (Akeru) أكر (أكر في صيغة الجمع)، الأسدان اللذان يحرسان الشمس في شروقها وغروبها. ويترجم الاسم إلى «المنحنى». وهو في الأصل إله قديم للأرض، ويحرس بوابات الفجر، التي تشرق منها الشمس يوميا. ويصور على هيئة أسد ذورأسين، أو أسدين يضع كل منهما ظهره في ظهر الآخر، وبينهما رمز للأفق. واسم أولهما «دو» أو «تو»، والآخر «سف» وترجمتهما على التوالي «اليوم» و«أمس». وكان أكر يعبد في «ناي-تا-حوت» (ليونتوبوليس) وهناك لوحة تصوره في مقبرة نفرتاري (من الأسرة التاسعة عشرة).

● Amen (Amun, Amon, Ammon, Ammoun) آمون: ملك آلهة طيبة، ويعرف أيضا بسيد الخلق وحمى الفقراء والضعفاء. ويعنى اسمه «المختفى». وصور «آمون» على هيئة رجل وسيم يرتدى تاجا له ريشتان. واعتبر الكيش والماعز حيوانيه المقدسين اللذين يريان ويتغذيان في معابده. وآمون الذي خلق نفسه بنفسه، زوج «موت» «الأم العظيمة». وأنجب الاثنان «خنسو» إله القمر. وعندما أصبحت «أواست» عاصمة البلاد خلال عصر الدولة الوسطى، ارتقى آمون ليصبح إله المملكة. ولما كان «رع» يعبد باعتباره خالقا آخر، فقد ارتبط آمون به، وأصبح يعبد كمعبود مركب باسم «آمون-رع» ملك الآلهة.

● Anpu (Anubis, Inpu, Yinepu) «أنوبيس»، الإله ذو رأس ابن آوى، إله خبراء التحنيط، والمومياءات، وحارس الجبانة. وهو معبود قديم، ترجع عبادته إلى الدولة

(*) الترتيب في الكتاب الأصلي وفق الأبجدية الإنجليزية، وقد فصلت الاحتفاظ بالترتيب وفق ما كان عليه في الكتاب الأصلي، ووضعت الأسماء كما هي باللغة الإنجليزية لتسهيل النطق بمعرفة شكل الحروف - المترجمة.

القديمة . وكان أول من أجرى عملية تحنيط ، عندما حنط جثة «أوزوريس» . وتصور بشرة أنوبيس باللون الأسود رمزا للموت ، والبعث . ويترجم اسمه إلى « الطفل الملكى » . وقد ولد من علاقة غير شرعية بين «أوزيريس» و«نبت - حت» . بينما يعتقد البعض أنه ابن «ست» و«نبت - حت» .

● Anqet (Anukis, Anuket) «عنقت» ، إلهة المياه ، التى عبدت فى «أبو» حيث يقع الشلال الأول . ويعتبر الغزال حيوان «عنقت» المقدس ، وهى ترتدى تاجا من الريش أو الحطب فوق رأسها . ويترجم اسمها إلى «الحاضنة» حيث تحتضن النيل . وهى زوجة «خنمو» ، وقد شكلا مع ابنتهما «ساتيت» ثالوث «أبو» . ويعتقد البعض أن «ساتيت» شقيقة «عنقت» وزوجة «خنمو» .

● Apep (Apophis) «أبوفيس» ، الثعبان المخيف إله العالم السفلى ، عدو «رع» وابنته «باست» . وهو التشخيص لظلمة الليل . ويقدم «كتاب هزيمة أبوفيس» تعاويذ سحرية ، تهدف لمساعدة الناس على النجاح فى محاربتة ؛ وإحداها تمكن طالب التعويذة من معرفة الاسم الحقيقى لأبوفيس . ويعتقد أن هذا النص يرجع إلى عصر الرعامسة .

وعزا المصريون القدماء ، غروب الشمس يوميا إلى أن «ابوفيس» كان يبتلعها . ويعتقد أنه كان يسكن فى أعماق مياه «نون» . وعندما يتنقل «رع» كل يوم بمركب الشمس عبر السماوات ؛ يواصل «أبوفيس» معركته التى لاتنتهى لتدميره . وخلال العواصف التى تحجب أشعة الشمس ، وفى أوقات الكسوف الشمسى ، كان المصريون يعتقدون أن «أبوفيس» حقق انتصارا على «رع» . وللمرء أن يتخيل فقط مدى رعب المصريين المتعلقين بالروحانيات والغيبيات أثناء حدوث كسوف كلى للشمس .

● Atem (Atum, Tem, Temu) «أتوم» ، إله الشمس الذى خلق نفسه بنفسه ، ووالد «شو» و«تفنوت» . ويترجم اسمه إلى «الكامل» ، ويؤمن التابعين لمذهب أتوم بأنه خالق الكون . ويرمز خفرع إلى الشمس المشرقة ، ، بينما يمثل رع الشمس عند الظهر ، عندما تكون فى ذروة قوتها . ويرمز «أتوم» للشمس الغاربة . ويصور «أتوم» عادة ، مثلما «أتون» ، فى صورة رجل ، ويندمج أيضا فى رع ، ليعبد تحت اسم «أتوم رع» ، أو «رع أتوم» .

● Aten (Aton) «أتون»، قرص الشمس المرئى والشمس نفسها، وبدأت عبادته منذ عصر الدولة الوسطى. ونبع جوهر هذا المعبود من دفء وضوء الشمس. وفى عهد «أخناتون» (الدولة الحديثة) حل «أتون» محل مجموعة الآلهة المصرية كلها، وأصبح الإله الوحيد. ويصور «أتون» غالبا بأشعة ممتدة تنتهى ب «عنخ»، أو الأيدى التى تطوق البشرية. ويقع مركز عبادته فى المدينة التى أنشأها «أخناتون»، المعروفة باسم «أخيتاتون» (أفق أتون)، وتعرف الآن باسم «العمارة».

● Ausar (Osiris,Asar,Wisir) «أوزيريس»، هو فى الأصل إله الأرض والحياة النباتية، وعاد للحياة مرة أخرى كإله الموتى والبعث. وعند موته، صار «أوزيريس»، - بمساعدة ابنه «أنوبيس» وزوجته «إيزيس» - المومياء الأصلية. فقد علم «أنوبيس» «أوزير» فن التحنيط، وبهذه المهارة والمعرفة، بعث «أوزيريس» للحياة مرة أخرى. و«أوزيريس» هو تجسيد دائرة البعث. وهو قاضى وحكم العالم السفلى وسيد «أمنيتى»، بلاد الموتى. ويصور «أوزيريس» أيضا فى هيئة بشرية، بألوان مختلفة: الأسود يرمز لظروف موته، والأبيض لهيئته المحنطة، والأخضر يصور قدرته المتجددة، البعث، بينما يذكرنا بمكانته الأصلية كإله الفيضان والحياة النباتية. ويترجم اسمه إلى «ذلك الذى يرى العرش» ويقع مركز عبادته عند «أبدجو» (أبيدوس). و«دجدو» أو «بير اوزير» (أبوصير).

● Auset (Isis,Aset,Ast) «إيزيس»، زوجة وشقيقة «أوزيريس»، وأخت «نبت - حت» و «ست». وهى «سيدة السحر» و «حامية الأطفال». وتعرف بتاجها الذى يشبه العرش، أو المقعد، الذى هو معنى اسمها. كما أنها من ساعدت «أنوبيس» الذى منح «أوزيريس» حياة خالدة. و«إيزيس» أهم ربوات مصر القديمة. وهى أيضا واحدة من أربع ربوات لحماية الموتى.

● Bast (Bastet) «باست»، ذات رأس القط، إلهة الاحتفال، والحب، والبهجة، والنشوة المقدسة من الخمر، والموسيقى، والسحر. وهى ابنة «رع» و «أوزيريس»، وترجع عبادتها إلى نحو ٣٢٠٠ قبل الميلاد فى مدينة «بير باست» (بوباتيس، وحاليا تل بسطة)، حيث بنيت جبانة واسعة للقطط. ويمكن تفكيك اسمها إلى «با - أست» الذى ترجمته «روح أوزيريس». وتحمى «باست» القطط، فضلا عن أولئك الذين يعبدون هذا الحيوان بالغ القداسة.

● Bes «بس»، إله الولادة المرح، ذى رأس فظ المنظر، حامى الأطفال والحارس من الكوابيس. وهو أيضا إله الموسيقى، والرقص، والمرح، وفراش الزوجية، وكان يعتقد أنه يمنح حسن الحظ للمتزوجين حديثا. وبخلاف الآلهة الأخرى، غالبا ما يصور «بس» فى هيئة كاملة من الأمام. وغالبا ما تعلق تيممة بصورته كتعويذة حظ سحرية. ويمكن وصف «بس» بأنه قزم ذى لحية، وغطاء رأس من الريش، وقناع لوحش من فصيلة الأسود. ونظرا لكونه لطيفا وطيبا، كان «بس» يحكم البهجة والنشوة. ولم يكن لهذا المعبود مركزا لعبادته أو معبدا مخصصا له، غير أنه كان محبوبا للغاية وغالبا ما يعبد بصورة خاصة فى البيوت.

● Duamutif (Tuamutef) «دواموتف»، حامى معدة المتوفى، وحاكم الشرق. وهو واحد من أبناء حورس الأربعة، الذى تحميه، «نيت»، بدورها. ويترجم اسمه إلى «ذلك الذى يمجده أمه». ويصور «دواموتف» على هيئة رجل محنط برأس ابن آوى.

● Geb (seb) «جب»، إله الأرض وخالق الجبال. وهو زوج وشقيق «نوت» إلهة السماء، وابن «شو» و «تفنوت». وغالبا ما يصور على هيئة أوزة بيضاء، أو رجل برأس أوزة؛ ويمكن أن يظهر ببشرة خضراء، ممثلا الحياة، أو سوداء رمزا للأرض الخصبة. وفى بعض الروايات يعرف «جب» بأنه «الطائر العظيم» الذى قطع صمت العالم بوضع أول بيضة كونية للخلق (*).

● Hap (Apis) «حاب» «أبيس»، أحد آلهة الخصوبة، الثور المقدس معبود «منف». وفى العصر البطلمى، اتحد مع «أوزيريس» وعرف باسم «أوزير-أبيس» (سيرابيس)(**). ويصور «أبيس» على هيئة ثور يعلو رأسه قرص الشمس، والكوبرا الملكية «أوراكوس». وهو المعبود الوحيد الذى يصور على هيئة حيوان كامل.

(*) حفل التاريخ الفرعونى بأساطير مختلفة حول نشأة الخلق ومن بينها أسطورة ترجع الخلق إلى ظهور بيضة غريبة غامضة من العدم، انكسرت قشرتها ذات يوم فخرج منها إله الشمس الذى صعد للسماء، وغيرها من الأساطير التى تتبدل فيها أدوار الآلهة وأسمائهم أحيانا من إقليم لآخر ومن فترة زمنية لأخرى، ففى روايات أخرى يرجع خلق هذه البيضة إلى تحوت، كما ورد فى معجم الحضارة المصرية القديمة ترجمة أمين سلامة، والصادر عن الهيئة المصرية للكتاب - المترجمة.

(**) يشير المرجع السابق إلى أن سيرابيس كان معبودا يشترك فى عبادته الإغريق والمصريون، وانتشرت عبادته فى الإسكندرية - المترجمة.

● Hapi «حعبي»، معبود مخنث، يجسد النيل. وهو زوج «نخبت» و «واجت»، سيدتى الأرضيين. ويترجم اسمه إلى «الجارى». ويعرف بتاج زهور اللوتس أو نباتات البردى التى يرتديها فوق رأسه. كما يصور على هيئة رجل بدين، منبعج البطن، يرمز للفيضان وخصوبة النيل.

● Hapy «حايى» من أبناء حورس، حامى رثتى المتوفى، ويصور على هيئة رجل محنط برأس قرد. وهو حاكم الشمال، وتحميه «نبت-حت».

● Heka «حكا»، إله السحر، والطاقة المقدسة، ومثله الإلهة «ويريت حكاور». ويجسدان معا أساليب السحر، ويصوران كثعبانى كوبرا، أو بشريين برأسى كوبرا.

● Heqet (hekhet) «حقت» برأس الضفدع، إلهة الولادة، والخصوبة، والبعث. وهى زوجة «خنمو» وغالبا ما كانت تستحضر لتسهيل عملية الولادة وحماية الأم. ولما كانت الضفادع تظهر خلال موسم الفيضان علامة على الوفرة، كانت «حقت» تعبد فى هذه الهيئة.

● Heru (Horus) «حورس» الصقر، أو الشمس برأس صقر، إله السماء والأفق. ويترجم اسمه إلى «ذلك الذى فى الأعلى». وترمز عينا «حورس» إلى الشمس والقمر. وحورس هو إله الحياة وسيد السموات. وكان يعبد فى عديد من الصور المتميزة، ومنها ابن «أوزيريس» و«إيزيس»، المولود بعد وفاة والده، والمعروف باسم «حيرو-سا-أوست» الذى يترجم إلى «حورس ابن أوزيريس». ويعرف أيضا باسم «حور-بو-كرات» (حاربوقراطيس)^(*)، وباسم «حيرو-أور» الذى يعنى «حورس العظيم». وهو الابن المحارب ل «نوت» و «جب» وشقيق «أوزيريس» و«إيزيس» و«نبت-حت» و «ست». ويعرف أيضا باسم «هيرو-بهادتى» المنتقم لقتل والده «أوزيريس».

● Het-Heru (Het-Hrew, Hathor, Hathoor, Athyr) «حتحور» الإلهة برأس بقرة، رفيقة «حورس»، وتعرف أيضا باسم «البقرة المقدسة». وهى ربة السماء، والحب، والفرح، والموسيقى، والرقص، والسرور، والخصوبة، والولادة. وهى أيضا ربة النشوة من الخمر، ووفقا لإحدى الرويات، فقد أصبحت كذلك، عندما

(*) حاربوقراطيس باللغة المصرية يعنى الإله الطفل، الذى صنعت له فى عصر متأخر تماثيل من البرونز كطفل يرضع إصبغه. المرجع السابق - المترجمة.

هدأت «سخت» بعدما ثملت من شرب الجعة المصبوغة بالطفل الأحمر . ويترجم اسمها إلى «بيت حورس» . وهى ابنة أخرى للإله «رع» ، وتعرف بأنها أحد مظاهر «إيزيس» . وكان مركز عبادتها ومعبدها فى «لونت» (دندره) .

● Imseti (Amset, Mestha, Mesti) «إمستى» أحد أبناء «حورس» الأربعة ، ويحرس كبد المتوفى وهو يحكم الجنوب . ويصور على هيئة رجل محنط وتحميه الإلهة «إيزيس» ، ويعتقد أن «إمستى» ساعد «أنوبيس» فى تخنيط «أوزيريس» .

● Khepera (khepre, Khaphre, Khepri, Kheper) «خبر» ، الإله برأس جعران ، خالق نفسه ، رب البعث والوجود . وهو التشخيص للشمس المشرقة يومياً . ويترجم اسمه إلى «يصبح» ، أو «يرجد» ، أو «يخلق» . و«خبر» الذى يعبد فى صورة تيمة «الجعران» التى تجسد أوضاعه المادية والكونية .

● Knemo (khnun) «خنوم» ، ذو رأس الكبش ، إله الخصوبة ، وفيضان النيل ، وخلق العالم . وشكل مع زوجته «عنخت» ، إلهة الماء ، و«ساتيت» إلهة الخصوبة وفيضان النيل ، ثالث «أبو» .

وتحكى قصة نقشت على صخرة عن قوة وأهمية «خنوم» . وتبدأ الأسطورة خلال السنة الثامنة عشرة من عهد زوسر ، وكانت مصر لم تشهد ارتفاعاً كافياً لمياه النيل لمدة سبع سنوات ، وانتشرت المجاعة فى البلاد ، وحرار الفرعون بشأن الأحوال . فاستدعى مستشاره الخاص وسأله عن منبع النيل والإله الذى يتحكم فيه . فأوضح المستشار أن النيل ينبع من كهف يدعى «كيرتى» فى «أبو» ، حيث يوجد معبد مكرس لعبادة «خنمو» ، وينبغى أن تقدم له القرابين لأنه الوحيد الذى يفتح بوابات تدفق مياه النيل .

وعمد زوسر إلى تقديم العديد من القرابين للإله «خنمو» ساعياً لإرضائه . فظهر «خنمو» ، ووعد بأن يرفع مستوى مياه النيل كل عام فى نفس الوقت الذى كان يرتفع فيه قبل ذلك . غير أنه اشترط شرطاً واحداً؛ فمعبده فى «أبو» أصبح مهملاً ويبدو أن الناس تخلوا عنه عملياً ، لذلك طلب من «زوسر» أن يعيد تجديد المعبد مقابل عودة الفيضان . وعمد الفرعون إلى ترميم المعبد بأقصى ما يستطيع ، واصدر مرسوماً بتخصيص أرض على ضفتى النيل قرب «أبو» لمعبد «خنمو» . كما عين كهنة لرعاية

المحراب بعد تجديده . وتعين نقش هذا المرسوم الملكى على لوح حجرى ، ليعرض كتعبير عن الامتنان لخنمو عن إنهاء الجفاف بإعادة فيضان النيل السنوى .

ونقشت القصة كلها على صخرة عرفت باسم «نصب المجاعة» وضعت عند الشلال الأول للنيل ، حيث ما يعتقد أنه مقر إقامة «خنمو» . ورغم أن القصة وقعت خلال عصر الأسرة الثالثة ، إلا أنه يعتقد أن نقشها حدث خلال العصر البطلمى .

● Khonso (Khenso) «خنسو» ، إله قمرى لطيف ، يصور على هيئة طفل محنط يضع خصلة الشعر الجانبية الخاصة بالشباب ، ويرتدى تاجا على هيئة الهلال . وهو الابن المتبنى الثانى للإله «أمون» و الإلهة «موت» ، ويشكل معهما ثالوث «أواست» . ويترجم اسمه إلى «المسافر» أو «الجوال» ، باعتباره إله القمر المتحول . ويمتلك أيضا قدرات علاجية كما يظهر من القصة التالية :

خلال عهد «رعمسيس العظيم» ، عاشت فتاة باهرة الجمال فى بلاد «بختن» ، وهى الابنة الكبرى لأمير البلاد . وكان جمالها بالغ حتى أنها قورنت بالريات . فرغب الفرعون فى الزواج منها ، وهو المنتصر العظيم الذى تعود أن ينال ما يريد . وبالطبع نفذت مشيئته ، وأسماها «رع-نفرو» (محاسن رع) ، وسرعان ما تولت مهماتها كزوجة للفرعون . وعاشا معا حياة سعيدة . وفى أحد أيام السنة الخامسة عشرة من عهد الفرعون المديد ، أحضر رسول رسالة من ملك «بختن» ، يقول فيها أن «بنت-ريشيت» الشقيقة الصغرى للملكة مرضت . وتوسل للفرعون أن يرسل طبيبا بارعا لعلاج ابنته الصغرى . واستدعى «رعمسيس الثانى» أفضل معالج فى البلاد ، وأرسله فورا إلى أرض «بختن» . وبعد فترة قصيرة ، أدرك الطبيب أنه لا يجد علاجاً لما ابتليت به شقيقة الملكة ، سواء كان مرضا ، أو لعنة ، أو مسا من روح خبيثة . ومرة أخرى ، أرسل ملك «بختن» رسالة إلى الفرعون ؛ لكنه التمس هذه المرة الحصول على القوى العلاجية لأحد الآلهة . وعندها ، ذهب «رعمسيس الثانى» إلى معبد «خنسو» وتضرع من أجل زوال البلاء عن الفتاة . وتقول الأسطورة أن تمثالا للإله «خنسو» وصل إلى «بختن» بعد ١٧ شهرا . وعندما واجه «خنسو» الروح الشريرة التى مست الأميرة ، عقدا صلحا معا ، واستردت الأميرة صحتها .

وأذعنت الروح الشريرة لـ «خنسو»، لكنها اشترطت أمرا واحدا قبل رحيلها: أن يعد ملك «بختن» مهر جانا كبيرا للتكريم «خنسو» وتكريمها معه. وعندما انتهى الحفل، التزمت الروح بتعهداتها، وعادت من حيث أتت. بيد أن القلق ظل يتناوش ذهن الملك، وخشى أن تعود هذه الروح إذا عاد تمثال «خنسو» إلى مكانه الأصلي في مصر. واحتفظ الملك بالتمثال في «بختن» ثلاثة أعوام وخمسة شهور وأربعة أيام؛ ثم عاد إلى مصر نتيجة حلم مشؤوم، سنبحته لاحقا. ونقشت هذه القصة على لوح يعود إلى عام ٣٠٠ قبل الميلاد.

● Ma'at «ماعت»، تجسيد وإلهة الحقيقة والعدالة والتآلف. كما أنها تجسيد للقانون والنظام الكونى. وهى ابنة «رع»، ويمكن تمييزها بريشة النعامة البيضاء التى تضعها فوق رأسها رمزا للحقيقة.

● Maftet (Mafdet, Mefdet, Maldet) «مفتيت»، الإلهة النمرة، التى عاونت «رع» فى التغلب على «أبوفيس». ووفقا للأسطورة، تناصر «مفتيت» المتوفى، وتوفر له الحماية ضد لدغات الثعبان. ويظهر اسمها فى «متون الأهرامات» حيث تقضى على الثعابين بواسطة مخالبها الحادة.

● Menu (min) «مين»، إله المطر والحياة النباتية، والقوى الجنسية، والفحولة. وهو من أقدم الآلهة المصرية. وكانت تقدم له القرابين من نبات الخس لما يعتقد فى احتوائه على خواص منشطة جنسيا. وعبدا أولئك الذين يرغبون فى تحفيز الفحولة والخصوبة لديهم هذا الإله فى «قبطو» (كوبتوس).

● Mertsger «مرتسرجر»، الإلهة الكوبرا، وسيدة الغرب، وهى إلهة الصحراء، وحامية من الأفاعى المخيفة فى تلك المنطقة. وتصور أيضا برأس صقر. وهى تحرس جبانة «أواست» ويترجم اسمها إلى «محبوبة الصمت».

● Montu (Monthu, Mentu) «مونتو»، إله الحرب، برأس الصقر أو رأس الثور. وهو أول ابن متبنى لآمون و«موت». وكان يعبد فى «بير-مونتو» (هرموتيس). ويترجم اسمه إلى «البدوى».

● Mut «موت» الإلهة الرخمة^(*)، ربة السماء، وابنة أخرى لرع. وهى زوجة

(*) طائر من فصيلة النسريات ورتبة الجوارح- المترجمة.

«آمون» وأم «خنسو». ويترجم اسمها إلى «أم»، وهى تعبد باعتبارها «أم الجميع المقدسة» و «أم طيبة العظيمة».

● Nebet-Het (Nephtys) «نفتيس»، ابنة «جب» و «نوت»، شقيقة «أوزيريس» و «إيزيس» وزوجة «ست». ويترجم اسمها إلى «سيدة البيت». ويعتقد أنها هى التى صنعت أربطة الكتان لمومياء «أوزيريس». وهى إحدى ربوات الحماية الأربع للميت. وكانت تعبد فى الوجه القبلى مع الإله «ست». وتصميم تاجها يصور اسمها بالهيروغليفية.

● Nefertem (Nefertum) «نفرتوم»، زهرة اللوتس إله العبير، ابن «بتاح» و«سخمت» (يشكل معهما ثالث منف). ويدمج «نفرتوم» مع إله الشمس «رع»، حيث تفتح تويجات زهرة اللوتس مع شروق الشمس. ويعتقد أنه نشأ عن مياه «نون» البدائية. ويصور على هيئة رجل وسيم، ويعرف بتاج زهور اللوتس فوق رأسه. وهو يصور أحيانا برأس أسد، إشارة إلى أمه «سخمت» الإلهة اللبؤة. ويترجم اسمه إلى «جمال آتوم».

● Nekhbet «نخبت» الإلهة الرخمة زوجة «حابى» التى حمت فراغة الوجه القبلى. وهى أيضا إلهة الولادة. وعرفت «نخبت» و «واجت» اللتان ترعيان صعيد مصر باسم «نتى» (السيداتان).

● Nit (Neith) «نيت» إلهة الخير والصيد. وباعتبارها إحدى الإلهات الحارسات الأربع، فهى أيضا راعية النساجين. وكان مركز عبادتها فى ساو (صالحجر). وتصور غالبا على هيئة امرأة ترتدى تاج الوجه القبلى، الأحمر. وهى أم «سوبك» الإله ذى رأس التمساح.

● Nun «نون» إله المياه البدائية التى يعتقد أنها أصل الحياة كلها. ويترجم اسمه إلى «الليج».

● Nut (Nuit) إلهة السماء، وزوجة «جب». وهى أيضا ابنة الإله الأسد «شو» و«تفنون». واعتبر جسدها خالق السماء وهو الذى شكلها. ومن ثم فهى تصور غالبا على هيئة لون أزرق يمتد فوق الأرض. وتجسدها امرأة ترتدى ثوب أزرق ضيق تتناثر

فيه النجوم، تمثل سماء الليل . و «نوت» أم «إوزيريس» و «إيزيس» و «نبت - حت» و «ست» .

● Pakhet (Pakht, Pekhet) «بخت»، الإلهة القطة والأسد التي ترعى جميع المصريين، موتى وأحياء . وعرف الإغريق «بخت» باسم «أرتميس» . ويترجم اسمها إلى «هى التى تخدش»، وتربط غالبا بالإلهة «سخمت»، واعتبرت أحد مظاهرها . وقد بنت الملكة «حتشبسوت» من الأسرة الثامنة عشرة معبدا لعبادة «بخت» .

● Ptah «پتاح» إله الصنّاع، والبنائين، والفنانين . و«پتاح» الذى يعنى «الفتاح»، واحد من أقدم وأحب الآلهة فى مصر القديمة؛ والإله الخالق لمنف، وزوج «سخمت» . وهو يصور، مثله مثل «خنسو» فى صورة إنسان محنط . واعتبر المؤمنون به فى «منف» أنه خالق البشر وجميع المخلوقات . حيث أنه بمجرد أن نطق باسم كل مخلوق، خرج ذلك المخلوق إلى الوجود . وتقول أسطورة أخرى أنه خلق «پت» (السماء) و «تا» (الأرض)، بأمر من «توتى» . . وربما كان اسمه ناتج جمع «پت» و «تا» .

● Qebensenuf (Kebensenuf) «قبنسونف»، أحد أبناء حورس، الذى يحرس أمعاء الميت . وتحميه، بدورها، الإلهة العقرب «سلكت» . و يصور على هيئة رجل محنط برأس صقر . وهو يحكم الغرب .

● Ra (Re) «رع»، إله الخلق؛ الشمس برأس الصقر، أبو الملوك، ومن أهم المعبودات؛ خصوصا فى مركز عبادته «لونو» (هليوبوليس التى تعنى بالإغريقية «عين شمس») . وهو يتوحد مع الشمس . ويعتقد المؤمنون به أن البشرية والحياة كلها نبعت من دموع «رع» عندما انتحب على الخلق وجمال الإنسانية . فبدون «رع» أو الشمس التى يجسدها، كانت مصر ستعيش فى ظلام تام . وساد الاعتقاد أن رع يولد من جديد عند كل فجر، ويموت عند الغروب . . واعتبر طفلا عند شروق الشمس، ورجلا قويا فى ذروة الظهيرة، ورجلا عجوزا عند اقتراب الغروب . ثم توحد مع «حورس» وأصبح يعبد باسم «رع - حو أختى» الذى يترجم إلى «رع الذى هو حورس الآفاق» .

● Renenutet (Rennet) «رع نينت»، إلهة حسن الحظ، والخصوبة والحصاد، برأس الكوبرا . وعقدت مهرجانات الحصاد على شرفها . وكانت أيضا حارسة أثناء الولادة .

● Satet (Satis) «ساتيس»، إلهة الخصوبة، وفيضان النيل السنوى . وهى إما ابنة أو زوجة «خنمو»، وشكلت معه ومع شقيقتها - أو أمها «عنقت» - ثالوث «آبو» .

● Seker (soker, socharis) «سوكر» إله الضياء، ذو رأس الصقر، وحامى الأرواح التى تنتقل عبر العالم السفلى والحياة الأخرى . وهو راع رئيس للصناعات الجنائزية، والبنائين فى جبانة «أواست» . وفيما بعد اتحد «سوكر» مع «پتاح» و«أوزيريس»، وصار يعبد باسم «پتاح - سوكر - أوزير»، وباعتباره يجسد الخالق «پتاح»، والاستقرار «سوكر» والموت «أوزيريس» .

● Sekhmet «سختمت»، إلهة الحرب والدمار، اللبؤة، ابنة «رع»؛ ولدت من نار عينه الشمسية عندما عاقبت البشر بسبب عدم ولائهم، وقلة احترامهم «رع» المسن . وهى الجانب المظلم من «حتحور»، غير أنها متفردة فى ذاتها؛ فسختمت تدمر لتمهد الطريق للتقدم . وهى ربة للعلاج أيضا، حيث تطرد الشر الذى تجلبه الأمراض . ويترجم اسمها إلى «القوية» . وهى زوجة «پتاح» وأم «نفرتوم» وتشكل معهما ثالوث «منف» .

● Serqet (Selket) «سلكت»، إحدى الربات الحارسات لأحشاء المومياوات . ساعدت سلكت فى ولادة الآلهة والفراغنة . وهى أيضا ربة السحر . وتعرف بالعقرب الذى يعلو رأسها . ويترجم اسمها إلى «التي تحرر القصبه الهوائية» أو «من تسبب التنفس»، كما أنها توفر الحماية من لدغة العقرب المميتة، فتلدغ «سلكت» الأشرار، وتنقذ أولئك الأبرياء من الأثام الذين هاجمهم عقرب .

● Seshat «سيشات»، إلهة الكتابة، والحساب، والعمارة، وحفظ السجلات، والمقاييس . وتعرف بالثوب الضيق الذى ترتديه من جلد النمر، بالإضافة إلى النجمة السباعية أو الزهرة ذات السبع بتلات فوق رأسها . وهى زوجة «تحتوت» ويترجم اسمها إلى «السيدة الكاتبة» . وتقول الأسطورة أنها سجلت أسماء وأفعال الفراغنة على شجرة الحياة بغرض منحهم الخلود . وتحسب «سيشات» أيضا أيام الوجود الفانى للفرعون على الأرض، بتسجيل علامة مقابل كل عام من حياته على فرع النخل الذى تحمله .

● Set (Sutckh, Seth) «ست» الذى يصور فى هيئة رجل برأس كلب، أو خنزير، أو حمار، من أكثر الآلهة الذين أسىء فهمهم فى مصر القديمة . وهو شقيق «أوزيريس» و«إيزيس» وزوج «نبت - حت»، وكان فى الأصل مصدرا للخوف باعتباره

قاتل «أوزيريس». وصار إله الفوضى، والعواصف، والصحراء، والأجانب، فى الوجه البحرى. وكان محبوبا فى «جانيت» (تانيس) و«نوت» (أومبوس)، كما صار المعبود الأعلى للهكسوس. ويعرف أيضا باسم الإله الأحمر، حيث يصور غالبا بشعر أحمر (اللون الذى يمثل الشر، والحداد ومنطقة الصحراء فى الأرض الحمراء).

● Shu «شو»، إله الهواء والرياح، برأس الأسد، وله شقيقة توأم، هى «تفوت». ويعتقد أن الاثنتين أول المخلوقات البشرية التى خلقها «رع» وشبها بنجمى برج «الجوزء». وغالبا ما يصور «شو» مرتديا ريشة فوق رأسه، وهو يسند «نوت» إلهة السماء. وترجم اسمه إلى «جاف» أو «مجفف».

● Sobek (Sebek) «سوبك»، إله الخصوبة والمياه، برأس التمساح. وتشير النصوص الجنائزية إلى أن سوبك المسئول عن إعادة حاسة البصر إلى الميت. وهو ابن «نيت»، ومركز عبادته فى «بير سوبك» (بيت سوبك) أو «كروكوديل بوليس» بالنسبة للإغريق أى مدينة التمساح.

● Taueret (taweret, Thoucris) «تاوريت» إلهة الولادة والحياة العائلية، على هيئة فرس النهر. ويعتقد أن اسمها يترجم إلى «العظيمة» غير أن تحليل اسمها إلى «تا» (الأرض) و «أور» (عظيم) و«إت» (أداة تأنيث فى آخر الكلمة) ربما يشير إلى أن الاسم يعنى «هى من الأرض العظيمة».

● Tefnut «تفوت» إلهة الرطوبة والمطر، برأس الأسد، توأم «شو» (الريح) وأم «نوت» (السماء) و «جب» (الجبال/ الأرض). وهى ابنة أخرى للإله «رع».

● Tehuti (Thoth, Djhuty) «تحتوت»، الإله القمر برأس أبى قردان أو رأس القرد؛ إله الكتابة والحكمة والأدب. ويعرف أيضا باعتباره رسول الآلهة وكاتبهم. وكان مركز عبادته فى «بير- تحتوت» (هرموبوليس، مدينة هرمس) (*). وفى الأساطير اليونانية، شبه بهرميس إله اليونان، وهو فى الأساطير الرومانية «عطارد» (**). وغالبا ما يشاهد «تحتوت» حاملا قلما ولفافة من ورق البردى. وهو وزير «أوزيريس» ومبدع

(*) الأشمونين حاليا، وتبعد ٣٠٠ كم جنوب القاهرة- المترجمة.

(**) هيرميس هو رسول الآلهة عند اليونان القدماء وإله التجارة والصحافة والمكر، وكان كذلك «ميركيورى» أو عطارد عند الرومان القدماء- المترجمة.

الكتابة الهيروغليفية والتقويم . وباعتباره إله القمر ، خلق أول تقويم يعتمد على أطوار القمر ، وكانت مهمته تسجيل الوقت .

● (Wadjet (Uadjet, Edjo, Buto) «واجت» الإلهة الكوبرا وزوجة «حابي» ،
حامية ملوك الوجه البحرى . وهى نظيرة «نخبت» وكل منهما تعرف بأنها «نبتى»
(إحدى السيدتين) . ويعنى اسم «واجت» «السيدة الخضراء» ، وهى تسيطر على أراضي
المستنقعات فى الوجه البحرى . وأطلق الإغريق على المنطقة والإلهة «بوتو» .

أساطير الخلق

لدى المصريين عدة قصص لتفسير كيف بدأ العالم، كل منها تحدد مكانهم فى الكون. وتبدأ جميع هذه القصص بالكتلة المائية لبحر الظلام الساكن «نون». وآلهة الخلق الرئيسة هى «أمون-رع»، و«آتوم-رع»، و«رع-آتوم» «خنمو»، و«پتاح».

ووفقا لإحدى الأساطير، خلق «پتاح» إله الصناعات البشر بكلماته وأفكاره. وتقول أسطورة بديلة أن «خنمو» صنع الإنسان من الطين، مستخدما دولا به الإلهى لتشكيل الفخار. وخلق أول إنسان مخلوق أول بيضة، ومنها خرجت الشمس، وتبعها جميع أشكال الحياة. ووضع «خنمو» مثل هذا الدولا ب (أو البيضة) داخل كل امرأة، حتى لا يصبح مسئولا بعد ذلك عن إعمار الأرض بالسكان. بينما يشير تفسير آخر إلى أن «خنمو» خلق «كا» أو قرناء كل إنسان على دولا به الفخارى.

وتنسب قصة أخرى، فى متون الأهرامات: إلى «الثامون» أو «مجموعة الثمانية» خلق البشر. وتكونت هذه المجموعة من أربعة أزواج من الآلهة الذكور والإناث، مجسدين القوى الأساس للطبيعة. «نو» و«نوت» خلقا السموات والمطر، بينما «حيحو» و«حنوت» خلقا النار. وينسب الظلام إلى «كيكوى» و«كيكويت». أما الليل والفوضى فشكلهما «كيرح» و«كيرحت». وتذكر مصادر أخرى أن الثامون تكون من أزواج الآلهة «أمون» و«أمنيت»، و«نون» و«نونت»، مع «حيحو» و«حيحت»، و«كيكوى» و«كيكويت».

ووفقا لإحدى الأساطير، افترق «شو» إله الهواء و«تفنوت» إلهة الرطوبة، عن «آتوم-رع»، الذى نزع عينه وأرسلها للعشور على طفليه. وعندما وجد التوأمان

طريقهما وعادا مع عينه، بكى «أتوم-رع» من الفرح، ومن تلك الدموع أو «ريميت»؛ ولد البشر أو «رمت» (بمعنى الإنسان). وتحكى رواية أخرى أن «جب»، «الصاحب العظيم» خلق العالم عندما وضع البيضة الكونية التى نبعت منها الحياة.

وفى «لونو» خلال أوائل عصر الأسرات، نشأ ما يعرف باسم «التاسوع» من تسعة آلهة. ووفقا للأسطورة، خلق «التاسوع» العالم، ولكن تحديد الآلهة الذين شكلوا هذا التاسوع مثار جدل. وأيا ما كانت القائمة الصحيحة، فهذه الآلهة جزء من أكثر أساطير الخليقة شعبية وقبولاً:

- «رع-أتوم» (أو حورس طبقاً للقائمة التى تبحثها).

- «شو» و «تفنوت».

- «جب» و «نوت».

- «أوزيريس» و «إيزيس».

- «ست» و «نبت-حت».

ولعل أكثر أساطير الخلق قبولاً وانتشاراً، التى تتصور الحياة باعتبارها انبعثت من زهرة لوتس عملاقة. وكانت اللوتس ترمز إلى البعث، حيث تجسد دورة الانبعث المستمرة، عندما تفتح أوراقها وتغلقها كل يوم. ونمت هذه الزهرة المقدسة من تل صغير، يرتفع من بحر «نون» البدائى، المظلم، الساكن، الذى شمل جوهر الخلق بأكمله. وهذه الفكرة تتوازى مع فكرة ولادة مصر من الماء، مياه النيل. ومثلما تظهر آثار للأرض بعد أن تبدأ مياه النيل فى الانحسار، فالعالم نفسه بزغ من تل بدائى ظهر من المياه أو اللا تكون. واعتبر التل المقدس، المعروف باسم «بن-بن» هو البقعة الأولى، حيث لامست أشعة الشمس، للمرة الأولى، الأرض فى اللحظة المعروفة باسم «تيب-زيبى»-أولى لحظات الخلق. ومن هذا التل، ولد «أتوم». وكان «بن-بن» التل أصل الخلق، ومصدر الحياة كلها، الملهم لتصميم الأهرامات.

وتقول رواية أخرى، أن «رع» إله الشمس، بزغ من زهرة لوتس، أو بيضة كونية، ظهرت من التل الأولى. وبحلول عصر الأسرة الخامسة، توحد «أتوم» مع «رع» وعبد

فى هيئة مركبة «أتوم-رع». وخلق «رع» أو «أتوم-رع»، «شو» إله الهواء والرياح الذى بدأ ينتشر فى الدنيا. ثم خلق "تفنوت"، إلهة الرطوبة، والمطر، التى تساقطت على البشر. ونجم عن زواجهما «نوت» و «جب»، الذين شكلا السماء، والجبال، والأرض. وكان «نوت» و «جب» على علاقة حب قوية لدرجة دفعت «رع» لوضع «شو» (الهواء) بينهما حتى يتيح للبشر النمو والتكاثر. ويذكر تفسير آخر أن «شو» يرفع جسد «نوت» للحيلولة دون سقوط السماء. وكان يعتقد أن «نوت» تبتلع الشمس كل يوم عند الغسق، ثم تطلقها عند الفجر. وخلال ساعات الظلام، تنتقل الشمس عبر مركب «رع» الشمسى.

وكان رع بالغ الدهاء، فهو خالق الكون على أى حال. وحذرت بصيرته الذكية من أنه من الخطر أن ينجب أطفالا من «نوت»؛ فرما يخونه أحدهم وينهى حكمه لمصر. ومن ثم تلفظ «رع» بتعويذة لم تعد «نوت» بسببها قادرة على إنجاب أطفال فى أى يوم من أيام السنة المصرية. وذكرت مصادر أخرى، أن «رع» كان يغار للغاية من العلاقات بين «نوت» و «جب»، وفى لحظة غضب، ألقى لعنته على الإلهة التى كان مفتونا بها.

ودفع الحزن واليأس «نوت» إلى طلب العون من «تحت». فاقترح «تحت» الحكيم لعب النرد أو «سينيت» مع «خنسو». وراهن إله القمر «خنسو» بحصة من ضوئه، خسرها فى نهاية الأمر. وأخذ «تحت» هذا الضوء لنفسه، وقام بتجميعه مشكلا خمسة أيام زائدة عن أيام السنة، ألحقت بنهاية التقويم. وعرفت هذه الأيام الخمسة المقدسة باسم «أيام النسى». وفى أول هذه الأيام الخمسة، ولدت «نوت» «أوزيريس»، ثم أنجبت «حيرو-أور» فى اليوم الثانى، و «ست» فى الثالث، و «إيزيس» فى رابع أيام النسى، ثم «نبت-حت» فى خامس هذه الأيام وأخرها. وأكملت هذه الآلهة الخمسة، مع «شو»، و «تفنوت»، و «جب»، و «نوت»، تاسوع الآلهة العظيمة فى «لونو» (عين شمس). ولما خسر «خنسو» جزءا من ضوئه، لم يعد قادرا على السطوع طوال الشهر، وبات على ضوئه أن يتناقص حتى يصل للعتمة الكاملة قبل أن يزيد مرة أخرى ليصل إلى كامل تألقه؛ وهذا هو السبب الذى يجعلنا نرى أطوار القمر.

ولم تكن العلاقات داخل أسرة الآلهة بعيدة عن المتاعب . فأحبت «نبت - حت» «أوزيريس» ، حتى أنها تنكرت في هيئة «إيزيس» في إحدى الليالي وذهبت للقاءه ؛ وتقول بعض المصادر أنها أسكرته بالنبيذ، حتى لم يعد قادرا على التفرقة بينها وبين زوجته «إيزيس» . ومن هذه العلاقة ولد «أنوبيس» ، «الطفل الملكى» . وعلم «أوزيريس» شعب مصر قيمة القمح والشعير ، وبين لهم كيفية صناعة واستخدام المعدات الزراعية . وأوضح للناس طريقة زراعة البذور ، وإثماء المحاصيل ، باستغلال فيضان النيل السنوى الذى يخلف وراءه طميا غنيا وخصبا وغودجيا لإثماء الغذاء . وعلم «أوزيريس» و«إيزيس» الناس طريقة زراعة الكروم وإنتاج العنب ، وتحويله إلى نبيذ . ومنحهم «أوزيريس» سبل بناء أمة متحضرة ، بوضع دستور من القوانين ، فى ظل «ماعت» يعيشون بمقتضاه . وبين لهم كيفية التعبير عن العرفان بعبادة الآلهة . فأحس الناس بالاطمئنان ، وازدهرت مصر .

وكلما زاد تعلق الناس بأوزيريس وتبجيلهم إياه ، استشاط أخوه «ست» غيرة منه وحنقا عليه . وربما انكشفت العلاقة التى وقعت بين «نبت - حت» و«أوزيريس» فأثارت تحوله المبكر ضده . وفى أثناء العام الثامن والعشرين من عهد «أوزيريس» سقط ضحية مؤامرة قتل أَعدها «ست» و ٧٢ متآمرا . فبينما كان «أوزيريس» يجول فى البلاد الأخرى لتعليم أهلها سبل الحياة الرغدة والمرضية ، حلت «إيزيس» محله ، الأمر الذى استطاعت القيام به بفعالية ونجاح . غير أن عجلة الخيانة فى خطة «ست» كانت تحرك بالفعل ، وتوقعا منه لعودة «أوزيريس» إلى مصر ، أعد «ست» وليمة ضخمة على شرف أخيه . وحصل «ست» سرا على مقاسات دقيقة لجسد «أوزيريس» . ثم كلف أبرع الفنانين بإبداع أروع تابوت حجرى على الإطلاق - بنفس شكل وحجم جسد «أوزيريس» تماما . وصنع غطاء التابوت من أفخر أخشاب الأرز المستوردة من «بابيلوس» ورضع بالعاج النفيس والأبنوس من بلاد «بونت» وعندما عاد «أوزيريس» وأقيمت الوليمة ، عرض التابوت الفخم كهدية للضيف الذى يناسب التابوت مقاسه . وإذا أخذنا فى الاعتبار تركيز الثقافة المصرية على أفخر مكملات الزينة الجنائزية ، كانت هذه هدية قيمة بالفعل .

ولم يكن «أوزيريس» مدركا على الإطلاق للمؤامرة الشريرة، حيث لم يكن يسرى فى عروقه سوى الخير. وخلال الوليمة، رقد عدد قليل من الرجال الذين اختيروا بعناية داخل التابوت. أحدهم كان أطول كثيرا، والآخر كان أقصر كثيرا، والثالث كان أعرض كثيرا. ومن ثم اقترح أحدهم (كما هو مخطط) أن يأخذ الفرعون نفسه دوره داخل التابوت الرائع. ووافق «أوزيريس» بمرح، وسر تماما عندما أدرك أن الصندوق البديع يناسبه تماما. وهنا، أغلق التابوت بقوة، وسممر بإحكام، وختم بالرصاص المنصهر بواسطة الاثنين وسبعين متأمرا، الذين طرحوه بعد ذلك فى مياه النيل.

وعندما سمعت «إيزيس» بمصير زوجها، قصت خصلة من شعرها وارتدت ملابس الحداد. واشتد بها الحزن، فشرعت فى البحث عن صندوق الغدر الذى يحوى جسد زوجها؛ حيث تعلم أنه من دون الجسد لن يتسنى إجراء طقوس دفن سليمة تضمن له الخلود. وبالنسبة للمصريين القدماء، صارت دموع «إيزيس» التى سالت لأجل زوجها رمزا لفيضان النيل السنوى. وأخذت الزوجة تبحث بصورة محمومة عن زوجها، وتساءل كل من تلقاه فى طريقها. وكشف لها أطفال يلعبون على ضفة النيل أنهم شاهدوا خزانة فخمة طافية على مياه «وادج-ور» (الأخضر العظيم) أو البحر المتوسط. وشعرت «إيزيس» بالامتنان الشديد لهم، ومن ثم منحت من فورها أطفال مصر موهبة التنبؤ.

وطرحت الأمواج القوية التابوت على فروع شجرة «الطرفاء» الواقعة على سواحل «بابيلوس». وكانت الشجرة تطرح أوراقا ضخمة، كثيفة لدرجة أخفت الصندوق عن الأعين. غير أن هذه الشجرة غير العادية لفتت نظر «مالكاندر» ملك «بابيلوس» الذى أمر بقطعها وعمل عامود منها لتزيين قصره العظيم. جاهلا لحسن الحظ بما يرقد داخلها. وفى نفس الوقت، واصلت «إيزيس» بإلحاح سؤاها فى أنحاء البلاد. وفى نهاية الأمر، عرفت أن جسد زوجها محبوس داخل عامود شاهق فى قصر «مالكاندر». وأعدت «إيزيس»، التى لا تخشى شيئا، خطة لكسب ثقة بنات الملك، ومن ثم تجد طريقة لدخول القصر الملكى. فمشت إلى شاطئ البحر، وجلست لترتاح حيث يذهب بنات القصر للاستحمام يوميا. وعندما خرجت الفتيات الصغيرات من المياه، ظهرت لهن «إيزيس»، وعلمتهن كيف يجدلن شعرهن ونفخت أنفاسها عليهن

بأروع عطر ينبعث من زفيرها . وأمضت ملكة مصر المنكورة والسيدات الصغيرات فترة بعد الظهر معا فى سرور . وعندما عادت الفتيات إلى القصر ، شمت الملكة «عشتار» أريجهن ، وأعجبت بأسلوب تصنيف شعرهن الجديد . وطلبت الملكة معرفة من أين جاءت هذه التحسينات ، ثم أصرت على مقابلة السيدة الغامضة التى تحدثت عنها الفتيات بهذا القدر من الإعجاب . فأحضرت «إيزيس» إلى القصر ، وسرعان ما اكتسبت ثقة الملكة «عشتار» ، التى كلفتها بإرضاع ابنها ، الأمير الصغير . وكان الطفل متوعلك الصحة ، فردت إليه «إيزيس» صحته بإرضاعه إصبعها .

وفى إحدى الليالى ، اتخذت «إيزيس» هيئة طائر السنونو ، وقررت أن تهب الطفل (الذى أصبحت مغرمة به) نعمة الحياة الخالدة . وبينما هى تستعد لإلقاء الطفل فى النار (حتى تتخلص من أجزائه الفانية) ، أوقفها الملكة «عشتار» التى كانت تقف على مقربة منها سرا . حيث قفزت الملكة ، وأمسكت بابنها ، فى الوقت المناسب لإبطال سحر التعويذة . وكشفت «إيزيس» عن هيئتها الحقيقية ، وأبدت غضبها العنيف على الملكة التى حرمت الطفل من الخلود . فسقطت الملكة رابعة على ركبتيها ، عندما أدركت أن المرضعة كانت فى الحقيقة ملكة مصر العظيمة . وكعرض للصلح ، عرض ملك وملكة «بابيلوس» ، على «إيزيس» ، أعلى كنوز بلادهما ، بيد أنها أجابتهما أن رغبتها الوحيدة هى العثور على جسد «أوزيريس» ، وأنها علمت أنه مخبوء فى أحد الأعمدة الخشبية التى يقدرها الملك . ولبيت رغبتها فورا ، وبعد أن حددت «إيزيس» العامود المرجح ، شقته لتجد الصندوق النفيس . فألقت بنفسها عليه وأطلقت صرخة أسى مدوية ، حتى أن أميراً صغيراً آخر ، يقف إلى جوارها مات فزعاً من هول الصوت . وأعادت إيزيس الصندوق إلى مصر .

وعندما بلغ «ست» أمر نجاحها ، طار صوابه من الغيظ . وحدد موقع الصندوق ، ثم قطع جسد «أوزيريس» إلى أربعة عشر جزءاً ، وألقاها إلى التماسيح فى النيل . بيد أن التماسيح لم تهاجم جسد «أوزيريس» ولا قارب البردى الذى حمل «إيزيس» وهى تعيد البحث عن زوجها؛ الأمر الذى تسبب فى تقديس التماسيح ، رغم الخوف منها كما فى السابق ، فى مصر القديمة . (وتشير رواية أخرى إلى أن التماسيح حمل جسد «أوزيريس» على ظهره وأعادته سالماً إلى الشاطئ) .

وهكذا، عاودت «إيزيس» سؤالها المفعم بالأسى عن بقايا زوجها. ورغم أن «نبت-حت» كانت زوجة «ست»، إلا أنها بقيت مخلصه لكل من «أوزيريس» و «إيزيس». ربما بدافع من الحب، أو الإحساس بالذنب بشأن ليلتها مع «أوزيريس» التي نتج عنها ولادة «أنوبيس». وبمعاونة «نبت-حت» و «أنوبيس» جمعت «إيزيس» باعتبارها سيدة السحر وإلهة الشفاء، قطع جسد زوجها، وغسلتها بطول ضفتي النيل، وأعدت تجميع الجسد. وحيثما عثرت على قطعة من جسد «أوزيريس»، كان يقام محراب لتقديسه، وهو السبب في وجود العديد من مقابر «أوزيريس» في أنحاء مصر. وتقول الأسطورة إن رأسه وجدت في «أييدجو» (أييدوس) التي صارت مدينة الموتى المقدسة، وكرست لعبادة «أوزيريس». وقد عثر على جميع أجزاء جسده ما عدا العضو التناسلي، الذي اعتقد أن سمكة من أسماك النيل ابتلعتة. ولهذا السبب اعتبر النيل بوجه خاص خصبا، ومانحا للحياة، بينما اعتبر الكثيرون السمك «غير نظيف» ومحرمًا أكله.

وأدى «أنوبيس» إله التحنيط، وحارس الجبانة، عملية التحنيط، والطقوس المطلوبة لإعادة «أوزيريس» للحياة. وأصبح «أوزيريس» أول مومياء، وصار الآن قادرا على التنقل عبر «دوات» إلى «أمتي»، حيث أصبح ملك العالم السفلي. وصنعت «إيزيس» بمعاونة اختها «نبت-حت» بواسطة السحر بديلا للعضو المفقود، وبذلك حملت طفلا من «أوزيريس». وأطلق على الطفل اسم «حيرو-سا-أوست» وتولت والدته تربيته سرا من دون علم «ست».

وتزايدت قوة الطفل حتى أصبح قادرا على الانتقام لموت والده؛ وعند هذه اللحظة أصبح «حورس». ونشبت سلسلة من المعارك بين «حورس» و «ست» الذي اتخذ هيئة خنزير ضخم اسود اللون، ومنذ ذلك الحين، اعتبر الخنزير أيضا حيوانا «غير نظيف» واعتبر الكثيرون لحمه غير صالح للاستهلاك الآدمي. وخلال إحدى هذه المعارك ثار غضب «حورس» على والدته التي أصابته خطأ برمح بدلا من «ست». وتشير روايات أخرى إلى أن «إيزيس» أحست للحظة بالأسف لأخيها الذي كاد أن يهزم على يد ابنها، وفي لحظة غضب قطع «حورس» رأس «إيزيس» لذلك فقد سعت لأول رأس يمكنها العثور عليها، فكانت رأس بقرة. وهكذا ولدت «حت-حيرو» الإلهة برأس البقرة، كأحد مظاهر «إيزيس». وأحيانا تقول القصة أن الشارة الملكية على تاج «إيزيس»-

وليس رأسها- هي التي أطاح بها «حورس» في غضبه . ثم وضع «تحت» مكان الشارة خوذة مصنوعة من رأس ، ثور ، فأصبحت «حت - حيرو» اللطيفة زوجة «حورس» . وسواء ولدت «حت - حيرو» من غضب «حورس» أو من سكينه «سخت» ، فهذا أمر متروك للقارئ للنظر فيه واتخاذ قراره بشأنه .

وفي المعركة النهائية ، تنكر «ست» في هيئة فرس نهر ضخمة أحمر اللون . واتخذ «حورس» هيئة رجل عملاق مسلح برمح طوله ثلاثون قدما . وضرب «حورس» «ست» بالرمح منهيًا حياته أخيرا . ويقال أن هذه كانت آخر معركة بين الخير والشر وقعت في «بهديتى» (إدفو) ؛ حيث بنى معبدا ضخما لعبادة «حورس» . وأصبح «حورس» المنتقم العظيم ، وحامى الآلهة ، وسيد السماء ، والنهار ، والنظام . أما «ست» المهزوم ، فصار إله العواصف ، والصحراء ، والأجانب ، والارتباك ، والفوضى ، والليل . وتولى «أوزيريس» دور إله البعث ، وقاضى الموتى ، بينما ظل «أنوبيس» إله الحفظ والتحنيط ، وسيد الجبانة .

عبادة الحيوان

لعل من أكثر الجوانب سحرا في الثقافة المصرية القديمة، تعدد الحيوانات التي تعبر وتجسد ضمن مجموعة الآلهة. فكل حيوان معروف تقريبا نال قداسة، ورؤى أنه يحمل روح أحد الأسلاف، وخصائص الإله الذى يجسده. وكان كل إله تقريبا يمثله ويجسده حيوان معين.

ومثلها مثل الفراعنة، اعتبرت حيوانات معينة وسيطة بين الإنسان والآلهة. وقدمت الهدايا للحيوانات باعتبارها تجسيدا للآلهة، فى مقابل الحصول على خدمة من الإله المطلوب. وأقيمت مدافن خاصة قاصرة على أنواع معينة منها، مثل جبانة الحيوانات فى سقارة. ومثلما حدث مع البشر، أجريت عمليات تحنيط أحيانا لحيوانات «ذهبت إلى الغرب» عندما اكتملت حياتها على الأرض. بيد أن حيوانات أخرى كانت حياتها تختصر، عندما تختار كقرايين أضحى فى الاحتفالات الجنائزية.

وتمتعت الحيوانات المقدسة الحية بحياة الترف فى المعابد، حيث يعتنى بها الكهنة. وعلى سبيل المثال «حاب» (عجل أبيض)، كان يعرف بلونه. وعندما يموت واحد من هذه الحيوانات، يختار واحداً من نفس الفصيلة بدلا منه. فالعجل ينبغى أن يكون لونه أسود تماما، مع بقعة بيضاء على جبهته بشكل ثمرة اللوز. وتشمل العلامات الأخرى شكل صقر على ظهر الحيوان، وشكل خنفساء على لسانه، وذيل به شعرتان. وعندما يختار العجل الجديد، يعبد باعتباره «حاب» الجديد، عجل «منف» المعبود، وتجربى له طقوس إعداد مدتها ٤٠ يوما، لا يحضرها سوى النساء.

وتقول الأسطورة إن «حاب» حملت به بقرة عذراء أثناء عاصفة برق. ويجرى احتفال ضخم بميلاده، ويقام مهرجان في اليوم السابع من ولادته. وعندما يتخطى «أبيس» سن الشباب (حوالى ٢٥ عاما)، يتم التضحية به، ويغمره الكهنة فى مياه النيل المقدسة. ويتبع ذلك إجراءات دفن فاخرة، ويقام الحداد لمدة ٧٠ يوما. وتجرى له نفس عملية التحنيط والطقوس التى تجرى لفرعون، كما يدفن وفقا لجميع الشروط المطلوبة للحياة الأخرى. وعندما يموت «أبيس» يصبح متوحدا مع «أوزيريس»، وخلال العصر البطلمى أدمج فى إله البعث وعبد باسم «أوزير-حاب» (أو سيراييس كما أسماه الإغريق). وهناك مقبرة واسعة تحت الأرض، مخصصة للعجول المحنطة. ويعرف هذا السرداب باسم «سيراييوم سقارة».

واستخرج من السيراييوم أربعة وعشرون تابوتا حجرياً، تحوى عجولا من عصر الأسرة الثامنة عشرة. وصنع كل تابوت بإتقان من كتلة جرانيت واحدة، ويزن أكثر من ٨٠ طناً (*). وكانت أم عجل أبيس تقدر أيضا، وتدفن فى حجرات خاصة تقع شمال السيراييوم. ومنذ الأسرة السادسة والعشرين على الأقل، كانت أم العجل تعتبر مقدسة، وتستحق حياة وموتا كريمين للغاية. وغالبا ما تقدم الثيران التى لا يحتوى جسدها على أى شعرة أو بقعة سوداء، كقرابين للعجل «حاب»، ومن بين العجول المقدسة الأخرى «مر-أور» (منفيس) الذى عبد فى «لونو»، و «باخا» (باخيس) الذى عبد فى «بير مونتو» (هرمونتيس).

وحظيت الأبقار، بسبب ارتباطها بالإلهة «حتحور» بإجلال بالغ، واعتبرت مقدسة. وعند موتها الطبيعى، تطرح هذه الحيوانات المقدسة فى مياه النيل المقدسة. أما لحوم الخنازير، والخنازير البرية فهى محرمة، ويثير هذا الحيوان الخوف فى أقاليم معينة من مصر. وتعرض الخنزير للكراهية بسبب ارتباطه بالإله «ست» غير المحبوب. وتشير الأسطورة إلى أن «ست» اتخذ هيئة خنزير أسود ضخم، وظهر هكذا لكل من «رع» و«حورس». وأطلق الخنزير سهما من النار إلى عين «حورس» اليسرى (القمر)، وأصابه بالعمى. واستدعى «تحوت» لعلاجه، وخلد هذا العمل رمزيا كل شهر بتألق القمر (علاج العين وعودة البصر إليها) وشحوبه (فقدان البصر). وألقى «رع» لعنة

(* ورد فى معجم الحضارة المصرية القديمة (مرجع سابق) أن أثقل هذه التوابيت هو وحده الذى يزن ٨٠ طناً- المترجمة.

على الخنزير، وهكذا صار هناك حيوان واحد على الأقل غير مقدس. ويذكر مؤرخون أن أى مصرى يلامس ثوبه خنزيرا، كان يسارع بالنزول إلى النيل لتطهير نفسه. وهناك أيضا دلائل على أنهم كانوا يضحون بخنزير، باسم «حورس» عندما يكتمل البدر كل شهر.

وصور «أنوبيس» حامى الموتى وحارس الجبانة على هيئة ابن آوى. وكان هذا الحيوان بالتحديد يجول فى أفنية المقابر؛ ولهذا أصبح مرتبطا بالموت. وكانت الكلاب قريبة الصلة بابن آوى، وشاع اصطحابها للصيد، خصوصا النوع السلاقي. وكان المصريون يحتفظون بالكلاب باعتبارها حيوانات أليفة وفيه وحراسا مخلصين. وعندما يموت أحدها، يخلق أفراد الأسرة شعرة رؤوسهم وأجسادهم بالكامل. وغالبا ما تدفن الكلاب بجوار أصحابها. واعتبرت الكلاب مقدسة فى «كاسا» (سينوبوليس باليونانية أو مدينة الكلاب). وكان للكلاب أيضا علاقة خاصة مع «إيزيس»، التى توحدت مع «سوبديت» (سيريروس أو سوئيس، نجم الشعرى اليمانية) الذى جسد كونيا روحها. وصور «دواموتف» أحد أبناء حورس الأربعة برأس كلب أو ابن آوى.

ولدى المصريون القدماء سبب إضافى - عن بقية المجتمعات - للخوف من الذئب؛ وهو العدو اللدود للكبش، الحيوان المقدس رمز «أمون»، ملك الآلهة، و«خنمو» أحد آلهة الخلق. غير أن الذئب عبت فى «زواتى» (ليكوبوديس باليونانية - مدينة الذئب)، ودفن العديد من موميواتها فى مقابر بالجبال الواقعة فوق هذه المدينة.

وخاف المصريون الثعابين أيضا كما عبدوها ورمزت للخلود. حيث يشكل الثعبان دائرة ويعض ذيله، كما يجسد مفهوم البقاء، والتجدد والبعث عندما يطرح عنه جلده. وصورت عدة آلهة فى هيئة أفاع. كانت «مرستجر» و«واچت» إلهتين برأسى كوبرا (وأحيانا تمثلان على هيئة حية) وكذلك «حكا» و«ورت - حكا» ومثل «ابوفيس» الثعبان الضخم، إله العالم السفلى، الذى جسد الظلام، والقوى البدائية للهيول. واعتبر «أبوفيس» عدوا بالغ الخطورة لكل من «باست» و«رع». أما «محن» فهو إله ثعبان يحمى «رع» من «أبوفيس» أثناء تنقله فى مركب الشمس عبر السماء كل ليلة.

أما الأرنب البرى فرمز إلى حدة الحساسية والوعى، ومن ثم صورت «ون نفر» أحد مظاهر «إيزيس» فى صورة أرنب برى.

وجسدت الزرافة - بسبب ارتفاعها وقدرتها على الرؤية من أعلى - المعرفة والقدرة على الاستبصار، ولم يكن الزراف من حيوانات البيئة المصرية وإنما استورد من النوبة .

واعتبر التمساح مقدسا لأنه يرمز للإله «سوبك»، بيد أن آخرين اصطادوا هذا الحيوان، من قبيل الرياضة . وكانت بلدة «بير سوبك» (بيت سوبك) التي تعرف أيضا باسم «شيت» (أو كوروكودايل بوليس) مركز عبادة هذا الزاحف المائي وعثر على العديد من التماسيح المحنطة هناك . وورد في الوثائق أن التماسيح لقيت رعاية وحظيت بتقديس بالغ في بحيرة «مويريس» وفي «أواست»، فقد أبى التمساح مهاجمة «إيزيس» عندما كانت تستقل قاربها البردى أثناء بحثها عن جسد «أوزيريس»، ولم ينس شعب مصر للتماسيح هذا الموقف . بينما اعتبر آخرون التمساح تجسيدا للشرب باعتباره حليفا للإله «ست» .

ورمز فرس النهر لخصوبة المرأة . وصورت الإلهتين «آبت» و«تاورت» التي عرفت بعد ذلك باسم «ريريت» في هيئة أنثى فرس النهر . أما «أمتي» مفترس الأرواح في مشهد المحاكمة، فهو ثلث فرس نهر . غير أن بعض المصريين اعتقدوا أن هذا الحيوان أيضا توحد مع ست، وامتلك بعض صفاته الشريرة . واصطاد البعض هذا الحيوان أيضا من باب الرياضة .

واعتبرت الضفادع مقدسة باعتبارها رمزا للإلهة «حقت» إلهة الخصوبة والولادة . كما عبدت الخنفساء باعتبارها تجسيدا للإلهة «سلكت» حامية المتوفى الملكي .

اللدغة

في ليلة من الليالي، كانت «إيزيس» تسافر متنكرة مع ابنها «حيرو - سا - أوست» ورفاقه، العقارب السبعة . ولحاجتهم إلى مأوى لقضاء الليل، ذهبوا إلى بيت رجل نبيل . فخافت الزوجة من العقارب السبعة، وأغلقت الباب ما أن اقتربوا من منزلها . وشعرت إيزيس وابنها والعقارب بالغيظ، وقررت العقارب بوجه خاص الانتقام .

وفي نفس الوقت، فتحت فتاة فلاحه صغيرة باب بيتها المتواضع، ورحبت بإيزيس وصحبتها . وخلال الليل، انسل أحد العقارب خارج بيت الفتاة، واتجه إلى أرض المرأة الثرية، وتسلسل داخل البيت حيث لدغ ابنها، ثم شرع في إشعال النار بالبيت . وطافت

أم الطفل الشوارع تتوسل من أجل المساعدة والعلاج لابنها . وسمعت «إيزيس» صرخاتها التي تصم الأذان وشعرت بالأسى لحالها وحال ابنها البريء ؛ الذي لا ينبغي أن يدفع ثمن سلوك والدته الفظ . ولما كانت معرفة اسم شخص تتيح للمرء السيطرة عليه ، فقد عرفت إيزيس أسماء العقارب السبعة . وأخذت الطفل بين ذراعيها ونظقت هذه الأسماء الواحد إثر الآخر ، فذهب السم الذي عذب جسد الصغير . وصارت السيدة الثرية ممتنة ، ومخرجة من عدم تقديم واجب الضيافة لإيزيس والعقارب . أما الفتاة الفلاحة فكوفئت بهدايا رائعة .

الطيور والنحل

تمتع النحل بقيمة رمزية في الوجه القبلي ، حيث رمز إلى دموع «رع» . ولهذا السبب ، اعتبر العسل طاهرا ، كما اعتبر عنصرا ناجعا وفعالا في السحر الطبى .

وحظيت الطيور بإجلال ، واعتبرت أرواحا للإلهة . واعتبر أولئك الأكثر تصديقا للغيبيات ؛ العصفور ، ورؤية طائر ميت ، نذير شؤم . بينما لقي الصقر (الذي عرف باسم «هيك») بتقدیس بالغ بفضل علاقته بحورس . وكان الصقر عندما ينشر جناحيه ، يعتبر عملا مقدسا من أعمال الصلاة ، والهداية ، والحماية . وصورت الروح «با» في هيئة صقر برأس بشرى تحلق فوق جسد المومياء . وكان مركز عبادة الصقر في «نخن» (هيراكونوبوليس باليونانية ، ومعناها «مدينة الصقر»).

أما طائر الرخمة ، وبسبب ارتباطه بالإلهة «نخت» ، فقد حظى بتبجيل بالغ ، خصوصا في الوجه القبلي . وكانت الإلهتين «موت» و«نيت» تجسديين للرخمة المقدس . كما عبد طائر «العنقاء»^(*) كأحد مظاهر الشمس . وجسد «العنقاء» ، الذي يخلق نفسه ، البعث عند المصريين القدماء .

ورمز «أبو منجل» المقدس إلى الحكمة والتركيز الذهني ، ومن الأرجح أنه اختير لتمثيل الإله «تحتوت» إله الكتابة ، لأن منقاره يمثل ريشة كتابة تتجه إلى أسفل كما لو أنها بصدد الكتابة . واعتبر «أبو منجل» تجسيدا للإله «تحتوت» . وكانت الآلاف من هذا

(*) اعتقد قدماء المصريين أنه طائر يعمر خمسة أو ستة قرون ، ثم يحرق نفسه ، ومن رماده ينبعث ثانية في قمة صباه وبهائه - المترجمة .

الطائر تربي حتى تحنط وتقدم كقرابين لهذا الإله، وقد عثر على أعداد محنطة منها في «بير خنمو» (هرمبوليس أى مدينة هيرمس المقابل اليونانى لتحوت).

ونتيجة لطبيعة حب الاستطلاع عند القرده، ارتبط السعدان والقرده بتحوت أيضا، ورمزا للكفاءة العقلية. كما أن «أستن» أحد أشكال تحوت الذى اتخذ شكل سعدان. أما «حابى»، وهو أحد أبناء «حورس»، فقد صور برأس سعدان بينما يحرس رثى المتوفى فى الجرار الكانوية. وكانت هذه الحيوانات تربي، وتحظى برعاية فى المعابد، على شرف «تحوت». وريت القرده غالبا باعتبارها حيوانات أليفة، ودربت على جمع الفاكهة من قمم الأشجار العالية، كما توضح اللوحات. ودربت القرده أيضا على حمل المشاعل فى الولايم، وكانت تصطف خارج البيت لتتير الطريق للضيوف المغادرين الحفل.

الرفاق من فصيلة القطط

حظى الأسد بالإعجاب لقوته وشجاعته. ويبدو أن الأسود صورت كحراس، مثلما يحرس «ابو الهول» العظيم، فى هيئة الأسد، أهرامات الجيزة. وغالبا ما وضع المصريون تماثيل أسود عند أبواب بيوتهم، وقصورهم، ومعابدهم لحراستهم من الشر. ولم تكن الأسود تصاد، ما لم تكن من بلاد أجنبية. وتفاخر «أمنمحتب الثالث» بأنه قتل ١٠٢ من الأسود فى سوريا بقوسه وسهامه فى غضون عشر سنوات. وغالبا ما سحب كل من «رعمسيس الثانى» و«رعمسيس الثالث» معه أسدا، سواء كان ذاهبا إلى معركة أو رحلة صيد. ويظهر مشهد لمعركة حربية، على الجدران الخارجية للمعبد الجنائزى لرعمسيس الثالث فى مدينة «هابو»، الفرعون يخوض هجوما فى عربته الحربية ويرافقه أسد شجاع. وتحرس الأسود أيضا الشمس مانحة الضياء، وفى الفلك تحكم الشمس برج الأسد.

وكان «سخمت»، و«شو»، و«تفوت»، و«أكر»، و«نفرتوم»، و«منحيت» معبودات على هيئة الأسد. وتعتبر الأسود مقدسة فى «لونو» (هليوبوليس باليونانية بمعنى عين الشمس) لارتباطها بالشمس. ولقيت الأسود أيضا تقديسا بالغافى «ناى-تا -حوت» (ليونو توبوليس)، الواقعة على بعد عدة أميال جنوب «بير باست» (بوباتيس

بمعنى «بيت باستيت» بالمصرية و «مدينة باست» باليونانية) وهو مركز آخر لعبادة فصيلة القطط، التي ازدهرت جوالى ٣٢٠٠ قبل الميلاد.

وأغرم المصريون القدماء بالقطط (أو «ميو» كما أطلقوا عليها) التي اعتبروها أحب الحيوانات إليهم على الإطلاق، وقد استأنسوها منذ أكثر من أربعة آلاف عام. واعتبرت القطط مخلوقات روحية أكثر منها مجرد حيوانات أليفة أو صحبة مستأنسة. وعندما يموت قط الأسرة، يحلق كل فرد من أفراد هذه الأسرة حاجبيه (أو حاجبيها) علامة على الحداد. ويحنط جسد القط ثم ينقل إلى الجبانة فى «بير باست». ويمكن أن توقع عقوبة الإعدام على من يقتل قطا، حتى ولو على سبيل الخطأ. وغالبا ما تصحب القطط سادتها فى رحلات صيد الطيور (كما يظهر فى اللوحات الجنائزية). وحظيت القطط باحترام بالغ، ليس فقط لخفة حركتها وبراعتها فى مطاردة الفئران التى تدمر مخزون الحبوب، ولكن لكونها أعداء شجعان وبارعون لأبوفيس. فكانت «ريشت» إلهة على هيئة هرة، وتقول الأسطورة إن «مفديت»، الوشق^(*)، تسلقت شجرة الأفوكادو فى «لونو»، وذبحت «أبوفيس»، وقد صور ذلك فى لوحات جنائزية. وفى بردية «هونيفر» تظهر «مفديت» وهى تشرع فى ذبح «أبوفيس» بسكين ضخمة. وكوفئت القطط بالغذاء، والمأوى، والحب فى مقابل صحبتها وخدماتها القيمة.



(*) حيوان من فصيلة القطط أصغر من النمر - المترجمة.

الرمزية

شهدت مصر طوال تاريخها استخدام مجسمات رمزية ثرية. وظهرت الصور الرمزية على البرديات، والنقوش الجنائزية، والتوابيت الحجرية، والحلى، والتماثيل، والمسلات، وجدران المعابد والقصور. واستخدمت هذه الصور الرمزية لأغراض الزينة أيضا، غير أن مهمتها روحية بالأساس، ودينية وسحرية من حيث طبيعتها.

ويعتبر «عنخ» أكثر الرموز المصرية شعبية، وأقدمها، وأشهرها، وهو يمثل الحياة الأبدية، هدف المصريين من وجودهم كله. وتمثل الدائرة في الرمز الشمس، بينما يمثل الصليب الأرض؛ وبارتباطهما يرمز «عنخ» إلى الاتحاد بين الإله والإنسان، والسماء والأرض. وغالبا ما يصور الإله «أتون» على هيئة شمس متوهجة ذات أشعة ممتدة تنتهي برموز الحياة «عنخ». وهذا التصوير بالتحديد رمز لأن البشر تحوطهم أشعة أتون مانحة الحياة. وكان الملوك يرتدون «عنخ» التي تمد الفرعون بالحماية والحياة الأبدية. وصنعت المرايا، وهي تسمى أيضا «عنخ» على هيئة الرمز الذي حملت اسمه، غالبا. واعتبر المسيحيون الأوائل في مصر «عنخ» صليبهم المقدس، الذي حل محل الأشكال المختلفة للصليب المسيحي المعروف حاليا.



وغالبا ما زين رمز العين اليسرى، علامة «حورس»، أو «واجت» مداخل المقابر، والتوابيت الحجرية، حتى تمكن المتوفى من النظر عبرها إلى الخارج. وأصبحت «واجت» رمزا قويا للعلاج، والكمال الأعلى، عندما المتوفون والأحياء كتميمة.



صورة عين حورس

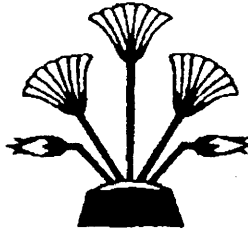
أما العين اليمنى، فتعرف بأنها عين «رع» الشمسية. وتقول الأسطورة أن «رع» أرسل عينه اليمنى فى ظلام الأرض للبحث عن «شو» و «تفنوت». ولما أضاءت الظلمة، أصبحت العين الشمسية القوية لرع. وغالبا ما تظهر عينا «حورس» و«رع» معا، تحملان رسالة العلاج (عبر عين «حورس») والحماية (من الإلهة «سخمت» التى نجمت عن عين «رع» الشمسية).

ومثلت زهرة اللوتس (أو «سيشن» كما كانت تعرف) التجدد والبعث. وهى الزهرة الوحيدة التى اعتبرت مقدسة؛ فهى تخرج من تحت الماء وتفتح تويجاتها مع شروق الشمس. وساد الاعتقاد أن «رع» لم يكن ليوجد من دون استنشاقه العبير اللطيف لزهرة اللوتس. ويبدو أن فراغة معينين دفنوا مع تويجات اللوتس الزرقاء حتى يمكنهم التمتع بالعبير إلى الأبد. وتقول روايات أخرى إن «نفرتوم»، إلهة العبير بهيئة زهرة اللوتس، قدمت هذه الزهرة إلى «رع» لتسكين آلامه وتخفيف متاعبه. واستخدمت رسومات زهرة اللوتس لزخرفة الكؤوس، والقرميد، وأوانى الزهور، والحلى، والخزائن، والمعدات والمرايا الجنائزية؛ وتبدو بصورة واضحة فى العمارة المصرية، حيث زين هذا الرمز المعابد والقصور والأعمدة.



زهرة اللوتس

وكان نبات البردى ، شعار الوجه القبلى ، يرمز للعالم وهو ينشأ من المستنقعات البدائية . وتقول الأسطورة ، إن أعمدة شاهقة من البردى تحمل السماء . وفى «الكرنك» ، أقام «تحتمس» الثانى عامودا فخما مزخرفا بشعار اللوتس ، وآخر مزخرفا برمز البردى ، نحو ١٤٧٥ قبل الميلاد . وكثيرا ما تظهر فى الجداريات الأعمدة الفخمة يعلوها شكل نبات البردى كرموز للقدرة الكلية والقوة . واعتقد المصريون أن زهرة اللوتس عند ارتدائها كتميمة ، تضى على مرتديها الشباب الخالد والبهجة الدائمة . ومثل شعار اللوتس والبردى متداخلا ، رمزا للتوحد أو لتعانق الأرضين ، الوجه القبلى والوجه البحرى . وكثيرا ما يظهر هذا الشعار ، المعروف باسم «سما توى» أو «تاوى» ، على المعابد ، والقصور ، والقوارب ، وكرسى العرش .



صورة اللوتس
والبردى متداخلا

أما ثالث النباتات الرمزية فى مصر القديمة ، فهو نبات السعد ، «سوت» أو «نسوت» . فمنذ عصر الأسرة الأولى ، كان نبات السعد رمزا للوجه القبلى والملك . وأحيانا ما كان يظهر مع رمز نحلة أو «بيتى» ممثلا للوجه البحرى ، واندمج الاثنان فى واحد من ألقاب الفرعون ، يطلق عليه «حاكم الوجه القبلى والوجه البحرى» .



صورة نبات السعد

بينما مثل الرمز «شن» اللانهاية والأبدية ، لأنه ليس له بداية ولا نهاية . وجاءت كلمة «شن» من «شنو» (التي تحيط) . و«شن» هو أصل الخرطوش ، الإطار الحامى

البيضاوى الذى يحوط اسم الفرعون . (وكلمة «خرطوش» فرنسية أطلقها جنود نابليون على أظرف البارود التى يستخدمونها). وقد مدت الدائرة الكاملة لتناسب الاسم، وتمكن الروح من الحياة طالما لم ينقطع رسم الدائرة. وخلال عصر الدولة الحديثة، صممت التوابيت الحجرية الملكية على هيئة خرطوش حتى تحمى الجسد وتضمن له الخلود. وغالبا ما تظهر «الرخمة» المقدسة ممسكة «شن» بين مخالبها.



ومثل الرمز «سا» الحماية أثناء الولادة. وغالبا ما تصور الإلهة «تاورت» وهى تضع برائنها فوق هذا الرمز، حيث أنها إحدى الإلهات الحارسات أثناء الولادة.



و«أخت» رمز الأفق، حيث تظهر الشمس، وهى تشرق أو تغيب بين قمى الجبلين. ومثل هذا الرمز أهمية كونية للمصريين القدماء. فقد صورت الشمس باعتبارها «الحارسة» التى تشرف على الجبال التى تحمل السموات. بينما كان الرمز أو الصورة الهيروغليفية التى تدل على الجبل أو «جو» عبارة عن نقش «أخت» من دون الدائرة التى تمثل الشمس.



ويمثل «نوب» الكلمة والرمز الدال على «الذهب»، المعدن المقدس، لحم الآلهة. وهو يمثل الخلود، والملكية، كما يمثل الطاقة الشمسية.



ولما كان مفهوم البعث جوهر الديانة والمعتقدات المصرية، فقد جسدت عدة رموز فكرة النشور. ومن بين أشهر رموز البعث، التي تعود للدولة القديمة، خنفساء الجعران، التي عبدت باعتبارها «خييرا» وهو إله خالق لذاته، ويصور غالبا على هيئة إنسان برأس جعران. ولما لم يكتشف خبراء الحشرات المصريين القدماء بيض الجعران الذى يخرج من الأرض، فقد بدا أنه يوجد نفسه بنفسه فى هذا العالم، وهكذا جسّد مفهوم التجدد الذاتى الدائم. وكان ميلاده أيضا رمزا لرحلة الشمس اليومية عبر السماء؛ حيث يدحرج الجعران كرات من الروث والطين ويتغذى عليها، وأصبح هذا السلوك رمزا «لتقلب الشمس اليومى فى السماء». وحتى اليوم، تعتمد بعض النساء المصريات الراغبات فى إنجاب عدد كبير من الأبناء، إلى سحق الجعران وخلطه بالماء، واحتسائه كوصفة لزيادة الخصوبة.



رسم لجعران أسود

وصنع العديد من التماثم على هيئة أشكال مختلفة من الجعارين. وبحلول عصر الاضمحلال الأول، بدأت زخرفة السطح السفلى من الجعران أيضا. وكانت الجعارين متاحة للأغنياء والفقراء على حد سواء، حيث صارت تنتج بحجم كبير. وصنعت الجعارين، مثلها مثل معظم التماثم، من الأحجار شبه الكريمة، والأحجار الصلدة، والزجاج، والفخار المصقول، والحجر الجيرى. وخلال عصر الدولة الحديثة اشتد

الطلب على الجعارين المصنوعة من الخزف، وأدخلت في تصميم الأساور، والقلائد، والخواتم، والعقود.

وصنعت جعارين ذات أجنحة بغرض تأمين سلامة المرور إلى العالم السفلى. وتهدف جعارين القلب إلى الحيلولة دون ظهور أى شر على السطح بينما يقف المتوفى أمام محكمة «أوزير». وغالبا ما تنقش تعاويذ للمساعدة فى جعل القلب صادقا عندما يوضع على الميزان مقابل ريشة «ماعت». واعتقدوا أن وضع تميمة على هيئة جعران فوق قلب المومياء، يضمن البعث والوجود الأبدى للمتوفى.

ونقش «أمنحوتب» الثالث الأخبار، والأحداث المهمة، ونقلها على السطح السفلى للجعران، مثل ذبح أكثر من مائة أسد خلال العشر سنوات الأولى من حكمه. ولم ينقش على تماثم الجعران انتصارات الفراعنة فحسب، وإنما أيضا إعلانات الزواج والاحتفالات. وبالإضافة إلى ذلك، نقشت على الأسطح السفلية من الجعارين السحرية الأمنيات أو التعاويذ. فعلى السطح السفلى لأحد الجعارين، مشهد لتحتمس الأول وهو يهزم «إيببى» حاكم الهكسوس خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة.



رسم لقرص الشمس المجنح

وغالبا ما ينقش قرص الشمس المجنح على مداخل المعابد. وعندما يوضع فوق اسم الفرعون فهو علامة على أنه منتصر. وتقول الأسطورة، إن «تحت» حول «حورس» إلى قرص شمس بجناحين منبسطين، عندما أخضع النوبيين، وأشار «تحت» على «حورس» بوضع أقراص شمس مجنحة فوق مدخل كل معبد فى مصر، لإحياء ذكرى هذا الحدث، ولتأمين الحماية من الأعداء.



وتمثل «تيت» أو «ربطة إيزيس» شكل «عنخ»، غير أن ذراعيها متدلّيتان لأسفل . وتسمى «تيت» أيضا «دم إيزيس» أو «زنار إيزيس» . وتقول الأسطورة أن «إيزيس» أخفت «حورس» من «ست» بربط زنارها حوله، فغطى الطفل وحماه . وهكذا جسدت «تيت» الحماية، وارتدّيت كتميمة مصنوعة من الزجاج الأحمر، أو الأحجار مثل العقيق الأحمر أو الخلقدونى .



ويمثل «جد» العمود الفقري لأوزيريس، ويرمز إلى الاستقرار والقوة . وترمز أذرع الصليب الأربعة إلى الاتجاهات الأصلية . وكتميمة، استخدمه الأحياء، كما وضع أيضا حول عنق المتوفى . وغالبا ما يصور «تيت» مع عامود «جد» رمزا للزوجين المقدسين، وقوتهما المجتمعة . وكان يعتقد أن «جد» يحتوى على خصائص حامية ومقوية . واعتبر أيضا رمزا لشجرة الطرفاء المقدسة التى احتوت وحمّت الصندوق الذى ضم جسد «أوزيريس» .

واعتبرت شجرة الطرفاء مقدسة تكريما لأوزيريس، واتسمت أشجار أخرى بأهمية رمزية، ومن ثم اكتسبت قداسة فى مصر القديمة . ورمزت شجرة الأفوكادو، بأوراقها السحرية للحماية والحياة الأخرى . ولقيت تقديسا بسبب ارتباطها بالإلهة «باست» . وطبقا للأسطورة، أقامت «باست» فى شجرة الأفوكادو واسمها «إيشد» بالمصرية القديمة، عندما ذبحت الإله الثعبان العملاق «أبوفيس» . وقد اعتقدوا أن الخلود يمنح للفرعون الذى ينقش «تحوت» أو «شيشات» اسمه على ورقة من أوراق هذه الشجرة المقدسة .



رسم الشجرة

ولقيت شجرة الجميز أيضا تبجيلا بالغا، باعتبار أن أرواح الراحلين تقيم في هذه الشجرة وتسكنها. وكان الجميز الذي سمي «نحت» بالمصرية القديمة، يرمز إلى بيت «حتحور» التي عرفت أيضا باسم «سيدة الجميز». وتحكى أسطورة أخرى، كيف تختبئ «حتحور» داخل شجرة الجميز، وتقدم التغذية للراحلين، وتصب المياه من آنية للراحلين حديثا الذين يكونون مرتبكين، بينما تساعدهم على تسلق الدرج إلى السماء. وفي بردية «آنى» تظهر «حتحور» وهي تقدم الغذاء والشراب للمتوفى «آنى» من شجرة جميز. وقدست شجرة الجميز أيضا بسبب «نوت» إلهة السماء التي سكنت روحها «كا» هذه الشجرة.

ورمزت النخلة إلى الخصوبة، وارتبطت بمعبودات مثل «رع» و«نوت» و«حتحور». وأحيطت الأسرة الملكية بالعديد من رموز الحماية، وكان المدراس اليدوى أو السوط، أداة لدرس القمح، ولكن عندما يقبض عليه الفرعون بيده اليسرى، يمثل خصوبة الأرض وازدهارها. أما عصا أو صولجان الراعى، فرمز القيادة والتوجيه والحماية لشعب الفرعون. وسمى الصولجان «حكا»، وعندما يمسكه الفرعون فى يده اليمنى، فهو تجسيد لفكرة الحكم. ولم يكن «حكا» قاصرا على الفراعنة والآلهة، وإنما انتقل إلى كبار المسئولين، والسحرة، والكهنة. واستخدمت فى السحر، لاستحضار طاقة وقوة الآلهة خلال الاحتفالات، والطقوس، والمهرجانات. بينما مثل وضع الصولجان والسوط متقاطعين على صدر الفرعون، استعراضا للملكية، والسلطة والتوجيه. ويشاهد «أوزيريس» غالبا فى هذا الوضع.



ويرمز الصولجان «واس» إلى سلطة الفرعون وهيمنته على الشعب . واعتقدوا أن عصا الصولجان «واس» ستمثل «ست» الذى تشببهه .



رسم لثلاثة تيجان

وكان تاج الفرعون أكثر رمز مرئى للملكية والسلطة . فقد تم تحديد ٢٠ تاجا ملكيا على الأقل ارتداها رجال ونساء وآلهة . وترتدى تيجان مختلفة فى مناسبات خاصة . وطلبت التيجان بالذهب وزينت بالعقيق كما رصعت بالأحجار شبه الكريمة . ومثل التاج الطويل مخروطى الشكل (الذى عرف باسم هدجت الذى يعنى الأبيض) الهيمنة على الوجه القبلى . بينما مثل التاج الأحمر (وعرف باسم دشرت ، بمعنى أحمر وصحراء) الوجه البحرى . وبالجمع بين هذين التاجين فى تاج واحد نتج «پشت» أو «التاج المزدوج» ، وارتداؤه يرمز إلى وحدة الوجهين القبلى والبحرى ، والهيمنة عليهما . وكان «نعرمر» أول فرعون صور مرتديا «پشت» حيث كان أول فرعون يوحد الأرضين عام ٣١٠٠ قبل الميلاد .

ويتكون التاج «آتف» من تاج الوجه القبلى «هدجت» ينتهى بقرص الشمس وريشة حمراء على كل من جانبي التاج . وصور «اوزيريس» كثيرا وهو يرتديه . وتمثل الريشتان مدينة «ببر أوزير» المعروفة أيضا باسم «چدو» (أبوصير) حيث يقع مركز عبادته فى الدلتا .



رسم لتاجين

وعرف التاج «خبرش» بأنه «التاج الأزرق» و«تاج الحرب». وكان الفرعون يرتدى هذا التاج أثناء البعثات والحملات الحربية، والمناسبات الرسمية، ومواكب النصر. وصنع «خبرش» الأزرق من الإلكتروليت (*)، وكثيرا ما يشاهد وهو يحمى رأس «رعمسيس» العظيم.



رسم لوجه فرعون يرتدى غطاء الرأس

أما «نيمس» فهو غطاء الرأس أو وشاح، مصنوع من الكتان المزخرف بشرائط باللونين الأزرق والذهبي. ويمكن التعرف عليه بشكل واضح عند مشاهدته على رأس «أبي الهول» وعلى التمثال النصفى الشهير للملك «توت عنخ آمون». وكان «نيمس» يحكم رباطه بشرريط من الذهب يثبت خلف الأذنين، وغالبا ما يزخرف برمز «أوراكوس» فوق الجبين.

وعندما تظهر الكوبرا المقدسة أو «أوراكوس» الملكية في وضع الانتصاب وترتدى فوق الجبين، فإنها تدل على الحماية من كل شر. وتقول الأسطورة أن «أوراكوس» توفر الحماية من الأعداء وتدمرهم بالنار التي تنفثها. ورمزت الكوبرا للحكمة، والسلطة، والملكية، والقداسة.

ومثلت «أوراكوس» أيضا رأس الثعبان للإلهة الأفعى «وادجت» في الوجه القبلي. وكثيرا ما استخدمت «أوراكوس» مع «الرخمة» رمزا للإلهة الوجه البحري «نخبت»؛ وجسدتا معا «السيدتين» ومنحتا الحماية لمرتديهما. وكان الثعبان رمزا واضحا للملكية والتجدد، لأنه يسقط جلده ويجدده ذاتيا.

وفي الأساطير اليونانية الرومانية، ألقى الإله «هرمس» أو عطارد (تحوت) صولجانه الملكي في وجه ثعبانين متقاتلين؛ فتوقفا فورا عن القتال ولفانفسيهما حول

(*) مزيج طبيعي من الذهب والفضة معا - المترجمة.

الصولجان، رمزا للتصالح. وصار صولجان «هرمس» أو «عطارد» شعار مهنة الطب، الذى يتكون من ثعبانين يلتفتان حول صولجان ويعلوهما جناحان.

وتدل اللحية المزيفة، التى يرتديها الفراعنة والآلهة فقط، على الحيوية، والملكية، والقوة، والخواص الكونية. وتشير لحية الفرعون إلى أنه ليس من هذا العالم، ويختلف طول اللحية طبقا لمستوى قوة الفرعون. ووضع على القناع الجنازى الملكى الفخم للملك «توت عنخ آمون»، كل من: غطاء الرأس «نيمس» المقلم بالأزرق والذهبي، واللحية الملكية الزائفة، و«أوراكوس» المنتصبة، و«الرخمة» الحارسة فوق الجبين.

وتنقل الألوان معانى رمزية أيضا، فتتيح المزيد من المفاتيح التى تساعدنا على تفسير اللوحات: فالأخضر يمثل الحياة النباتية، والبعث، والنماء، والصحة والفرح- وغالبا ما يصور «أوزيريس» باللون الأخضر، حيث كان فى الأصل إلها للنبات فى الأرض، قبل أن يموت ويعود للحياة كإله للموتى. والأسود لون الموت والعالم السفلى. وكثيرا ما يصور «أوزيريس» و«أنوبيس» باللون الأسود بسبب ارتباطاتهما بالأحداث الجنازية. ويرمز اللون الأحمر للنصر، والحيوية، والحياة، والغضب، والنار، والحداد. وكان يعتقد أن «ست» كان له شعر أحمر، وعينان حمراوان؛ ومن ثم أصبح الأحمر لونا يرتبط بالشر والصحراء المخيفة. وعبر اللون الأبيض عن الطهارة، كما هو الحال اليوم، والقدرة الكلية والنقاء. بينما رمز الأزرق إلى الروحانية الكونية، والإله الذى يصور باللون الأزرق إنما يستعرض خواصه الإلهية؛ وغالبا ما ترسم صور الكهنة باللون الأزرق. وحظى الذهب بتقدير خاص باعتباره لون الشمس المانحة للحياة الأبدية، ورمز جسدرع.

الكهنة

قامت الحضارة المصرية القديمة بالكامل على الدين، الذى نجمت عنه القوانين والمعتقدات. وخاض المرشحون لوظيفة الكهنة تدريبا شاقا ونظاما صارما حتى يصبحوا «خدم الآلهة». ويختار الفرعون الكهنة فى سن مبكرة من أفضل الأسر حصريا. وفى الواقع، ورث معظم الكهنة وظائفهم عن آبائهم. وكانت مهمة الكاهن أن يكون عليما بكل أمور الدين، وان يحافظ على حسن سير الأمور فى المعبد. وكانت هذه الأماكن المقدسة لعبادة الآلهة تسمى «بير عنخ» (بيت الحياة).

وعرفت مصر ثلاثة مراكز دينية، فى منف، وطيبة، ولونو. وهذه المراكز بيوت الآلهة الخالقة الثلاث «پتاح» و «آمون» و «رع». وكل مدينة تحوى معبدا للإله المعين الذى يعبد فى هذا الإقليم. وأحيطت هذه المعابد بجدران عالية، حيث كانت بيوت الآلهة. ولم يكن مسموحا إلا بدخول قلة من الرجال إلى هذه المعابد، لذلك أعدت فتحات فى الجدران للسماح بالاتصال بين الرجال المقدسين والمتعبدين من العامة. وعند الجدران الخارجية للمعابد، خصصت أماكن معينة تتيح للمتعبدين العادى أن يهمس بصلاته، أو أمنيته، أو طلبه فى تصوير على هيئة أذن. وكانت هذه الأذن ترمز للقدرة البالغة للإله الذى يستمع. وهناك وسيلة أخرى، وهى أن يكتب المرء دعاءه على ورقة بردى، ويتركها للآلهة. ويتلقى الكهنة الدعاء، ويرفعون الأمر إلى عناية المعبود.

ولم يكن يسمح للعامة - فيما عدا المكفوفين - بالدخول إلى المعابد، فلا يجوز للبشر العاديين رؤية الآلهة. غير أنه كانت هناك «معابد النوم»، حيث يسمح للعابدين بقضاء

الليل والتضرع من أجل الشفاء من علة، أو حل مشكلة. وفيما عدا ذلك، لا يتاح للناس العاديين الاقتراب من الآلهة إلا عبر مقاصير مقدسة تقام في بيوتهم، وخلال هذه الموكب في المهرجانات الدينية، من على تخوم الساحة المقدسة. وخلال هذه المهرجانات، تحمل التماثيل المقدسة في مقاصيرها، خارج أرض المعبد حتى يتمكن الآلهة - عبر تماثيلهم - من الاتصال بالناس.

وتوضع المقصورة وتسمى «ناوس» - في أبعد حجرة داخلية في المعبد، وهي بيت التمثال الحجري أو الخشبي أو الذهبي للإله، الذي يحوى «كا» المعبود. وكانت المقصورة أقدس مكان في المعبد، حيث لا يسمح بدخولها إلا للكهنة الذين يحملون أعلى المراتب الكهنوتية. وتسمى الحجرة المحكمة الغلق التي تحوى التمثال الحجري أو الخشبي للفرعون أو المعبود «السرداب». وغالبا ما توضع نافذة تتكون من ثقبين صغيرين عند مستوى العين، لتمكن - رمزيا - المتوفى من مشاهدة الشعائر التي تؤدي والقرابين التي تتلقى.

ويقوم الكهنة سلسلة من الاحتفالات التي تركز على إضفاء جوهر القدسية على المعبد. وكانت هناك ثلاثة طقوس يومية، الأول يؤدي عند الفجر، ويعرف باسم «احتفال الإيقاظ»، عندما يجذب الكاهن الأكبر المزلج، ويحطم ختم الطمى الملكى الموضوع على الأبواب المزودة للحرم المقدس. ويرفع الكاهن الأكبر التمثال من المقصورة، ويتولى تنظيف «كا» المعبود، وإلباسها ثيابها، ومسحها بالزيت، والعناية بطهارتها، وتغذيتها، وتزيينها - وهو نفس الطقس الذى يؤديه الفرعون كل صباح - وبمجرد الانتهاء من هذه العمل، يرحل الكاهن الأعلى ماشيا للخلف، حتى لا يدير ظهره للآلهة، بينما يمسح الأرضية من أى أثر للتراب تخلف عن خطوات أقدامه عند دخوله. والطقس التالى يؤدي عند الظهر، أما الأخير فيؤدي أثناء الغروب. ويبقى التمثال داخل «الناوس» الخاص به خلال الاحتفالين الأخيرين، مع حرق البخور وتلاوة الصلوات. وفى المساء، يحكم إغلاق المقصورة مرة أخرى. وطوال النهار والليل، تتلى الصلوات وتُنشد التراتيل، ويحرق البخور على شرف الآلهة.

ولم تكن الرائحة الذكية الناجمة عن حرق البخور، التي عرفت باسم «عطر الآلهة» تهدف لإرضاء المعبودات فحسب، وإنما اعتبر أيضا أنها تساعد المتعبد للوصول إلى حالة الانسجام مع القوى العليا، وتحدث نشاطا روحيا قويا. وكان البخور أو «ستتجر»

جزءاً أساسياً من الشعائر الدينية، حتى أن أشجار الراتنج كانت تزرع داخل أراضي المعبد، مما ييسر الحصول على المادة الأساسية المطلوبة لعمل البخور، فضلاً عن تطهير الجو. وكانت أفضل الخلاصات العطرية (مثل المر واللبان) تستخلص من صمغ الراتنج المأخوذ من الأشجار المستوردة من «أرض البخور» بونت. وكان «كابت» (كيفى) من أكثر عطور المعابد شيوعاً. وعلى جدران «المعبد الكبير» لعبادة آمون، الذى يعود تاريخه إلى الأسرة التاسعة عشرة، صور «رعمسيس الثانى» وهو يحرق البخور، كقربان لمركب «آمون» بينما يحملها موكب الكهنة.

وشملت القرابين الفواكه التى توضع فى سلال أو صوان، والمشروبات مثل الماء، والحليب، والجمعة، والنيذ. وأقيمت صوامع الغلال فى حرم المعابد، لإمداد معامل الجمعة والمخابز التابعة لهذه المعابد بما تحتاجه. ويتولى الكاهن الأعلى الإشراف على ثروات وصوامع المعابد. وبعد أن يتناول الآلهة الجوهر الروحى للغذاء، يستهلك الكهنة وموظفو المعبد ما يتبقى. وعرف هذا العمل باسم «رد القرابين».

وتتضمن المواد التى تقدم للمعبودات المعادن النفيسة، والمشغولات الفنية، والزيت، والنباتات، وباقات الزهور. وكثيراً ما توضع الزهور فوق الهيكل المقدس كقرابين، أو تستخدم لتتويج رؤوس التماثيل. أما الحلوى، التى يبدو أنها فى العديد من الحالات غنائم سلبت من أراض أخرى، فتودع لدى الكهنة لتقديم القرابين للآلهة.

واستخدمت المعابد أيضاً كورش عمل، ومكان لحفظ السجلات، ومراكز إدارية، ومكتبات، ومراكز تأهيل للمسؤولين الحكوميين، والأطباء، والكتبة. وتولت الدولة إدارة المعابد الأكثر أهمية والأضخم، ويتلقى الكهنة السلع والإمدادات من الحكومة. ويتولى كهنة المعبد تسجيل كل ما يحدث فى المعبد أو ما يتصل به. ويتولى صيانة وإدارة المعبد، العديد من الأفراد ذوى المهن المختلفة. تتضمن العمالة داخل مراكز العبادة مزارعين، وبستانيه، وعمال محاجر، ورسامين، ونجارين، وطهاة، وجزارين، ونساجين، وصناعا، وحرفيين.

وأقام الفراعنة مقاصير فى مقابرهم الملكية، حيث توضع تماثيلهم فى مقصورة حجرة الدفن. وتحتوى المعابد الدينية تمثال الإله الذى يعبده أهل المدينة. وفى مقابر الأثرياء «تخلد» صورة المصرى المتوفى فى تمثال.

وتنقسم طبقة الكهنة إلى عدة مستويات . وعرف الكهنة باسم «حم نيترو» (خدم الآلهة) . ولم تكن مهمة الكاهن في مصر القديمة هداية الناس باسم الآلهة ، ولا تقديم المشورة ، أو العناية بالخير المعنوي للمواطنين ؛ ولكن تمثلت مهمته في العناية بالمعبود ، باعتبار الكاهن «خادما للآلهة» . وكان الـ "شمو" تابعين لخدم الآلهة «حم نيترو» ، وتكونت هذه الجماعة من عباد مكرسين لخدمة المعبد وأعضاء جدد في الكهنوت . ويترك الـ «شمو» القرايين ليدخلها الكهنة إلى المعبد ، حيث لم يكن مسموحا لهم بالدخول لما بعد الفناء الخارجى للمعبد ؛ الأمر الذى كان قاصرا على الكهنة الذين خضعوا لسنوات من التدريب . وعرف النظام الأكثر شيوعا بين الكهنة باسم «أواب» أو «واب» (بمعنى «المطهرون») . وعمل هؤلاء الرجال المقدسون فى المعابد الصغيرة ، مقابل المعابد الكبيرة مثل معابد «الكرنك» و«أبى سمبل» و«دندرة» . وتحتوى المعابد على أفنية خارجية حيث يمكن ترك القرايين المطلوبة ، وحيث توجد بركة صغيرة متاحة لطقس الطهارة ، الذى كان ضروريا لأداء المهام المقدسة للكاهن من «أواب» . وتولى هؤلاء الرجال مسئولية طهارة وتنظيف التماثيل ، وممتلكات المعبد ، والقرايين . ويتعين تطهير كل ما يقف أمام صورة المعبود ، المثلة فى التمثال ، بالنظرون والماء والبخور . وأطلق على الكاهن الضليع فى فنون السحر لقب «هيرى سيشتا» ، بمعنى «العارف بالأمر» .

وهناك مستوى آخر ضمن مستويات الكهنة ، هو كهنة «سيم» ، المكرسون لأداء مراسم الدفن . وهؤلاء يحملون اللقب المبجل «الرسول الأول للإله» ، ويقدمون الأضاحى والشراب فى المعابد . والكاهن من فئة «سيم» يكون رجلا حكيما كبيرا فى السن ، يعينه الفرعون عادة . وفى حالات أخرى ، ربما يمر عبر صفوف الكهنة بمجهوده الخاص حتى يصل إلى هذا المنصب المحترم . ويعرف الكاهن «سيم» من جلد النمر أو الأسد الذى يلفه حول ثوبه الأبيض المصنوع من الكتان .

أما «خر-حب» فهو لقب يمنح للكاهن القارئ ، الذى يتلو نصوص الشعائر ، واللفائف المقدسة فى الاحتفالات الدينية ، وعلى رأس المواكب الكهنوتية . بينما «سونو» هم الكهنة الذين يمارسون سحر الحماية من الأذى . وتضم طبقة الكهنة موسيقيين ، ومعلمين ، ونحاتين ، ومختصين بالتحنيط ، وأطباء ومفسرى أحلام .

واعتبر كهنة «أواست»(*) بوجه خاص حكماء، وكانت مشورتهم تطلب في الأمور المتعلقة بالغيب. وتخصص بعض الكهنة في علم الفلك، الذى استخدم لقياس الوقت، وتحركات الكواكب، والأبراج. وكانت هذه المهمة ضرورية في أمور مثل الزراعة، والعمارة، والطب، وإعداد التقويم، وتنظيم المهرجانات، وحساب فيضان النيل السنوى.

وعملت نساء من أسر النبلاء ككاهنات، (عرفن باسم حمت - نتر، ومعناها «زوجة الإله») وهناك دلائل على أن النساء شكلن جزءا من طبقة الكهنة المصرية منذ عصر الدولة القديمة. ويرى بعض علماء المصريات أنهن مارسن هذه المهنة منذ عصر الأسرة الثالثة والعشرين. وكانت الكاهنات مساويات تقريبا لزملائهن الرجال من حيث العدد والمكانة. غير أن هذا الرأى مستبعد، حيث يبدو أن دورهن اقتصر خلال عصر الدولة الوسطى على دور الراقصة، والمغنية، والموسيقية فى المعبد، مثلما صورت هؤلاء النساء فى اللوحات الجناائزية البارزة. وعرفت الكاهنة التى تمتلك قوى الوسيط الروحى باسم «رع خت». وعملت بعض الكاهنات راقصات أيضا، ومغنيات، وموسيقيات، بما فى ذلك العازفات على الصلاصل، اللاتى يؤدين فنونهن من أجل الآلهة. وفى المناسبات الخاصة تعزف الطبول، والصنك، والجنك، والناى، حيث كان يعتقد أن هذه الآلات الموسيقية تسر الآلهة.



رسم للمصلصلة

و«المصلصلة» أو «سيشت» تعزف عليها نساء من الفئة العليا خلال الاحتفالات الدينية وطقوس المعابد، وكانت مخصصة للإلهات: «إيزبس» و«حتحيرو» و«باست»، وهى المعبودات المرتبطة بالرقص والموسيقى والفرح والاحتفال. واعتبر العزف على المصلصلات امتيازًا. وصنعت المصلصلة من إطار خشبى أو معدنى، مزود بقضبان معدنية متحركة وأقراص. وعند هزها باليد اليمنى تحدث صوتا مجلجلا ومقعقعا. واعتبر الصوت الذى تحدثه المصلصلة يهدف لاسترضاء للآلهة، وطرده القوى الشريرة.

(*) «طيبة» كما ذكرت المؤلفه سابقا - المترجمة.

وكانت آلهة المصريين آلهة راقصة، واعتبر الرقص من أجل الآلهة فى المعابد أثناء المهرجانات والشعائر المقدسة، شرفا عظيما وامتيازاً. وغالبا ما يعبر الكهنة عن تناغم الكون عبر رقصة مقدسة تمجد مجموعات النجوم. ويتدرب الراقصون الدينيون فى مدارس المعابد، على أيدى الكهنة الذين يدرسون أيضا الغناء والموسيقى. وكان للموسيقين إلههم الخاص، المعروف باسم «إيحيى» «عازف المصلصلة».

وغالبا ما ينشد الكهنة ترانيم للآلهة، تتكون إحداها، بوجه خاص، من أصوات الحروف السبع المتحركة. حيث اعتقد أن أصوات هذه الحروف تحوز أسرار الكون، ومن ثم حذفت من النقوش الفرعونية.

وبوجه عام ارتدى الكهنة ثوبا طويلا بسيطا يلف عبر الذراع اليسرى. ومن الضرورى أن يكون لباس الكاهن من أنقى وأنصع أنواع الكتان فضلا عن كونه أنيقا نظيفا بلا أى شائبة. ولا يعقل أن يقترب كاهن من إلهه قبل أن يخلص جسده من الشعر والنجاسات. ولهذا السبب يستحم الكهنة عدة مرات فى ماء النيل البارد المطهر، أو فى البحيرات والبرك المقدسة المحيطة بحرم المعبد. ويحلق الكهنة أجسادهم بالكامل كل ثلاثة أيام، ويحظر تماما على الكهنة ارتداء الملابس المصنوعة من الصوف والجلد، حيث لا يجب أن يلمس أى جلد لحيوان بشرة الكاهن الطاهرة والمقدسة. بيد أنه يمكن ارتداؤه كطبقة عليا أو خارجية مثلما يلف جلد النمر على كتف الكاهن من فئة «سيم». وفى «أواست» - مركز عبادة آمون - التى كان الكباش حيوانها المقدس، حظر ارتداء الصوف كليا. وعلى تابوت حجرى مزخرف بدقة يعود إلى الكاهن الأكبر لعبادة «آمون-رع» فى عصر الأسرة الثانية والعشرين، واسمه «باخن موت» (خادم موت)، صور الكاهن مرتديا مخروطا معطرا فوق رأسه، ومعطفا من جلد النمر مطروحا دون إحكام على ثوبه الكتانى الأبيض، بينما يقدم القرابين من الخبز، والجمعة، والثيران والطيور للإله «آمون-رع».

ويصوم الكهنة لمدة تتراوح بين سبعة إلى ٤٢ يوما، وكثيرا ما يصومون مدة أطول. وعندما يأكلون، يتكون غذاؤهم من طعام بسيط بكميات قليلة. ولم يكن مسموحا بالإفراط من أى نوع بين الكهنة، خصوصا فى الطعام أو الشراب. واعتبر لحم السمك والضأن والخنزير غير نظيف، ومن ثم حذفت من غذاء الكهنة.

وباستثناء الكاهن الأكبر، كان الكهنة والكاهنات يخدمون المعبد ثلاثة شهور فقط في العام، وفقا لنظام التناوب، ويعيشون داخل المعبد خلال فترة أداء خدمتهم الكهنوتية. وفي بقية العام يعيشون حياة عادية، يعملون في مهنتهم بينما يرعون أسرهم ويعتنون بها. ويعمل بعض خدم الإله وفقا لجدول دوري، حيث يكرسون أسبوعا من كل شهر للمعبد. وحتى من يتولون منصب الكاهن الأكبر لهم أسر خارج المعبد.

وينبغي على العاملين في الخدمة الدينية الامتناع عن النشاط الجنسي وأطعمة معينة قبل أن يعودوا إلى الرحاب المقدسة. ويتمتع الكهنة بمزايا معينة، مثل استثنائهم من دفع الضرائب، وتغطية نفقاتهم الضرورية؛ مثل الغذاء، والمأوى، والملابس. ويحصل الكهنة أيضا على مخصصات حكومية من القمح والذرة وغيرها من المؤن.

واعتمد سكان مصر القديمة على الكهنة للدفاع عن قوانين «ماعت» والحفاظ عليها، ومن ثم أسبغوا عليهم درجة عالية من الهيبة والامتياز. وبحلول عصر الأسرة الثامنة عشرة، بلغ الكهنة مكانة تساوى تقريبا مكانة الفرعون، حيث أصبحوا يشكلون أقوى وأغنى طبقة في المجتمع.

إصلاح مبكر

أدى هذا الإصلاح إلى الإطاحة بكهنة آمون وغيره من الآلهة بواسطة «أمنحتب الرابع» (أخن آتون). وفرض «أخن آتون» ما اعتقد أنه ديانة جديدة أفضل، تحت عبادة إله الشمس «آتون». وحتى ذلك الحين، كان «آتون» معبودا ثانويا، يعبد قرب منطقة «لونو» خلال عصر الدولة الوسطى. وكان «أمنحتب الثالث» والد «أخن آتون» بنى في عهده، معابد لآلهة من بينها «آتون» في «منف» و «أواست». ويبدو أن فكرة عبادة «آتون» انتقلت إلى ابنه وخليفته.

وفي أول الأمر، عبد «أمنحتب الرابع» الإله «آمون» من باب الواجب، بينما عبد «آتون» سرا، ولكن مع مرور الوقت، أزيل اسم «آمون» من النقوش، وأغلقت جميع المعابد الأخرى، وأصبح «آتون» الإله القومي لمصر. وكان نزوع «أخن آتون» نحو ديانة توحيدية أكثر روحانية ومثالية من النظام السابق، الذي يسيطر فيه العديد من الآلهة والكهنة على أرض مصر وشعبها. ولم يكن من الممكن أن يندمج «آتون» مع أى إله

آخر، مثلما اتحد «أمون» مع «رع». فكان «أتون» الإله الوحيد في عقل «أخن أتون» المثالي والمحب للغير.

وكسب «أخن أتون» تابعين أقوياء، كما خلق العديد من الأعداء؛ فإلهه كوني، لا يغطي فقط وادي النيل، وإنما البشرية جمعاء. بيد أن التغيير كان عنيفا للغاية بالنسبة للناس، وبعد موته ذهبت ديانتته معه. وأعيدت الآلهة القديمة باسم الفرعون الصغير «توت عنخ أمون». واعتبر «أخن أتون» مهرطقا وداعية للاعنف معا، كما اعتبر أول ثوري عرف في التاريخ.

الأعياد

قام الكهنة الذين وضعوا التقويم للمصريين بعمل طيب ، حيث وزعوا الأعياد أو «حب» على مدار السنة . وتشير تقديرات إلى أن الاحتفالات كانت تستغرق نحو الثلث من العام . وليس هناك شعبا آخر استمتع أكثر من المصريين بالاحتفالات والمهرجانات الدينية .

فكانت هناك احتفالات بحياة وموت الأقارب ، ومهرجانات على شرف المعبودات القومية . وخلال عصر الدولة الحديثة ، كانت الاحتفالات والمهرجانات تعد غالبا لتخليد عودة الجيش المنتصر المظفرة من الخارج . واحتفل بأعياد ميلاد الفراعنة واعتبرت عطلات مقدسة ، لا يمارس فيها أى عمل . حيث تغلق جميع الدوائر الحكومية مؤقتا باسم الفرعون ؛ وعند نهاية العام ، كانت أيام النسء الخمسة فترة ولائم واحتفالات عظيمة ، احتفالا بتواريخ ميلاد الآلهة «أوزيريس» و«حيرو-أور» و«ست» و«غيزيس» و«نبت-حت» .

واحتفل سنويا بعيد بعث «أوزيريس» باعتباره الإله القديم «سيكر» فى أنحاء البلاد باسم مهرجان «حنو» . وعند شروق الشمس ، كانت مركب «سيكر» المسماة «مركب حنو» توضع على منصة ، وتحمل حول المعبد فى موكب مقدس ، يمثل رمزيا دوران الشمس . وصنعت مركب «حنو» على هيئة رأس الغزال .

وكان يوم تتويج الفرعون وعيده السنوى ، يشهد أيضا احتفالا ضخما . وعندما يبلغ الفرعون ٣٠ عاما من الحكم ، كان يتعين عليه أن يشارك فى «حب-سد» ، وهو مهرجان هائل ، يرقص فيه الفرعون ، ويقفز ، ويجرى ليظهر طاقته المتجددة ، وقدرته

الجسدية، واستعادته لشبابه، وقدرته على التحمل، بينما يمثل خصوبة الأرض. ومن بين الطقوس التى تؤدى خلال مهرجان «حب-سد»، طقسا يدعى «رفع عامود جد» الذى ينجز بالاستعانة اللازمة بالحبال والكهنة الشباب الأقوياء. وفى الأصل كان الفرعون ملزما بأداء هذا الطقس كل ثلاث سنوات بعد أول «حب-سد» على حكمه؛ ويؤدى الطقس أيضا عند تكريم الفرعون الراحل. وكان المفترض أن يرفع الفرعون الذى يمثل دور حورس-العامود حتى يتمكن والده «أوزيريس» من العودة للحياة ويصير إله العالم السفلى. وصار هذا الطقس تقليديا فى العديد من المهرجانات. وفى أول الأمر، كان يؤدى فى «جدو» حيث يمثل عامود «جد» عنصر الاستقرار. ويؤكد ها الاحتفال على استمرار العهد فضلا عن قوة الفرعون والأرض وقدرتهما على التحمل.

ويشاهد تمثيل مهرجان «حب-سد» على لوحة نحتية بارزة فى مقبرة «زوسر» بسقارة، ويحتوى جزء منفصل من فناء هرمه على محراب نموذجى لغرض تمكين الفرعون من مواصلة المشاركة فى مهرجان «حب-سد» خلال الحياة الأخرى.

وتمتد مهرجانات تكريم الآلهة نهارا وليلا. وتقدم كميات وفيرة من الأطعمة الغريبة بينما يستمتع الجميع بالغناء والرقص والشرب إلى أقصى حد. وتشير وثائق إلى أنه خلال أحد المهرجانات فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد، وزعت المعابد ١١ ألفا و ٣٤١ رغيفا من الخبز، وثلاثة آلاف و ٨٧٥ جرة من الجعة على حشود الحاضرين. وفى أحد احتفالات «بير-باست» تكريما لإلهة الاحتفال، والشرب، والرقص، والفرح، والموسيقى والسكر، حضر ٧٠ ألف شخص من البالغين، من دون احتساب الأطفال. وعقدت الاحتفالات بالإلهة «نيت» فى مركز عبادتها فى «ساو»، بينما الاحتفالات بالشمس مانحة الحياة كانت تجرى فى «لونو».

وحظيت الملاحظات الفلكية بأهمية ضخمة فى تحديد التواريخ المناسبة للمهرجانات الاحتفالية، التى اعتمدت على صعود الأبراج الفلكية والنجوم. وفى المعبد، يحتفظ مراقب للنجوم بتقويم شمسى يمكن من خلاله تحديد دورة النجوم، فضلا عن مراحل الزراعة.

وينظم الكهنة الأعياد الخاصة بالمعبودات الرئيسة مثل «أمون» و «أوزيريس» و «إيزيس»، بينما يعد المواطنون أنفسهم الاحتفالات للآلهة الثانوية مثل «بس». وفى

يوم الاحتفال بالإله «بس» يتوقف العمل حيث تسير الحشود فى صفوف فى الشوارع، ويرتدى الناس أفتحة «بس». ويسير الأطفال وراء صفوف الكبار، يصفقون ويصاحبون الراقصات والمغنيات، وعازفى الرق والمصفقات.

وحدد الكهنة الشهور فى التقويم الشمسى، وأطلقوا على كل منها اسما معينا يرتبط بالمهرجان أو المعبود الذى يحتفى به فى هذا الشهر. وتعد هذه الاحتفالات فى أيام القمر الجديد، والبدر، فضلا عن فترات الكسوف الشمسى. وحددت أيام عطلات خاصة خلال كل شهر، وحظى اليوم الأول واليوم الخامس عشر من كل شهر شمسى بالتوقير أيضا.

ولوحظ العديد من المهرجانات المتعلقة بتجدد الفصول. فأقيمت مهرجانات احتفالية باذخة ببداية فصل الربيع وموسم الحصاد وفيضان النيل. وعلى شرف «حعبي»، تجسيد النيل وإلهه، يقام مهرجان كبير بمناسبة الفيضان السنوى للنيل. وخلال هذا الاحتفال، يطوف تمثال «حعبي» عبر بلدات وقرى مصر القديمة. وعندما يبدأ النهر فى الارتفاع، يؤدى التفاؤل إلى احتفال بالموسيقى والرقص. ويأتى الرجال والنساء من جميع أنحاء البلاد للمشاركة. ولاحظ المصريون أن الفيضان السنوى للنيل يظهر عقب فترة قصيرة من ارتفاع «سوبدت» (الشعري اليمانية). ورمز هذا الحدث المعروف باسم صعود «سوبدت» إلى صعود روح «إيزيس». وحدد ارتفاع النيل وصعود «سوبدت» بداية السنة المصرية الجديدة التى سميت «وبت رنبت». وكان هذا موعد واحد من أضخم وأهم مهرجاناتهم. وعندما يصل النيل إلى أعلى مستوياته، تشهد البلاد مهرجانا آخر. حيث يحتفى بالإلهة «إيزيس» فى يونيو^(*) عند الاحتفال بالفيضان السنوى، حيث اعتبرت الدموع التى ذرفتها على «أوزيريس» سببا فى فيضان النهر. كما احتفوا بإيزيس أيضا فى الشتاء، تخليدا لعودتها من «بيلوس» وانتصارها على ست. وخلال فترة الحصاد، يقام احتفال آخر على شرفها، عندما قدمت إليها أول ثمار الأرض موضوعة على مائدة.

ولوحظ أن الاحتفال بموت وبعث «أوزيريس» يقام فى الاعتدال الخريفى. ويمثل كهنة المعبد قتله وبعثه فى صورة درامية، وتزحف حشود ضخمة إلى «ابدجو» لمتابعة

(*) تقصد المؤلفة - بالطبع - الشهر من السنة المصرية القديمة المقابل لشهر يونيو - المترجمة.

المشهد العظيم . وعند بداية الربيع ، ومع القمر الجديد ، يقام مهرجان آخر على شرف «أوزيريس» ، يدعى «دخول أوزيريس إلى القمر» .

وكانوا يحتفلون بذكرى «حورس» فى الانقلاب الشتوى . بينما كان الاحتفال بالإلهة «حتحور» موسما للهو ، والشرب ، حيث تستهلك الجعة المخضبة باللون الأحمر بكميات كبيرة تخليدا لذكرى ميلادها . ففى الأسطورة ، ولدت «حتحور» عندما خلدت الإلهة المدمرة «سخمت» للنوم بعدما شربت كمية كبيرة من الجعة الحمراء التى ظنتها دماء البشر . وعندما استيقظت ، كانت «سخمت» قد هدأت ، وأصبحت «حتحور» اللطيفة إلهة الحب ، والجمال ، والاحتفالات .

ويقام مهرجان آخر خلال نهاية موسم العمل الزراعى ؛ احتفالا بإعداد الأرض لمحاصيلها القادمة . ونظرا لأن العامة لا يسمح لهم بالاقتراب من الرحاب المقدسة للمعبودات ، كانت الحشود تصطف فى الشوارع لمشاهدة مواكب الكهنة والتمتع بها خلال هذه المهرجانات المقدسة . فتطوف تماثيل الآلهة خلال الشوارع ، بينما يروح عليها الكهنة بالمرآح ، ويحمونها من حرارة الشمس . وكانت مهمة الكاهن إقامة هذه الاحتفالات (التى سميت «الانطلاق المتواصل») على شرف المعبودات المهمة .

وتقع أحداث أخرى فى أوقات مختلفة من العام ؛ حيث تنتقل صورة معبود إلى معبد إله آخر . على سبيل المثال «حتحور» و «حورس» تخليدا لزواجهما المقدس . ففى كل عام يبدأ الموكب الذى يحمل تمثال «حتحور» من المركز الرئيسى لعبادتها فى «لونيت» (دندرة) ويسافر لمسافة مائة ميل جنوبا حتى «بهيديتى» (إدفو) حيث يقع معبد حورس . وصورت مشاهد من هذا المهرجان على جدران ساحة المعبد فى «بهيديتى» . ويوضع التمثالان جنبا إلى جنب لمدة أسبوعين قبل أن يعاد تمثال «حتحور» إلى «لونيت» .

وترتل ترانيم الحمد بينما يتلو «خر - حب» أو الكاهن القارئ اللفائف المقدسة بصوت مرتفع ؛ فتخر الحشود ساجدة فى توقير ، وتقبل الأرض . وتختار عدة محطات للتوقف فى مواقع محددة على الطريق ، يؤدى فيها طقس شعبى ، وتقدم القرابين للمعبود بينما يحرق البخور . وفى هذه المحطات غالبا ما يقدم الكهنة والكاهنات خدمات العرافة للجمهور . وعندما يصل التمثال إلى محطته النهائية ، يقام احتفال آخر .

وكانت الرقصات المصرية القديمة مستوحاة من السحر والدين، ولم يكن أى مهرجان يكتمل بدونها. حيث تنشُد الحشود ويؤدى الراقصون ألعابا بهلوانية مبهرة. ويصفق الكهنة، وتهز الكاهنات «الصلاصل» على إيقاع الأوركسترا التى تعزف على شرف الآلهة. وكان الرقص عنصرا جوهريا فى المهرجانات التى تقام تكريما للآلهة «أوزوريس» و«إيزيس» و«حاب»- عجل أبيس.

وفى عطلات الآلهة، كانت تماثيلهم تخرج من معابدهم المقدسة، وتحمل غالبا على مقصورة محمولة توضع على قارب أو مركب كبير مطلى بالذهب وينقله الكهنة الحليقون، الذين يقودهم كاهن من فئة «سيم». وربما يقوم المركب برحلة قصيرة فى النيل قبل أن يعود إلى «الناوس» الخاص به. ويسافر الناس مسافات بعيدة ليحضروا هذه الاحتفالات العامة المقصود بها تكريم وتسلية الآلهة.

وخلال موسم الحصاد، يقام مهرجان «مينو» (مين) أحد آلهة الخصوبة والخضرة. ويوقر تمثاله فى هذا الوقت حتى يبارك المحاصيل ويمنحها الوفرة. وفى كل عام، خلال موسم الفيضان، يقام عيد «مينو» تكريما للنيل واهب الحياة. ويعتقد أن الفرعون الحاكم والملكة يتممان زواجهما المقدس خلال عيد «مينو» تكريما لإله التجدد والبعث والعلاقة الجنسية.

وفى «أواست» عرف أول مهرجانات العام باسم «عيد أوبت»، ويتربح هذا العيد خلال الشهر الثانى من موسم الفيضان، الذى يتواكب مع صعود «سوبديت». ويخرج تمثال «أمون» من معبده فى الكرنك ويوضع فى مركب مقدس مطلى بالذهب، منحوت من خشب الأرز المستورد من «بيلوس»، ومزخرف برؤوس الكباش، حيوان أمون المقدس. ويربط المركب بسفن بحرية يقودها طاقم من الرجال. ويسافر المعبد العائم جنوبا حوالى مسافة ميل واحد إلى معبد آخر لأمون فى الأقصر، حيث يبقى هناك لمدة ٣٠ يوما. وعندما يعاد التمثال إلى الكرنك، يقام موكب ومهرجان مماثلان. وفى فترات لاحقة، أضيف مركب آخر لنقل تمثالى زوجة أمون «موت» وطفلها «خنسو». وخلال عصر الرعامسة، كان مهرجان «أوبت» يستمر ٢٧ يوما.

وكرس مهرجان آخر لعبادة «حاب»، يستمر سبعة أيام. وترجع عبادة «حاب» إلى عصور الأسرات الأولى. وكان يعتقد أن الأطفال الذين يشمون زفير هذا العجل المقدس، أثناء حملة بواسطة موكب الكهنة، سيرزقون نعمة القدرة على التنبؤ.

وأثناء المهرجانات تمارس أنواعا مختلفة من أعمال قراءة الطالع ، وتوجه للآلهة الأسئلة التي تكون إجابتها إما «نعم» أو «لا» ؛ فإذا مال المركب (في أيدي الكهنة) نحو السائل ، تكون الإجابة «نعم» ، أما إذا مال بعيدا تفسر على إنها إجابة من الإله بالنفى . وبعد المهرجان ، يعاد التمثال المقدس إلى المعبد ، حيث يتولى الكهنة تنظيفه رسميا لإزالة جميع الأتربة والشوائب . وكان الماء المقدس بفضله استخدامه في هذه العملية يوزع على الفقراء كعلاج يعتقد أنه يحتوى على قدرات الآلهة العلاجية .

السحر والتعاويذ

كان المصريون القدماء بارعون للغاية فى أساليب السحر، التى أرجعوها إلى «حكا». وصور «حكا» باعتباره نشاطا روحانيا، أو خيطا يربط الإنسان بالآلهة، ووسيلة للتعامل مع المجهول، وغير المفهوم، وما يتجاوز قدرة البشر. ولجأ الناس للسحر كلما كان هناك مرض يرجى الشفاء منه، أو خطر يؤمل إزاحته، أو حب يطلب إثارتة.

وساعد «حكا» باعتباره الإله الذى يجسد السحر- فى قيادة مركب «رع» الشمسية أثناء عبورها مناطق «دوات» الخطرة. وقد صور على جدران مقبرة «سيتى الأول» فى وادى الملوك. ولم يكتشف أى معبد مخصص لعبادة «حكا»، بيد أن هذا المعبود كان يبجله الكهنة تبجيلا عاليا. وكان نظيره الأثوى «ويريت- حكا» ومعنى اسمها «العظيمة فى السحر».

وكان «شاي» يجسد المصير والقدر، وجسدت «رينينيت» مفهوم حسن الحظ. فنظرة واحدة من «رينينيت» يمكن أن تهب وفرة المحصول والماشية. وكانت نظرة «رينينيت» قادرة أيضا على حماية الأطفال من المخلوقات المؤذية. ويظهر «شاي» و«رينينيت» معا فى مشهد المحاكمة عند أداء طقس وزن القلب.

ويؤدى السحرة أعمال السحر بتلاوة أسماء، أو كلمات أخرى ذات طاقة، بأسلوب ونبرة معينة. ويعتقد أنه عبر «الإلقاء السليم» لهذه الكلمات يمكنها أن تطرد الشر، وتعالج الأحياء، وإعادة الحياة إلى المتوفى. ويكون السحر فعالا على أفضل نحو عندما ينطق بصوت مرتفع؛ غير أنه يمكن أيضا أن ينقش على ورق البردى أو الحجر. وغالبا

ما كانت التعاويذ تسجل على لفائف الموميאות، وعلى الوثائق الجنائزية، وجدران المقابر، والتوابيت، وأخيانا توفر الحماية ضد الجوع والعطش الأبديين.

ويحتوى كتاب الموتى على ما يربو عن ٢٠٠ تعويذة سحرية، يعتقد أنها تعود إلى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد. والعديد من الأمثلة على سلاسة الإبحار على ظهر المركب السماوى، ونجاح المرور عبر مملكة «دوات» والمحاكمة فى قاعة الدينونة. وهناك تعويذة مهمة أخرى من شأنها أن تساعد المرء على تذكر اسمه، حتى تتعرف عليه الآلهة و «كا». وكان الاسم جزءا من وجود المرء مثله مثل «كا» و «با».

ومثل الرقم «سبعة» دائما رقما ملغزا، سحرىا، يجسد المعرفة المكثفة، والتنوير، والروحانية. وفى مصر، يبرز الرقم سبعة دائما فيما يتعلق بالأساطير، والمعبودات، والفراعنة، والكيانات الروحية، والفلك، كما توضع بعض الأمثلة:

* المعبودات السبعة الرئيسية فى مصر القديمة هى: «رع» و «حورس» و «ست» و «أوزيريس» و «أنوبيس» و «سوكار» و «سوبك».

* «سيشات» السيدة الكاتبة، ترتدى تاجا من سبع بتلات أو نجوم على رأسها.

* الكيانات الروحية أو النجمية السبعة هى: «خات»، و «كا»، و «با» و «خو» و «ساهو» و «آخ» و «خاييت».

* الكواكب السبعة التى تعبد هى: الشمس، والقمر، وعطارد، والزهرة، والمريخ، والمشتري، وزحل.

* كان المصريون أول الكيميائيين. وفى عملياتهم التحويلية اشتغلوا بالمعادن السبعة: الذهب، والفضة، والزئبق، والنحاس، والحديد، والزنك، والرصاص، ويتحكم فى كل منها الكواكب السبع على التوالى.

* فى كتاب الموتى، إشارة إلى «أنى» الكاتب الذى حول نفسه إلى صقر ذهبى طوله سبعة أذرع.

وتعتمد العديد من التعاويذ على الرقم «سبعة»؛ ففى بردية «لندن-ليدن» تعاويذ موصوفة للعلاج، وإثارة مشاعر الحب، وطررد الشرور، يتعين تلاوتها سبع مرات. وغالبا ما كان يتعين تلاوة هذه الكلمات تحت المجموعة النجمية «الدب الأكبر» التى تتألف من سبعة نجوم.

وغالبا ما يشار إلى الآلهة في «أشكالها» السبعة، مثل «خنمو» (المعبود الذى أنهى سنوات المجاعة السبع)، و«سخت» التى احتاجت إلى سبعة آلاف آنية من الجعة الممزوجة بالأكسيد الحديد الأحمر حتى تهدئ من حنقها على البشر. وكان يعتقد أن أنواع الطاعون، والأمراض، وسوء الحظ، نجمت جميعها من «سهام سخت السبعة». ويقال أن «رع» خالقها كان يمتلك سبع أرواح. ونبعت «الحكيمات السبع» (اللاتى كن أخوات «مح-أورت» من عين «رع». وتقول الأسطورة، أنهن حولن أنفسهن إلى سبعة صقور، طارت فى السموات لتتضم إلى «تحوت» وتساعد فى تخطيط الكون.

أما السبع «حتحورات» فهن أشكال سبعة للإلهة «حتحور». وهن يصورن على هيئة فتيات يعزفن على الرق ويرتدين أغطية رأس عبارة عن قرص وسط قرنين (فى إشارة إلى «حتحور» الإلهة برأس بقرة). واعتبرت الحتحورات السبع شكلا إيجابيا من أشكال الطاقة، تنبأ بمستقبل المواليد الجدد- فبحوار فراش الوليد، تعلن الحتحورات السبع مصيره؛ فهن يعرفن قدر كل مصرى. وكان يعتقد أنهن يبذلن الأطفال الملكيين المولودين تحت نجوم نحس بأولئك المولودين تحت نجوم السعد- بهدف حماية الملكية والبلاد.

وعبدت «الشقيقات السبع» ومثلن بنجوم «الثريا»(*) السبع. وفى «بروج إسنا» الفلكية؛ أدرج زوج من «واجت» فى شكل يضاوى مع سبعة نجوم يعتقد أنها تدل على «الثريا». ومنذ عصر الأسرة الخامسة، استخدمت الزيوت السبعة المقدسة فى عملية التحنيط، وعثر على جرار من المرمر فى مقبرة «حتيفيرس»، وهى مرقمة من الواحد إلى السبعة، ونقشت محتوياتها عليها بشكل دقيق.

وأسماء العقارب السبع التى صاحبت وحثت «إيزيس» و«حيثرو- سا أوست»: «تيفين»، و«بيفين»، و«ميسيت»، و«بيتيت»، و«ثيت»، و«ماعتيت». وسارت اثنتان خلفها، وواحدة على كل جانب وتقدمت ثلاثة الطريق، ليزلن مخاطر الطريق أمام الأم وطفلها، وكانت «إيزيس» باعتبارها إلهة السحر، تعرف أسماءهن، ومن ثم كانت قادرة على إصابتهن بالعجز، إذا رغبت.

(*) ست نجوم ساطعة وواحدة لا ترى بالعين المجردة فى كوكبة الثور- المترجمة.

وكانت الحروف المتحركة السبعة ترتل فى المعبد وسط سرية بالغة ، حيث اعتبرت السبعة أصوات الأولية التى نشأت عنها بقية الأصوات . وعرفت أيضا باسم «الأرواح» أو الأنفاس ، كما اعتبرت المكون المقدس للكلمات .

وكان الاحتفال بمولد العجل «أبيس» مهرجانا فخما يحتفل به لمدة سبعة أيام . ووفقا لما ذكر «بلوتارخ» ، يقام الاحتفال قبيل الانقلاب الشتوى ، عندما تكون الشمس فى أضعف حالاتها ، ويجرى الطقس بدفع بقرة مقدسة للدوران فى موكب حول المعبد سبع مرات . وعرف هذا الطقس باسم «البحث عن أوزيريس» .

وفى «كتاب الموتى» ، يبرز هذا الرقم باستمرار : فقد كلف «أنوبيس» سبع أرواح أو سبع أرواح ساطعة بالإشراف على جسد «أوزيريس» ؛ وتضمنت هذه الآلهة السبعة أبناء حورس الأربع . وهناك إشارات للسبعة المبجلين المقيمين فى العالم السفلى . وورد ذكر ثعبان ذو سبعة رؤوس فى النصوص الجنائزية ، فضلا عن سبعة آلهة فى أرض «دوات» يشرفون على ذبح أولئك الذين يعاقبون بسبب ما قاموا به من مساوئ أثناء الحياة . وهناك سبعة معبودات أخرى غالبا ما تقابل خلال رحلة المركب فى أنحاء «دوات» ، وسبعة آلهة جالسون يقطرون المركب الشمس فى مرحلة أخرى من الرحلة . وتوجد سبع قاعات أو حجرات فى إحدى مناطق «دوات» على كل منها حاجب ، ومراقب ، ومناد . ويتعين على المتوفى أثناء مروره عبر هذه الحجرات خلال ساعات الليل الاثنتى عشرة ، أن يكون قادرا على ذكر أسماء الحجاب السبعة ، والمراقبين السبعة ، والمنادين السبعة ، حتى يستطيع أن يقابل «أوزيريس» فى العالم السفلى .

وفى علم الفلك المقصور على الخاصة ، يتبنى حكم مصر إلى البرج السابع من أبراج الفلك ؛ الميزان . والخصائص المميزة لبرج الميزان هى الجمال والذوق الفنى ، وهما كلمتان مرادفتان لمصر . وقوس الميزان(*) هو قوس «ماعت» ، والرمز الفلكى للميزان يشابه إلى حد دقيق الكلمة الهيروغليفية الدالة على «آخت» ، الشمس الساطعة ، رمز اعتقاد المصريين القدماء فى البعث ، أساس ديانتهم .

قصص الرقم سبعة

يظهر الرقم سبعة فى قصة مسجلة على بردية «وستكار» ، وهى قصة تتعلق بالملك

(*) الذى تحمل عليه الكفتان - المترجمة .

«خوفو»، باني الهرم الأكبر، وتخص حدثا وقع خلال عصر الأسرة الثالثة. وتبدأ القصة بزوجة خائنة لمسئول كبير كشفها خادم زوجها. وعندما أبلغ زوجها - البارع في فنون السحر - بأمر سلوكها الشائن، طلب خزائنه الثمينة المصنوعة من الأبنوس والمعدن، وأخرج منها شمعا، صنع منه تمساحا طوله سبعة أصابع. ثم تلا كلمات السحر المطلوبة، بنبرة الصوت والترتيب المناسبين، ووضع لعنة على التمساح. وأعطى المسئول الكبير خادمه المخلص التمساح ليلقيه في المياه حيث اعتاد عشيق زوجته أن يستحم. ثم جاء اليوم الذي أمضى فيه الخائنان بعض الوقت معا. وعندما نزل العشيق إلى المياه ليستحم، ألقى الخادم إلى المياه بالتمساح الشمعى، وسرعان ما دبّت فيه الروح، وغما حتى أصبح طوله سبعة أذرع، ليلتهم العشيق. وصدر أمر ملكي بإعدام الزوجة الخائنة، ونثر رمادها في النيل. ويبدو أن هذه القصة حكّاها «خفرع» لأبيه «خوفو» حتى يسليه، ولعله لم يكن يقصد من وراءها أية تلميحات غير سارة.

وهناك قصة أخرى عن السحر، من بردية «وستكار»، عن حكيم اسمه «تيتا»، بلغ ١١٠ سنوات من العمر. ففي أحد الأيام تناقش «حيرو تاتيف»، وهو ابن آخر للملك «خوفو» من الأسرة الرابعة، مع أبيه حول موضوع السحر والسحرة. وأثنى «حيرو تاتيف» على أعمال «تيتا» باعتباره قادرا على إعادة الرأس إلى الجسد بعد قطعها.

وبلغ الفضول مداه مع «خوفو» حتى أنه أمر بإعداد القارب الملكي، وكلف «حيرو تاتيف» بإحضار «تيتا» إليه. وعلى الفور، وافق «تيتا» على زيارة «خوفو»، وأضاف أن هذا الفرعون سيكون من شأنه أن يحقق نجاحا عظيما. وطلب «تيتا» قاربا لنقل كتبه، وآخر لنقل أسرته، وهكذا سافر عبر النيل، وأحضر أمام الفرعون، الذي سأله عما إذا كان يستطيع أن يؤدي العمل الخارق من أعمال السحر الذي اقترحه «حيرو تاتيف». وأكد «تيتا» أنه يستطيع، فأمر الفرعون رجاله أن يحضروا أسيرا حتى يبرهن «تيتا» على سحره من خلاله. فتوسل «تيتا» للفرعون أن ينقذ حياة الرجل ويحضر حيوانا بدلا منه. فأحضروا إوزة أولاً، وما أن قطعت رأسها، حتى وضع الرأس في جانب والجسد في جانب آخر. وقام «تيتا» وتلا كلمات سحرية، وإذا بالجسد مقطوع الرأس يقترب من الجزء المفقود منه ويلتحم به. وأدى «تيتا» بنجاح نفس المعجزة مع طائر، ثم مع ثور.

شعور عميق

فى مؤامرة الحرىم؁ اسءءءم السءر لإىءاء «رعمسىس ءالء» . وبءرىقة سرىة؁ ءصل «هوى» المشرف على الماشىة الملىكة؁ على نسءة من نص سءرى؁ من الملىكة الملىكة . وءعلم من هءا المرجع كىفىة صنع ءماءىل شمعىة؁ وإءءاء ءىمة لصب ءعوىءة مهلكة على الفرعون . وبمساعدة مسءول ملكى؁ ءم ءهرىب الأءواء المءلوبة إلى القصر . واسءءءم ءءاعوىء والعناصر السءرىة لوضع نهاءة لءكم وءىاة الفرعون؁ وءنصىب ءاكم آءر على العرش .

وكان آءر الفراعنة المصرىىن الملك «نءءبىو ءانى» الذى ءكم ءلال عام ٣٦٠ قبل المىلاد؁ وهو ساءر وفلكى مشهور فى عصره؁ لبراعءه الفاءقة فى فك ءلاسم؁ وءفسىر ءءراىء الفلكىة . وىقال أنه فى إءءى المراء؁ عءءما ءعرضء مصر لغزو؁ ءهب «نءءبىو ءانى» إلى معمل السءر ءءاص به؁ وصنع ءماءىل شمعىة للءءو . ءم وضعها فى إناء به ماء؁ وءلا الكلماء المءلوبة ءاء ءءاءىر؁ مءءءا رىاءا قوىة لإعراق النموزء المصغر لسفىنة العءو بما فىها من رءال . وىبىنما ءغرق ءماءىل الرءال؁ كانت نءاءء مءاءلة ءءء فى ءىاة الواءعىة .

ولسوء ءظ؁ فشءء آءر مءاولاءه من هءا النوع من السءر؁ ءىء عملء ءءعوىءة ضءه وضاء ءنوء مصر . ففسر هءه الهزىمة على أن نهاءة مصر ءقءرب؁ وأنه سىكون آءر فرعون مصرى ءءكم البلاد . وىقال أن «نءءبىو ءانى» فر إلى مءءونىا؁ مءءفىا فى هىئة رءل من العامة؁ وأصءب عرآفا ومعالءا .

أول ءاب أسءورى فى ءءاعوىء

ءءكى قصة عن السءر؁ كىف كان ءاب فى البلاء اسمه «سءنا»؁ والء «سا- أوزىر» وابن «رعمسىس ءانى»؁ ضلىعا فى أسرار أعمال السءر . وكىف ءطلع بشءة إلى ءصوء على ءاب ءءوى ءمىع المءارف السءرىة؁ ءءبه «ءءوء» الساءر العظىم . وهءا ءءاب مءءون فى «منف» مع أءء أسلاف «سءنا»؁ اسمه «نفر- كا- ءءاء» الذى كان عالما عظىما وساءرا بارعا . وشرع «سءنا» وشقىقه فى البءء عن ءءاب؁ الذى عءرا علىه فى مقبرة أءر بءء ءام ءلاءة أىام .

وكانت يدا «نفر- كا- پتاح» قابضتين على الكتاب، وإلى جانبه كل من «كا» المنتسبة لزوجته المحبوبة «أحورا»، و«كا» وابنهما «ميرحو» المدفونين فى «قبطو» «كوبتوس»، حيث توفيا. وشرع «ستنا» فى تخليص الكتاب من قبضة الرجل الميت، عندما تكلمت فجأة «كا» «أحورا»، وتوسلت إليه ألا يفعل. وشرحت له أن الكتاب لم يجلب سوى الحزن للأسرة بكاملها، وحذرت «ستنا» من أن «نفر- كا- پتاح» كان مأخوذا أيضا بهاجس الحصول على المعرفة الموجودة فى «كتاب تحوت». وأن هذا الهاجس هو الذى جلب الموت للأسرة.

وكان «نفر- كا- پتاح» قد سمع من كاهن عجوز عن محتويات الكتاب التى لا تقدر بثمن. وعلم أن الكتاب يوجد فى قاع النهر، تحميه ثعابين عديدة، وكائنات كريبهه أخرى. ووجد أن عليه أن يعثر على الكتاب داخل خزانة حديدية تحوى صندوقا حديديا، يحوى صندوقا برونزيا، يضم صندوقا خشبيا، يحوى صندوقا من الأبنوس والعاج، يضم صندوقا من الفضة بداخله صندوقا ذهبيا. ويوجد «كتاب تحوت» فى الصندوق الذهبى.

وتقول الأسطورة أن «نفر- كا- پتاح» ذبح الثعبان الملفوف حول الصندوق مرتين، لكنه لم يمت. وفى المرة الثالثة، فصل الثعبان بإلقاء الرمال بين جزأى الجسد، حتى أنهما لم يتمكنوا من الالتحام والعودة للحياة. وبهذا الانتصار، أحضر «نفر- كا- پتاح» الحاوية إلى الشاطئ، وفتح جميع الصناديق واحداً واحداً. وأخيراً أمسك بيديه المرتعشتين كتاب السحر. ثم نسخ التعاويذ على ورق البردى، وعطره بالبخور، وأذابه فى الماء وشرب حكمة «تحوت»، وإلى جواره زوجته. وغضب «تحوت» عندما اكتشف أنهم أخذوا ما لم يكن لهم. وقرر ألا تعود الأسرة إلى «منف»؛ وبينما اتخذ الثلاثة طريقهم للعودة، غرقوا جميعاً- الولد أولاً، ثم الأم فى «قبطو». وأخيراً، غرق «نفر- كا- پتاح» (وكتاب «تحوت» بين يديه) بينما كان يقترب من «منف».

ولم ترد قصة مأساته «ستنا» عن رغبته، بل أنه أصر على الحصول على كتاب المعرفة المقدس. ثم تحدثت روح «نفر- كا- پتاح» ودعت «ستنا» إلى قبول التحدى فى مباراة «سينيت»؛ على أن يحتفظ الفائز بالكتاب. وفاز «ستنا» بالمباراة، ونال الجائزة التى سعى إليها طويلاً. وبعد أيام قليلة، قابل «ستنا» امرأة جميلة مثيرة، وفقد عقله تماماً. فقد سيطرت روح «نفر- كا- پتاح» على هذه المرأة واسمها «تابوبوا»؛ فطلبت من

«ستنا» أن يترك زوجته ويضحى بابنه من أجلها، وأعماه جمالها وحبها لها حتى أنه امثل لما طلبته. وبعد أن هجر زوجته وقتل ابنه، ذهب ليعانق «تابوبوا»، التي تحولت في تلك اللحظة إلى هيكل عظمى.

واستيقظ «ستنا»، ليجد نفسه راقدا في وسط الشارع، ويدرك أن ذلك كله كان كابوسا مرعبا. وذهب إلى أسرته، وأعلن حبه العميق لهم. وكان «ستنا» رجلا حكيما بما يكفي ليرى أن هذا الحلم نذير سوء الحظ، فأعاد الكتاب إلى «نفر-كا-بتاح». ولامتنانه بسبب حصوله على فرصة ثانية مع أسرته، أعاد «ستنا» جسد زوجته «نفر-كا-بتاح» وابنه من «قبطو» إلى مقبرته في «منف». ووقدت الأسرة التي التأم شملها أخيرا، في راحة معا،. ولا شك أنهم يواصلون حراسة كتاب «تحت» الآن.

الأحلام والتنبؤ

فى مصر القديمة، غالبا ما كان الوسطاء الروحىون يستشارون فى شئون الحياة اليومية، حيث كان يعتقد أن الحقيقة تكمن فى نبوءاتهم. ويحتفظ بتمائيل خاصة لهذا الغرض، يحملها كهنة المعبد إلى العامة فى مقاصير محمولة خلال المهرجانات والاحتفالات الدينية. وغالبا ما يستشار الوسطاء كتابة، فىمكن كتابة السؤال أو الرغبة على ورقة بردى، وتوضع فى فم تمثال المعبود. وبمرور الوقت، أصبح الكهنة صوت الوسطاء، وأعدت حجرات خاصة داخل المعبد لتمكنهم من الاتصال بأصحاب الحاجات، بينما يظلون مختبئين. ووجدت نصوص من الكهنة تنبأ بمصير أولئك المولودين فى تواريخ معينة على التقويم، ويمكن لكل الراغبين استشارة هذا الوسيط.

ولم تقتصر خدمات الوسطاء على العامة، ولكنها متاحة للأسرة الملكية أيضا. ويستشير الفراعنة الوسطاء عند الحاجة لموافقة أو نصيحة مقدسة فى قرار أو حدث أو موقف مهم.

ويرجع «تقويم القاهرة» المسجل على ورق البردى إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة. وأشارت هذه الوثيقة إلى تواريخ خاصة اعتبرت تحمل حظا حسنا أو سيئا. وقسم كل يوم إلى ثلاثة أقسام، وحدد لكل قسم ما يحمله من حظ حسن أو نحس. واعتبر ما يزيد قليلا عن ٥٠٪ من أيام السنة حسنة الحظ بوجه عام، واعتبرت عدة أيام قليلة محايدة، بينما اعتبرت الأيام الباقية غير مواتية للقيام بأى عمل؛ كالولادة على سبيل المثال. ويمكن استشارة «تقويم القاهرة» غالبا لتحديد النتيجة المحتملة لمشروع أو مسألة. ولم يكن استخدامه مقصورا على فرد بعينه، وإنما يمكن تطبيقه على أى شخص يطلب استشارة بشأن تاريخ معين.

واعتمد التأثير الحسن أو السيئ لليوم على ارتباطات أسطورية أو أحداث مهمة تتعلق باليوم. وكان يعتقد أن آثار الأحداث الكبيرة، سواء إيجابية أو سلبية تبقى وتؤثر على جميع الأمور التي تجرى في نفس اليوم من كل عام. واعتبر اليوم الأول من الشهر الأول من أول فصول العام «أخت»، يوما مبشرا، ليس فقط لأنه بداية العام الجديد في مصر القديمة، وبداية ارتفاع النيل، ولكن لكونه العيد السنوي لميلاد «رع». واعتبر اليوم الرابع عشر من الشهر الأول من موسم «بيريت» يوم نحس، لأنه الموعد السنوي لبكاء «إيزيس» و«نبت-حت» على ذكرى «أوزيريس» في «ديدجو» أو «بير أوزير». ولما كانت «نبت-حت» تجسد القوى الخفية، اعتبرت «سيدة الأحلام» وأختها «إيزيس» «سيدة السحر».

واعتبرت الذكرى السنوية للمعركة بين «حورس» و«ست» في اليوم الخامس عشر من أول شهر من «أخت»، يوما غير ميمون أيضا، بينما اليوم السابع والعشرين من الشهر الثالث من موسم «أخت»، هو يوم وقف القتال بين «حورس» و«ست»، ومن ثم اعتبر يوما مواتيا. ونشأت نذر الشر لليوم الخامس عشر من مارس (الذي مازال المؤمنين بالخرافات يعتبرونه يوم نحس) في العام ٤٤ قبل الميلاد، عندما اغتيل يوليوس قيصر - رغم تحذيرات وردت في حلم لزوجته، ومن فلكى:

وغالبا ما كان «حاب» يستفتى في أمور الغيب خلال المهرجانات المكرسة له. ويوجه السؤال إليه بعد وضع قربان على يمين تمثاله. وما أن يقدم السؤال، حتى يغطي السائل أذنيه ويترك المعبد. وتفسر أولى الكلمات التي يسمعها على أنها كلمة «حاب» المقدسة.

وهناك طريقة أخرى للتنبؤ عبر قيادة «حاب» في شخص العجل المقدس إلى قاعة مزدحمة بالمتعبدين، حيث يطلق سراحه ويترك حرا للاختيار بين بايين؛ أحدهما يمثل إجابة سلبية، والأخر إجابة إيجابية. ويعتبر الباب الذي يختاره «حاب» كلمته المقدسة.

وفى طقس آخر للتنبؤ يشمل «حاب» أيضا، يطلب من السائل أن يقدم للعجل بعض الطعام بيده. فإذا قبل «حاب» الطعام، يعتبر ذلك فألا حسنا، أما إذا رفض، فيفسر رفضه على أنه نذير شؤم. ومن الإنصاف أن نتساءل عما إذا كان الحيوان المقدس (الذي يرهه الكهنة جيدا) قدمت تغذيته قبل أن يقاد إلى الناس؟ أم أنه يهمل وجبة الإفطار في هذه المناسبات.

عمل العديد من المعابد كمراكز لمعرفة الطالع ، قدمت خدمة التنبؤات ، وبوجه خاص تفسير الأحلام . وكان يعتقد أن الأمراض يمكن علاجها باستخدام أكاسير وجرعات تتنقل أثناء النوم عبر الآلهة وما وراء العالم . واعتبرت الأحلام رسائل سماوية لا يمكن أن يفسرها إلا كاهن أكبر مقابل أجر بالطبع .

وتكتب الأحلام السيئة بحبر أحمر اللون ، وهو اللون الذى يمثل «ست» والشر . بينما تدون الأحلام الجيدة باللون الأسود . ويحتوى «كتاب الأحلام» على طقس خاص يتعين أدائه عند الاستيقاظ من كابوس ، حتى يبعد جميع الأرواح الشريرة ويطرده تأثيرها الشرير . ويوجه الحالم إلى تناول مزيج من الخبز الطازج ، والمر ، وأعشاب خضراء ، وجعة ، أو دهن وجهه بهذا المزيج عند الاستيقاظ ؛ كما يتعين تلاوة تعويذة معينة ، ومن ثم تختفى الروح الشريرة التى سببت الحلم المزعج .

ولطرده الكوايس المزعجة ، صنع المصريون القدماء ثعابين من الطين ، ووضعوها عند أبواب بيوتهم (اعتبرت الثعابين مخلوقات ليلية شريرة ، ومن ثم فهى تجلب الأحلام السيئة) . واعتبرت هذه العادة فعالة فى طرد ثعابين الصحراء الحقيقية المهلكة . وغالبا ما ينقش على وسائد الرأس صورة «بس» الإله القزم ، مانع الأحلام المزعجة . وعثر على إحدى هذه الوسائد بين أمتعة «كين حرخوبشف» الجنائزية . كما نقشت صور الأسود ، أعداء الثعابين ، على الأسرة لحماية الناس أثناء النوم .

وحظى فن تفسير الأحلام باحترام بالغ ، وكان الخبراء فى هذا الفن محل إقبال شديد ، ويتلقون مكافآت سخية . وبحلول العصر البطلمى ، صار تفسير الأحلام مهنة مربحة . وربما يستأجر المتخصصون ليحلّموا الصالح زبائنهم ، بالإضافة إلى تفسير الأحلام التى تراودهم .

ومن بين من مارسوا هذه المهنة كاهن اسمه «حور» ، عاش خلال عهد «بطليموس الرابع» فى الفترة من ١٨٠ إلى ١٤٥ قبل الميلاد . وكان يعيش على منح المشورة للناس عبر الاستعانة بالآله «تحتوت» إله الحكمة ، والفكر ، واللغة . وخلف «حور» وراءه ما يزيد عن ٦٠ نصا كتبت على «أوستراكا» ، وأوضحت الكثير عن هذا الرجل الروحانى . وشاهد «حور» حلمين فى ليلة واحدة سببا له هزة شديدة ، وغيرا مجرى حياته . فقد

حلم أن روحا حذرته من أن «تحوت» غضب لأنه تجاهل إطعام ٦٠ ألف طائر أبو منجل «إيبيس». وفي حلم آخر، عاد «حور» إلى بلدته لينكره المواطنون المحليون ويضطهدونه. وظهر ملاحظ عمال وقال «أنا لست ملاحظ عمال، أنا إله. لا تعبد غيري» وفور استيقاظه، انتقل «حور» من بيته في الدلتا إلى سقارة حيث أصبح خادما مخلصا لعبادة الإله إيبيس «تحوت».

وعندما يبحث شخص عن إجابة لأمر مقلق أو شفاء من علة، يوظف كاهن لينام داخل «معبد نوم» أو مركز للعرافة، ويمكن للسائل أن يدفع أجرا ليمضى ليلة داخل «معبد نوم» بنفسه حتى يتلقى عونا إلهيا في أمور الصحة. وخضعت كتب تفسير الأحلام لحراسة مشددة، ولم يكن يرجع إليها إلا الكهنة، بينما يعتمد الآخرون على أحاسيسهم الداخلية في تفسير الأحلام.

ولم يبق من هذه الكتب سوى واحد فقط كتب خلال عصر الأسرة التاسعة عشرة، وهو يخص كاتب اسمه «كين خر خوبشف» شغف بجمع نصوص من السحر، والشعر، والطب، وتفسير الأحلام. واحتوى هذا الكتيب على أكثر من مائتين من تفسيرات الأحلام التي فسرت على أنها كلام الآلهة. وهناك عدة أمثلة تتنبأ بطول العمر - إذا رأى شخص نفسه ميتا في الحلم! كما يسعد بحسن الحظ الشخص الذي حلم بأنه يأكل لحم تمساح. أما أن يرى شخص نفسه إلى جوار قزم في الحلم، فهذا معناه أن نصف عمره قد مضى. والحلم بشرب الجعة دافئة (حتى في أيام ما قبل ظهور الثلاجات) يفسر على أن الحالم يعاني متاعب. واعتمد الكثير من هذه التفسيرات جزئيا على ارتباطات حرفية أو تلاعب لفظي، الأمر الذي كان المصريون القدماء يستمتعون به كثيرا؛ والأرجح أن التجارب الفعلية جمعت واستخدمت كمراجع للأحداث اللاحقة في تفسير الأحلام.

وورد في العهد القديم (من الكتاب المقدس) واحدة من أشهر القصص التي ترجع إلى الحقبة المصرية القديمة؛ حيث جلب «يوسف» العبراني إلى مصر كعبد، ثم رقى إلى خادم قائد الحرس. وبعد أن رفض إغراءات خليعة القائد؛ تسببت في إلقاءه بالسجن نكايه فيه. ولكن بعد فترة قصيرة، اكتسب «يوسف» احترام زملائه بفضل موهبته في تفسير الأحلام. وسرعان ما انتشرت أنباء مهاراته حتى بلغت أسماع الفرعون، الذي كان يعاني من حلم مزعج رأى فيه سبع بقرات عجاف يأكلن سبع سمينات، وسبع

كيزان من ذرة ضعيفة تأكل سبعة ممتلئة . وفسر «يوسف» الحلم بأنه يعنى أن سبع سنوات من الرخاء سيعقبها سبعة أعوام من المجاعة . واقتنع الملك بهذه الإجابة غير أنه شعر بالانزعاج . وكلف «يوسف» بمهمة ادخار خمس محصول الحبوب فى كل سنة من سنوات الرخاء حتى يستخدم فى سنوات المجاعة المتوقعة . وحلت المجاعة على جميع البلاد ما عدا مصر ، حيث كان مخزون الذرة والخبز كافيا لسد النقص .

وهناك قصة أخرى تتعلق بالأحلام ، حول فرعون حكم خلال عصر الدولة الحديثة ، وكان الفرعون -الذى يعتقد أنه «سيتى الأول»- معروفا بقله احترامه للجيش ؛ حتى أنه ألغى الامتيازات التى كان فرعوننا آخر منحها للجنود . وعندما كان الآشوريون يعتزمون غزو مصر ، رفض جنود الجيش المصرى التعاون مع الفرعون فى الدفاع عن البلاد . ولجأ الفرعون المحبط إلى استشارة المعبد . وأخذ النوم بينما كان يصلى للآلهة وظهر له فى الحلم أحد الآلهة الذى أكد له انتصار مصر على الآشوريين . فاستعاد الملك شجاعته وثقته مجددا ، واستدعى جيشه مرة أخرى ، وفى هذه المرة استجابوا له . ولم يهب الجنود فقط لمواجهة الأمر وإنما الصناع والتجار والعامّة ، تقدموا جميعا للدفاع عن مصر .

وعشية الهجوم ، أقام الآشوريون فى الحقول المجاورة ، وخلال الليل ، قرضت الفئران والجرذان مخزونهم من الأسلحة والدروع ، وتركت الآشوريين من دون حماية . فمات العديد منهم وفر الباقون بلا سلاح .

وتحكى قصة أخرى تتعلق بالأحلام ، عن «مرنبتاح» ابن «رعمنيس الثانى» وخليفته . وتقول الأسطورة أن «مرنبتاح» تعرض خلال العام الخامس من عهده لأزمة عسكرية : حيث كان يتوقع غزوا من الليبيين وشعوب البحر . واستشار «مرنبتاح» وسيط «أمون» ، الذى تحدث إليه عبر «پتاح» . وأبلغه أن مصر لن تهزم . ونقشت القصة على لوح تذكارى فى الكرنك يؤكد أن «مرنبتاح» ذبح آلاف الرجال ، وجلب معه العديد من الأسرى والغنائم .

ولنمض قدما مع قصة إله القمر «خنسو» ، التى ذكرناها فى الفصل الخاص بالمعبودات . فقد شفى «خنسو» «بينت-ريشت» أخت زوجة «رعمنيس الثانى» ؛ لكن القوم خشوا أن الروح الشريرة التى سببت مرضها ربما تعود إلى بلاد «بختن» ، ومن ثم

احتفظوا بتمثال «خنسو» ثلاث سنوات وأربعة أشهر وخمسة أيام . فلماذا أعيد إلى «أواست»؟ . فى إحدى الليالى رأى أمير «بختن» حلما مزعجا . فقد رأى «خنسو» متخذاً هيئة صقر ذهبي ، وهو يطير من محرابه فى «بختن» إلى موطنه فى مصر . وعقب استيقاظ الأمير ، استشار كاهنا عرافا . فأبلغه أن «خنسو» رحل بالفعل من «بختن» . وأدرك الأمير أن أيامهم مع «خنسو» بلغت نهايتها ، وفسر الحلم على أنه تحذير . وفورا حملت المركب الملكية الفخمة تمثال «خنسو» وهدايا ثمينة لمعبده ، وأعيد فى سلام إلى مدينة «أواست» .

وكان يعتقد أن «نختنبو الثانى» عرف كيف يجعل الآخرين يحلمون أحلاما معينة . ويقال أنه أرسل حلما إلى «أوليمبيا» ملكة مقدونيا ، عبر تمثال شمعى . حيث أعد «نختنبو الثانى» دواء باستخدام أعشاب مسببة للأحلام ، وصنع تمثالا شمعىا ونقش عليه اسم «أوليمبيا» . ودهن التمثال بالخلطة العشبية واستحضر حلما معينة لها . وفى تلك الليلة حلمت «أوليمبيا» أن «أمون» جاء إلى فراشها وأبلغها أنها ستلد طفلا عظيما . وبعد تسعة شهور أنجبت ابنا ، هو الإسكندر الأكبر .

وخلال العصر البطلمى ، توحد «حاب» مع «أوزيريس» ، وعبد باعتباره المعبود المجمع «أوزير - حاب» (الذى سماه الإغريق «سيرابيس») . وهكذا توحدت الروحان وصار «أوزير - حاب» واحدا من أهم معبودات الحقبة اليونانية / المصرية ، مما كان سببا لإشعال حرب . فقد حلم «بطليموس الأول سوتير» ، مؤسس الأسرة البطلمية (المعروف أيضا باسم المخلص) ، أن تمثالا ضخما ظهر أمامه ، وهو تمثال لم يره من قبل على الإطلاق ، وأمره بأن ينزعه من المكان الذى يقف فيه ، ويعيد تنصيبه فى الإسكندرية عاصمة البطالمة . ودون أن يعرف إلى من ينتمى هذا التمثال ، ولا أين يقع ، قص الحلم على صديق . وكشف الصديق له عن أنه شاهد لتوه مثل هذا التمثال فى «سينبوى» (شمال تركيا) . وبعد ثلاث سنوات والكثير من مقاومة المحليين (ومن الممكن للمرء أن يتخيل هذا) ، أخذ التمثال إلى مصر . واعتقد المصريون القدماء أن هذا التمثال يجسد جوهر «أوزير - حاب» . وأنشأ «بطليموس الأول» مركز عبادة «سيرابيس» فى الإسكندرية ، حيث أقيم معبدا ضخما لحماية التمثال ، باعتباره بيت «أوزير - حاب» .



القسم الثالث

المنجزات

ملوك وفاتحون

يعتبر ملوك مصر من أعظم الشخصيات فى التاريخ الإنسانى ، ويستحق العديد من الفراعنة الذكر لإسهاماتهم وإنجازاتهم المهمة ، وإن لم تكن أسماؤهم معروفة اليوم . وسنلقى هنا قليلا من الضوء على «صغار العظماء» ، ونتناول بتفاصيل أكثر عهود مشرقة أو مشهورة بوجه خاص ، مثل عهود «تحتمس الثالث» ، و «رعمسيس الثانى» ، و «الاسكندر الأكبر» و «كليوباترا السابعة» . وستتناول أيضا بعض الباحثين العظماء (وربما يقول البعض ناهبو المقابر) ، الذين كشفوا أدلة وقوع هذه الأعمال التاريخية المهمة . وفى بداية الكتاب ، هناك جدول يضم تقسيما زمنيا أكثر دقة للأسرات .

الأسرة الأولى (٣١٠٠ - ٢٨٩٠ قبل الميلاد)

«نعرمر»

احتل حاكم الوجه القبلى الملك «نعرمر» الوجه البحرى ، وعندما وحد الوجهين عام ٣١٠٠ قبل الميلاد أصبح أول من ارتدى التاج المزدوج فى مصر . وجعلت هذه الوحدة منه أول فرعون لمصر ، ليبدأ بهذا عصر الأسرة الأولى . وأنشأ «نعرمر» مدينة «منف» (مفيس) كعاصمة للبلاد الموحدة حديثا . ومثل موقعها الوحدة على نحو نموذجى ، حيث وقعت على رأس الدلتا ، الحد بين الوجهين القبلى والبحرى .

وفى أواخر القرن التاسع عشر من عصرنا ، عثر على لوح إردواز سليم ، يحمل نقوشا تخلد انتصار «نعرمر» . و «نعر» تعنى سمك «السلور» و «مر» تعنى «إزميل» ، ونظرا لأن هذين العنصرين ينطقان اسمه ، نقشا بالهيراوغليفية على قمة جانبي اللوح ،

ووضعت الكتابة الهيروغليفية بين رسمين لوجه «حتحور». وعلى احد الجانبين يظهر «نعرمر» مرتديا «دشرت» أو التاج الأحمر للوجه البحرى، ويسير فى موكب باتجاه صفين من الأسرى مقطوعى الرؤوس. وإلى أسفل، يظهر زوج من الأسود يلتف عنقاهما حول بعضهما البعض- رمز الاتحاد القطرين. وأسفل ذلك، يظهر «نعرمر» كثور هائج يسحق بقدميه الأعداء المهزومين. وعلى الجانب الآخر من اللوح، يرتدى «نعرمر» التاج الأبيض للوجه القبلى «هدجت» ويقف أمام «حورس»، وهو يتأهب لضرب الأعداء بصولجانه. والرسالة التى يريد إيصالها واضحة: إنه ضرب الأعداء واحتل أرضهم، وضمهم وحده تحت حكمه. وتعتبر لوحة «نعرمر»، التى اكتشفت فى «نخن» من أقدم السجلات المصرية للكتابة المصرية، حيث تعود إلى عصر ما قبل الأسرات.

ويعتقد كثيرون أن «نعرمر» و «ميناء» شخص واحد، وعلى أى حال كان لكثير من الفراعنة أكثر من اسم. ووفقا لقوائم الملوك القدماء، وسجلات «مانتون» (الكاهن المصرى الذى عاش قبل الميلاد بحوالى ثلاثة آلاف عام، وقسم التاريخ إلى (أسرات) كان «ميناء» أول ملك يحكم خلال عصر الأسرة الأولى من مصر الموحدة عام ٣١٠٠ قبل الميلاد تقريبا. وليس هناك الكثير مما يعرف عن «ميناء» ويعتقد البعض أنه ربما كان بطلا أسطوريا، بينما يعتقد آخرون أن «ميناء» هو الذى أسس «من نفر». و«من» التى تعنى «أسس» ربما كان اسما مناسباً لمثل هذا الملك. بيد أن هذه اللوحة التى تخلد ذكرى التوحيد بواسطة حاكم يدعى «نعرمر» لم يظهر فى أى من قوائم الملوك، الأمر الذى يدعو للاهتمام.

الأسرة الرابعة (٢٦١٣-٢٤٩٨ قبل الميلاد)

«سنفرو»

بدأ عصر الأسرة الرابعة مع فرعون حكم نحو ٢٤ عاما. وكان «سنفرو» فرعوناً يحظى بالاحترام، وعرف بحملاته العسكرية على النوبة وليبيا. وأقام علاقات تجارية مع بلدان البحر المتوسط وأقام العديد من مشروعات التعمير فى أنحاء مصر. وهناك ثلاثة أهرامات تقع فى «ميدوم» و «دهشور» تنسب لإبداع «سنفرو». وزوجته الملكة

«حتفير» التي عثر عام ١٩٢٠ على حجرة نومها المبهرة المطلية بالذهب وأدوات زينتها، ولهما ابن اسمه «خوفو» (كيوبس باليونانية).

«خوفو»

اشتهر «خوفو» بكونه رجلا طموحا ومثابرا، واصل في حماس مشروعات والده المعمارية. وبنى أكبر أهرامات الجيزة تحت توجيهه. ويعرض المتحف المصري بالقاهرة نحتا مصغرا لخوفو، وهو الصورة الوحيدة له المعروفة حتى الآن. وتقول الأسطورة أن «خوفو» باع ابنته إلى بيت دعارة لتمويل مجتمعه الجنائزي. وهي، بدورها، طلبت من كل زبون توافق عليه حجرا، واستخدمت هذه الأحجار لبناء هرم لها (أصغر بكثير من هرم والدها) يقف في مواجهة هرم «خوفو»^(*). ونظرا لأن الولد سر أبيه، فقد كان خليفته، «خفرع» (شيفرن باليونانية) يعتبر أيضا حاكما مستبدا.

«خفرع»

يتتسب ثاني أكبر الأهرامات إلى «خفرع»، ويعتقد أن صورته هي التي نحت على مثالها وجه «أبو الهول» العظيم. وتولى ابنه وخليفته «منكاورع» الحكم أيضا خلال هذه الفترة الزمنية، وهو صاحب أصغر أهرامات الجيزة الثلاثة. وكان «منكاورع» (ميسيريناس باليونانية) و«سنفرو» أقل قسوة على الشعب، ومن ثم كانا محبوبين ولهما شعبية أكثر من «خوفو» و«خفرع».

الدولة الوسطى

الأسرة الحادية عشرة (٢٠٥٠-١٩٩١ قبل الميلاد)

«منتوحتب الثاني»

بعد قتال استمر عدة سنوات، استولى جيش «منتوحتب» القوي على بلدة «حنن نسوت» (هركليوبوليس) حوالي ٢٠٤٠ قبل الميلاد. وكانت «حنن نسوت» عاصمة

(*) مصدر تلك الأسطورة المؤرخ اليوناني هيرودوت الذي زار مصر في زمن الاحتلال الفارسي بين عصر بناء الأهرام بقرابة ألف عام، والقصة أسطورية بالطبع لا أساس لها من الصحة - الناشر.

الملوك المنافسين خلال الأسرتين التاسعة والعاشرية من عصر الاضمحلال الأول . وبدأت السلطة الانهيار في «حن نسوت» بينما بدأت «أواست» علاقات تجارية مهمة مع النوبة أدت إلى زيادة الثروة والنفوذ . وأعاد «متوحتب الثانى» إقامة العاصمة فى «أواست» ، مقدمة لقيام الأسرة الحادية عشرة التى كانت بداية الدولة الوسطى . وعزز «متوحتب الثانى» حدود مصر حيث حارب الآسيويين فى سيناء والليبيين فى الدلتا . واستمر عهده نصف قرن .

الأسرة الثانية عشرة (١٧٧٥-١٩٩١ قبل الميلاد)

«سنوسرت الثالث»

شملت إنجازات «سنوسرت الثالث» دعم صعود ونمو الطبقة الوسطى . وكانت هذه الشريحة من السكان تتكون أساسا من التجار ، والحرفيين ، والمزارعين ، والصناع . واختفى منصب حاكم الإقليم فى عهده ، حيث كان حكام الأقاليم يتنافسون على السلطة مع الفراعنة وشكلوا تهديدا لوحدية البلاد . وأعاد «سنوسرت الثالث» شق القناة القريبة من الشلال الثانى ، وهكذا سهل التجارة ونقل القوات إلى النوبة . وفى النوبة ، نشط عسكريا على نحو بالغ ، ووسع حدود مصر فى أراضيها . ومن بين أكثر التماثيل التى عثر عليها من مصر القديمة واقعية وفنية ، تماثلا من الجرانيت بالحجم الطبيعى لسنوسرت الثالث .

«أمنمحات الثالث»

«أمنمحات الثالث» هو من تولى الحكم بعد «سنوسرت الثالث» ، وكان فرعوننا عظيما تعدت إنجازاته حدود الانتصارات العسكرية ، وحقق الازدهار الاقتصادى للبلاد . فخلال عهده الذى بلغ ٥٠ عاما ، نجح فى تحسن نظام الري فى الفيوم ، مما نتج عنه زيادة كبيرة فى غلة المحاصيل الزراعية . وأضاف هذا المشروع الضخم ٢٧ ألف فدان تقريبا إلى الأراضى الزراعية الخصبة . وبأوامر «أمنمحات الثالث» أنشئت السدود والأحواض ، كما شقت قناة من بحيرة الفيوم إلى النيل ، حولت المياه إلى بحيرة «مويرس» . وتعتبر بحيرة «قارون» الحالية جزءا من تلك البحيرة القديمة . وأدى

احتجاز مياه النيل فى هذه البحيرة (نظرا لعدم وجود مخرج لها) إلى إغراق المنطقة بالمياه، وحولها إلى واحدة من أكثر المناطق خضرة فى مصر .

ووفر «أممحات الثالث» أيضا لمصر الموارد الطبيعية، بتنظيم العديد من البعثات التعدينية، لاستخراج النحاس بوجه خاص من سيناء . وينسب إليه أيضا توفير وسائل الحياة الكريمة لعمال المناجم وأسرههم . وأقام لنفسه تماثيلين هائلين، تخليدا لمنجزاته . ويعرف المعبد أو المركز الإدارى الذى بناه إلى جوار هرمه باسم «قصر التيه» بسبب تصميمه المعقد من الممرات، والممرات الصاعدة، والأعمدة وعشر ساحات منفصلة . ورغم أن هذا الصرح لم يعد قائما، يذكر «أممحات الثالث» على أنه آخر الملوك العظماء لهذه الأسرة .

الدولة الحديثة (١٥٥٠-١٠٨٧ قبل الميلاد) الأسرة الثامنة عشرة (١٣٠٧-١٥٥٠ قبل الميلاد)

«أحمس»

هو مؤسس الدولة الحديثة وأول ملوكها، الذى تولى الحكم بعد وفاة شقيقه «خاموس» أثناء الحرب ضد «الهكسوس» الآسيويين . وفقد أباهما «سقن رع تاو الثانى» حياته أيضا فى معركة مع الهكسوس . ونجح «أحمس» فى هزيمتهم أخيرا، ليقضى على خطر ضخم هدد قومية مصر، وعطل نشاطها الطبيعى لما يزيد عن قرنين . كما قام بحملات عسكرية ضد النوبيين، الذين حاولوا البقاء مستقلين عن مصر . واسترد «أحمس» حكم البلاد التى شهدت خرابا خلال عصر الاضمحلال الثانى، ومن ثم استهل عهدا جديدا من الأمل - الدولة الحديثة . وشجع «أحمس» التجارة، وأعاد تنظيم النظام الضريبى، وأدخل تحسينات على مشروعات الرى . وبعد موته، اعتلى ابنه «أمنحتب الأول» العرش .

«أمنحتب الأول»

قاد «أمنحتب الأول» جيشا هزم الليبيين الغزاة مرتين، كما انتصر على النوبيين أيضا، وجلب معه العديد من الأسرى النوبيين . وحظى «أمنحتب الأول» بحبة شعبه .

ويبدو اهتمامه بالفنون والعمارة في تجديد عدة معابد، ومشروع البناء المتقن في معبد الكرنك، في «أواست». ومات هذا الفرعون قبل أن يبلغ الخمسين من عمره، تاركاً الحكم لقائد جيش من غير أفراد الأسرة الملكية، عرف باسم «تحتمس الأول». وتزوج «تحتمس الأول» من الأميرة «أحمس» ابنة «أحمس الأول» التي أصبحت بذلك ملكة مصر.

«تحتمس الأول»

شهد عهده عملاً مكثفاً في معبد الكرنك، فأضاف أعمدة ضخمة، وقاعة ذات سقف يستند إلى أعمدة من خشب الأرز، ومسلات، وأفنية، وأبواب مذهبة، وسوارى أعلام. وخلال عهده بدأ دفن الملوك في منحدرات الحجر الجيري بوادي الملوك.

ومثلما فعل أسلافه، قاد تحتمس الأول حملات عسكرية إلى النوبة وضد الهكسوس. وينسب إلى «تحتمس الأول» أنه أعاد الاستقرار والثقة بين المصريين القدماء، الذين كانت ثقتهم اهتزت بشدة بسبب الهكسوس وتحالفهم مع النوبيين، الذين حكموا مصر بالفعل خلال عهد الأسرة الخامسة والعشرين.

وخلفته على العرش ابنته «حتشبسوت» التي حكمت كملكة إلى جانب أخيها «تحتمس الثاني» إلى أن توفي في الثلاثين من عمره، عندما أصبحت فرعوناً للبلاد.

«أمنحتب الثاني»

كان «أمنحتب الثاني» محارباً شجاعاً مغواراً، برع في الرماية والفروسية. وتولى العرش خلفاً لتحتمس الثالث. وقبل أن يصبح فرعوناً كان قائداً للقاعدة البحرية في «منف». وعند عودته للبلاد منتصراً، علق الأسرى الهكسوس مقطوعى الرؤوس على مقدمة سفينته.

«أخن آتون»

جاء إلى هذا العالم باسم «أمنحتب الرابع»، ثم صار أول حاكم في التاريخ يتبنى

مفهوم الإله الواحد المجرّد . وجعل من «آتون» (قرص الشمس) - الذى كان يعتبر حتى ذلك الحين إلهًا ثانويًا - الإله الأواحد لمصر وأسس ديانة جديدة للدولة . وكان والده «أمنحتب الثالث» قد غرس أولى بذور هذا التطور الجديد ، عندما كان «أخن آتون» طفلاً ؛ وذلك بتشجيعه عبادة آتون . بل أنه بنى معبدا لعبادة هذا الإله . وهناك دلائل على أن الملكة «تاى» ، والدة «أخن آتون» أزرت أيضا طموحاته وتطلعاته الدينية .

لكن ما جعل هذا التغيير مفاجئًا ، أن «أمنحتب الرابع» الذى يعنى اسمه «أمون مسرور» ولد فى «أواست» المركز الدينى لعبادة أمون حوالى ١٣٩٥ قبل الميلاد . وبعد ٢٠ عاما ، ألقى كهنة «أمون» ومجموعة الآلهة القائمة ، وأحل «آتون» محلها . ويعتقد البعض أن المفهوم العبرى للإله الواحد نشأ من عبادة «آتون» .

وخلال العام الخامس من حكمه ، غير اسمه من «أمنحتب الرابع» إلى «أخن آتون» الذى يترجم إلى «روح ضياء الشمس» . ولما أصبح من الواجب إنشاء عاصمة جديدة ، نقل «أخن آتون» العاصمة من «أواست» إلى منطقة مهجورة بامتداد النيل ، فى منتصف الطريق تقريبا بين «أواست» و «منف» ، فيما يعرف باسم «مصر الوسطى» . وأطلق على الموقع اسم «أخيتاتون» وترجمته «أفق آتون» . وأنشئت المدينة حوالى عام ١٣٥٠ قبل الميلاد ، على الضفة الغربية من النيل ، فيما يعرف الآن باسم «العمارنة» - وهو الاسم الذى أطلقه علماء المصريات على فترة حكمه التى امتدت ١٧ عاما . وكان موقع «أخيتاتون» فى الأصل امتدادا من الأرض غير مأهول ، واختير لشمسه الساطعة وقلة الظل فيه . وهكذا افتتحت المعابد التى كانت تقليديا ذات إضاءة خافتة ، من دون سقف حتى تستقبل أشعة الشمس ، التى تجسد «آتون» ، عندما تلمس هذه العاصمة المقدسة .

ويعتقد أن سكان «أخيتاتون» ، زادوا عقب إنشائها من ٢٠ ألف نسمة حتى ٥٠ ألفا ، لتصبح مدينة كبرى بالنسبة لذلك العصر . وضمت المدينة القصور الملكية ، ومباني الحكومة ، ومعابد «آتون» ، وقرية للعمال ، وقطاعا للطبقة العليا حيث أقام النبلاء .

غير أنه عثر فى «العمارنة» ، خاصة فى الأحياء الفقيرة من المدينة على دلائل على وجود بعض الآلهة القديمة (فى صورة منحوتات وتماثيل تحمل أسماء هذه الآلهة وصورها) . والأرجح أن هؤلاء الناس واصلوا - سرا - عبادة الآلهة القديمة فى بيوتهم . ولا بد أن إجبارهم على نبذ الآلهة التى عبدوها قرونا لصالح تجسيد جديد وغير

معروف للإله، كقرص الشمس، كما أن التخلي عن الظل البارد للمعابد القديمة، مقابل الشمس الحارقة، مثل صدمة حضارية لهم. وأغلقت المعابد القديمة لعبادة «أمون» وغيره من المعبودات، أو دمرت، واختفت جميع آثار الآلهة القديمة. بل إن مصطلح الجمع الدال على «الآلهة» تم محوه، مع جميع الشعائر والأحداث الأسطورية الماضية. وصار كهنة «أمون» الأقوياء، بلا حول ولا قوة.

ولم يكن هناك مفر من أن تبدأ الإمبراطورية فى الانقسام، فبينما ركز «أخن أتون» اهتمامه على إقامة عبادة ناجحة لآتون، بدأت عدة أقاليم تعلن استقلالها. ولم يكن «أخن أتون» محاربا، وإنما شاعرا، وفيلسوبا، وروحانيا، ورجل عائلة محب للسلام تولى تربية ست بنات مع زوجته، الملكة «نفرتيتى» وهى المرة الأولى التى يصور فيها فرعون باعتباره رجلا ليئا، على عكس صورة المحارب فى مشاهد القتال التى فضلها الحكام السابقون.

وكان «أخن أتون» رجلا غير عادى، بل إنه ربما أدخل حتى نظام الزواج بوحدة فقط، وتحرير العبيد. ولم يكن «أخن أتون»، المعروف باسم «رجل شعبه» يسمح لرعاياه بالركوع أمامه، رغم أن هذا المظهر من مظاهر الدونية كان سائدا فى الماضى. وظهر اهتمامه برفاهة شعبه فى نصيحته للأمهات أن يحددن النسل بطفلين، نظرا لأن أكثر من نصف الأمهات كن يتوفين أثناء الولادة. وفى عهده، كان من حق المجرمين استئناف الأحكام، ومد الحماية والمعاملة العادلة إلى الحيوانات. وحظرت عبااءات جلد النمر التى كان يرتديها الكهنة «سيم»، واعتبر صيد السمك بالرمح، وقنص الطيور من أنواع الرياضة العنيفة، ومن ثم حظرت الرياضتان، كما حظر ذبح الحيوانات بطرق تحتوى على معاناة غير ضرورية. وأصدر «أخن أتون» توجيهاته للمعالجين بتقديم خدماتهم للفقراء مجانا. وفرض عقوبات على القضاة وجامعى الضرائب الذين يجمعون أكثر من الأنصبة القانونية.

وبينما أكسبته هذه التحديثات ثناء الكثيرين، من السهل أن نرى أنها أثارت فى نفس الوقت عدااء الآخرين، حيث أثرت معتقداته وأفعاله على حياتهم تأثيرا عميقا، وبوجه خاص، أصحاب المراكز العليا؛ مثل النبلاء، وخصوصا كهنة «أمون».

وفى المشاهد التى تسجل عهد «أخن أتون»، تختفى زوجته المحبوبة «نفرتيتى» من الصورة عند حوالى السنة الرابعة عشرة. ويواكب رحيلها ظهور شاب اسمه

«سمنخارع». وأصبح «سمنخارع» شريكا للفرعون على العرش، وعندما توفى «أخن آتون» تولى وحده الحكم لمدة عامين. وتزوج «سمنخارع» «ميريت آتون» كبرى بنات «أخن آتون»، وهكذا أصبح من حقه شرعا المطالبة بالعرش.

وتظل أصول «سمنخارع» لغزا، وهناك عدة نظريات حولها. فقد صور في اللوحات البارزة كرفيق «أخن آتون» ويبدو أن صورته حلت محل صور «نفرتيتي». وربما كان «سمنخارع» ابن أخت «أخن آتون» (ابن واحدة من أخواته الكثيرات)، أو ربما زوج إحدى بناته، أو أخ أصغر غير شقيق من «أمنحتب الثالث» وأم أخرى. وربما كان «سمنخارع» أيضا أبا «توت عنخ آمون» (بافتراض أن «توت عنخ آمون» ابن «ميريت آتون» كبرى بنات «أخن آتون»). وأكثر النظريات شهرة وإثارة للتساؤلات تقول إن «سمنخارع» لم يكن سوى «نفرتيتي» نفسها، تخفت في هيئة رجل وتولت الحكم، مثلما فعلت «حتشبسوت» في وقت سابق خلال نفس الأسرة.

وانهارت إمبراطورية «آمون» عقب وفاة «أخن آتون» (خلال العام السابع عشر أو الثامن عشر من حكمه)، والمرجح أن مومياءه دمرها المعارضون لعبادة «آتون»، لذلك لم يتبق لدينا أية آثار تدل على سبب وفاته. وبدأت الديانة الجديدة تتراجع بدون مؤسس عبادة «آتون»، ممهدة الطريق لعودة عبادة آمون. ولم يمر وقت طويل بعد وفاته، حتى عاد كهنة آمون، مع جميع آلهة وربات المصريين إلى سابق عهدهم. ونحو عام ١٣٣٤ قبل الميلاد، أعاد «سمنخارع» العاصمة مرة أخرى إلى «أواست». ولعدم وجود ورثة من الذكور، انتقلت الخلافة على العرش إلى زوج ابنة «أخن آتون» (أو ربما كان ابنه من «كيا» وهي زوجة ثانوية). ويعتقد آخرون أن الصبى كان أخا أصغر لأخن آتون، وابن «أمنحتب الثالث». وعلى أية حال، سمى الصبى «توت عنخ آتون»، وفي سن التاسعة أصبح فرعون مصر. وطمست جميع آثار عبادة «آتون» الذي أعيد إلى وضعه السابق كإله أقل شأنًا، بينما عادت مصر إلى آلهتها التقليديين وقيمها التقليدية. غير أن «أخن آتون» ترك بالفعل علامة عميقة على التاريخ، حيث يذكر، باعتباره أول داعية حقيقى للاعنف والتوحيد.

«توت عنخ آمون»

بمجرد أن تولى الحكم «توت عنخ آتون» الذى يعنى اسمه (صورة آتون الحية)، غير

اسمه إلى «توت عنخ آمون». وظل فرعوننا قليل الشأن، لم يحقق الكثير من الإنجازات (التي نعرفها) خلال فترة حكمه التي بلغت ثمانية سنوات. ومع ذلك، يخلد ذكره عودة مجموعة الآلهة والتقاليد السابقة في مصر خلال عهده. ولهذا السبب، حظى بأفخر طقوس دفن عند وفاته المبكرة في سن الثامنة عشر.

وعند فحص موميائه، وضع المتخصصون نظريات تشير إلى أنه ربما مات بسبب آفة غامضة في خده الأيمن و/أو من ضربة قاتلة خلف جمجمته. ومن المحتمل أيضا أن هذا الضرر وقع بعد موته. ولا تحمل المومياء أى علامة على المرض، ولذلك، تشير كل الاحتمالات إلى أن وفاته المبكرة نجمت عن عنف. ويبدو أن وفاته لم تكن متوقعة؛ حيث تعد مقبرته متواضعة الحجم دليلا على أنها حولت من مقبرة أعدت لشخص من العامة إلى مقبرة ملكية. وتظهر العديد من الكنوز التي عثر عليها في غرف المقبرة الأربع، آثارا على أنها تعرضت للتطوير كي تصبح مناسبة لملك. واشتملت المقبرة على نحو خمسة آلاف قطعة لا تقدر بثمن من الذهب، والأونيكس، واللازورد، والمرمر، كانت (عندما فتحها المتخصصون رسميا) جميعا مبعثرة في أنحاء الحجرة. وإذا كان ذكر اسم شخص يعيده للحياة مرة أخرى، فإن «توت عنخ آمون» خلد بالفعل، حيث اسمه وصورته هما الأشهر بين فراعنة مصر، رغم أن «توت عنخ آمون» كان ملكا قليل الشأن. وبالنظر لما اكتشف في مقبرته، يتحير المرء بشأن ما قد يكون في المقابر التي لم تكتشف لفراعنة عظام مثل «تحتمس الثالث»، و«رعمسيس الثاني»، و«كليوباترا السابعة».

خبراء الآثار واللعنة الأسطورية

استغرق تصنيف المجموعة الفخمة كلها عشر سنوات، من «هوارد كارتر»، الرجل الذي اكتشف مقبرة الفرعون الصغير في ١٩٢٢. وكان «كارتر» فنانا وخبيرا في الآثار؛ ويعتبر اكتشافه في وادي الملوك هو الأبرز حتى الآن. وقد أمارت اللثام عن الكثير من العالم السرى للفراعنة. وبعد الاكتشاف أصبح كل ما هو مصرى يمثل صيحة رائجة للغاية.

وعمل كارتر تحت رعاية، وبتمويل من، جورج هربرت (إيرل كارنارفورن الخامس)، الذى شاركه ولعه بالمصريات. ومول كارنارفون كارتر لبعثة أثرية مدتها خمس سنوات أساسا، ولكن مع انقضاء المدة، أقنعت ثقة كارتر وإصراره وتصميمه على العثور على مقبرة «توت عنخ آمون» كارنارفون بدعمه لسنة إضافية أخرى، الأمر الذى كان فارقا.

وعقب افتتاح المقبرة الملكية بوقت قصير، بدأت قصة تنتشر فحواها أن لعنة أصابت كل من تورط فى إقلاق نوم الفرعون. ووفقا لرواية هوارد كارتر، عثر على لوحة طينية فى الحجره المؤدية للحجرة الرئيسية، نقش عليها «الموت يأتى على أجنحة لمن يقلق نوم الملوك». واللوحه نفسها لم تدرج فى قائمة محتويات المقبرة، ولا توجد- بأى احتمال- إلا فى خيال كارتر. ولم يذكر خبراء المصريات والآثار شيئا عن الدليل على وجود اللوحه، ولا عن أى نقش عثر فى مقبرة «توت عنخ آمون»، أو فى مقبرة أى فرعون آخر. ومع ذلك، سارعت التقارير الصحفية إلى التأييد، وروجت لفكرة لعنة المومياء المصرية.

وبدأت القصة عندما اشترى كارتر عصفور كناريا مغردا لإضفاء البهجة على بيته. وقبل نحو ثلاثة أسابيع من اكتشاف المقبرة فعليا فى الرابع من نوفمبر ١٩٢٢، اكتشف العمال درجة سلم محفورة فى الصخر، و ١٥ درجة أخرى تقود إلى مدخل. وفى ذلك المساء نفسه، دخل ثعبان من نوع الكوبرا بيت كارتر والتهم عصفوره الكناريا. ونظرا لكون الكوبرا رمزا للملكية، اعتبر الأمر نذيرا بلعنة الفرعون. غير أن كارتر، باعتباره من رجال العلم، اعتبر هذا الكلام هراء. ومن الواضح أن ثعابين الكوبرا لا تظهر عادة فى مصر فى فصل الشتاء.

وتوفى لورد(*) «كارنارفون» فجأة فى القاهرة بعد خمسة شهور فحسب من فتح المقبرة- ليصبح أول ضحية بشرية من ضحايا المومياء. وجاءت وفاته بسبب تسمم فى الدم نتيجة للدغة بعوضة مصابة بالعدوى، فى موضع كان قد جرحه أثناء الحلاقة. وتصاعدت الشائعات حول «لعنة المومياء»، عندما اتضح أن لدغة الناموسة فى وجنته جاءت فى نفس موضع الندبة الموجودة فى وجه «توت عنخ آمون». وقيل فى ذلك

(*) لقب إنجليزى أدنى من ماركيث وأرفع من فيكونت- المترجمة.

الوقت أن الأنوار انقطعت عن القاهرة لمدة عشرين دقيقة عندما توفى لورد كارنارفون، غير أن هذا لم يكن امرا غير معتاد. وفي نفس الوقت، وبالعودة إلى إنجلترا، نجد أنه قيل أن كلب «كارنارفون» الأليف أخذ يعوى، ثم سقط ميتا فى نفس وقت وفاة سيده.

وعاش هوارد كارتر ١٧ عاما بعد اكتشافه المهم، وفى عام ١٩٣٩ توفى فى سن السادسة والستين فى سلام ولأسباب طبيعية فى إنجلترا. وعاشت ابنة كارنارفون الصغرى، التى حضرت فتح المقبرة مع والدها وكارتر عام ١٩٢٢ حتى تعدت السبعين من عمرها.

ومع ذلك، وبحلول عام ١٩٢٩ قيل إن أحد عشر شخصا شاركوا فى الاكتشاف توفوا لأسباب غير طبيعية بشكل أو بآخر. ومن بينهم باحثون وعلماء وخبراء فى الآثار، ومنهم أمريكى ساعد كارتر دخل فى إغماء عميقة بعدما عانى من إرهاب حاد، وتوفى فى نفس الفندق الذى توفى فيه اللورد كارنارفون. وهناك رجل آخر، هو ابن الممول، زار المقبرة وتوفى فى اليوم التالى بسبب حمى شديدة؛ وواحد من كبار المستثمرين فى السكك الحديدية حصل على فرصة دخول المقبرة، وتوفى فى اليوم التالى من الحمى أيضا. وتوفى أحد رجال الصناعة البريطانيين، زار المقبرة، أثر حمى شديدة على ظهر السفينة التى أعادته إلى إنجلترا. وتوفى خبير الأشعة الذى فحص مومياء «توت عنخ آمون» عقب عودته إلى إنجلترا أيضا. وتستمر القائمة لتضم اثنين من الأساتذة الجامعيين، وأربعة علماء آثار، وزوجة كارنارفون، التى توفيت أيضا أثر لدغة بعوضة فى ١٩٢٩. وتوفى سكرتيره أثناء نومه فى نفس العام. وبعد ثلاثة شهور، سمع والد السكرتير النبأ، فأنهى حياته بالقفز من نافذة فى الطابق السابع؛ وترك خطاب انتحار يلقي فيه بمسئولية وفاة ابنه ووفاته على اللعنة. وفى الطريق لدفنه، دهست عربة نقل الموتى صبيا، وفى نفس اللحظة؛ توفى أيضا موظف فى المتحف البريطانى متخصص فى قسم المصريين. وخلال فترة عقدين ألقى باللوم على لعنة «توت عنخ آمون» فى وفاة ٢١ شخصا.

وفى السبعينيات من القرن العشرين، استجابت مصر لمطالب الرأى العام، وأخرجت كنوز «توت عنخ آمون» ليراها العالم. ورأى مدير هيئة الآثار المصرى رؤيا تشير إلى أنه سيموت إذا غادرت الكنوز مصر. وبعد ثلاثة شهور من شحن أول معرض متنقل، قتل فى حادث سيارة، واعتبر الضحية الخامسة والعشرين لللعنة.

ومؤخرا، رأى علماء أن اللعنة ربما تكون بالفعل هى جرائم الأتربة التى اكتشفها علماء الأحياء الدقيقة فى المومياء . وهذه الجرائم يمكنها البقاء آلاف السنوات فى مكان مظلم وجاف ، ومعظمها غير مؤذ ، غير أن بعضها يمكن أن يكون ساما . وربما تكون هذه الجرائم خرجت للهواء عندما فتحت المقابر للمرة الأولى ، ودخلت أجساد الأثريين عبر الأنف ، أو الفم ، أو العينين . وربما يؤدى الضرر الذى تحدثه هذه الجرائم إلى الفشل العضوى والوفاة ، خاصة بالنسبة لهؤلاء الذين يعانون من ضعف أجهزة المناعة لديهم . ويقال إن كارتر نفسه لاحظ وجود فطريات بنية اللون تغطى الجدران الداخلية لمقبرة «توت عنخ آمون» .

وهناك نظريتان حول من الذى قد يكون المسئول عن وفاة «توت عنخ آمون» . حيث استفاد القائد «حور محب» من وفاته ، فارتقى من بين صفوف الجيش ، وأصبح فرعوناً بدوره ، وتولى الحكم لمدة ٢٧ عاما . وفى عهده ، طمس تماما جميع آثار «أخن آتون» و«آتون» . وأمر «حور محب» بتدمير معابد سلفه حتى يقيم بوابة ضخمة فى الكرنك . كما أمر أيضا بإزالة اسم «توت عنخ آمون» ، حيثما ظهر ، وهكذا حاول أن يتسبب له فى موت ثان ودائم . ومحا أيضا اسمه من قوائم الملوك ، مع اسم «أخن آتون» و«آى» (كان «آى» وزير «توت عنخ آمون» وهو مشتبه به آخر فى موت الفرعون الصغير) .

فكيف وصل «حور محب» إلى سدة الحكم فى المقام الأول؟ تزوج «توت عنخ آمون» أخته غير الشقيقة «عنخ سن آمون» ، التى كان اسمها سابقا «عنخ سن با آتون» . وكانا فى نفس السن تقريبا ، ولم ينجبا . وعثر على جنينين محنطين بين الكنوز ، مما يشير إلى احتمال أن تكون «عنخ سن آمون» أسقطت حملها . وتظهر اللوحات الزوجين الشابين مغرمين بعضهما ببعض .

وبعد وفاته ، أرسلت الملكة الشابة رسالة يائسة إلى ملك الحيتيين ، تناشده أن يرسل لها أحد أبنائه لتتزوجه . وكانت تلك خطوة جريئة ، كما لم يكن متخيلا أن تتخذ ملكة مصرية زوجا أجنبيا ، وتقضى على نقاء نسلها . ويقال إن «عنخ سن آمون» كانت خائفة للغاية ، ورفضت أن تتزوج «مجرد خادم» . ويعتقد الكثيرون أن هذا الخادم ليس إلا «حور محب» أو «آى» .

ووافق ملك الحيتيين ، وأرسل أحد أبنائه ، لكن الصبى لم يوفق ، حيث قتل فى الطريق . ويعتقد أنه قتل بأمر من «حور محب» . ثم تزوجت «عنخ سن آمون» من

«آى» الذى صار شريكها على العرش . وعندما توفى «آى» دون أن ينجب ورثة من الذكور، انتقلت خلافته إلى قائد جيشه «حور محب» . وعندما مات «حور محب أيضا» دون ورثة من الذكور، انتقلت الخلافة على الحكم أيضا إلى ضابط فى الجيش . وكان هذا القائد «رعمسيس الأول»، أول فراغة الأسرة التاسعة عشرة، وتولى الحكم لمدة عامين .

الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٧-١١٩٦ قبل الميلاد)

«سيتى الأول»

بدأ سيتى الأول مثل والده «رعمسيس الأول» قائدا للجيش، ووقع اتفاقية سلام مع الحيتيين، محققا بذلك الاستقرار على الحدود . وواصل تطبيق مرسوم أصدره «حور محب» يقضى على المجرمين بالعمل الجبرى فى المناجم، والمهاجر، والصحراء والواحات . وحقت مهاراته العسكرية انتصارات صورت على جدران معبد الكرنك، وعلى شاهد يخلد انتصاره على قاش . وأقام «سيتى الأول» العديد من مشروعات البناء خلال عهده، من بينها إضافة قاعة للأعمدة فى معبد الكرنك .

«رعمسيس الثانى»

فى عام ١٨٨١ الميلادى، أسفرت واحدة من أهم الاكتشافات الفرعونية عن العثور على موميوات «رعمسيس الثانى» و«سيتى الأول» و«تحتس الثالث» مدفونة على عمق بعيد فى وادى الملوك . و«رعمسيس الثانى» هو ابن «سيتى الأول» وحفيد «رعمسيس الأول» (الذى لم يترك علامات تذكر فى سجلات التاريخ) .

وأطلق علماء المصريين، فى القرن التاسع عشر الميلادى، لقب «رعمسيس العظيم» على «رعمسيس الثانى» (المولود من رع) . وتولى رعمسيس الحكم وعمره خمسة وعشرون عاما عقب وفاة والده . ويعتقد أنه عاش حتى سن الثانية والتسعين . وكان محاربا مقداما مغورا، حارب لإعادة سيطرة مصر على الأراضى التى كانت فى حوزتها فى أفريقيا وغرب آسيا (إيران والعراق وسوريا) قبل أن يحتلها الآشوريون .

وبنى أيضا العديد من المعابد الجميلة وأقام الكثير من التماثيل والمسلات الضخمة، واعتبر واحدا من أشهر البنائة فى تاريخ مصر. فقد بنى «رعمسيس العظيم» معبد «اوزيريس» فى «أبيدجو»، والواجهة الصخرية المهيبة لمعبد «أبو سمبل».

وتزوج «رعمسيس الثانى» العديد من الزوجات وأنجب ما يزيد عن مائة من الأبناء، وكانت أحب زوجاته إليه الملكة «نفرتارى»، التى يعنى اسمها «الصديقة الجميلة». وتوفيت فى حوالى العام الرابع والعشرين من حكم زوجها. ودفنت فى مقبرة فخمة فى وادى الملكات.

وتوفى «رعمسيس الثانى» بعد حكم دام ٦٧ عاما، وبعد وفاة العديد من أبنائه. وعاش ابنه الثالث عشر «مرنبتاح» إلى أن خلفه على العرش وتولى الحكم لمدة عقد من الزمان. ولم يكن «مرنبتاح» نفسه شابا عندما ورث العرش. وكان من بين عدة أبناء أنجبهم «رعمسيس الثانى» من الملكة «استنوفرت»، الزوجة التالية فى المرتبة بعد «نفرتارى»، التى حلت محلها بعد وفاتها. ولم يعرف بعد الكيفية التى توفيت بها أى من الزوجتين.

ويعتقد الكثيرون أن «رعمسيس الثانى» هو الفرعون المذكور فى القصة التوراتية عن «الخروج». ويرى آخرون أنه «مرنبتاح». ولم يعثر على أى دليل فى الوثائق أو النقوش المصرية القديمة عن «الخروج». غير أن الصلة المحتملة بين «مرنبتاح» و«الخروج» تنجم عن إدعائه الانتصار على «إسرائيل» فيما يعرف باسم «اللوحة التذكارية لانتصار مرنبتاح على إسرائيل»: وطبقا للنص المنقوش على اللوحة، أسر مرنبتاح تسعة آلاف إسرائيلى، وقتل تسعة آلاف آخرين.

الإسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ قبل الميلاد)

نجح الإسكندر الأكبر، ابن «فيليب الثانى» ملك مقدونيا فى طرد الحكم الفارسى من مصر خلال عام ٣٣٢ قبل الميلاد، وبدأ حقبة الهيمنة الإغريقية. ورفع هذا الانتصار إلى مرتبة الفرعون، ليؤسس الأسرة المقدونية. وأقيمت عاصمة جديدة للدولة فى عام ٣٣١ قبل الميلاد، فى منطقة كانت تعرف قبلا باسم «راكوتا» هى الإسكندرية اليوم.

وسرعان ما نمت الإسكندرية لتصبح مدينة عالمية، ومركزا حضاريا. فزهت المدينة بوجود مدرج مسرح، وصالة للألعاب الرياضية، واستاد رياضي، ومتحف اشتهر في أنحاء العالم القديم، بالإضافة إلى قناة لنقل المياه، ومبنى محكمة. وأصبحت مركزا تجاريا مهما، ومحطة للتجارة بين آسيا وأوروبا.

كما أصبحت الإسكندرية المركز الثقافي لشرق البحر المتوسط، وخلال العصر البطلمي، تحولت إلى مركز علمي وثقافي للعالم، حيث تجمع كبار الباحثين، والأطباء، والعلماء، والكتاب، والفنانين، والشعراء. وفي عام ٢٨٠ قبل الميلاد، أنشئت مدرسة للطب. وبعد عشر سنوات، أنشأ بطليموس الأول «سوتر» مكتبة الاسكندرية المجددة. ونسخ البطالمة الكتب من مكتبات أثينا وغيرها من المدن، وجلبوها إلى الاسكندرية، ويعتقد أن مجموعة هذه الكتب بلغت نحو ٥٠٠ ألف لفافة بحلول عام ٢٥٠ قبل الميلاد، ما جعلها كبرى مكتبات العالم القديم. فضمت كتباً عظيمة في التاريخ، والجغرافيا، والرياضيات، والفلك، والهندسة، والمعرفة، والطب، والفلسفة. ولا يعرف المصير الحقيقي للمكتبة، ولم يعثر على بقايا لها. ويعتقد البعض أنها نهبت وأضرمت فيها النيران في عام ٤١٣ ميلاديا.

ووجد في مصر أيضا سبع عجائب العالم القديم، وهي الوحيدة من هذه العجائب التي كانت تخدم غرضا، وكانت آخر العجائب التي اختفت. فقد أقيمت «فنار الاسكندرية» على جزيرة «فاروس» الساحلية الصغيرة. وكانت حصنا ضروريا للسلامة، حيث ترشد أذرعها الضوئية السفن خلال مرورها من الساحل الخطر.

وعلى مدى ما يزيد عن ألف عام، كان من الممكن رؤية ضوئها على بعد ٣٥ ميلا. وخلال النهار، كانت مرآة برونزية على قمة الفنار تعكس ضوء الشمس، وفي المساء استخدمت النار لنشر الضوء. وتقول الأسطورة أن المرأة كانت تكشف السفن المعادية وتحرقها قبل أن تصل إلى شواطئ الاسكندرية. ويعتقد أن بناءها بدأ تحت حكم «بطليموس سوتر» حوالي ٢٩٠ قبل الميلاد، وانتهى خلال عهد ابنه «بطليموس الثاني فيلادلفوس» بعد عشرين عاما. والمهندس المعماري الذي بناها هو «سوستراتوس». وعندما اكتمل بناؤها خصص النصب التذكري لبطليموس سوتر وزوجته. وانهارت الفنار بسبب الزلازل في عامي ١٣٠٣ و ١٣٢٣ الميلاديين. واستخدم حطام الفنار الذي

بلغ ارتفاعه يوماً ما ٤٤٠ قدماً في بناء حصن خلال أواخر القرن الخامس عشر من الميلاد.

غير أن الأمور لم تكن جميعها على ما يرام خلال العصر البطلمي . فقد اتضح أن عامة المصريين خارج العاصمة، تراجعت مكانتهم ليصبحوا مواطنين من الدرجة الثانية في وطنهم؛ مع تدفق الإغريق على مصر بعدما جذبتهم بغرابة أحوالها وازدهارها . وخلال العصر المتأخر بلغ عدد السكان ٣, ٥ مليون نسمة وفي سنة مائة بعد الميلاد بلغ العدد ٧, ٥ مليون . وواجه الأهالي الأصليون ضرائب باهظة وحكاما يتحدثون لغة أجنبية، كما حرّموا من امتلاك العقارات أو تولي مناصب حكومية في الاسكندرية . ومع ذلك، احتفظت الآلهة المصرية بمكانتها حيث دمج المقدونيون - الذين حكموا البلاد باعتبارهم فراغة - آلهتهم بآلهة المصريين .

ووفقاً للأسطورة، زار الاسكندر الأكبر معبد «آمون» وأبلغه الوسيط الروحي أنه من نسل إلهي . وهنا، تعهد الاسكندر بأن يدفن في مصر . وبالفعل، عندما مات بسبب الحمى (يعتقد أنها الملاريا) في عام ٣٢٣ قبل الميلاد، في سن الثالثة والثلاثين، أحضر جثمانه من بابل إلى مصر، وأجريت له مراسم دفن مصرية حقيقية وفق جميع تقاليد وطقوس الماضي .

وفي عام ٣٠٤ قبل الميلاد، أعلن «ببليموس الأول سوتر» نائبه، وقائده العسكري وصديق طفولته، نفسه فرعوناً على مصر، وأنشأ الأسرة الأخيرة، التي استمرت نحو ثلاثة قرون .

وتعتمد قائمة الفراغة الواردة في بداية هذا الكتاب على بيانات جمعها الباحثون من عدة مصادر . فتوفر بردية «تورين كانون» المهلهلة قائمة مكتوبة بالهيرايقية (كتابة سريعة متصلة أو مختزلة من الهيروغليفية) للحكام حتى عصر الأسرة الثامنة عشرة . ويبدو أن هذه اللقافة، المحفوظة في متحف تورين بإيطاليا، كتبت خلال عصر «رعمسيس الثاني» المديد . كما نقشت قائمة بأسماء وتواريخ الملوك حتى الأسرة الخامسة، على «حجر باليرمو» البركاني المعروف في المتحف المصري بالقاهرة . وهناك قائمة «أبيدوس» للملوك التي تضم فراغة بداية من «ميناء» وحتى «سيتي الأول» . ويستبعد هذا المصدر القيم للمعلومات فراغة عصر العمارة . وعثر على قائمة ملكية

أخرى، بها ٥٠ اسما مازالت مقروءة، على لوحة عرفت باسم «لوح سقارة» أو «لوح الكرنك»، ترجع إلى عهد تحتمس الثالث، وتوفر أسماء عشرات من الحكام، مازال منها ٤٨ اسما واضحا.

وجاءت أكبر كمية من المعلومات من قائمة «مانتون» للملوك. فقد أعد «مانتون» بأمر من «بطليموس الأول» و«بطليموس الثانى» فى القرن الثالث قبل الميلاد، قائمة مرتبة زمنيا، عبر ثلاثة كتب، تغطى جميع الملوك والأسرات الحاكمة بداية من الملك «ميناء» وتنتهى بأخر الفراعنة الوطنيين «نختنبو الثانى». وهذا العمل الذى لا يقدر بثمن لم يعثر عليه فعليا إطلاقا، لكنه عرف من التنويهات التى وردت فى كتب مبكرة أخرى؛ فكثيرا ما كان يستشهد به، مع تعليقات من حين لآخر يكتبها مؤرخون ومؤلفون لاحقون. ورغم أن قائمة «مانتون» للملوك تشمل بعض التناقضات، والتواريخ المتداخلة، إلا أنها إطار لا غنى عنه يعتمد عليه فهمنا للترتيب الزمنى لتاريخ مصر القديمة.

الملكات

منحتنا الاكتشافات الأثرية معلومات محدودة حول عدة ملكات مصرية . وحكمت قلة منهن مصر بموجب الحق الخاص ، مستقلات عن أزواجهن ، وكثيرات منهن كن أميرات - بنات فراعنة- وأصبح الرجال الذين تزوجنهم ملوكا على مصر ، ومن ثم أصبحن بدورهن ملكات . وكان بعض الملكات أجنبيات ، والبعض من بنات العامة ، وأخريات من حريم الفرعون . وغالبا ما كانت الابنة الأولى للفرعون تتزوج شقيقها أو أخاها غير الشقيق للحفاظ على نقاء الدم . وشملت واجبات ملكة مصر ، إدارة قصر الملك وحریمه ؛ وتولت قلة منهن سلطات في شئون الدولة . وفيما يلي قائمة مختصرة لبعض اللاتي وصل إلينا في العصور الحديثة أخبارهن :

« نيتكريتي » (نيتوكريس) - الأسرة السادسة

كانت « نيتكريتي » ملكة جميلة من عصر الأسرة السادسة ، وتعتبر أول امرأة عرف عنها ممارسة سلطة سياسية في مصر . وقد ظهرت في قائمة ملوك «مانتون» كأخر فراعنة ذلك العصر . وربما تكون تزوجت من «مرن رع» ، أو ربما «بيبي الثاني» . ويعتقد أنها حكمت مصر بهدف أساس هو الانتقام لموت أخيها ، الذي قتل بسبب اقتراحه خطيئة دينية قليلة الشأن . فدعت « نيتكريتي » أولئك الذين اعتقدت أنهم مسئولون عن موت أخيها إلى مأدبة فاخرة . وغرق جميع الحاضرين عندما تدفقت مياه النيل (من قناة سرية كانت قد شقتها) وغمرت قاعة المأدبة . ولم يستمر حكم « نيتكريتي » طويلا ، فقد نجت من هذه الحادثة ، ولكنها انتحرت بعد ذلك بوقت قصير .

«نضرو- سوبك»- الأسرة الثانية عشرة

آخر فراعنة الدولة الوسطى ، وقد عثر في منطقة الدلتا على ثلاثة تماثيل وتمثال لأبى الهول تنتمى لها . وحكمت لمدة أربع سنوات ، وورد ذكرها في ثلاث قوائم للملوك .

«أحمس- نفرتيرى»- الأسرة الثامنة عشرة

الملكة أحمس نفرتيرى ابنة «سقنرع تاو الثانى» والملكة «أحوتب» من الأسرة السابعة عشرة . وعندما مات «سقنرع تاو الثانى» ميتة عنيفة فى قتال الهكسوس ، نسب إلى «أحوتب» (التي عاشت حتى سن التسعين) تشجيعها للقوات المصرية المحبطة على مواصلة القتال . وفى الكرنك ، يوجد نقش يثنى عليها لرعايتها للجنود ، ورفع روحهم المعنوية وحماية مصر . وتزوجت «أحمس- نفرتيرى» من «أحمس» ابن «أحوتب» مؤسس الأسرة الثامنة عشرة . وأنجبت ستة أبناء من بينهم ابن صار الملك «أمنحتب الأول» وابنة صارت الملكة «أحوتب الثانية» .

وعقب ورائة «أمنحتب الأول» للعرش ، توفيت «أحمس- نفرتيرى» ودفنت جنبا إلى جنب زوجها . وكانت «أحمس- نفرتيرى» أول من حملت لقب «زوجة آمون» . وأصبحت ابنة زوجها امرأة قوية ، «الملكة أحمس»- وبزواجها من «تحتمس الأول» ، توجت فرعوناً . وفى معبد «حتشبسوت» صورت «أحمس» كزوجة «آمون» ، ما يعطى نسباً إليها لحتشبسوت .

«حتشبسوت»- الأسرة الثامنة عشرة

وفقاً للأسطورة ، أعلن «آمون- رع» أمام مجمع الآلهة أن مصر يجب أن تحكمها ملكة عظيمة . وتقدم «تحوت» وحدد المرأة التي ستجب هذه الملكة بأنها زوجة «تحتمس الأول» ، السيدة الجميلة التي تدعى «أحمس» والتي يعنى اسمها «المولودة للقمر» . واستدعى «آمون- رع» «خنمو» ليصنع على دولاب فخاره جسد و «كا» ابنته ، التي ستولد من الملكة «أحمس» والتي ستصبح ملكة عظيمة على مصر .

وفي عام ١٥٠٤ قبل الميلاد، أصبحت الملكة حتشبسوت فى سن الثالثة والثلاثين ، أول امرأة ترتدى التاج المزدوج أو «بشنت» ، تاج الأرضيين . ويعنى اسمها «فى مقدمة النساء النبيلات» .

وكثيرا ما صورت حتشبسوت نفسها فى هيئة رجل ، بل ذهبت أبعد من ذلك إلى حد ارتداء الثوب الفرعونى التقليدى للرجال فضلا عن اللحية المزيفة . وباعتبارها امرأة ، كان عليها أن تخترع مبررا قويا لضمان حقها فى المطالبة بالعرش . فادعت «حتشبسوت» أنها من نسل إلهى ، اختارها بالذات «أمون-رع» ملك الآلهة ، ومن ثم جعلت من نفسها ندا لجميع آلهة مصر . وتظهر مشاهد الميلاد الإلهى لحتشبسوت على جدران معبدها الجنائزى ، حى نرى «أمون» يقترب من الملكة «أحمس» (فى هيئة تحتمس الأول) بغرض إنجاب «حتشبسوت» . ويحكى نقش محفور على محراب معبدها ، كيف تنبأ «أمون-رع» بارتقاء «حتشبسوت» العرش ، عبر وسيط روحى عظيم ، معلنا إياها حاكما على الأرضيين . وفى نقش آخر ، يظهر «أمون-رع» وهو يتوجها فرعوناً ، مما يعزز ادعائها .

وكانت حتشبسوت امرأة قوية الإرادة ، لم تترك أحدا يتدخل فى خططها أو يعوق طموحاتها . وبدأت عهدا كشريكة فى الحكم مع أخيها غير الشقيق ، لتأمين التسلسل العائلى . غير أن هذا الحكم المشترك انتهى بوفاة «تحتمس الثانى» فى ١٥٠٤ قبل الميلاد . ثم شاركت فى الحكم مع «تحتمس الثالث» ابن زوجها من زوجة ثانوية . وخلال العام الثالث من حكمهما المشترك ، شرعت فى تنفيذ خططها لتصبح الحاكم الوحيد لمصر ، بينما يبقى «تحتمس الثالث» فى الخلفية . وكانت خططها ناجحة ، فحكمت وحدها من ١٤٩٨ قبل الميلاد حتى ١٤٨٣ قبل الميلاد ، مع وجود «تحتمس الثالث» كشريك فى الحكم ، اسميا فحسب .

وشهدت مصر ازدهارا تحت قيادتها ، ونالت احترام شعبها الشديد وإعجابها . وانتعش الاقتصاد ولم تقع أى حرب خلال عهدا . وأثبتت سيادتها بإعداد وتمويل مشروعات عامة ضخمة لترميم المعابد ، والآثار التى خربها أو دمرها الهكسوس . ودشنت أيضا عدة مشروعات للبناء . وفى ١٤٩٣ قبل الميلاد ، وخلال العام السادس أو السابع من حكمها ، أمرت بإعداد أسطول من خمس سفن وشاركت فى بعثة تجارية إلى

بلاد «بونت». وسجل هذا الحدث العلامة في عهدها على جدران معبدها. فقد جلبت البعثة معها شحنات ضخمة من العطور التي اشتهرت بها بلاد «بونت» خصوصا «المر» و«البخور»، وهي تستخدم في التجميل كما تستخدم لتطيب المعابد، وربما أيضا لأغراض طبية. وجلبت معها أيضا الذهب، والأبنوس، والعاج، والحيوانات الغريبة.

وعقب موتها في ١٤٨٣ قبل الميلاد، عمل خليفتها «تحتمس الثالث» قليل الشأن كل ما بوسعه لمحو كل ذكر لها. فأزال بحرص اسمها من على نقوش لوحة في معبد الكرنك. وانتزعت كتل حجرية من محرابها الأحمر، وأعيد استخدامها لبناء بوابة على شرف «أمنحتب الثالث». ودمرت أيضا بعض آثارها؛ حيث شكلت ذكراها تهديدا لخط تسلسل الفراعنة الذي يهيمن عليه الذكور. ومع ذلك يذكر علماء المصريات والباحثون الملكة «حتشبسوت» باعتبارها شخصا جديرا بالذكر كامرأة، وبناء، وتاجرا، وفعولنا.

«تاي»- الأسرة الثامنة عشرة

صارت ملكة مصر بزواجها من «أمنحتب الثالث». وكانت زوجته المفضلة، وأنجبت منه عدة بنات وابنا هو الذي أصبح الفرعون «أخن آتون». ونالت «تاي» شرف كونها أول ملكة مصرية ينسب لاسمها أعمال رسمية، منها إعلان زواج «أمنحتب الثالث» من أميرة أجنبية. وقد ولدت لأسرة من عامة الشعب، وعاشت مع ابنها في العمارنة قبل أن «تذهب للغرب» في عمر الثامنة والأربعين.

«نفرتيتي»- الأسرة الثامنة عشرة

يعتقد أن دمائها ليست ملكية، ربما من أصول نوبية أو ميثانية. أو ربما كانت ابنة «آي». وحازت «نفرتيتي» جمالا أخاذا، ويعنى اسمها (الجميلة جاءت). غير أن «أخن آتون» كان يشير إليها باسم «سيدة سعادته». وتكريما لآتون، غيرت نفرتيتي اسمها إلى «نفر- نفر آتون» بمعنى «الجميلة ربة آتون». ونالت الخلود عندما عشر على تمثال رأسها الرائع في ورشة نحات اسمه «توتمس»، الذي منحنا ذكرى دائمة لمحياتها الجميل.

«تويا»- الأسرة التاسعة عشرة

كانت تنتمي للعامة بالميلاد، ثم تزوجت «سيتى الأول»، وأنجبا طفلا صار الفرعون «رعمسيس الثانى». وعاشت «تويا» لتشهد ابنها يرث العرش. ومنح «رعمسيس الثانى» أمه تقديرا ملكيا حيثما استطاع، فقد دفنت فى وادى الملكات.

«نفرتارى»- الأسرة التاسعة عشرة

تزوجت «نفرتارى» من «رعمسيس الثانى» منذ السنة الأولى لحكمه، وكانت زوجته الرئيسة والمفضلة. ويعتقد أنها لم تكن من سلالة ملكية، ولدت لمسئول عسكرى. وعندما توفيت، خصص زوجها معبدا لنفرتارى و «حتحور» فى أبو سمبل. غير أن مقبرتها الرائعة فى وادى الملكات تعتبر من أجمل المنشآت المصرية.

«إستنفرت»- الأسرة التاسعة عشرة

كانت «إستنفرت» (الجميلة إيزيس) الثانية من حيث المكانة ضمن زوجات «رعمسيس الثانى» العديداً. وأنجبت عدة أبناء، منهم «ستناخا يمواست» و«مرنبتاح» خليفة «رعمسيس الثانى». وأصبحت الزوجة الرئيسة عندما توفيت «نفرتارى».

«توسرت»- الأسرة التاسعة عشرة

عاشت بعد زوجها «سيتى الثانى» وأصبحت آخر فراغنة الأسرة التاسعة عشرة. وهى آخر مصرية أصلية تولت الحكم. وحكمت مصر مع «سبتاح» ابن «سيتى الثانى» من زوجة أخرى. وعقب وفاته بعد ست سنوات، حكمت منفردة؛ ولكن بمساعدة وزير ومسئول اسمه «إسرو» (أوباي؟). ولم يكن «إسرو» الذى يعتقد أنه من أصل سورى محبوبا لدى الشعب، الذى اعتبره انتهازيا. وحكمت «توسرت» كفرعون حوالى عامين. وفى «بير باست»، عثر على العديد من الأوانى الذهبية والفضية المنقوش عليها اسمها.

«كليوباترا السابعة» - الأسرة البطلمية (٦٩ - ٣٠ قبل الميلاد)

«كليوباترا السابعة» المقدونية ، المولودة في الإسكندرية ، آخر فراعنة مصر . وكانت «كليوباترا السابعة» التي يعنى اسمها «مجد والدها» امرأة ذكية ، ذات شخصية كاريزمية كرسَتْ نفسها لمصر . وامتازت في العديد من المجالات ، حيث أجادت اللغات الأجنبية الرئيسة ، وامتلكت عقلا تجاريا جيدا . وقد ولدت لتكون قائدا ولديها طموحات عظيمة من أجل بلدها . ومن المدهش فعلا أن العملات المطبوع عليها وجه كليوباترا توضح أنها كانت أبعد ما تكون عن الجمال . فالقوى الحقيقية لجاذبيتها نجمت من ذكائها ، وعزة نفسها ، وقدرتها على الإقناع ، وتطلعاتها ، وكبرياتها .

وكانت ابنة «بطليموس الثانى عشر أوليتيس» الذى عرف باسم «عازف الفلوت» وكان حاكما ضعيفا أطيح بحكمه فعليا فى عام ٥٨ قبل الميلاد ، وفر إلى روما . ويعتقد أنه دفع قبل ذلك بعام إتاوة ضخمة لقيصر حتى يبعد أطماع روما عن مصر . ومنح هذا التصرف روما هيمنة واقعية على مصر فى حين تشهد الإمبراطورية الرومانية توسعا فى الحجم والنفوذ . وخلال غيابه الذى استمر عامين ، تولت العرش زوجته «كليوباترا الخامسة» ، وكبرى بناته «بيرينيس الرابعة» . وفى عام ٥ قبل الميلاد ، دفع بطليموس الثانى عشر «أوليتيس» للرومان إتاوة كافية حتى يسمحون له بالعودة إلى مصر . وعاد إلى العرش بمساعدة القائد الرومانى «بومبى» ، وأعدم «بيرينيس الرابعة» .

وتوفى «بطليموس الثانى عشر أوليتيس» ، وورثت «كليوباترا السابعة» الحكم فى سن الثامنة عشرة ، وكان والدها قد تركها وإخوتها تحت رعاية «بومبى» . ولما كانت التقاليد تمنع أن تتولى الحكم بمفردها ، عين شقيقها «بطليموس الثالث عشر» ذو الاثنى عشر عاما شريكا لها فى الحكم (أقرت المشاركة فى الحكم للمرة الأولى فى عهد «أمنمحات الأول» فى الدولة الوسطى . فخلال العام العشرين من حكمه عين «سنوسرت» شريكا فى الحكم ، وفى نهاية الأمر خلفه «سنوسرت» وأصبح ثانى فراعنة الأسرة الثانية عشرة» . لكن طموحات كليوباترا السياسية دفعتها إلى الإزاحة بشقيقها جانبا ، مثلما فعلت «حتشبسوت» مع أخيها غير الشقيق قبل ألف وخمسمائة عام تقريبا . وكان القانون المصرى يقضى بأن يوضع اسم الرجل الشريك فى الحكم أولا ، لكن كليوباترا أسقطت اسم شقيقها من الوثائق الرسمية . بل إنها نقشت اسمها وصورتها على العملات دون ذكر اسم شريكها فى الحكم .

وفى عام ٤٨ قبل الميلاد، جردت «كليوباترا السابعة» من سلطتها بواسطة مستشار شريكها فى الحكم، ونفيت من البلاد، وفرت إلى سوريا. وفى نهاية الأمر، غرق «بطليموس الثالث عشر»، ثم عين شقيقهما «بطليموس الرابع عشر» ذو الحادية عشرة، شريكا فى الحكم مع «كليوباترا السابعة».

وأدركت كليوباترا جيدا أن مستقبل مصر يعتمد على إقامة علاقة ودية مع الرومان، الذين باتت لهم اليد العليا فى المنطقة كلها. ورغبت فى حكم مصر كشريك لروما، وليس باعتبارها مقاطعة رومانية محتلة. وفى عام ٤٦ قبل الميلاد، صادقت «يوليوس جايوس قيصر» القائد العسكرى الرومانى، وسحرتة تماما. وقاما معا برحلة فى النيل استغرقت شهرين، ليعلنا تحالفهما الجديد. وبعد عام ولدت كليوباترا ابنا لقيصر، اسمه «بطليموس قيصر» (وعرف باسم قيصرون «من قيصر»). وعندما بلغ الطفل الرابعة عين شريكا لكليوباترا السابعة فى حكم مصر، عقب وفاة «بطليموس الرابع عشر» (الذى توفى مسموما). ويعتقد كثيرون أن «كليوباترا» قتلتة حتى يليه «قيصرون» فى الحكم.

واعترف «قيصر» علنا بقيصرون، وعينه وريثا على عرش مصر. وعاشت «كليوباترا السابعة» و«قيصرون» لمدة عامين فى فيلا خارج روما، بينما يزورهما «قيصر» باستمرار. وتزايدت الكراهية بين الرومان، والمصريين، والإغريق. فقد كان «قيصر» متزوجا بالفعل من سيدة تدعى «كالبورنيا»، ومنيت «كليوباترا» باحتقار معظم الرومان واعتبروها غانية مخادعة طموح. وفى نفس الوقت، شعر المصريون بخيانة حاكمتهم، التى كانت على أى حال أجنبية، وتخليها عنهم. بينما شعر الإغريق أيضا بالخداع من تحالف «كليوباترا» مع «قيصر». واعتبر «قيصر» تهديدا خطيرا لرفاهية روما، فيما يرجع جزئيا لتورطه المشبوه مع الفاتنة القادمة من الإسكندرية. وبعد ثلاثة أعوام، اغتاله أعضاء من مجلس الشيوخ فى روما. واندلعت الحرب الأهلية فى روما عقب موت «قيصر» وتركت «كليوباترا» و«قيصرون» دون حماية تماما؛ ففرا إلى الإسكندرية. وسرعان ما سمعت كليوباترا أن «قيصر» لم يترك أى مخصصات لها أو لابنهما فى وصيته، وأصبح الاثنان الآن فى خطر مهلك.

ويدخل المسرح «مارك أنطونيو»!، الضابط الرومانى الشاب الوسيم، والنائب الأول لقيصر. وفى عام ٤٢ أو ٤١ قبل الميلاد، أرسل «مارك أنطونيو» يطلب من

«كليوباترا» مقابلته في «طرسوس» (بتركيا) لمناقشة دورها المحتمل في مقتل «قيصر». فارتدت «كليوباترا السابعة» زى «إيزيس العظيمة»، وأبحرت إليه في سفينة مذهبة ترمز لبلادها الغنية. ولا بد أن الإلهة «إيزيس» كانت معها، حيث استمتع «مارك أنطونيو» و«كليوباترا السابعة» بوليمة رائعة وأمضيا وقتا طويلا معا. ثم تبع الملكة إلى الاسكندرية، ما أثار فرغ الرومان، وبقي في مصر عدة شهور قبل أن يعود إلى روما.

وفي عام ٤٠ قبل الميلاد، تزوج «مارك أنطونيو» الذي كان مأخوذا بالفعل بكليوباترا، من «أوكتافيا» شقيقة «أوكتافيان» ابن أخت «قيصر». وخفت هذه الزيجة من احتدام العلاقات بين الرجلين. وأنجبت «أوكتافيا» لمارك أنطونيو ابنتين. لو كانتا ولدين ربما اتجه التاريخ وجهة مغايرة. وربت أوكتافيا أيضا أطفال مارك أنطونيو من زوجته الراحلة «فولفيا». ولا بد أن «أوكتافيا» كانت امرأة متميزة بحق، حيث أنها ربت أيضا أبناء زوجها من كليوباترا بعد وفاتها.

وأنجبت «كليوباترا السابعة» ولدا لمارك أنطونيو سمي «بطليموس فيلادلفوس»، وتوأما سميا «كليوباترا سيلين» (القمر) و«الكسندر هليوس» (الشمس). وأثار «مارك أنطونيو» غضب الرومان عندما منح أبنائه أجزاء كبيرة من الأراضي الرومانية الشرقية. ولم ير «كليوباترا» مرة أخرى إلا عندما عاد إلى مصر بعد حوالى أربع سنوات، وتزوجها في عام ٣٦ قبل الميلاد، بعد أن هجر «أوكتافيا» في وقت سابق من نفس العام. واستاء «أوكتافيان»، الذي أصبح لاحقا الإمبراطور «أوجستس»، من هذه التصرفات. وتأزمت العلاقات بصورة أكبر، عندما نقش «مارك أنطونيو» اسم «كليوباترا السابعة» وصورتها على العملات الرومانية المتداولة في أراضى البحر المتوسط.

وأقع «أوكتافيان» مجلس الشيوخ بإعلان الحرب على «كليوباترا». وانتهت معركة «أكتيوم» البحرية على سواحل اليونان بسحب «كليوباترا السابعة» أسطولها فجأة وعودته إلى مصر. ولا بد أنها أدركت أن «مارك أنطونيو» كان بسبيله للانزمام أمام بحرية «أوكتافيان» بقيادة «أجريبا»، أو ربما ظنت عند عودتها أنه مات بالفعل.

وخسر «مارك أنطونيو» الاحترام في عيون الرومان، نتيجة ضعفه أمام ملكة مصر. ومات في عام ٣٠ قبل الميلاد بيديه، على الطريقة الرومانية الحقنة، بأن ألقى بنفسه فوق

سيفه . ولم يعد أمام «كليوباترا السابعة» الآن سوى ممارسة سحرها على «أوكتافيان» . غير أن جهودها لم تجد هذه المرة . فلم يكن هناك ما يريده «أوكتافيان» منها ، سواء منه الناحية الرومانسية أو السياسية . وفي سن التاسعة والثلاثين ، فضلت «كليوباترا السابعة» الموت على الهزيمة والإهانة ، فقد كانت ستعرض في شوارع روما كغنيمة حرب . والاعتقاد السائد أنها أنهت حياتها بالاستعانة بأفعى ، بما يتناسب تماما ورمز الملكية والخلود في مصر . حيث تزعم المعتقدات الدينية أن الموت بواسطة أفعى يضمن الخلود . وحقق تصرفها الأخير نجاحا ، حيث لم يطوها النسيان أبدا .

وحقق «أوكتافيان» للملكة رغبتها الأخيرة ، بمنحها مراسم دفن فخمة ، ورقدت إلى جانب «مارك أنطونيو» وأرسل أبناؤهما الثلاثة إلى روما ليعيشوا تحت رعاية «أوكتافيا» . أما «قيصرون» فقد قتل شنقا ، حتى لا يستطيع المطالبة بعرش مصر باعتباره آخر حاكم بطلمي ، ولا تقديم أى ادعاء بالحق فى حكم روما باعتباره ابن «قيصر» . وقضى هذا العمل أيضا على عواقب مهددة تنجم عن تحالف «كليوباترا» مع «قيصر» ، وأنهى للأبد سلسلة الفراعنة فى مصر .



معارك ومحاربون

كان المصريون القدماء محبوبون للسلام أكثر من ميلهم للحرب، ولكن ازدهار البلاد شكل إغراء لا يقاوم بالنسبة لجيرانها الأقل ازدهارا. وكثيرا ما تعرض المصريون للغزو، وكان عليهم دائما أن يعدوا خططا دفاعية وهجمات مضادة. ولضمان الحماية الإلهية أثناء الحرب، اعتمدوا على «مونتو» إله الحرب، فى هيئة الشمس برأس الصقر، و«نيت» ربة شئون الحرب التى اعتقدوا أنها تحمى الفرعون والجنود.

وعقب الحملات العسكرية الناجحة، يجلب الأسرى إلى مصر ليعملوا فى بناء المعابد وإقامة السدود، وشق القنوات، وإنشاء غيرها من الأشغال العامة فى خدمة العرش. ولكن، عندما خضعت مصر القديمة للهيمنة الأجنبية، فى مرحلة متأخرة من تاريخها، تراجعت مكانة السكان الأصليين اجتماعيا وسياسيا على نحو حاد. وكمثال على مدى المكانة والنفوذ اللذين خسرتهما مصر خلال هذه العصور المضطربة؛ أرسلت أميرة مصرية شابة للخارج لتتزوج من ملك أجنبى. وفى الأوقات الطيبة لم يحدث أبدا أن تحدث أميرة مصرية القوانين القديمة، أو حطت من شأن نفسها بالزواج فى أرض أخرى غير أرضها. وتوضح ذلك أيضا قصة «ون آمون»، أحد المسؤولين فى أواخر عصر الأسرة العشرين؛ الذى أرسل بأمر «رعمسيس الحادى عشر» فى بعثة إلى «بيلوس» لجلب أخشاب لبناء مركب «أمون» الملكية. وواجه «ون آمون» العديد من المحن، والإهانات؛ فقد رفض حاكم «بيلوس» - بوقاحة - الاستجابة لطلبه. بل إن سفيرا آخر من نفس الأسرة تعرض للسرقة، واضطر لدفع الكثير من المال حتى استعاد بضائعه.

تاريخ قصير من النزاعات

خاضت مصر أول معركة مسجلة عام ٣١٠٠ قبل الميلاد تقريبا، وهي التي وحدث الأرضين وأقامت الأسرة الأولى. وخلال عصر الدولة القديمة، مثل التوسع التجارى السبب الرئيس للحملات العسكرية. وإبان عصر الاضمحلال الثانى، تعرضت مصر للغزو من «الهكسوس». وخلال عصر الدولة الحديثة، دافعت مصر عن نفسها ضد «الحِيثيين» من تركيا، و«الكاشيين» من بابل، و«الميتانيين» من شمال سوريا. وأثناء عصر الاضمحلال الثالث، هدد الليبيون و«الكوشيون» من النوبة، مصر. وفى عام ٦٧١ قبل الميلاد أعلن الآشوريون، أخطر أعداء مصر، الحرب عليها. وخلال حقبة العصور المتأخرة تعرضت مصر لغزو النوبيين، والآشوريين، والفرس، وفى عام ٣٣٢ غزاها الإغريق المقدونيون. وقامت الأسرة البطلمية عندما أعلن «بطليموس الأول سوتر» نفسه فرعوناً عام ٣٠٤ قبل الميلاد. وانتهى الحكم البطلمى مع الاحتلال الرومانى عام ٣٠ قبل الميلاد.

وعرف أعداء مصر التقليديون باسم «الأقواس التسعة». وتعود الإشارة إلى هذه المجموعة إلى عصر ما قبل الأسرات. ورغم أن هويات هؤلاء الأعداء لم تحدد بدقة، إلا أنه من المفترض أنهم يشملون الليبيين، والنوبيين، والحِيثيين من آسيا الصغرى، والآشوريين القدماء، والبدو، والميتانيين، والكاشيين. وغالبا ما يصور أعداء مصر فى صورة أسرى مقيدىن من الكوع والكاحل.

عصى وأحجار

فى العصور المبكرة، لم يكن المصريون يتميزون بالتنظيم الجيد، أو الإعداد الجيد للحرب مثل جيرانهم. وخلال عصر ما قبل الأسرات، تكونت الأسلحة من المدى المصنوعة من الحجر أو الإبر المنحوتة من العظم. وفى الدولة القديمة، صنع السلاح من النحاس، الذى حل محله البرونز فى وقت لاحق. وحارب الجنود سيرا على الأقدام، مسلحين بعصى من الخشب أو ذات رءوس حجرية، وخناجر، وحراب، مع غطاء واق من الجلد يعلق على الكتفين بشرائط من الجلد. وعثر فى مقبرة «توت عنخ آمون» على خناجر احتفالية من النحاس ذات شفرات برونزية، وفوق موميائه وضع خنجر فى

غمده، مصنوع ببراءة متميزة، وزخرفة على هيئة زهور على مقبضه المزين بخرزات صغيرة من الذهب .

وبمرور الوقت، أنشئت مؤسسة عسكرية قوية . وخلال عصر الأسرة السادسة أنشأ القائد «وينى» كبير موظفى القصر، وقائد الجيش فى عهد «ببى الأول» مؤسسة عسكرية عالية التنظيم أبلت بلاء حسنا حتى عصر الدولة الحديثة . وينسب للقائد «وينى» قيادة خمس حملات عسكرية على سوريا، فضلا عن كونه أول رجل من غير الفراعنة يصور فى لوحة نحتية وهو يقود الجيش إلى معركة . وسجل أن القائد «وينى» نجح فى تحسين المهارات المعنوية والعسكرية للجنود المصريين، واستكمل أساليبهم القائمة (التي هى دفاعية أساسا) بالتدريب وفق مناهج قتالية أكثر، وفى نهاية الأمر صار القائد «وينى» مشرفا على الوجه القبلى .

وفى حوالى عام ٢٠٦٠، قاد الملك «منتوحتب الثانى» سلسلة من الحملات العسكرية الناجحة ضد الليبيين فى الدلتا و الآسيويين فى سيناء . واستولى على «حنين نسوت» عاصمة الملوك الخصوم له . وهكذا بدأ عصر الدولة الوسطى . وبحلول ذلك الوقت، كانت القوات المصرية تحمل فئوسا قتالية، وسيوفا نحاسية، وحرابا برونزية، وبدأ الجنود يرتدون ملابس واقية مصنوعة من الجلد(ولم يبدأ الجيش الملكى فى ارتداء الدروع المعدنية حتى عصر الدولة الحديثة). وفى مقبرة بالدير البحرى، عثر على جثث ٦٠ جنديا منقوش فوق أكفانها كتابات مهيورة بختم «منتوحتب الثانى»؛ ويتضح من المومياءات أن هؤلاء الجنود توفوا بسبب إصابات فى قتال .

عاصفة الصحراء

هاجر الهكسوس، وهم شعب آسيوى سامى عرفوا باسم «أمراء الصحراء» أو «الملوك الرعاة» («هيكا خاسوت» بالمصرية القديمة) إلى منطقة شمال الدلتا، رويدا، خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد . وسيطروا تدريجيا على الأراضى، وأقاموا عاصمتهم عند «پير-رعمسو» (أواريس). وأقام الهكسوس علاقات مع النوبة بهدف تأمين حدودهم الجنوبية، ومع أفريقيا . وتوالى على الحكم فى الفترة من ١٦٦٣ إلى ١٥٥٥ قبل الميلاد تقريبا خمسة ملوك من الهكسوس، استقروا فى «پير-رعمسو»

وعبدوا «ست» إله الصحراء. وعبد الهكسوس آلهة المصريين وحافظوا على ثقافتهم وتقاليدهم، وتبنوا العادات المحلية ولم يحاولوا فرض عاداتهم الخاصة، بينما مارسوا السلطة على الأراضي الواقعة داخل حدود مصر.

واحتقر المصريون الهكسوس، واعتبروهم همجا، رغم أنهم فعليا أتاحوا للمصريين التعرف على العديد من التقنيات المتقدمة؛ وأهمها خيول وعربات الحرب. فحتى ذلك الوقت، كان المصريون يحاربون على أقدامهم. ونظرا لأن تطوير التسليح كان ضروريا للبقاء في تلك الحقبة الحافلة بالحروب، تقدم المصريون خطوة أخرى وحسنوا تصميم العربة الحربية، بما جعلها أخف وزنا. حيث أصبح السائق الآن أقرب إلى محور العجلة، التي كسيت بالمعدن لتقليل الاحتكاك. وعززت هذه التغييرات أداء الخيول إلى حد بعيد، نظرا لأن الوزن صار أخف كثيرا. وكان سائق العربة يقودها واقفا، باستخدام شرائط من الجلد لضمان استقرار وضعه. واستخدمت العربات أيضا في الألعاب الرياضية حيث تعتبر السرعة عاملا مهما. وأتاح ظهر العربة المفتوح فرصة لقائدها أن يقفز منها في لحظة. وعثر على أربع عربات حربية فخمة بين كنوز «توت عنخ آمون». فرغم أنه لم يقد أي بعثات عسكرية خلال عهده، إلا أن حياته في العالم الآخر ربما تكون أقل سلما، ومن ثم أعد له كل ما قد يحتاجه.

وقبل أن يصل الهكسوس، كان أغلب أسلحة المصريين صغير الحجم وضعيفا، ولم يكن هناك سوى القليل من الأردية الواقية، إن وجدت أصلا. ومع مجيء الهكسوس جاءت جميع الأسلحة المحسنة مثل الخناجر، والسيوف، ودرع الجسد؛ بما في ذلك استخدام الخوذات الجلدية بدلا من الشعر المستعار الواصل إلى مستوى الكتفين، وقلنسوة الرأس، إن وجدت أصلا حماية للرأس.

وكان القوس والسهم أداة الجنود المصريين الأساس في الدفاع؛ فأدخل الهكسوس نسخة محسنة كثيرا سميت «القوس المركب»، وهو أقوى كثيرا من القوس المصرى الخشبي العادى، ويمكنه الإطلاق لمسافة أبعد. والآن صار جنود الجيش الجديد والمحسن يدرّبون على استخدام القوس والسهم بينما يتسابقون وهم يطلقون بعرباتهم التي تقودها الخيول بأقصى سرعة. ولم يستطع المصريون طرد الهكسوس بعد قرن من الزمان، إلا باستخدام أسلحة الهكسوس نفسها.

وخلال عصر الاضمحلال الثانى ، أرسل «إيپى» ملك الهكسوس من «پير-رعمسو» فى الوجه البحرى رسالة هجومية إلى الفرعون «سقن رع الثانى تاو» فى «أواست» وتقول إحدى الروايات إنه عارض بشدة صيد أفراس النهر . بينما تقول رواية أخرى إنه ادعى أن أفراس النهر التى تعيش فى البرك الملكية الخاصة بالفرعون تقلق نومه . ولأن المدينتين تبعدان عن بعضهما البعض عدة مئات من الأميال (وهى مسافة لا يمكن أن تصل إليها أصوات أفراس النهر) أثار هذا الادعاء سخط الفرعون ؛ واعتبرها إهانة لشخصه ، فبدأت الحرب . وبعد ذلك بوقت قصير ، توفى «سقن رع الثانى تاو» متأثراً بإصابات فى الرأس (يبدو أنها بفعل فأس حربية) ، وأظهرت موميأؤه عند اكتشافها فى ١٨٨١ ميلاديا ، دمارا بالغاً فى الجمجمة .

وبعد وفاته ، شجعت زوجته «الملكة أحتب الأولى» ولديهما «كاموس» و«أحمس» على مواصلة القتال باسم والدهما . واستفاد «كاموس» و«أحمس» من المهارات القتالية الماكرة والعنيفة لقوة «ميجاي» النوبية التى عملت كوحدات للمشاة . ولم يكن لكاموس وريثا ذكرا ، ولم يعيش ليشهد الانتصار على الهكسوس . ونال هذا الشرف أخوه الأصغر «أحمس» الذى نجح فى طرد الهكسوس من مصر واستعاد الحدود التى كانت لمصر فى عهد الدولة القديمة . وكانت تلك معركة ناجحة ، اقتضى كسبها دفع ثمن باهظ ، ولكنها فى النهاية حققت مكاسب هائلة : حيث جعل هذا الانتصار من «أحمس» مؤسس الأسرة الثامنة عشرة والدولة الحديثة . وعندما توفى «أحمس» (حوالى ١٥١٥ قبل الميلاد) واصل ابنه «أمنحتب الأول» حملاته ؛ فقاد قواته إلى النوبة واستكمل المهمة بهزيمة الليبيين أيضا .

وكان أولئك الذين أظهروا شجاعة فائقة فى القتال يمنحون جوائز خاصة مثل «الذباة الذهبية» (دبوس ذهبى على هيئة ذباة الخيل) وسوط للخيول الحربية وغيرها من الدواب الضخمة . ونالت الملكة «أحتب الأولى» جائزة «الذباة الذهبية» لمشاركتها فى الحرب ضد الهكسوس . وعاشت حتى تجاوزت التسعين من العمر ، ثم دفنت إلى جوار ابنها «كاموس» فى «أواست» . ووضع فى مقبرتها - إلى جوار جوائز الشرف - فأس مصنوع من الذهب المرصع بالنحاس والأحجار شبه الكريمة ، يحمل اسم ابنها «أحمس» .

وسجل نقش يخلد انتصار «كاموس» على لوحة «كاموس» التذكارية التي ترجع إلى عصر الأسرة السابعة عشرة. وتحكى اللوحة كيف قاد «كاموس» حملة ناجحة ضد الهكسوس، وأذل ملكهم «إيبى» وجلب «كاموس» معه عربات حربية وأسلحة، وغنائم قيمة كثيرة.

بناء الجيش

خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة، توسع الجيش المصرى، وأصبح جيد التسليح. وبحلول عصر الدولة الحديثة، تكون الجيش من ثلاثة فروع: الرماة، والمشاة، وقائدى العربات الحربية. واقتصرت المجموعة الأخيرة على النبلاء والطبقة العليا. وخلال عصر الدولة الحديثة، حارب المشاة المصريون بالفئوس الحربية، والرماح، والخناجر، وحلت الأسلحة الحديدية محل البرونزية. وخاض فراعنة الدولة الحديثة حملات قتالية وحققوا زيادة كبيرة فى القوة العسكرية؛ فقاد «أمنحتب الأول» الجيش المصرى إلى معركة فى النوبة. وانتصر «تحتمس الثالث» فى معركة «مجدو»، وحارب «رعمسيس الثانى» فى معركة «قادش»، وهزم «رعمسيس الثالث» شعوب البحر.

وكان «تحتمس الثالث» محاربا شجاعا وقائدا موهوبا؛ انتصر على السوريين فى معركة «مجدو»، ووصل إلى أبعد نقطة فى الجنوب، قبيل الشلال الرابع مباشرة، وأسس مدينة «نبتا» فى «النوبة». وخلال معظم فترة حكمه، حارب لإعادة سلطة مصر إلى فلسطين وسوريا. وشن تحتمس الثالث نحو ٢٠ حملة ضد السوريين خلال عصر الدولة الحديثة، مما أكسبه لقب «نابليون مصر» بعد ألف عام من عصره. حيث اعتبر واحدا من أعظم القادة العسكريين فى العالم. وعثر على موميائه فى وادى الملوك عام ١٨٨١ مع مومياء «سقن رع الثانى تاو».

أما «حور محب»، الذى عينه «توت عنخ آمون» قائدا للجيش، فهو آخر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة. ولما لم يكن له وريث ذكر، عين قائدا آخر للجيش؛ خليفة له على العرش قبيل وفاته؛ هو «رعمسيس الأول» الذى قاد سليله «سيتى الأول» حملة عسكرية على سوريا خلال العام الأول من حكمه. وغالبا ما كان «سيتى الأول» يصحب معه ابنه الشاب «رعمسيس الثانى»، فأعده لحياة القتال ودربه على خطط الحروب.

وبدوره، جمع «رعمسيس الثانى» قوة من ٢٠ ألف رجل، خلال السنة الخامسة من عهده (حوالى ١٢٧٥ قبل الميلاد)، وشرع فى إعادة سيطرة مصر على أراضيها السابقة فى أفريقيا وغرب آسيا. وقسمت قواته إلى أربع وحدات قوام كل منها خمسة آلاف رجل، وسميت كل وحدة منها باسم واحد من الآلهة الأربعة العظام؛ «أمون»، و«رع»، و«ست»، و«بتاح». وفى طريق الفرعون للحرب، خدعه اثنان من «الحيثيين» المتخفين وقادوه إلى شرك يكمن فيه جيش العدو، الذى يبلغ عدده مثلى عدد قواته. وهلك العديد من الجنود المصريين، ولكن «رعمسيس الثانى» أنقذ بفضل مناورة مفاجئة ناجحة قام بها حرسه الشخصى وحملة الدروع الذين قادوه عبر طريق مختلف عن الذى سار فيه جنوده الهالكون. ونتيجة لهذه الخدعة المزدوجة، وجد «مواتاليس»، ملك الحيثيين، نفسه مضطرا للدفاع من دون استعداد.

وخسر كلا الملكين العديد من الرجال فى هذا النزاع المتواصل. وبعد حوالى ١٥ عاما من بداية الحرب، اقترح ملك الحيثيين إبرام اتفاقية سلام. وقبل «رعمسيس الثانى» الاقتراح فى العام الحادى والعشرين من حكمه، وصدق بعد ثلاثة عشر عاما على الاتفاقية بالزواج من الأميرة ابنة ملك الحيثيين. ومنحها الاسم المصرى «مين نفروع»، وأصبحت ضمن الزوجات الملكيات العظيمات. ورغم أن نتائج الحرب بقيت غير محسومة، إلا أنها صورت على جدران معبدى الكرنك والأقصر، وعلى «الرعمسيوم» وعلى معابده فى «أبتو» و«أبو سمبل» و«الدير»، باعتبارها انتصارا مجيدا للمصريين. وعلى جدران معبد «أبو سمبل»، يظهر «رعمسيس الثانى» راكبا عربته الملكية فى معركة قادش، وهو يقود رجاله إلى الحرب، مقتحما الأعداء بشجاعة.

وشن «رعمسيس الثالث»، فى الأسرة العشرين، ثلاث حروب ناجحة خلال ست سنوات. فلم يدافع عن مصر ضد غزو الليبيين فحسب، وإنما خاض حربا ضد شعوب البحر المتوسط من سكان آسيا الصغرى، حوالى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد؛ هى أول حرب بحرية فى التاريخ المدون. ولم تكن شعوب البحر، فى الواقع، مهياة للحرب، ولم تكن مراكبها مزودة سوى بالأشرعة، بينما زودت مراكب المصريين بالأشرعة والمجاديف معا. ومن ثم، كسبت مصر سكانا جددا من العمال وأسرى الحرب.

وعملت البحرية المصرية فعليا، على نحو أكبر، فى نقل القوات وحماية البعثات التجارية أكثر من المشاركة فى المعارك الحربية. وينسب إلى الملك «نيكو الثانى» من

الأسرة السادسة والعشرين بناء أول بحرية مصرية، كما أنه شق قناة بين النيل والبحر الأحمر، الأمر الذى سهل إلى حد بعيد إرسال البعثات التجارية شرقا وجنوبا. وبنيت السفن الحربية التى يمكنها نقل ٢٥٠ جنديا، وهى مجهزة تجهيزا جيدا، ويسهل تحريكها فى الحرب. وبفضل هذه السفن الحربية، نجح «رعمسيس الثالث» فى الدفاع عن مصر ضد غزو شعوب البحر. وهو يعتبر آخر فرعون محاربًا عظيمًا.

نزف من عدة جروح

تزايدت قوة الليبيين تدريجيا، وخلال عصر الاضمحلال الثالث، احتل ملكهم «شيشنق» مصر بوجهيها القبلى والبحرى. وقد ولد «شيشنق» لأسرة ضمت أجيالا من كبار الكهنة، أقامت فى «حزن-نسوت»، فهو لا يعتبر أجنبيا فى الواقع. وقد طبق خبرته العسكرية، وأعاد التجارة مع «النوبة» و«بيلوس». وخلال عصر الأسرة الثانية والعشرين قام «شيشنق» بحملة لغزو فلسطين.

وبحلول عام ٣٧٠ قبل الميلاد تقريبا، أصبحت مصر هدفا سهلا مرة أخرى، حيث جذبت الحروب الأهلية كل الانتباه إلى الداخل. وفى هذا الوقت، أصبح للنوبيين اليد العليا، وحكموا لمدة ٧٠ عاما. وفى حوالى عام ٦٧٤، تعرضت مصر لهجوم الآشوريين، مما أضعف قبضة النوبيين. وتكرر ذلك فى ٦٧١ قبل الميلاد، و٦٦٤ قبل الميلاد. وبحلول عام ٥٢٥ قبل الميلاد كان الفرس قد استولوا على مصر، ثم أطاح بهم الإسكندر الأكبر فى ٣٣٢ قبل الميلاد.

ووقعت المعركة الأخيرة فى «أكتيوم»، حيث انتهت عقود من الصراع الديبلوماسى والمقاومة، وخضعت مصر لروما، لتصبح مجرد مقاطعة، وانتهى حكم الفراعنة تماما.



الأهرامات

يجسد قول عربى مأثور جوهر أقدم عجائب العالم القديم، وآخر ما بقى منها: «الإنسان يخشى الزمن، والزمن يخشى الأهرامات». والأهرامات التى مازالت قائمة بعد حوالى خمسة آلاف عام من إنشائها، تجسد أصول علوم الحساب، والهندسة، والفلك. فبدون هذا الفهم المجمع، لم يكن من الممكن تصميم الأهرامات. ويبدو أن المصريين عرفوا أبعاد الأرض، وأدرجوا هذه الأرقام فى النظام الذى استخدموه لقياس وبناء الهرم الأكبر. وتعتبر الدقة الخارقة لهذه الإنشاءات انعكاسا مذهلا لتقدم هؤلاء الناس الذين عاشوا فى البدايات المبكرة لتاريخ الحضارة الغربية.

وتتجه الأهرامات بوجه عام من الشرق إلى الغرب، وقد أطلق عليها المصريون اسم «مر»، لكن الإغريق أسموها «بيراميدوس» نسبة لكعك القمح، هرمى الشكل، الذى كان يؤكل فى اليونان. وبنيت الأهرامات على غرار الكومة البدائية التى نشأت منها الحياة، لترمز إلى البعث والنشور والخلود.

وقيست أزمان ظهور النجوم ومواضعها، واستخدمت لتحديد اتجاه الشمال الحقيقى. ومن هذه النقطة، أمكن استنتاج الجنوب، وحسب موقعا الشرق والغرب باستخدام نقطة المنتصف بين الشمال والجنوب. وهذا هو أول شكل للفلك الذى مكن المصريين القدماء من تحديد اتجاه الأهرامات على نحو دقيق للغاية.

تصميم الأهرامات

كان المتوقع أن تؤدى عمليات استكشاف الأهرامات إلى إدراك عميق لعادات

المصريين القدماء؛ ولكن أسئلة كثيرة ثارت في الواقع، أكثر من تلك التي وجدت إجابة عليها. فهل عرف المصريون القدماء فعلا الأبعاد الحقيقية للأرض؟ لا يبدو أن هناك تفسيراً كافياً، بيد أنهم فطنوا - فيما يبدو - إلى أن الأرض كروية، ومن الواضح أنهم اكتشفوا قيمة «البأى»^(*). ويبدو أنهم حددوا طول محيط الأرض من خلال الملاحظة الدقيقة لحركة الكواكب. وبنى الهرم الأكبر بحيث أن العلاقة بين محيطه وارتفاعه هي نفسها العلاقة بين محيط الأرض ونصف قطرها عند القطب.

وقام البروفيسور «تشارلز بيانزى سميث» بقياس الهرم وحسب ارتفاعه العمودي، وخلص إلى أن كل تسعة وحدات من عرض الهرم يقابلها عشرة وحدات من ارتفاعه. وعندما أجرى عملية ضرب لارتفاع الهرم في نسبة ١٠ : ٩ كانت النتيجة ٩١ مليون و ٨٤٠ ألف، وهو ما يساوي تقريبا المسافة بين الأرض والشمس (التي تتراوح بين ٩١ مليون ميل و ٩٢ مليون ميل).

وأجرى السير «اسحق نيوتن» بحثا حول بناء الهرم، ووصل إلى أنهم استخدموا بالتأكيد نوعين مختلفين من «الذراع»: النوع القياسى وطوله ٦, ٢٠ بوصة، إلا أن النوع الثانى - الذى أطلق عليه «الذراع المقدس» - يساوى نصف قطر الأرض عند القطب مقسوما على عشرة ملايين، بما ينتج (بمقياس اليوم) ٢٥ بوصة. وعندما يقسم طول قاعدة الهرم على وحدات، طول كل منها ٢٥ بوصة، تصبح النتيجة ٢, ٣٦٥، وهو عدد أيام السنة. ويبدو بالفعل أنهم كانوا يعرفون ما يفعلون.

وكان يعتقد أن الأهرامات هي منازل الخلد للفراعنة الراحلين، تستخدم كأماكن دائمة لسكنى أرواحهم، وكمعابد جنائزية. واستخدمت الأهرامات كأثار تذكارية أكثر منها مقابر فعلية، فلم يعثر داخل أى هرم أو تحته على أى بقايا فرعونية فعلية. وتوجد حجرات الدفن تحت مركز الهرم مباشرة، وبنيت الممرات الهابطة عند زاوية تؤدي إلى الحجرات التى سدت بحجر متين. وبالطبع لم يكن هذا كافيا لإبعاد اللصوص.

ويقال إن الأهرامات كانت معابد سرية ضخمة، تقيم فيها الطبقات الموسرة طقوسا غامضة، يعتقد أنها تحول المتوفين إلى آلهة؛ ويعتقد آخرون أن الأهرامات نتيجة مشروع عمل ضخم لم يكن هدفه سوى شغل المواطنين وتوحيدهم باتجاه هدف

(*) النسبة بين طول محيط الدائرة وقطرها - المترجمة.

جماعى . وتؤكد نظريات أخرى على أن الأهرامات هى تقويمات حجرية و/ أو مرصد فلكية .

وأقيمت معظم الأهرامات على الضفة الغربية للنيل ، على مسافة خمسين ميلا من القاهرة ، فى أرض الموتى والشمس الغاربة .

الصخر القوى

كانت مصر القديمة غنية بمواد البناء المناسبة لأعمال الإنشاء الضخمة . فكانت كميات ضخمة من الجرانيت الأحمر والرمادى والأسود تقتلع من محاجر أسوان وتستخدم فى تغطية الممرات والجدران داخل حجرات الأهرامات . ويقتلع الحجر الجيرى قرب «منف» ويستخدم للأسطح الخارجية ؛ أما الحجر الرملى فيأتى من منحدرات الجبال فى الوجه القبلى .

ويعتقد أن هذه الكتل الثقيلة من الحجر نقلت إلى موقع البناء باستخدام الحبال ، والصنادل البحرية ، والزلاجات التى يجرها مجموعات من العمال ، بعد أن تنقل عبر النيل . وتجبر الصنادل أو المراكب المسطحة المصنوعة من أخشاب مستوردة ، بالزلاجات ، أو تدرج على جذوع الشجر . فلم تكن الحيوانات الضخمة ، مثل الخيول تستخدم فى حمل مثل هذه الحمولات الثقيلة ، كما لم تكن العجلات تستخدم فى هذه الفترة من تاريخ مصر .

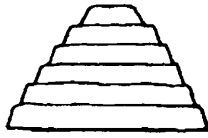
وصفت الكتل الحجرية إلى بعضها البعض بدقة ، لدرجة أن حد موسى لا يستطيع أن ينفذ داخل الشقوق بينها . ولم تكن الآلات الحديدية استخدمت بعد ؛ فكان النحاس أفضل ما لديهم لصناعة أدوات مثل الأزامل والسيوف لتقطيع كتل الحجر الجيرى التى شكلت الغطاء الخارجى .

وشكلت «المصطبة» أو حجرة الدفن التى كانت معتادة فى عصر الأسرة الأولى ، قاعدة الهرم . وفى الأسرة الثالثة ، كلف الملك زوسر وزيره «إمحتوب» ، بتصميم طراز جديد من المصطبة لحماية مقره الأبدى . وبدلا من استخدام قوالب الطمى التقليدية ، وجد «إمحتوب» الفكرة «القوية للغاية» والمتمثلة فى بناء مصطبة فوق أخرى ، من

الحجر الذى لا يبلى ، حتى تتشكل ست طبقات متناقصة فى الحجم بالتدرج ، يصل ارتفاعها إلى مائتى قدم .

واعتمدت خطته على الحجر المحلى ، غير أنه استخدم الحجر الجيرى الناعم للواجهة الخارجية . وتم تنسيق كل جانب بحسب النقاط الأربعة الرئيسة من المحيط الدائرى . وكانت النتيجة أول أثر باق من صنع الإنسان ، مصنوع بالكامل من الحجر ؛ يعرف باسم هرم سقارة المدرج . ويرمز تصميم الهرم إلى صعود الدرجات المؤدية إلى السماء ، فهو سلم للوصول إلى النجوم ، حيث يأمل المتوفى أن ينضم إلى «أوزيريس» ويعيش بين الآلهة . وأنشئت حجرة الدفن بمقبرة الملك «زوسر» من الجرانيت الوردى كلية ، وأقيمت أسفل ممر رأسى سد بكسر الحجاره (الدبش) . وكان هذا الهرم محاطا فى الأصل بمعابد وساحات فخمة .

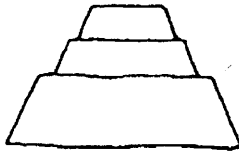
وبنى الملك «سنفرو» (من الأسرة الرابعة) الأهرامات الثلاثة التالية ، التى استكملها بعد ذلك خلفاؤه . وكان أولها هرم «ميدوم» على مسافة خمسة أميال جنوب سقارة . وبوجه عام ، يعتقد أن «سنفرو» واصل العمل الذى بدأه والده «هونى» ، آخر فراعنة الأسرة الثالثة . وبدأ هذا الهرم أساسا كنسخة من الهرم المدرج ، بسبعة درجات هذه المرة .



ويقع الهرم المنحنى فى «دهشور» ، وقد بدأ بزاوية ميل مقدارها ٥٤ درجة و٣٢ جزءا من الدرجة ، وتضييق الزاوية صعودا إلى ٤٣ درجة و٢١ جزءا من الدرجة . وكان الهدف من هذا التأثير الطفيف لمنع انهيار البناء ؛ حيث إن وزنه قد يسبب تصدع الجوانب المغطاة بالحجر الجيرى . ومن ثم ، يظهر هذا الهرم مظهرا «منحنيا» أو منحدرًا . ويعرف الهرم المنحنى باسم «هرم الجنوب» .



وأقيم الهرم الأحمر أيضا في «دهشور». وعندما يغمره غروب الشمس في الصحراء، يتوهج غطاء الحجر الجيري بالأحمر الدافئ. وهو يعرف أيضا باسم «هرم الشمال»، حيث أن مدخله في ممر هابط، شق في الجانب الشمالي.



وبنى «خوفو» ابن «سنفرو» أول، وأعلى، وأضخم الأهرامات الثلاثة في الجيزة. ويعتقد أن بناءه استغرق جهد نحو عشرين ألف عامل، استخدموا ٣, ٢ مليون كتلة من الحجر الجيري والجرانيت، لإنجاز بنائه في حوالى عشرين عاما. ويتراوح وزن كل كتلة حجرية بين ٢, ٥ طن و ١٥ طنا؛ بما يكفي لضمان الاستقرار والقدرة على التحمل. وخلال القرن الثالث عشر الميلادى نزع العرب كسوة الحجر الجيري الناعم من هرم «خوفو» لبناء مساجد في القاهرة. ويستقر الهرم على قاعدة تغطى ١٣ فدانا. وبلغ ارتفاعه فى أول الأمر ٤٨١ قدما ولكنه يبلغ الآن ٤٥١ قدما. ويتميز هذا الهرم بأن حجرة الدفن حفرت مباشرة داخل الحجر الصلد تحت مركز الهرم.

وكان الهرم يجاوره، مثل أهرامات «دهشور» معبدا جنائزيا، وهناك ممر يربطه بمعبد الوادى. ويمكن مشاهدة المجمع بأكمله فى الخرائط القديمة التى ترجع إلى القرن التاسع عشر. ويبلغ محيط القاعدة المربعة للهرم محيط دائرة يساوى نصف قطرها ارتفاع الهرم. وتم توجيه جانبيه الشمال والجنوب بدقة، مع انحراف عن اتجاه الشمال الحقيقى يقل عن ١/٤ درجة. ومن الواضح أن قدماء المصريين برعوا فى اتخاذ القياسات الفلكية بدقة ونقلها إلى الأرض. أما البهو الكبير فى معبد خوفو المؤدى إلى حجرة

الملك ، فاتجه أكثر إلى المرصد السماوى المحلى ، الذى كان يستخدم فى مراقبة حركة النجوم . وطبقا للأسطورة ، صمم «خوفو» حجرة الدفن الخاصة به ، تحت الهرم ، يحوطها خندق : ويرى «هيرودوت» أن الحجرة الواقعة تحت الأرض فيها «شق صنعه النيل» وأن المياه التى كانت تدخل منه حولت الموقع إلى جزيرة ، غير أنه لم يعثر على أى دليل يؤكد ذلك .

وبنى ابنه «خفرع» ثانى أهرامات الجيزة من حيث الترتيب والحجم . وهو أفضل هذه الأهرامات حالا الآن ، ومازال يكسوه قطع من غطاء الحجر الجيرى الأسمى عند قمته . وبلغ ارتفاع هرم «خفرع» فى الأصل ، ٤٧١ قدما ، بانخفاض عشرة أقدام عن هرم «خوفو» ، ولكن زوايا ميله تزيد درجتين عن زوايا ميل هرم والده ، كما أنه بنى على هضبة أعلى من هرم خوفو ، حتى أنه يبدو أعلى الأهرامات الثلاثة . وتكون مجمع «خفرع» من الهرم ، ومعبد جنازى ، يربطه ممر بمعبد الوادى .

أما الهرم الثالث من أهرامات الجيزة ، فبناه «منكاو رع» (أرواح رع الراسخة) ابن «خفرع» ، وهو أصغر هذه الأهرامات ، بيد أنه ما زال مرتفعا ٢١٨ قدما . ومات «منكاو رع» قبل اكتمال بناء هرمه ، الذى أنجزه خليفته «شيب سيكاف» .

وفى البداية ، كان كل هرم من أهرامات الجيزة يحتوى ويجاور معبدا جنازيا بالقرب منه ، بالإضافة إلى معبد الوادى ، وممر ، ومكان للعبادة . وأثارت نظرية حديثة جدلا كبيرا حول أصول هذا المجمع ، اعتبرت أن الأهرامات تمثل النجوم الثلاثة التى تشكل حزام الجوزاء ، المعروف باسم «سah» للمصريين القدماء . وتدعم هذه النظرية فكرة أن الأهرامات رمز للخريطة الدنيوية للسموات التى توجه طاقة مقدسة للأرض . واعتقد المصريون القدماء أن السموات بها حياة تعكس أو تطابق الحياة على الأرض . وعلى يسار مجموعة الجوزاء يوجد «سبوديت» (نجم الشعرى اليمانية أو الكلب) . وكان «سبوديت» مقدسا باعتباره يجسد روح «إيزيس» ، بينما يمثل «سah» «أوزيريس» . وكان المعتقد أن «سبوديت» و«سah» روحا الزوجين الإلهيين الذين يحكمان العالم .

ورغم أن هرم «منكاو رع» خرج بشكل لافت للنظر عن ترتيب الهرمين الكبيرين ، وانحرف يسارا على نحو طفيف ، فإن السبب فى عدم تمثيل أو تقليد بقية نجوم مجموعة الجوزاء بأهرامات يدعو للتساؤل ، إذا كانت هذه النظرية منطقية .

وأوضح بحث جديد أن الفتحات الرأسية (التي كان يعتقد أنها وجدت بغرض التهوية) ربما كان لها أهمية فلكية. وتشير الفتحة التي تبلغ مساحتها ثمانى بوصات مربعة فى حجرة الملك بالهرم الأكبر إلى القطب السماوى، بينما تشير الفتحة الجنوبية فى حجرة الملك إلى النجوم الثلاثة فى حزام برج الجوزاء، كما كان يظهر حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد. وتشير الفتحة فى حجرة الملكة- التي لم تستخدم أبدا كحجرة دفن- إلى برج الجوزاء زمن بناء الأهرامات. وتقود هذه المعلومات إلى نظرية أن «كا» المتوفى يفترض أن تستطيع مغادرة الهرم عبر هذه الفتحات، وتنضم إلى الآلهة فى مملكة «أمتى» السماوية.

من فعلها؟

وهناك أيضا جدل كبير حول مسألة بناء الأهرامات. هل هم آلاف من العبيد استغلوا فى البناء، أم أنه عمل جماعى فذ قام به المصريون أنفسهم؟

وقد كشفت مناطق الدفن بجوار الأهرامات مقابر البناة الحقيقيين. فغالبا ما كانت تستخدم المواد الزائدة (مثل الحجر وقوالب الطمي المتبقية من بناء الأهرامات) لبناء أكوام صغيرة فوق مقابر العمال، بما يعنى أنه كانت تجرى لهم مراسم دفن مصرية حقيقية وسليمة، بينما لم يكن يحدث ذلك للعبيد. ويبدو أن هذا يدعم فكرة أن إنشاء الهرم كان المصريون يعتبرونه واجبا دينيا ووطنيا، بل أنه شرف. وربما تكون الحكومة وظفت بناة الأهرامات، وكذلك غيرهم من الصناع المهرة، والعمالة غير الماهرة، والفلاحين المحليين، الذين كانوا يعملون فى المشروعات العامة فى الفترة بين يوليو ونوفمبر التي تتوقف فيها أعمال الزراعة، ويحدث فيضان النيل السنوى.

وساهم العمال والفلاحون فى زيادة مساحة الأراضى بينما كانوا يحصلون على أجور متواضعة. ونظمت قوة عمل ضخمة مع هيكل إشراف مما أدى إلى توسعة وتنمية أراضى مصر، ورفاهية وأمن السكان. ولم يضمن بناء الأهرامات الخلود للفرعون فحسب، ولكن للعمال أيضا حيث أصبحوا قادرين على تحمل تكلفة الحصول على مراسم دفن سليمة من الرواتب التي يتقاضونها.

ويوجد دليل على أن العمال كانوا يتفاوضون رواتب، يظهر في الإضراب أو التوقف عن العمل، الذي حدث خلال العام التاسع والعشرين من عهد «رعسيس الثالث»، وهو الإضراب المسجل بدقة في وثائق (أشرنا إليه في الفصل الخاص بالعمل والحرف). وقد سجل على لوحة تذكارية أن الفرعون تلقى معلومات مكتوبة تشير إلى كيفية مكافأة العمال بسخاء. وتحدث عن راتب شهري، ومخازن مليئة بالكتان، والزيت، والغذاء، والصنادل من أجل العمال.

ولم يعثر على سجلات توفر معلومات عن كيفية تخطيط، وتصميم، وإنشاء الأهرامات، ولم ترد في النصوص التي عاشت حتى الآن سوى إشارات قليلة للأهرامات. وربما كانت الطرق المنحدرة المبنية من طمي النيل وسيلة استخدمت في البناء. حيث يؤدي الطريق المنحدر من مستوى الأرض إلى قمة الدرجة الأولى من الحجر، ثم يقام طريق منحدر آخر إلى قمة الدرجة الثانية، وهكذا حتى وصلوا إلى قمة الهرم. وبعد ذلك، ربما يكون العمال اتخذوا طريقهم للنزول، وقاموا أثناء هبوطهم بتنعيم الكتل الخارجية وإزالة الطرق المنحدرة.

وقد عثر على بقايا هذه الطرق المنحدرة عند هضبة الجيزة(*)، حيث كانت فرق من العمال تجر كتل الحجر، باستخدام الحبال والزلاجات الخشبية، إلى كل جانب من جوانب الهرم.

ويوجد دليل قوى على هذه النظرية في لوحة جنائزية من النحت البارز على جدار مقبرة ترجع إلى «تحوت حتب»، أحد حكام الأقاليم في الأسرة الثانية عشرة. وفي هذه اللوحة يظهر تمثال ضخم للفرعون (يزيد وزنه عن ٦٠ طناً) تسحبه أربعة صفوف من الرجال، قوامها ١٧٢ عاملاً. ويظهر في اللوحة رجال يسكب المياه أمام الزلاجة ليجعل الأرض زلقة، بما يتيح للكتل أن تنزلق عليها.

نزولاً إلى الوادي

بحلول عصر الدولة الحديثة توقف بناء الأهرامات. وكلف الفرعون «تحتمس الأول» وزيره «إيمنى» بأن يدبر مكاناً متميزاً لدفنه. واكتشف «إيمنى» أفضل موقع على

(*) تقصد هضبة الأهرامات - المترجمة.

الضفة الغربية للنيل ، فى واد ضيق عميق يشرف عليه جبل هرمى الشكل أو بروز صخرى . وهو يعرف باسم «القرنة» ، أو باللغة العربية «القرن» . وتشبه طبوغرافية الموقع ، بالنسبة للمصريين القدماء ، الرمز الهيروغلىفى للأفق ، وهو المدخل إلى العالم السفلى . وأقيم هذا الموقع على ضفة النيل الغربية ، بحيث يختبئ تحت تلال «أواست» . وصار مكانا نموذجيا لمدفن ملكى ، بفضل الحجر الجيرى متميز النوعية ، والقرب من ضفاف النيل الخصبة ، والحماية من التخريب المتعمد (التي توفرها المنحدرات الشاهقة) . وتعرف هذه المقبرة الكبيرة باسم وادى الملوك ، الذى ضم نحو ٣٠ فرعوناً دفنوا بعد «تحتمس» فى هذا المكان المقدس للراحة الأبدية .

ومثل شكل الهرم سحرا كبيرا للمصريين القدماء ، انطلاقا من ربطه بشكل التل الأولى الذى اعتقدوا أن الحياة نشأت عنه . كما أنه مازال يمثل لنا سحرا حتى اليوم من حيث سخامة تشييده .



أبو الهول العظيم

يحرس «أبو الهول» الأهرامات فى صمت، وهو يمثل رمزا للحكمة الغامضة، واليقظة الأبدية. وسماه قدماء المصريين «حو» بمعنى «الحامى» أو «حوريم أخت» (بمعنى حورس الأفق). وكان الهدف من إقامته حماية المتوفى بإبعاد الأرواح الشريرة عن المقابر.

وكان الأسد، بالنسبة للمصريين القدماء، حارس بوابات الفجر. ويواجه «أبو الهول»، كرمز شمسي للإله «رع»، اتجاه الشرق، مستقبلا الأشعة الأولى للشمس الساطعة فى أول أيام الربيع. وقد بنى - مثله فى ذلك مثل الأهرامات - وفق الاتجاهات الأصلية. ويعتقد أن كلمة «سفنكس»، اشتقت من التعبير المصرى «شيسيب عنخ» بمعنى «صورة حية».

وانتشرت تماثيل «أبو الهول» عبر التاريخ المصرى. وغالبا ما يصور الملك فى هيئة «أبو الهول» بينما هو يهزم أعدائه. وهناك طريق على جانبه تماثيل «أبو الهول» برءوس كباش، يربط بين الأقصر والكرنك - حيث كان المفترض أن هذه التماثيل تتولى الحراسة أثناء نقل تماثيل «آمون» خلال مهرجان «أوبت» السنوى.

وخلال عصر الدولة القديمة عبد «أبو الهول» باعتباره رمز الملكية. وبنى «رعمسيس الثانى» منصة للقرابين من الجرانيت بين برائن الأسد.

عمل ملفز

والمدهش أن «أبو الهول» نحت من كتلة صخرية صلدة، برزت من رمال الصحراء

فى هضبة الجيزة. وأقيم الجزء السفلى من جسده من كتل حجرية ضخمة، اقتلعت من منطقة قريبة. ويبلغ طول جسد أبو الهول ٢٤٠ قدما، وارتفاعه ٦٦ قدما، برأس إنسان عرضه ١٤ قدما، يرتدى غطاء الرأس التقليدى «نيمس». وكان يرتدى قبلا- اللحية المزيفة التى يرتديها الملك، عثر على بقايا منها بين برائنه خلال القرن التاسع عشر الميلادى.

وجه ملغز

كان يعتقد أن «أبو الهول» بجسد الأسد ورأس الإنسان، نحت على هيئة «رع حار أختى» أو رع الآفاق. ويرى البعض أن وجه التمثال هو نفسه وجه الملك «خفرع» من الأسرة الرابعة، فهو يشبهه بشدة، والذى يبدو أنه يحرسه. فكان «أبو الهول» رمزا لخلود «خفرع» كإله الشمس.

وفى عام ١٩٩٦ الميلادى، توصل متخصص أمريكى، بعد تحليل زوايا وحجم ونسب رأس «ابو الهول»، إلى أنه لا يشبه الملك «خفرع». ويبدو أن الشبه أقرب إلى أخيه غير الشقيق الفرعون «چيديف رع» وهو من ملوك الأسرة الرابعة، ويعرف أيضا باسم «رع چيديف»؛ وهو ابن «خوفو» من زوجة ثانوية، وخلف والده على العرش لمدة أربع سنوات فقط. ويعتقد أن «چيديف رع» مسئول عن وفاة أخيه «كيواب» أكبر أبناء «خوفو» والمستحق للعرش بعد أبيه. وتزوج «چيديف رع» من أرملة «كيواب»، الأميرة «حتفيريس الثانية» التى أصبحت ملكة. ويقع هرم «چيديف رع» على مسافة خمسة أميال شمال مجمع أهرامات الجيزة فى أبو رواش. وهو يذكر باعتباره أول فرعون أطلق على نفسه لقب «ابن رع».

وثار جدل كبير حول ما إذا كانت صورة «خفرع» هى التى نالت الخلود عبر «أبو الهول». ويعتقد البعض أن «خفرع» لم يفعل شيئا سوى أنه رُم وأعاد تصميم «أبو الهول» خلال فترة حكمه من الأسرة الرابعة. ويدلل هذا البعض على ذلك، بأن الرأس، الصغيرة على نحو لا يتناسب مع الجسد، تبدو أقل تأكلا من بقية الجسد، بما يشير إلى رأس «أبو الهول»، بنيت فى زمن مختلف، ومن حجر ذى نوعية أفضل. ولم يعثر على أية نقوش تنسب لخفرع بناء «أبو الهول»؛ رغم العثور على لوح تذكارى

يوضح أن «خوفو» أمر ببناء معبد بالقرب منه، وهذا يشير بوضوح إلى أن «أبو الهول» كان قد بنى بالفعل عندما ورث «خفرع» العرش من خوفو. فهل بنى فعلا فى وقت مبكر للغاية؟

أول عملية تجميل وجه

على عكس الاعتقاد الشائع، لم يدمر جيش نابليون أنف «أبو الهول». ووفقا للمؤرخ عربى، فقد دمر الأتراك أنف التمثال، بعد احتلالهم لمصر عام ١٥١٧ ميلاديا. وعانى «أبو الهول» من تأكل شديد، وخضع لأعمال ترميم كثيرة خلال الألف عام الماضية. ونقشت أهم أعمال الترميم التى أجريت للتمثال على لوحة حجرية ارتفاعها ١٤ قدما. وتحكى هذه اللوحة التذكارية، المعروفة باسم «لوحة الحلم» عن حلم حدث قبل ٣٤ قرنا:

وتبدأ القصة مع الأمير «تحتمس» ابن «أمنحوتب الثانى»؛ فبعد ظهر يوم حار، رقد «تحتمس» طلبا للراحة تحت أقدام «أبو الهول»، بعد يوم شاق قضاه فى الصيد تحت حرارة شمس أفريقيا. ورأى فى الحلم أن «رع حار أختى»، الذى يجسده «أبو الهول»، تحدث إليه بصوت جهورى، وأمره بإزالة الرمال التى تطمسه ببطء؛ وإذا أنجز هذا العمل بنجاح، فإن الأمير (الذى تطلع يوما ما إلى اليوم الذى يرتدى فيه تاج الوجهين القبلى والبحرى المزدوج) سوف ينجح وسيتولى «أبو الهول» إرشاده وحمايته طول العمر. ولسنا بحاجة للقول، إن الأمير عندما أصبح الملك «تحتمس الرابع» خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة، جعل مطلب «رع حار أختى» أول عمل يقوم به كملك. فأزال الرمال التى غطت «أبو الهول»، ورم الكتل الحجرية التى سقطت منه. وصار «تحتمس الرابع» الذى اختاره الإله العظيم «رع حار أختى» بنفسه، يعتبر واحدا من أعظم الفراعنة. وما من دليل هناك يدلنا على ما حدث لأخيه الأكبر، الذى كان فى الحقيقة - التالى لوالده من حيث حق اعتلاء العرش. ويعتقد البعض أن «الحلم» لم يكن لإنتاجا لخياله اختلقه ليغطى على حقيقة أنه قتل أخيه. ولا شك أنه إذا كانت الآلهة اختارته كخليفة على العرش (كما حدث مع حتشبسوت) فمن كان يستطيع أن يعترض؟.

ونقش «تحتس الرابع»، فى فخر، هذه القصة على لوحة تذكارية من الجرانيت الوردى؛ ووضعها بين قدمى «أبو الهول» الأماميتين، تخليدا وامتنانا لذكرى «رع حار أختى» - «أبو الهول».

عمره لغز أيضا !

يعرض جسد «أبو الهول» أنماطا للتعرية بواسطة المياه، بما يشير إلى أنه أقدم مما كان معتقدا من قبل. فالرأس تظهر تآكلا يعود أساسا إلى هبوب الرياح المحملة بالرمال. أما التعرية بواسطة المياه، فلا يمكن أن تحدث إلا بانهمار غزير للأمطار، وفيضانات هائلة الارتفاع؛ مثل الذى يمكن أن نتوقع أنه حدث مع ذوبان عصر الجليد قبل ١٢٥٠٠ عاما. وهذا النوع المتفرد من الجو، بما يتركه من أسطح متموجة، لا بد أنه حدث عندما كانت الصحراء خضراء وخصبة، وتحتوى العديد من البحيرات التى تعرضها للفيضان. فإذا كان «خفرع» بنى «أبو الهول» حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، فإن أنماط التعرية لا بد وأن تكون - بفعل الرياح والرمال - على هيئة تآكل مستقيم غير مجعد، بسبب مناخ الصحراء الجاف فى عصر «خفرع».

إضافة إلى ذلك، يعتقد أن «أبو الهول» كان مسجلا فلكيا للاعتدال الربيعى. فخلال عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، الذى ترى النظريات القديمة أنه عام بناء التمثال، ارتفعت الشمس فى برج الثور خلال فترة الاعتدال الربيعى، لتسجل حقبة الثور. ولما كان الأمر كذلك، لا بد وأن المصريين بمعتقداتهم الغامضة بنوا «أبو الهول» لمواجهة برج الثور؛ والأرجح أنهم نحتوا الرأس على هيئة ثور، وهو حيوان قدسوه تقديسا بالغا. وجاءت حقبة الأسد بين عامى ١٠٩٧٠ و ٨٨١٠ قبل الميلاد، وفى هذا الزمن وخلال فترات الاعتدال الربيعى، وقبيل الفجر، كان من شأن «أبو الهول» فى هيئة الأسد أن يواجه نظيره السماوى، برج الأسد، الذى ربما يكون سببا فى نحته على هذا الشكل.

وبصرف النظر عن الوقت الذى بنى فيه، فإن «أبو الهول» واصل - فى كبرياء - حراسة مدينة الموتى فى الجيزة خلال أربعة آلاف وخمسمائة عام مضت. وأحاطت العديد من الأساطير بهذا الأثر العظيم؛ فعلى مدى قرون، ظل المسافرون يسعون للحصول على الحكمة من شفتى «أبو الهول». فرغم كل شيء، اعتبر أنه يمثل «حو»

إله الحكمة، وأحد أشكال «رع». ويحلو للبعض أن يصدق أن هناك ممرات تحت الأرض، وإشارات إلى حضارة مفقودة مخبوءة تحت القدم اليمنى للتمثال، ولكن لا يوجد دليل له علاقة بعلم الآثار يدعم هذه الفكرة- رغم أن حفريات مؤخره، كشفت عن عدة أنفاق .

ما الذى يسير على أربع عند الفجر، وعلى اثنتين عند الظهر، وعلى ثلاث عند الغسق؟ نقشت الإجابة عن أحجية «أبو الهول» بين برائته فى صورة لوحة تذكارية، تكريما للمعبود المركب «كيفيرع- رع- أتوم»، وصور «كيفيرع» كطفل بينما تشرق الشمس، يزحف على أطرافه الأربعة، بينما صور «رع» فى هيئة رجل فى أوج قوته عند الظهر، واقفا على قدميه؛ أما «أتوم» فصور فى هيئة رجل عجوز يعتمد على عكاز، عند الغروب. فتوحد الإنسان و «أبو الهول» كرمز شمسي مقدس فى «أحجية أبو الهول». وكانت الشمس ذات قيمة رمزية عالية لدى المصريين القدماء لدرجة أنهم عبدوا مراحلها الثلاث الرئيسة.

العمارة

لعبت ملاحظة السماء دورا جوهريا فى بناء الأهرامات و«أبو الهول» والمعابد أيضا . وبنيت المعابد وفقا للنجوم الرئيسة الثابتة ، والاتجاهات الأرضية الأصلية ؛ واستخدمها الكهنة الفلكيون كمراسد . فكانوا يسجلون الوقت بمرور النجوم التى يشاهدونها من على أسطح المعابد .

وخلال عصور ما قبل الأسرات ، كانت المعابد عبارة عن أكواخ بسيطة ؛ بنيت أولا من قوالب الطمى المجففة القابلة للتلف ، ثم تطورت تدريجيا إلى مبان من أحجار متينة مثل الجرانيت ، والحجر الجيرى ، والحجر الرملى . وتقتلع كتل الحجر من المحاجر بدق أسافين خشبية وإنفاذاها فى تصدعات ، ثم توسيع هذه الشقوق وسحب الصخر . وعند البناء ، تشكل هذه الصخور أسقف المعابد ، وتدعمها أعمدة ، على أرضية ترابية . وقام المهندسون والمعماريون المهرة ، الموظفون لدى الحكومة ، بتخطيط وبناء المعابد على مساحات واسعة ، ولا بد أنهم امتلكوا معرفة قوية بعلم الرياضيات .

وبرع المصريون القدماء فى استخدام الأحجار على نحو كبير ، وتميزت عصور الأسرات الأولى وخصوصا عصر الدولة القديمة ، بالتطور السريع والملاحظ فى العمارة ، وبالتحديد فى المقابر والمعابد التى بنيت من الحجر . وأقيمت صفوف أعمدة ضخمة من حجر الجرانيت والحجر الجيرى . وصممت هذه المباني المهية متقنة الصنعة ، على هيئة حزمات من نبات البردى أو سيقانه ، وزهور النخيل رمزا للخصوبة . وغالبا ما تزين هذه الأعمدة بمشاهد للعبادة ونقوش هيروغليفية . ويزين جدار حجرى منحوت على هيئة صف من ثعابين الكوبرا المنتصبه فى تحد . رمز الملكية والوجه القبلى -

قمة مقبرة صغيرة قرب هرم «زوسر» المدرج، على نحو بديع. كما يزين صف من الأعمدة مدخل المعابد مستطيلة الشكل والمكونة من طابق واحد، مشكلا عمرات رائعة ومهيبة. وتزين أعمدة أخرى حدائق ومماش تنفتح على مزارات مقدسة وساحات.

ويمكن الدخول إلى المعابد عبر بوابة ضخمة تعمل كمدخل تذكاري ورسمي في مقدمة المبنى. وكان شكل البوابة رمزيا، يذكر بالأفق (علامة الخلود)، وتقام بطريقة تجعل الشمس تشرق وتغرب من بين العامودين التوأم اللذين يمثلان علامة «الأفق». وعادة ما كان يحيط بالمعابد سور من قوالب الطمي، وتكون وجهة المعبد من الشرق إلى الغرب، حتى يمكن للشمس عند الشروق أن تمر عبر البوابة، وتمد أشعتها إلى المقصورة التي تحوى تمثال المعبود المقدس. ويحوى مجمع المعبد أيضا أحياء سكنية، ومدرسة، وبركة، وورش حرفية، ومحاجر، ومخازن.

وخلال عصر الدولة الوسطى، أنشئت قصور ملكية من قوالب طوب قابلة للتلف وخشب، لم يتبق منها شيء، فلم يبق سوى المعابد الحجرية. وكانت القصور عبارة عن مباني مستطيلة الشكل ذات جدران عالية، تزينها أبراج، لسكنى الفرعون وحاشيته. ويمكن أن نفهم من النقوش أن القصور كانت تحتوى حدائق، وبوابة مزدوجة، وقاعات فسيحة، ومركزين إداريين؛ واحد للوجه القبلي والآخر للوجه البحري.

ووصل الإنجاز المعماري، ومعه الفن والأدب إلى مستويات عالية للغاية خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة. وخطط المعمارون منشآتهم بدقة حتى أن الأحجار كانت توضع في أماكنها بدقة متناهية. وبعد اكتمال أعمال الإنشاء الكبيرة، يزخرف الفنانون الجدران والأعمدة من القمة إلى القاع بالمشاهد المنحوتة والملونة.

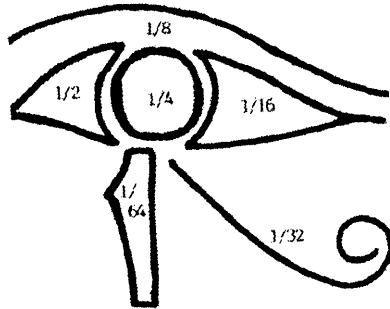
وتبدو معرفتهم بعلم الهندسة واضحة، حيث كان العمال قادرين على حساب حجم الشكل الهرمي والأسطواني. وعرفوا أن مساحة المستطيل تساوى حاصل ضرب الطول في العرض. وحسبت مساحة الدائرة وفقا لطول قطرها. غير أن حساباتهم كانت بسيطة تتعلق بالجمع والطرح. أما بالنسبة للقسمة والضرب، فاستخدموا جدولا للحصول على الإجابة. وطور المصريون القدماء نظاما عشريا للترقيم، لتسهيل حساباتهم. وعرفت الأرقام من الواحد إلى عشرة في أشكالها المُدكَّرة كما يلي:

٢ - سين	١ - أوا
٤ - إدفو	٣ - حمت
٦ - سيرسو	٥ - ديو
٨ - حمنو	٧ - سفيج
١٠ - ميدو	٩ - بيدسو

ولم يتضمن نظام أرقامهم الصفر، وكانوا يحسبون العشرات باستخدام سبعة رموز مختلفة. فيشير خط رأسى إلى الرقم واحد، بينما تمثل خمسة خطوط الرقم خمسة. ويمثل الحرف «U» مقلوبا الرقم عشرة. ويعبر الحبل الملفوف عن المائة (عرفت باسم شا) بينما يمثل نبات اللوتس الألف، أو «چا» أما شكل الأصبع فى هيئة عمودية مع انحناء طفيف للسلامية الأولى فيمثل عشرة آلاف «چب»، بينما المائة ألف «چفنو» فيعبر عنها رمز فرخ الضفدع. ويعبر شكل رجل يركع على ركبة واحدة ويرفع يديه عاليا عن المليون «هيه». ويمثل رمز اللانهاية «شن» الرقم عشرة ملايين، ويسمى «سنو». ودائما ما يكتب الرقم الكبير أمام الرقم الصغير، فكانوا يقرأون من اليسار إلى اليمين.

وعندما دمر «ست» عين «حورس» (أو «واجت») ومزقها قطعا، لم تصبح فحسب رمزا للعلاج الفعال، وإنما استخدمت القطع لتحديد قياسات الكسور. وترجم اسمها إلى «كل» أو «صحيح». واستخدمت «واجت» أساسا لقياس كميات الحبوب، ويعتقد أنه بدأ استخدامها لهذا الغرض خلال عصر الأسرة التاسعة عشرة.

وعندما تحول الكسور $\frac{1}{2}$ ، و $\frac{1}{4}$ ، و $\frac{1}{8}$ ، و $\frac{1}{16}$ ، و $\frac{1}{32}$ ، و $\frac{1}{64}$ إلى المقام المشترك ٦٤ يصبح مجموع البسط ٦٣. وبجمع الكسور، يصبح الإجمالي $\frac{63}{64}$. وأوجد «تحوت» معالج عين «حورس»، بطريقة سحرية، الكسر المفقود والنهائى وهو $\frac{1}{64}$ ، فجعل العين تكتمل.



وتوضح بردية «ريند» ، التي يبدو أنها كتبت في عصر الأسرة الخامسة عشرة ، بيد كاتب اسمه «أحمس» ، أمثلة على الرياضيات المصرية ، بما في ذلك استخدام الكسور . ونسخ «أحمس» نفسه هذا النص من كتابات أقدم . ورغم أن أساليبهم الحسابية تعتبر متدنية ، خاصة عند المقارنة بأساليب البابليين ، إلا أن ما أنجزه المصريون بنظامهم يعتبر رائعا حقا .

وعبدت «سيشات» قرينة «تحت» باعتبارها إلهة المقاييس والكتابة ، وعبدت أيضا باعتبارها راعية علم الرياضيات والمعماريين . وكان «بتاح» الراعى والحامى الرئيس للصناع ، والبنائين ، والمعماريين .

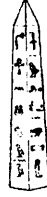
وأوضحت كتابات أن معبد «الكرنك» ، مقر عبادة «آمون» و «موت» وابنهما «خنسو» (ثالوث طيبة) ، الذى يغطى مساحة بلغت خمسة أفدنة فى ذلك الوقت ، هو أكبر مبنى دينى بنى فى التاريخ . وبتيه المعبد بأكثر من ١٣٠ عامودا ارتفاع كل منها ٨٠ قدما . وتسند أعمدة مزخرفة سقف «بهو الأعمدة» ، ويؤدى طريق من تماثيل «أبو الهول» برؤوس كباش إلى أول بوابة (كانت الكباش مقدسة باعتبارها الحيوان الرمز للإله «آمون» ، وتماثيل «أبو الهول» تقديسا للإله «رع» إله الشمس) . ونحتت أشكال صغيرة على هيئة «رعسيس الثانى» تحت رؤوس الكباش .

وخلال مهرجان «أويت» يتخذ «آمون» هيئة «مينو» إله الخصوبة ، عندما يزور معبد الأقصر (الذى يشير إليه البعض باسم «الحريم الجنوبى») . وبدأ بناء هذا المعبد خلال عصر الدولة الوسطى ، واكتمل البناء بحلول الدولة الحديثة . وقدم كل الفراعنة - تقريبا - الذين حكموا خلال هذه الفترة ، إضافات لمجمع المعبد الكبير ؛ وكانوا هم ومعماريوهم يسعدون بإجراء تحسينات وتطويرات على أعمال أسلافهم والسابقين عليهم .

فبنت الملكة «حتشبسوت» مجموعة من المسلات التى تقف أمام بوابة مقصورة «آمون» . وأضاف «تحتمس الثالث» عامودين للمعبد خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة . وأقام «رعسيس الثانى» صالة الأعمدة الكبرى أو «بهو الأعمدة» فى معبد «الكرنك» خلال عصر الأسرة التاسعة عشرة . وأقام «نختنبو الأول» فى الأسرة الثلاثين ، طريق «تماثيل أبو الهول» ، الذى يربط معبد الكرنك بمعبد الأقصر الذى يقع على مسافة ميل إلى الجنوب . ويقدر عرض هذا الطريق بعشرين ميلا وطوله ميلين ، وصف على جانبيه ١٤٠٠ تمثال «أبو الهول» برأس بشر ، بمعدل ٧٠٠ تمثال على كل من الجانبين ، بمسافة نحو

١٥ قدما بين كل تمثال وآخر . ويبلغ طول كل تمثال عشرة أقدام ، وارتفاعه أربعة أقدام .

وبدأ العمل في بناء معبد الأقصر ، المكرس لعبادة «أمون-رع» ، حوالى عام ١٣٨٠ قبل الميلاد ، فى عهد «أمنحوتب الثالث» . وأضاف «تحتمس الثالث» أماكن للعبادة ، وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، أضاف «رعمسيس الثانى» تماثيل ضخمة ، وزوجا من المسلات ، وبوابة ضخمة رائعة ، وساحة أعمدة مفتوحة . وقدم كل من «توت عنخ آمون» و «حور محب» و «الإسكندر الأكبر» مساهمات لمجمع هذا المعبد الكبير .



وعرفت المسلات باسم «تخن» ، وهى كتلة واحدة رأسية ضخمة من الحجر المصقول بإتقان ، يستدق عند قمته ليأخذ شكلا هرميا . وعرفت القمة أيضا باسم «بن-بن» المقدس ، وهى الكومة الأولية التى نشأت عنها الحياة كلها . وكانت المسلات توضع أزواجا ، وتنقش بالهieroغليفية ، والهدف منها التعبير عن التقديس لآلهة الشمس العظيمة ، كما ترمز للخصوبة .

ويعتقد أن أولى المسلات بنيت نحو عام ١٩٠٠ قبل الميلاد . وغالبا ما كانت قمة المسلة تطلّى بالذهب ، أو تصنع من النحاس و الإلكتروم(*) المستورد من مملكة «قوش» ، لجذب أشعة الشمس الساطعة وهى تخترق السماء ، وعكسها . وقد يصل وزن المسلة ، المقامة من لوح واحد من الجرانيت الصلب المقتلع من محاجر بعيدة ، إلى ١٥٠ طنا . ويصل متوسط ارتفاع المسلة إلى نحو ٧٠ قدما ، غير أن بعضها ارتفع إلى ١٦٠ قدما وزاد وزنه عن ٤٠٠ طن . وكانت الأدوات النحاسية أنعم من أن تفيد فى العمل مع الجرانيت ، بينما كان استخدام الحديد مازال نادرا فى صنع الأدوات ؛ لذلك يعتقد أن المسلات كانت تنحت وتشكل ، وتصقل ، وتنعم بواسطة الدق عليها بحجر الدولريت(**) ، وهو حجر أصلب حتى من الجرانيت . ويحتمل أيضا أن الدولريت

(*) مزيج طبيعى من الذهب والفضة - المترجمة .

(**) من أنواع الصخور النارية - المترجمة .

استخدم لنقش الهيروغليفية. وتوجد لوحة منقوش عليها صورة بناء يدق كتلة من الحجر بكتلة حجرية أصغر.

أعاد علماء الآثار فحص مواقع البناء المصرية، في محاولة لاختبار نظرياتهم حول الطريقة التي أقيمت بها هذه الآثار الضخمة، القابلة للتحطم، في وضع رأسى، في مكانها النهائي. ولحسن الحظ، ترك المصريون القدماء بضع مفاتيح. وتنقل المسلة، بمجرد أن تكتمل، إلى وجهتها النهائية بواسطة قارب. وفي معبد «حتشبسوت»، توجد لوحة نحيتية، تصور مسلتين راقتين على ظهر مركب، أثناء نقلهما من أسوان إلى معبد «أمون» في الكرنك. وكان يتعين إقامة طريق منحدر، تجر عليه زلاجة من المركب إلى الموقع النهائي. وتقف جميع المسلات على أحجار أساس تكشف عن ثقوب محفورة، من الواضح أنها استخدمت كمحاور تلف المسلة من خلالها لضبطها في مكانها. ويوضع حجر الأساس في حفرة، وتسحب المسلة (فوق منحدر) إلى وضع مرتفع. ويهبط الرجال بالطرف الأسفل من المسلة، عبر لفها باستخدام الحبال والروافع، وتضبط بواسطة ثقوب الدوران في حجر الأساس، ثم تميل في اتجاه صاعد. ومن المحتمل جدا أن الحفرة كانت في الواقع رملية؛ وتغطي قوالب طوب ثقوبا في قاع الحفرة الرملية، ويمكن أن تسحب هذه القوالب في اللحظة الحاسمة لتسمح بتدفق الرمل عبر الثقوب. ومن ثم، تصبح المسلة جاهزة للغرز في مكانها المحدد. ونظرا لأنها تقام في وضع عمودي، فهي توجه رأسيا بواسطة رجال يجذبون الحبال في اللحظة الأخيرة. وتوجد دلائل أيضا على أن طريقة الرمل استخدمت لإنزال تابوت معين في مقبرته. ولا شك أن إقامة مسلة جهد ضخم، لكنه في نفس الوقت مهمة دقيقة، تتطلب مئات من الرجال يستخدمون مهاراتهم، وقوتهم، وحماسهم، وإخلاصهم، ودأبهم، بشكل جماعى. وبعد شهور من الجهد الشاق، لا بد أنها لحظة رائعة عندما يرتفع الأثر أخيرا، لتحية الشمس.

وأقام «سنوسرت الأول» مسلة ارتفاعها ٦٧ قدما كعلامة مميزة لمعبد «رع» في «لونو». ونحت «تحتمس الأول» زوجا من المسلات لمعبد الكرنك، واقتلع «تحتمس الثانى» مسلة ارتفاعها ١٣٧ قدما وزنها نحو ١٢٠٠ طن، ثم خفضها إلى ١٠٥ أقدام، لكنها مازالت راقدة في المحجر دون أن ينتهى العمل فيها.

وخلال العام السادس عشر من عهد «حتشبسوت»، أقامت ست مسلات ، مازالت إحداها جديرة بالإعجاب ، فهي تنتصب في الكرنك بارتفاع ٩٧ قدما . وينسب إلى حتشبسوت إقامة العديد من الآثار العظيمة في فترة حكمها ؛ كما أمرت بإنشاء وترميم مشروعات مهمة في أنحاء البلاد . فبنت معبدا فخما يتكون من ثلاثة مستويات على منحدرات الدير البحري ، التي تشرف على الضفة الغربية للنيل . وكرس هذا المعبد الجنائزى لعبادة «حتحور» وساعد على الحفاظ على اسم «حتشبسوت» وذكرها حين . ويعد هذا المعبد واحدا من أكثر العجائب المعمارية المصرية جمالا وتفردا . فيه سجلت «حتشبسوت» قصة حمل أمها بها كجنين مقدس ، وولادتها ، وتوحيجها ، وإقامة المسلات ، والحملات التجارية الناجحة إلى بلاد «بونت» .

ومن المعتقد أنه قبل ٥٠٠ عام من عهد حتشبسوت ؛ خلال عصر الأسرة الحادية عشرة ، في الدولة الوسطى ، بنى الفرعون «منتحتب الثاني» مجمعه الجنائزى ، في نفس الموقع الذى أقيم فيه معبد «حتشبسوت» . وأدخلت الملكة إضافات ، وأقامت معبدا يماثل معبد «منتحتب الثاني» ، ووسعت المجمع .

ويعتقد أن «سنن موت» الذى كان من العامة ، وارتقى إلى منصب مسئول كبير خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة ، كان عشيق حتشبسوت وكاتم أسرارها . ولعب بالتحديد دورا مهما في حياة «حتشبسوت» ، بما فى ذلك تعليم ابنتها الصغيرة «نفرو رع» . وصمم «سنن موت» ، المعروف بمهارته المعمارية ، مجمع «حتشبسوت» الجنائزى . وكان لديه من الجرأة ما دفعه لنقش اسمه وصورته على معبدها . غير أن خليفته على العرش «تحتمس الثالث» طمس اسمى «حتشبسوت» و «سنن موت» معا .

وأقام «تحتمس الثالث» مسلتين بمعبد «رع» فى «لونو» . ومنذ القرن التاسع عشر الميلادى ، تنتصب إحدهما فى لندن ، والأخرى فى «سنترال بارك» فى مدينة نيويورك . ودمرت معظم المسلات فى مصر أو سلبت بأيدي الفرس ، والأتراك ، والأوروبيين ، والأمريكيين .

وبنى «أمحتب الثالث» (الأسرة الثامنة عشرة) مجمعا جنائزيا فخما فى غربى «أواست» . ولم يتبق من هذا المعبد سوى تمثالين بارتفاع ٧٠ قدما عرفا باسم تمثالى «عمنون» الضخمين . ويعتبر «إمحتب» أبرز وأشهر معمارى فى تاريخ مصر القديمة ،

وهو بانى أول أثر حجرى، أما أفضل الأعمال المعمارية التى بقيت فهى أعمال «حتشبسوت»، و «تحتمس الثالث»، و «سيتى الأول»، و «رعمسيس الثانى»، و «رعمسيس الثالث».

والعديد من المنشآت القديمة التى مازالت قائمة بنيت حوالى ١٢٩٠ قبل الميلاد، بتوجيهات «رعمسيس الثانى»، الذى أقام الكثير من مشروعات الإنشاء الفخمة والضخمة، وأكمل بالرعمسيوم معبد أبيه الجنائزى الضخم على الضفة الغربية من النيل عند الأقصر، وكرسه لعبادة «آمون». وبدأ «رعمسيس الثانى» العمل فى «الرعمسيوم» بعد توليه العرش بوقت قصير، واستكماله حوالى العام الثانى والعشرين من عهده. وهو يتكون من معبدين، وبوابتين، وفناءين، وبهو الأعمدة الكبير. وعند الجدار الشمالى من بهو الأعمدة، بنى معبدا مخصصا لذكرى والدته «تويا» وزوجته «نفرتارى».

وفى ١٢٦٩ قبل الميلاد، أمر «رعمسيس الثانى» بإقامة أربعة تماثيل جالسة لنفسه بارتفاع ٦٥ قدما منحوتة فى الصخرة الخالدة. ولم تزين هذه التماثيل المعبد فحسب، وإنما أيضا عملت كحراس له. ولا بد أن المنحوتات التذكارية فى منحدرات «مونت رشمور»^(*) فى «ساوث داكوتا»، مستوحاة من عبقرية «رعمسيس الثانى» المعمارية المعروضة فى «أبو سمبل». وكرس المعبد لعبادة «آمون-رع» و «رع حارآختى»، و«بتاح». وقد حدد اتجاه المعبد بدقة، حتى أن أشعة الشمس الأولى تشرق فى الصباح مرتين سنويا- تسقط على الجدار الخلفى فى الحجرة الداخلية، وقدس الأقداس حيث تجلس تماثيل الآلهة الأربع. ويمكن فى عصرنا التمتع بهذا المشهد المهم يومى ٢٢ فبراير و ٢٢ أكتوبر من كل عام.

وإلى جوار قدمى الفرعون الضخمتين نحتت تماثيل مصغرة لزوجته الملكة «نفرتارى» وأبنائهم، لتأكيد جلال الفرعون. ويحتوى المجمع على معبد أصغر، مخصص لتخليد ذكرى «نفرتارى» و«حتحور». وتعتبر مقبرة «نفرتارى» فى وادى

(*) جبل غرب ولاية «ساوث داكوتا» الأمريكية نحتت عليه وجوه أربعة رؤساء سابقين للولايات المتحدة الأمريكية، هم: جورج واشنطن، وتوماس جيفرسن، وابراهيم لينكولن، وتيودور روزفلت- المترجمة.

الملكات الأكثر أناقة وفخامة، وقد أجريت عمليات للحفاظ على ما تضمه من أعمال فنية فخمة وألوان، وترميمها.

وفي الستينيات من القرن العشرين، أعيد إقامة معبدي «رعسيس الثانى» الرائعين فى «أبو سمبل» لإنقاذهما، بعد ارتفاع المياه بسبب إنشاء سد أسوان. وتطلب الأمر فصل التماثيل قطعة قطعة، ووضعها فى مستوى أعلى؛ وأعيد افتتاحهما فى خريف ١٩٦٨ ميلاديا.

وفى «أبيدجو»، بنى «رعسيس الثانى» مجمعه الجنائزى المكرس لعبادة «أوزيريس» و «إيزيس»، و «بتاح»، و «أمون-رع»، و «حورس»، و «رع- حار آختى». ويعتبر هذا أضخم المباني فى عهده، وفى تاريخ مصر القديمة. وقد عثر فيه على «قائمة أيدوس للملوك». وأقام «رعسيس الثانى» أيضا طريق تماثيل «أبو الهول» برؤوس الكباش، الرابضة أمام معبد الإله «أمون» (ذى رأس الكبش) فى الكرنك.؛ وهو أهم مزارات مصر إبان الدولة الحديثة. وبالإضافة إلى ذلك، رعى «رعسيس الثانى» مشروعات للبناء فى النوبة، حيث أنشأ ستة معابد. ونقش على «الرعسيسيوم»، وعلى معبد «أبوسميل» ما يسميه «انتصاره» فى معركة «قادش». كما خلدت هناك فتوحاته السورية، والليبية، والنوبية، فضلا عن زواجه بأميرة من «الحيثيين». وكلما زادت المنشآت التى أقامها، تزايدت قوته كشخص، وكأسطورة.

وتعد «مدينة هابو» مجمع المعابد الجنائزية الذى بناه «رعسيس الثالث»؛ فقد كرر مثال «الرعسيسيوم» الذى بناه سلفه، بمعنى أنه كان يتكون من قصر، ومعبد، وبوابتين ضخمتين، ومخازن، وأماكن لإقامة الكهنة.؛ ليصبح المجمع آخر المنجزات المعمارية العظيمة فى عصر الرعامسة. ويعتبر «الرعسيسيوم» و «مدينة هابو» من أضخم المعابد الجنائزية فى غربى «أواست».

واستمر بناء المعابد خلال العصر البطلمى. ويعتبر معبد «إدفو» لعبادة حورس، ومعبد «دندرة» لعبادة «حتحور» من أعمال الفن المعمارى المصرى القديم العظيمة.

وعند المدخل الشمالى لباحة معبد «إدفو»- الموجود حتى الآن- يقف أحد التماثيل الأصلية للصقر، طائر «حورس» المقدس. وأهم ما يشتهر به معبد «دندرة» الأبراج

الفلكية المرسومة على سقفه . ويعتقد أن هذا المعبد أنشئ خلال القرن الأول الميلادي ،
تحت حكم الإمبراطور «تيبيريوس» ، عندما كان الرومان قد استولوا بالفعل على حكم
هذه الحضارة الباعثة على الفخر .

الفن

تأتى معظم معلوماتنا بشأن الحياة فى مصر القديمة من اللوحات التفصيلية التى خلفها المصريون القدماء وراءهم، لحسن الحظ . فقد زينت أعداد لا تحصى من مشاهد الحياة اليومية وأنشطتها، التى كانوا يأملون أن يمارسوها فى الحياة الأخرى، جدران المعابد والمقابر . وهم لم يبدعوا هذه الصور من أجلنا، ولا من أجل الفن، ولكن طلبا للخلود و كدليل يرشدهم إلى العالم الآخر . وكانت هذه الرسومات تهدف لمساعدة الميت على المشاركة فى هذه الأنشطة فى العالم الآخر .

و غالبا ما تمثل هذه اللوحات أوج حياة الشخص ، حيث يمارس الرياضة، أو يعزف الموسيقى، أو يقدم القرابين للآلهة . ويصور العديد من اللوحات الملونة المصريين وهم يرقصون، أو يلعبون، أو يتناولون الطعام، أو يؤدون طقوس العبادة، أو طقوس الحداد، أو يمارسون الإبحار، أو صيد السمك، أو قنص الحيوانات . وتظهرهم لوحات أخرى أثناء أداء الأعمال؛ مثل؛ الخبيز، والنسيج، والغسيل، والزراعة، والحصاد، والبناء، والقتال فى المعارك . ومن أقدم الأعمال الفنية الباقية جزء من إفريز رسمت عليه لوحة تعرف الآن باسم «إوز ميدوم»^(*)، عشر عليها فى مقبرة الأميرة «إتت»، وتعود إلى حوالى عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد .

(*) عشر على هذه الصورة الجدارية فى مصطبة «نفرماعت» وزوجته «أتت» فى ميدوم، حيث كانت تزخرف أسفل أحد حوائط الدهليز المؤدى إلى مقصورة «أتت» . وقد استعملت ألوان مستخرجة من مواد طبيعية لرسم اللوحة، فاللون الأبيض من الحجر الجيري، والأحمر من خام الحديد، والأخضر من الملاكيت . وكانت هذه المواد تمزج بزلال البيض . ويبين المنظر ثلاثة أزواج من الإوز تتغذى على الحشائش - المترجمة نقلا عن موقع «مصر الخالدة» .

وعلى مدار التاريخ المصرى، أبدع المصريون قطعاً فنية وتماثيل رائعة ذات ألوان مفعمة بالحياة. وكانوا يرسمون التفاصيل بدقة، وتميز أسلوبهم بالجمال والأناقة. وتوضح فخامة الأعمال، ثقة الفنان بنفسه، بينما يندر أن ينعم بحرية التخيل، حيث تعين عليه أن يعمل وفقاً لمواصفات أملاها الماضى. وكان الفن معروضاً للعامة، فيجب أن يكون سهل الفهم بالنسبة للمشاهد. وظل الفنان مجهولاً، حيث كان تقديم هذه الخدمة عمله المهني.

وخلال عصر الدولة الوسطى، عرف الرسامون باسم «مخططى الأشكال»، وكانوا يرسمون بحرية، بينما يتمكن المبتدئون من قواعد التناسب فى الأشكال بواسطة رسم شبكة خطوط متصالبة على اللوحة أولاً، باللون الأحمر. ويستخدم الأزميل لنحت الصورة أو نقش الكتابة الهيروغليفية على جدران المقابر والمعابد الجنائزية، ثم يقوم متخصص فى التلوين بملء هذه النقوش بالألوان؛ ومن ثم، كان هناك نوعين من الرسامين فى مصر القديمة، الأول يرسم الخطوط الخارجية أو يحدد الأشكال، والثانى متخصص فى التلوين.

وتؤلف الألوان من أصباغ معدنية فى هيئة مسحوق، وماء يخلط بالطمي، والصمغ، والشمع، والعلكة، وزلال البيض. وتضاف أنواع مختلفة من الراتنج كعوامل تماسك. وتستخدم فى التلوين قلم من الحطب أو فرشاة ذات شعر ناعم، تصنع من عصا خشبية، فى طرفها ألياف نباتية منسلة. ويغطى بعض الفنانين أعمالهم بعد الانتهاء من تلوينها بطلاء شفاف مصنوع من شمع النحل أو صمغ شجرة السنط المخفف، بهدف الحفاظ على الألوان. وربما أضفى ذلك لمعاناً على اللوحة فى المدى القصير، لكن تأثيره صار عكسياً بحلول عصرنا.

وتكونت لوحة ألوان الفنان من اللون الأبيض «هدج» الذى يكون بمزج الطباشير أو الحجر الجيري المسحوق، أو الجبس، مع العسل. بينما يعطى كبريتيد الرصاص، والفحم النباتى، والكربون، وعظام حيوانات محترقة، أو أخشاب محترقة؛ اللون الأسود «خم». ويخفف اللون الأسود باستخدام الحجر الجيري لإنتاج اللون الرمادى. أما «الملاكيث» الموجود فى منطقة شرق الدلتا وفى سيناء، وغيره من خامات النحاس، يستخدم للحصول على اللون الأخضر «وادج» ويستخلص كل من الأحمر

«دشر» والأصفر «كيتدج» من صداً الحديد. ويتج اللون البنى من خام الحديد الممزوج بالأحمر والأصفر. أما اللون الأزرق «إرتيو» أو «خسبدج» فينجم عن استخدام الخنزف أو الزجاج المسحوق جيداً، وكذلك النحاس شبه المنصهر، أو اللازورد المسحوق.

ولون المصريون القدماء جسد الرجل باللون البنى الضارب للحمرة، بينما لون جسد المرأة باللون الأصفر المخفف أو البنى المائل للقرنفلى. ويشير هذا إلى أن الرجال يعملون أساساً خارج البيت، بينما عمل النساء يبقين داخل البيت. وكان اللون الأسود هو لون البعث، حيث يرمز إلى التربة السمراء التي تجف في الشمس، ثم يمنحها النيل الحياة. ويوضح الإله المرسوم باللون الأسود وضعه عند الدفن وعلاقاته. وقد يرسم الإله باللون الأزرق لتأكيد قدراته الإلهية. بينما يرمز الأخضر إلى الشباب والتجدد.

وبحلول الدولة الحديثة، بدأت تظهر درجات ألوان أكثر واقعية. فصورت الحيوانات بألوانها الطبيعية بقدر الإمكان. بينما صورت المياه والسماء باللون الأزرق، لون النيل والفرديوس والسماء. ورسم الكهنة أيضاً باللون الأزرق، وهو لون اعتبر روحياً ومقدساً. وغالباً ما طليت الآلهة بالذهب رمز جسد رع. بينما صور النوبيون باللون البنى القائم.

منظوريات مختلفة

رسم المصريون القدماء الأشياء والمخلوقات ذات بعدين، دون أى إشارة للمنظور أو العمق، كما لو كانت تمتد على سطح مفلطح. وإذا كان الرسام مكلفاً برسم بركة بها أسماك، فإنه يرسم مستطيلاً كامل الشكل دلالة على البركة، ويرسم الأسماك فى صورة متكررة ومتساوية فوق البركة. ويرسم صندوق ملئاً بالقرايين بتصوير القرايين فوق الصندوق، وكل منها بشكله الحقيقى والكامل، من دون تداخل، أو إخفاء أى جزء منها. ويعرف المشاهد كيفية تفسير العلاقات المكانية لعناصر اللوحة. فكان الفن، مثله مثل الهيروغليفية، يجب أن يقرأ على أنه يحوى رسالة.



واعتبر كل ما هو مرئى أبدياً؛ لذلك كان ينبغى الإشارة إلى الملامح الرئيسية، بمعنى أكبر قدر يمكن تصويره من الجسد. وغالبا ما تصور الوجوه والأشكال الخارجية من الجانب، مع إضافة مناظر أمامية عند اللزوم لتقديم معلومات كاملة. فلو رسمت الرأس من الجهة الأمامية، فإن حدود الأنف ستختفى، ومن ثم لن يستمر في الوجود؛ وكان الأنف مهما، حيث غالبا ما يعبر عن الحب بحك أنفى الشخصين معا. وكان الأنف أيضا يرمز إلى الفرح، واستخدم منظره الجانبى كمحدد للكلمة الهيروغليفية التى تعنى «يلثم». غير أن العين فى الجانب الذى يواجه المشاهد يمكن أن ترسم من الأمام. ويرسم الكتف أيضا من المنظر الأمامى، حيث قد تفقد إحدى الذراعين، فى حالة رسم المنظر الجانبى بصورة صحيحة. إلى جانب أن المصريين كانوا مغرمين للغاية بالحلى، وإذا رسم الجزء العلوى من الجسد من الجانب، فلن يعجب أحد بالخطوط الخارجية، والتفاصيل الفنية لقلائدهم وصدرياتهم، مما يقلل من المتعة الفنية للمشاهد ومن إحساس صاحب الصورة بالرضا.

وترسم ساقا الإنسان من الوجهة الجانبية، على نحو يشى بالحركة والحياة. وغالبا ما كان شكل الرجل يرسم مواجهها لليسا، مع اتجاه الرجل اليسرى للأمام حتى لا يوحى إخفاء الرجل الأخرى بعدم الاكتمال. وكان الرجل يبدو فى حالة حركة، أثناء الصيد أو القتال، بينما قدما المرأة تبدوان عادة معا، رمزا على مكوئها بالبيت.

أما أولئك الأدنى منزلة، فلا يعاملون باهتمام كاف؛ فالأسرى والمعبودات الأجنبية، مثل «قطش» إلهة الطبيعة عند الساميين، صوروا من منظر أمامى كامل فى أفضل الأحوال. أما العمال والفلاحون والخدم، على نقيض غير منطقى من النبلاء والأسرة الملكية، فيرسمون عادة من منظر جانبى كامل، أو وظهورهم إلى المشاهد، على نحو طبيعى.

ورغم أنهم نادرا ما صوروا الرجل وهو يلف ذراعه حول زوجته، فعادة ما تصور الزوجة جالسة إلى جانب رجل زوجها، وإحدى ذراعيها حول كتفه أو وسطه. وهناك نحت ملون من الحجر الجيري لقزم اسمه «سينيب» (حمل لقب رئيس البيت الملكي للنسيج) وأسرته، عاش خلال عصر الأسرة السادسة تحت حكم الفرعون «پيبي الثاني»؛ يظهر القزم جالسا في وضع الكتابة. وتجلس إلى جانبه زوجته «ستيتوتيس»، وإحدى ذراعيها موضوعة برقة حول كتفه الأيمن، والذراع الأخرى تلمس في حنو ذراعه اليسرى. ويظهر تحت «سينيب» تمثالين مصغرين لابنهما، مرتديا خصلة الشعر اليمنى الخاصة بالشباب، وابتتهما.

وكان من شأن رسم الفرعون في حجم متناسب مع عائلته، أن يقلل من شأنه في الحياة، فيما يتجاوز البعد البدني. حيث ينبغي أن تمثل مكاتته وهيبته على النحو الذي يمثل عليه جسده؛ فالحجم يمثل السلطة، والقوة، والهيمنة. وتوضح التماثيل العملاقة في معبد «رعسيس الثاني» هذا التقليد بجلاء، حيث صاحب هذه التماثيل، تماثيل أخرى أصغر كثيرا لزوجته وبنيه.

ونحتت التماثيل بحيث تبدو أقرب ما يمكن شبها لصاحبها، حيث كان الغرض منها أن تعود للحياة إلى الأبد (أو على الأقل تساعد روح الشخص الذي تصوره على هذه العودة). ونحتت التماثيل من المرمر، والجرانيت، والحجر الجيري، والديوريت، والحجر الرملي، والبازلت، والكوارتز، كما صنعت من الطمي والخشب والعاج والبرونز والذهب. وهناك تماثيل توضع في مقبرة لتعبد، أو تتلقى القرابين اليومية. وينقش النحات اسم الشخص على التمثال، لتسهيل التعرف عليه وتحديد هويته.

ويصور الكتبة دائما في وضع الجلوس التقليدي مع تشابك الرجلين، في استعداد للكتابة. مع وضع فرخ من ورق البردي على الركبتين وقلم من الحطب في اليد. كما تنحت وجوه التماثيل الجالسة شاخصة إلى الأمام دائما، بينما تماثيل الرجال أو الآلهة الواقفة، تتخذ فيها إحدى القدمين خطوة للأمام.

. وإبان عصر الدولة الوسطى، ظهر نوع من التماثيل، عرف باسم «تماثيل الكتلة»؛ حيث تبرز الرأس فقط من شكل الجسد الذي يتخذ شكل الكتلة الواحدة. ويظهر تماثل

كتلة «سينيب» فى وضع الجلوس ، وذراعيه مثنيتان فوق ركبتيه وتحت ذقنه . ومنقوش على الجسد المكعب الشكل نقوش هيروغليفية .

وحقق النحاتون تأثيرات بصرية رائعة وبارزة فى أعمالهم الفنية ، بغرس عيون مصنوعة من الكريستال الملون ، أو «الأوبسيديان» ، وهو زجاج أخضر قاتم اللون ، أو أسود ، نجم عن نشاط بركانى ، مما يضيف عليه تأثيراً واقعياً ومروعا للغاية . وهناك اعتقاد أن تمثالا بالحجم الطبيعى للكاهن الأكبر «رع حتب» إلى جوار زوجته الأميرة «نوفرت» (حوالى عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد) أثار رعب لصوص محتملين فى عام ١٨٧١ الميلادى ؛ حيث فزع اللصوص من العينين المرصعتين البراقتين ، اللتين بدتا متحركتين فى ضوء شموع حملها اللصوص ، حتى أنهم ألقوا أدواتهم وأسلحتهم وفروا رعباً .



ومن أجمل أمثلة الفن فى مصر القديمة تمثال «نفرتيتى» النصفى الذى عثر عليه سليما ، فى «أخيتاتون» ، بورشة نحات اسمه «تخوتمس» . ويلفت النظر فى التمثال ألوانه وتفصيله ، التى بقيت سليمة لما يزيد عن ثلاثة آلاف عام بفضل الرمال والمناخ الجاف . وعثر على التمثال النصفى عام ١٩١٢ ميلاديا ، فى وضع مقلوب وسط تماثيل محطمة وقطع من الحجر المكسور .

وكان استوديو «تخوتمس» مدمرا بالكامل تقريبا ؛ فمعظم التماثيل هشمت بوحشية ، فى محاولة لتدمير الصورة وجعل الشخص المعنى منسيا دائما ، بما يعنى حذفه من الوجود . لأنه بمجرد هلاك الجسد ، فالتمثال يضمن الأبدية لصورته ، فضلا عن أنه يعمل كمكان لإقامة روح المعبود .

الثورى يظل دائما ثوريا

ظلت قواعد الفن ثابتة عبر تاريخ مصر القديمة، ولكن خلال عصر الدولة الحديثة، بلغ الفن أعلى ذراه. وجاء التغيير الأعظم على يد الملك «أخن آتون»، الذى يبدو أنه كان يتمتع بإحداث صدمة للجماهير. فهو لم يبعث الروح الثورية فى الدين فحسب، وإنما فى الفن أيضا. وخلق «أخن آتون» ما يعرف الآن بالأسلوب الفنى المتميز «فن العمارنة»، نسبة إلى العاصمة التى أنشأها. ولا يختلف هذا الأسلوب فى الموضوع الفنى فحسب، وإنما فى تناسب الشكل الإنسانى أيضا. وفى عهده هجرت تماما الأساليب التقليدية فى الفن. فكانت الأشخاص تصور حتى بداية عهده، فى صورة مثالية للشباب والجازبية، على غرار الصورة التى تمنى المصريون القدماء أن يبقوا عليها ويتذكروهم الناس بها؛ حيث غابت فى الصور الفنية مظاهر التقدم فى السن، والمرض، والتشوّهات البدنية.

وفى أسلوب العمارنة لم يعد كمال الجسد الإنسانى عاملا سائدا. وبدأت تظهر السمات والأناط البشرية الواقعية، حتى ولو لم تكن جذابة؛ حيث كانت اللوحات ترسم بأسلوب حميم، وغير متكلف، وإبداعى، ومبتكر. وكان يعتقد أن الفرعون العظيم نفسه لديه بعض التشوه، وظهرت هذه السمة فى جميع الفنون التصويرية. وصورت زوجته «نفرتيتى» وبناتها الست أيضا بأسلوب مختلف؛ يتمثل فى جماجم مطولة، وعيون ضيقة، ورقاب طويلة، وأذرع نحيفة، وأرجل قصيرة، وأفخاذ ضخمة، وبطن بارزة.

وكان «أخن آتون» أول فرعون يصور باعتباره رجلا محبا لعائلته، أثناء قيامه بأعمال حنونة مثل اللعب مع بناته المحبوبات، وإظهار الحب لزوجته. فحتى ذلك الوقت، كان الفرعون غالبا ما يصور فى أوضاع جليلة، أو أثناء المعارك والفتوحات، أو عائدا إلى الوطن منتصرا؛ وهى المشاهد التى تركز على طبيعته الذكورية، وقيادته الناجحة.

وساد أسلوب العمارنة خلال سنوات حكم «أخن آتون» السبع عشرة، ولكنه سرعان ما فقد شعبيته عقب موت الفرعون. غير أن بعض آثار هذا الأسلوب يمكن ملاحظتها خلال الجزء الأول من حكم «توت عنخ آمون»، ربما احتراما لصهره. وعلى

ظهر كرسى عرش «توت عنخ آمون» الفاخر، صورت محبوبته «أخيسن آمون» وهى تلمس كتفه بحنان. وهذا يماثل بوضوح أو يعتبر استمرارا للأسلوب غير المتكلف والحميم فى فن العمارنة. ويمثل فن العمارنة، باعتباره اتجاهها فريدا فى مجال تقليدى للغاية، قمة فى الفن المصرى، كما ينقل إحساسا مبهجاً بالإبداع، والحرية، والموهبة.

الأدب

عاش العديد من الأعمال الأدبية من مصر القديمة آلاف السنين . فقد ألف المصريون القدماء الحكايات، والابتهالات، والتراتيل، والأساطير، والأمثال، والقصائد، فضلا عن قصص الرحلات والمغامرات. وبقيت حتى الآن سير ذاتية، وقصص حب عاطفية وشعرية، وحكايات خرافية فائقة الخيال، رغم أن أسماء مؤلفيها لم تعش .

ويعتبر الإنتاج الأدبي في عصر الأسرة العشرين من أرقى أنواع الأدب . وأضفت المهارة الهائلة في التعبير، مع روح الفكاهة، والسخرية، والبلاغة، والتلاعب بالألفاظ؛ سحرا على الكتابة . وسرعان ما انتشرت هذه الأعمال الرائعة إلى بلدان أخرى، لتلهم الكثير من الكتاب .

وانقسم الأدب إلى نوعين : الكتابات المقدسة، والكتابات غير الدينية . وكتبت النصوص المقدسة لإرشاد المتوفى عبر أخطار العالم السفلى، إلى طريقه للانضمام إلى «أوزيريس» في «آمتي» . وتكونت هذه النوعية من الكتابات الأسطورية، والفلكية، والسحرية؛ بالإضافة إلى الشعائر، والتراتيل للمعبود، والنصوص الجنائزية . وتعتبر «متون الأهرامات» أقدم الكتابات المصرية الباقية؛ وهي منحوتة داخل أهرامات الدولة القديمة، ويشار إليها في الأغلب الأعم باسم «كتاب الموتى» .

وغالبا ما ينقش على المقابر الخاصة بسيرة المتوفى، وإنجازاته . وتتضمن الكتابات غير الدينية سردا لأحداث مهمة في حياته، ومنها المأسى، والمغامرات، والمخاوف، والآمال، وأوقات الفرح، وأوقات الحزن .

ومن بين أرقى الكتابات ما جاء فى ميدان الشعر الرومانسى والغنائى ؛ أكثر أشكال التعبير الإبداعى المصرى فردانية . وتعتبر تراويل الملك «أخن أتون» الرائعة لمعبوده الشمسى «أتون» أمثلة ممتازة على هذا النوع من الأدب .

وظهرت الكتابة الدينية خلال عصر الأسرة الثانية عشرة . وقبل ذلك ، كانت القصص تروى ، وتتناقل شفها عبر الأجيال . وفى ذلك العصر ، تطورت الحكاية السردية لتصبح حرفة راقية . وبعد ثمانى أسرات ، تطور الشعر الرومانسى ، والقصص الخرافية إلى أنواع أدبية متميزة .

وظهر أدب الحكمة فائق التطور ، ليعبر عن أفكار العصر الفلسفية . وعملت العديد من الكتابات كتعاليم تعتمد على قوانين «ماعت» - الفضائل ، والقيم ، والمرشد الأخلاقى الذى كان على المصريين القدماء الحياة وفقا لها . وتتكون هذه الفضائل من : الاستقامة ، والتواضع ، والاحترام ، والأمانة ، والعدل ، والاعتدال ، والمعروف . وتحتوى «تعاليم هاردچيديف» على مجموعة قوانين أخلاقية . وكان « هارچيديف » حكيما فى الأسرة الرابعة ، جمع هذه الأفكار لابنه كى يعيش بمقتضاها . أما «تعاليم پتاح حتپ» ، المكتوبة أيضا خلال عصر الدولة القديمة ، فهى نص يحتوى على ملاحظات أخلاقية كتبها « پتاح حتپ » الحكيم والوزير من الأسرة الخامسة .

الحقيقة تنكشف

تظهر قصة رائعة بعنوان «الصدق والكذب» أو «ماعت وجيريج» بوضوح محاسن أن يكون الإنسان صادقا . ففى الزمن الذى كان «رع» يحكم فيه مصر كبشر فان ، عاش شقيقان ؛ يدعى أحدهما «الصدق» وهو طاهر من الخطايا ، ويحيا وفقا لقوانين «ماعت» ، بينما يمتلك شقيقه «الكذب» أكثر القلوب سوادا ، وكان معتادا على الخطايا . وفى أحد الأيام ، طلب «الصدق» أن يستخدم سكيئا من سكاكين أخيه . وتردد «الكذب» لكنه وافق فى النهاية . وعند انتهاء اليوم ، اكتشف «الصدق» أنه أضاع سكين أخيه ؛ فرجاه أن يسامحه ووعد به أن يعوضه بدلا منها فوراً . فأجاب «الكذب» بان السكين كان «فريدا ولا يمكن تعويضه» . وقال «الصدق» إنه كان سكيئا عاديا ، وإنه سيعطيه بدلا منه سكيئا أكثر حدة وأكبر حجما . فأصر «الكذب» على تعلقه بسكيئته الذى صار فجأة غير عادى ! وشعر «الصدق» بالعجز .

وأحضر «الكذب» شقيقه «الصدق» أمام تاسوع آلهة «لونو» ليحكموا بينهما. وأصر على ادعاءاته الكاذبة، بينما ظل «الصدق» مأخوذاً بمدى زيف شقيقه واتهاماته. ووقف في رهبة بينما حكم الآلهة لصالح شقيقه، حيث لم يستطع هو أن يدافع عن نفسه.

وعندما سئل «الكذب» بواسطة الآلهة عن العقوبة التي ينبغي أن تطبق على شقيقه، أجاب بأن تؤول جميع ممتلكات شقيقه إليه، وأن يصبح «الصدق» خادماً له، وأن تقتلع عينيه.

وبعد تنفيذ كل ذلك، وشاهد «الكذب» شقيقه أعمى، شعر للمرة الأولى بالذنب. ولم يستطع تحمل الشعور، فأمر بقتل «الصدق». وفي ذلك الوقت، شعر رجال «الكذب» بالشفقة العميقة على سيدهم السابق، وبدلاً من قتله قرروا أن يتركوه وسط الجبال الوعرة مع بعض المؤن. وكان على الآلهة أن تصدر القول الفصل في مصير «الصدق».

وجاب «الصدق» عبر الوادي، متلمساً طريقه، بينما يتناقص ما لديه من غذاء وماء في بطنه. ورقد ليستريح، متمنياً أن يخلصه الموت مما هو فيه. وبعد وقت قصير، مرت امرأة جميلة ومعها خادماتها، فعثرت على الشاب العاجز الكفيف، وهو على وشك الموت. وأخذته إلى عزبتها، وأمرت له بحمام من الزيوت، وأطعمته أفخر أنواع الطعام، وألبسوه ملابس نظيفة من الكتان؛ ثم منحته وظيفة «حارس الباب»، ولكن سرعان ما أصبح هو ومضيفته عاشقين.

ونتيجة لذلك، وبعد الفترة المقدرة، ولدت طفلاً، كبير ليصبح رجلاً قوياً ووسيماً، غير أنه لم يكن يعرف أباه. وفي أحد الأيام، عندما كبر بما يكفي ليتساءل، توسل إلى أمه لتخبره عن من يكون أبوه. فأشارت إلى «الصدق»، الذي كان جالساً يحرس بوابات أملاكها. وشرحت للولد أنها أحبت «الصدق» حباً شديداً. ولكن للأسف، إن القانون لا يسمح لسيدة من طبقة النبلاء أن تتزوج خادماً كفيفاً.

واشتد غضب الصبي على نحو بالغ، وتحدث إلى والدته بتحد للمرة الأولى. وأعلن أن والده لن يجلس بعد ذلك كخادم وحارس على البوابات. وذهب إلى «الصدق» وأخذ بيده إلى العزبة، وألبسه ملابس النبلاء. وشعرت الأم بالفخر الشديد

إزاء هذا المعروف الجريء، الذى ألهمها بدورها أن تقيم وليمة فخمة على شرف «الصدق». وخلال هذه السهرة، أعلنت للجميع أن الخادم الكفيف لم يكن فقط والد ابنها، وإنما حب عمرها.

وهنا أخذ الصبى يتعجب كيف يمكن أن يعانى رجل طيب مصيرا كمصير «الصدق». ولم يكن أمام «الصدق» إلا أن يخبر ابنه القصة كلها، وكيف خدعه «الكذب»، وهو ما أثار حفيظة الصبى؛ الذى تعهد بالثأر من عمه.

وفى اليوم التالى، اختار الصبى أفضل الثيران وأكبرها، واتجه إلى عزبة «الكذب». وفى طريقه، توجه إلى راع للغنم وشرح له أن لديه عملا يستغرق منه بضعة أيام، ولن يستطيع أن يأخذ الثور معه. وطلب من الراعى أن يعتنى بالثور حتى عودته؛ ومنحه مبلغا طيبا من المال، ثم اتخذ طريقه إلى البلدة سرا.

وخلال ذلك الوقت، زار «الكذب» الراعى لينتقى ثورا جديدا لمزرعته. وفورا اختار الثور الكبير، ورغب فى الحصول عليه من أجل وليمة يعتزم إقامتها. فاحتج الراعى بأن الثور ليس للبيع، وأنه يعتنى به فحسب لحساب التاجر المسافر. وعندما لم يجد الراعى أى خيار آخر أذعن للأمر مرغما.

وفى اليوم التالى، جاء ابن «الصدق» ليستعيد ثوره، ولاحظ اختفاءه؛ فتلعثم الراعى وتمتم بانفعال أنه يستطيع أن يأخذ أفضل ما لديه من الثيران بدلا منه.

فاشدد سخط الصبى، ورفع دعواه إلى آلهة «لونو» التسع؛ قائلا أن الثور كان ارتفاعه يبلغ عشرة أقدام وإنه «متفرد ولا يوجد بديل له». فتحدث «الكذب» بهدوء، وقال إن الثور كان يزيد فى الحجم قليلا عن الثيران الأخرى، لكن طوله لم يكن عشرة أقدام! ودهش الآلهة أيضا من ادعاءات الصبى بشأن هذا الثور العملاق، لأن حيوانا مثل هذا لم يحدث أن شاهده أبدا إنسان ولا إله. وهنا، رد الصبى سائلا الآلهة عما إذا كانوا رأوا سكيننا مثل التى وصفها «الكذب» قبل سنوات. وكشف الصبى عن هويته، وفضح خداع وزيف «الكذب» أمام الآلهة التسعة.

وحول الآلهة أنظارهم إلى «الكذب» بينما هو يتوسل طلبا للمغفرة، ولتأكده من أن «الصدق» قتل على أيدي رجاله قبل سنوات؛ اقترح فى دهاء أنه لو كان «الصدق»

حيا، فإنه يقبل أن يعانى نفس المصير الذى كان على أخيه أن يواجهه . وسر الآلهة بهذا الاعتراف واختيار العقوبة .

وفى تلك الأثناء أرسلوا من يبحث عن «الصدق» فى العزبة، وأحضره أمام الجمع . وفتح «الكذب» لم رأى أخيه، وفتح أكثر عندما وجد نفسه يجر إلى عقوبة الموت التى نطقها بلسانه . أما «الصدق» فلم يستعد أملاكه وثروته فحسب، بل أن الآلهة كانوا رحماء به لدرجة أنهم أعادوا إليه بصره . ولما استعاد وضعه كرجل نبيل؛ مضى قدما فى الزواج من أم ابنتها الرائع .

وعرفت الدولة الوسطى بأنها «العصر الذهبى للأدب»؛ حيث ظهرت أجناس أخرى فى الكتابة . ومن الأرجح أن الأعمال التى صدرت خلال هذا العصر، كانت مماثلة لأعمال أقدم تعود إلى الدولة القديمة . وعلى مدى القرون، غالبا ما كانت هذه الأعمال ينسخها تلاميذ المدارس كتمارين للتدريب على الكتابة .

وشملت الأعمال المصرية غالبا قصصا عن المعبودات، ومجموعات من الحكم أو الأمثال، والملاحظات الأخلاقية والخبرات الحياتية، وعدة روايات لقصة الخلق . واستوحى المصريون العديد من الأساطير والتراويل أيضا من الشمس والنيل؛ مصدرى الحياة .

وكان أدب الحكمة مشوبا بالسياسة؛ يكرس مكانة وسلطة الفرعون . ووفرت الأبحاث العلمية؛ مثل «بردية رين» فى الرياضيات، والنصوص الطبية، مثل «بردية إيبرس» التى تعود إلى الدولة الحديثة، ثروة من المعلومات فى هذه الأمور . ومنذ عصر الدولة القديمة فصاعدا، جرى تصنيف هذه الأعمال وتجميعها، وإدخال تحسينات عليها، والرجوع إليها للاستفادة على مر القرون .

وغالبا ما تنتهى القصص برسالة أخلاقية . ومن أشهر الأعمال فى الدولة الوسطى «قصة سنوحى» التى تبرز تعلق المصرى بوطنه . وتعتبر قصة «سارق الكنز» عن الإعجاب بالمكر والنهاية السعيدة المعتادة . وتحمل قصة «الملاح التائه» تشابها مع أعمال ظهرت بعد ذلك مثل «سندباد البحرى»، فكلا القصتين تتضمن تجربة ملاح تائه على جزيرة يسكنها ثعبان عملاق . وهناك قصة أخرى كتبت خلال عصر أحمرس الثانى (فى

الأسرة السادسة والعشرين) تتوازي مع قصة «سندريلا»، وتشمل كلا القصتين حذاء أحمر، وبحث عن المرأة التي تناسب قدمها الحذاء تماما.

رواية شيقية

وهناك قصة شعبية أخرى اسمها «الاستيلاء على يافا»، تشبه إلى حد كبير «على بابا والصوص الأربعون» من ألف ليلة وليلة. ووجدت أجزاء متفرقة من القصة منقوشة على ما يعرف باسم «بردية هاريس». وكتبت القصة خلال عهد «تحتمس الثالث»؛ أحد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة. فعندما تمرد أمير «يافا» على مصر، قتل العديد من الجنود المصريين الذين كانوا يتمركزون في تلك المدينة الفلسطينية، والمحطة المهمة على طريق التجارة مع الشرق. وبطبيعة الحال، لم يعجب هذا الأمر الفرعون، واستدعى المسؤولين، والكتبة، والنبلاء؛ لإعداد خطة للتعامل مع يافا. وخيم الصمت، بعد أن تأمل الجميع الموقف. وعندها، تقدم قائد يدعى «تحتوتى» عرف عنه الدهاء والشجاعة، واقترح خطة. تحدث فيها «تحتوتى» عن صولجان سحرى يمتلكه الفرعون، وهى عصا يمكن أن تجعل الشخص غير مرئى، أو تغير هيئته تماما. وفى إطار خطته للاستيلاء على يافا، طلب من الفرعون مائتين من أشجع جنوده، كما طلب السماح له باستخدام الصولجان لفترة مؤقتة. وكان على الجنود أن ينقلوا فى مائتين من البراميل الكبيرة المغلقة عليهم، والمحملة على ظهور مائتين من البغال، لإرسالهم إلى يافا.

واستخدم «تحتوتى» قوة شخصيته وقدرته على الإقناع حتى نال ثقة الفرعون؛ الذى أعجب بخطته. وحصل «تحتوتى» على جميع ما طلبه من عون؛ متعهدا- بدوره- باحتلال يافا والثأر لمصر.

واتخذ «تحتوتى» الخطوة الأولى؛ فبعث رسالة إلى أمير يافا؛ ادعى فيها أنه تخلص من حبه لمصر، وتخلى عن ولائه للفرعون. وقال إنه فر من مصر لأن حياته فى خطر بعدما خرج عن طاعة الفرعون. ونتيجة لذلك، عرض إخلاصه وخدماته على يافا.

وسبقت القائد سمعته؛ حيث كان الأمير قد سمع الكثير من القصص عنه، ورغم ارتياحه إلا أنه كان تواقا لأن يكسب مثل هذا القائد الداهية إلى صفه. وأنهى «تحتوتى» رسالته بذكر عصا الفرعون السحرية، التى وعد أن يهبها للأمير كدليل على ولائه الجديد ليافا. وابتلع الأمير الطعم، وأعد اللقاء فى مقره بميدان القتال.

وتناول الأمير والقائد الطعام والشراب بنهم معا . وربما كانت الصداقة الجديدة تدعو للسرور ، ولكن سرعان ما استبد الفضول بالأمر ، وكان شغوفاً بالتأكد من أن العصا السحرية بحوزة «تحتوي» . فأحضر العصا بلطف ، ثم رفعها عالياً وهبط بها على رأس الأمير ، الذى سقط على الأرض . ولجأ «تحتوي» لسحر العصا ، فحول نفسه ليصبح فى هيئة أمير يافا ، بينما قيد الأمير ووضع فى حقيبة جلدية كبيرة الحجم .

وأمر «تحتوي» (الذى أصبح الآن متخفياً فى هيئة الأمير) الحرس المتمركزين خارج الخيمة ، بمراقبة القائد المصرى ، المقيد داخل الحقيبة الجلدية ، بعد أن حاول اغتيال الأمير . ثم طلب البغال المائتين ، التى يحمل كل منها برميلاً ثقيلًا ، مدعياً أنها تحوى غنائم من «تحتمس الثالث» .

وما أن صارت البغال داخل حدود المدينة ، حتى قفز الجنود المائتان من البراميل ، وذبحوا حرس يافا ، وتقدموا للاستيلاء على البلدة بأكملها . واستسلم بقية محاربى يافا للمصريين لعلمهم أن أميرهم (الذى ظل غائباً عن الوعي ومقيداً) سيضرب عنقه . وسبق العديد من سكان يافا ليلجأوا فى البيوت الأثرياء كعبيد وخدم . ورقى «تحتوي» إلى أعلى منصب حكومى فى أرض مصر .

وتظهر بعض هذه الأفكار فى قصص أخرى قديمة . وعلى سبيل المثال جرى تهريب الرجال فى قصة «على بابا والصوص الأربعين» أيضاً فى براميل ، غير أنهم لصوص مسلحون ينتهى بهم الحال إلى مصير مفرع .

من يضحك أخيراً

ونختم هذا الفصل بقصة عنوانها «حكاية الشقيقتين» ، كتبت خلال عصر الأسرة التاسعة عشرة ، ويعتقد أنها كانت تزين مكتبة «سيتى الثانى» . وهى قصة الخيانة ، والإيمان ، والسحر ، وأخوين اسم أولهما «أنوبيس» والثانى «بيتو» صارا حاكمين لمصر . وتتضمن القصة شبيهاً قوياً بالقصة التوراتية «يوسف وامرأة بوطيفار» ، حيث تحتوى القصتان على محاولات إغواء من زوجة أخ تنتهى بحبس الأخ البرىء .

حيث عاش «أنوبيس» ، الأخ الأكبر عيشة ميسورة ، وكان متزوجاً ويمتلك بيتاً مريحاً ، ولديه الكثير من الماشية ، وحقل كبير . وكان شقيقه الأصغر ، «بيتو» ، يعمل

لديه ؛ ويمتلك موهبة كبيرة فى تربية الماشية ، حتى أنه يستطيع التفاهم مع الحيوانات بلغتهم .

وفى أحد الأيام ، حاولت زوجة «أنوبيس» إغواء «بيتو» ، لكنه صد محاولاتها . وكان فرعا من هذا التصرف الخياني ، وشرح للمرأة الغاضبة أنه يحب «أنوبيس» ليس فقط لأنه أخاه المحبوب فحسب ، ولكنه يحبه ويحترمه كأب أيضا . واتفق «بيتو» مع زوجة أخيه على ألا يعودا للحديث فى هذا الأمر مرة أخرى . ومع ذلك ، حنت المرأة بوعدها عند المغرب ، وأعلنت لزوجها إن «بيتو» تهجم عليها عندما كانت تمشط شعرها . وادعت أنها رفضت غوايته ، وسألته كيف يمكنه أن يتصرف هكذا مع أخيه الكبير ، الذى عامله معاملة الأب . أما «أنوبيس» فاستبد به الغضب وقرر أن يقتل شقيقه .

وفى هذه الأثناء علم «بيتو» من الماشية التى يرعاها بخدعة زوجة أخيه ، وحدثته الماشية عن غضب «أنوبيس» ونواياه . ففر من بيت أخيه ، ودعا «رع» أن يعينه ويرشده . وقبيل أن يصل إليه «أنوبيس» ، ، توسل إليه طالبا منحه فرصة ليخبره بالحقيقة . وفى اللحظة ذاتها ، خلق «رع» نهرا مليئا بالتماسيح ليفصل بين الأخوين . وهكذا يستطيعان التفاهم عبر مسافة آمنة . وشرح «بيتو» القصة كلها كما حدثت بالفعل . وفى أول الأمر لم يصدقه «أنوبيس» . فأقنعه «بيتو» ببراءته التى أثبتتها خلق «رع» للنهر حتى يتيح له فرصة إخبار شقيقه بقصته الحزينة .

فاعتد «أنوبيس» بكلمات أخيه ، التى كانت رغبته فى تصديقها شديدة بالفعل . وبينما بدأ غضبه يتلاشى ، أخذ «بيتو» سكيناً وطعن بها نفسه فسقط على الأرض . فقد كان يفضل أن يموت ويثبت براءته لأخيه ، على أن يحيا ليرى الشعور بالذنب فى عيني شقيقه الأكبر . وأصاب هذا التصرف «أنوبيس» بالرعب والحزن العميق ، فقد أصبح مقتنعا تماما ببراءة أخيه .

وردد «بيتو» قبل أن يموت ، تعويذة سحرت قلبه وأرسلته ليسكن فى أعلى فروع شجرة السنط ، ومن ثم حفظت حياته . وأوصى أنوبيس بأن يضع هذا الفرع فى الماء ، إذا حدث وسقط من الشجرة يوما ما . وقال له أنه سيعلم أن قلبه سقط من فوق الشجرة ، عندما تفور الجعة وتنسكب من القدح الذى يشرب منه دائما . وهكذا ، ذهب «بيتو» ليقم فى وادى أشجار السنط حيث يوجد قلبه .

وعند عودة «أنوبيس» لبيته، كانا مهتاجا للغاية بسبب رحيل شقيقه، وتأثر لذلك أيما تأثر، حتى أنه وجه طعنة بالحربة لزوجته الخائنة. ولم تعرف روحها الممزقة طعم الراحة بينما ظلت تبحث عن جسد تسكن فيه. وفي تلك الأثناء، شعرت الآلهة بالأسف من أجل الشقيقتين الجديرتين بالاحترام؛ فصنع «خنمو» زوجة على دولا ب الفخار من أجل «بيتو». وكانت فتاة جميلة اسمها «بنت نفر»، سرعان ما وقع «بيتو» فى غرامها. غير أن «الحتحورات السبع» أعلن أن مصيرها سيكون فجائيا وسىء الحظ.

ووجدت روح زوجة «أنوبيس» الخبيثة لنفسها مقاما جديدا فى «بنت نفر». وأخبر «بيتو» زوجته أن قلبه مستقر فى أعلى شجرة السنط، ومن يجده سيكون عليه أن يحارب «بيتو». وراحت «بنت نفر» تخبر كل رجل تقابله بموقع قلب زوجها. فتقاتل «بيتو» معهم جميعا وخرج منتصرا من كل معركة.

وفى أحد الأيام، قابل الفرعون الفتاة الجميلة ورجب أن يتخذ منها زوجة؛ غير أنها أخبرته إن زوجها شرير، وإن الوسيلة الوحيدة لتدميره هى قطع شجرة السنط التى تؤوى قلبه الطيب. وسرعان ما قطعت الشجرة دون تردد، فسقط «بيتو» ميتا على الأرض. ولم يمض وقت طويل حتى صارت «بنت نفر» زوجة الملك.

وكان «أنوبيس»، الذى عاش فى عزلة مريرة، ممسكا قدحا من الجعة، عندما بدأ الشراب يفور وينسكب. فعرف بما حدث، وذهب إلى وادى السنط، لاستعادة قلب وجسد أخيه. وظل يبحث سنوات دون جدوى، إلى أن عثر يوما على شجرة السنط ملقاة على الأرض. وأرشده حدسه إلى أنها ليست شجرة عادية، ومن المؤكد أنها تحمل قلب أخيه. فأخذها ووضعها فى الماء. وأثناء الليل عاد القلب إلى الحياة، وأعاد «أنوبيس» إلى جثمان «بيتو» مرة أخرى. فسعل «بيتو» واستنشق عبير الحياة مرة أخرى، وتعانق الأخوان.

ثم حول «بيتو» نفسه إلى عجل، تغطى جلده أغرب العلامات؛ فصار الآن مستعدا للانتقام. وشرع فى إعداد الخطة؛ فطلب من أخيه أن يمتطى ظهره ويسير إلى قصر الملك. ثم عليه أن يهدى الفرعون هذا العجل الصغير.

وعندما وصلا، سر الفرعون لم رأى العجل غير المؤلف، حتى أنه منح «أنوبيس» العديد من الكنوز، وأرسله إلى بيته. ولقى العجل أفضل أنواع الرعاية والاهتمام، وصار مدللا لأبعد حد.

وبلغت الأنانية والفضول حد الذروة فى نفس «بنت نفر»؛ فذهبت لرؤية العجل المدهش . وتحديث الحيوان بصوت «بيتو»، وكشف عن هويته الحقيقية ونواياه الانتقامية . فاستبد الرعب بقلب «بنت نفر» . ولم تخبر أحداً عن ذلك، غير أنها ذهبت إلى الفرعون، وطلبت منه ذبح العجل حيث أنها جائعة وتشتهى لحمه . وتردد الفرعون فى بادئ الأمر، ولكنه لم يكن ليرفض أيا من أمنياتها، حيث كان مفتونا للغاية بجمالها الفائق . وذبح العجل، وأكلت «بنت نفر» كبده؛ وظنت بهذا أن تلك هى نهاية «بيتو» .

بيد أن نقطتين من الدم سقطتا بينما كان العجل يذبح . وفى مكانهما تماما نمت شجرتان عملاقتان من أشجار «الأفوجادو» من نقطتى الدم؛ وزينتا مدخل قصر الملك .

وذاث يوم، ولم يكن وقت بعيد قد مضى، قررت «بنت نفر» أن تستريح بجوار شجرتى «الأفوجادو» . وبينما هى مسترخية تماما، كشفت الشجرتان لها عن هويتها مرة أخرى . وتوسلت «بنت نفر» للفرعون أن يقطع الشجرتين بغرض استخدامهما لصناعة أثاث ملكى جديد رغبت فى صنعه فجأة . ومرة أخرى تردد الفرعون، لكنه استسلم لنزوتها الغريبة، فقد كان جمالها يغطى نواياها الخبيثة .

ولما كان المصير قد تقرر؛ طارت شظية صغيرة من خشب الشجرتين أثناء قطعهما، لتجد طريقها إلى فم «بنت نفر»، التى ابتلعته .

وبعد تسعة شهور، ولدت طفلا، كبر وأصبح فرعوننا . وذاث يوم استدعى الفرعون الصبى إلى جواره جميع الحكماء، والنبلاء، والمسئولين فى البلاد، بالإضافة إلى والدته «بنت نفر» .

وكشف الفرعون أنه «بيتو» المذبوح ثلاث مرات على يدي «بنت نفر» . وأصدر الجميع قرارا بأن تدفع ثمن جرائمها وتواجه المصير الذى كانت «الاحتحورات السبع» تنبأ به .

وحكم «بيتو» كفرعون عشرين عاما، وكان شقيقه الأكبر «أنوبيس» يده اليمنى . وعقب وفاة «بيتو» أصبح «أنوبيس» فرعوننا وواصلت مصر الازدهار .



اللغة والهيروغليفية

من المؤكد أن الغالبية العظمى من المصريين لم تكن تجيد القراءة ولا الكتابة، إلا أن نسبة المتعلمين أعلى من نسبتها لدى البلدان المجاورة. وكان أى شخص من أى طبقة اجتماعية يتعلم هاتين المهارتين، يلقي احتراماً بالغاً بين قومه (أو قومها). واعتبرت إتقان القراءة والكتابة وسيلة للفرار من كدح العمل اليئوس الشاق.

وتأتى اللغة المصرية القديمة بعد السومرية كأقدم لغة مسجلة. وقد جرى التعرف على أنماط مختلفة من اللغة، تبدأ بالمصرية القديمة، لغة الحديث خلال عصر الدولة القديمة، واستخدمت فى النقوش. وفى عصر الاضمحلال الأول، وخلال الدولة الوسطى كانت لغة الحديث هى المصرية المتوسطة. وهذه هى المرحلة الكلاسيكية للغة المصرية القديمة. ونقشت أعمال أدبية عظيمة، ونقوش أثرية مهمة بالمصرية القديمة حتى العصر اليونانى الرومانى. وبحلول عصر الدولة الحديثة، صارت اللغة المستخدمة هى المصرية الحديثة أو المتأخرة. ومع ذلك ظلت الكتابات تنقش باللغة المتوسطة الكلاسيكية.

واكتشف مؤرخون أن الملكة «كليوباترا السابعة» كانت تتقن سبع لغات على الأقل؛ من بينها المصرية. وهى الوحيدة بين حكام البطالمة التى تحدثت لغة أهل البلاد فى مصر. وأتقنت أيضاً الحديث بالإنثيوبية، والعبرية، والآرامية، والسيريانية، والفارسية، ولغة سكان الكهوف.

وينسب إلى «تحوت» أنه مخترع الكتابة الهيروغليفية، واعتبرت قرينته «سيشت» ربة الكتابة. ومن بين أقدم، وأحب، وأهم الآلهة المصرية؛ «بتاح» الذى عرف بأنه «أول

الآلهة» و «سيد الحقيقة كلها». وكان الرب الراعى لمنف، حيث أقام «نعرمر» مركزا لعبادته حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد. وسمى معبده «حت-كا-بتاح»، وترجمتها «معبد روح بتاح». وحرف الإغريق هذه الكلمات إلى «إيچيتوس»؛ وهو ما يعطينا أصل تسمية مصر باللغة الإنجليزية «إيچيت».

ونجحت الحاجة إلى الكتابة من تزايد المتطلبات الإدارية والبيروقراطية لمصر الموحدة حديثا. وتأتى النماذج الأولى لاستخدام الهيروغليفية من النقوش على أغطية القوارير- والأدوات الفخارية التى عشر عليها فى المقبرة الملكية فى «أبدجو»، والتى تعود إلى بداية عصر الأسرات، حوالى عام ٣١٠٠ قبل الميلاد، وربما قبل ذلك.

وشكلت الكتابة الصورية أول هيروغليفية، تطورت إلى مجموعة من الرموز، تدمج الفن واللغة معا، بما يمثل أفكارا، وأصواتا، وأشياء. وأطلق المصريون على كتابتهم «ميدونتر» ومعناها «كلمات الرب». وما أن ينقش الرمز حتى يمنح صوتا وحياة. حيث أن ما يكتب يظل خالدا طالما بقى منقوشا. وقد دمرت أسماء الفراعنة المثيرين للجدل مثل «حتشبسوت» و «أخن أتون»، بقسوة ومحيت من جميع النقوش على أيدي خلفائهم الطموحين، بغرض محو ذكرهم والحكم عليهم بالانتفاء من الوجود.

ونظرا لوجود أكثر من وسيلة لكتابة كلمة معينة، استخدمت المئات من المحددات لتسهيل تفسير معناها فى كل مرة على حدة. وكما هو الحال مع معظم الكلمات التى استخدمت لوصف هذا التاريخ، فكلمة «الهيروغليفية» ذات أصل إغريقي معناه «النقوش المقدسة». واستخدمت «الهيروغليفية» أساسا فى الكتابات أو النقوش الزخرفية، والرسمية، والمقدسة، والدينية، حيث نحتت على الحجر والفخار. كما كتبت بالهيروغليفية أيضا السجلات المدنية والوثائق الملكية ذات الأهمية الدائمة، فضلا عن تسجيل الأحداث التاريخية.

وهناك شكل آخر من أشكال الكتابة هو «الهيراطيقية»: التى استخدمت لتسجيل المراسلات الأدبية، والعلمية، والحكومية، واليومية. وهى كتابة بسيطة وذات حروف متصلة، نشأت عن الهيروغليفية حوالى ١٧٨٠ قبل الميلاد. وتعتبر الهيراطيقية بالنسبة للهيروغليفية، مثل الكتابة اليدوية بالنسبة للكتابة المطبوعة. فكانت الهيراطيقية تكتب

بالخبر على ورق البردى، وقطع الخنزف، والخشب، والجلد أو رقائق الحجر الجيري. وظلت هذه الكتابة تستخدم حتى نهاية عصر الدولة الحديثة. وتعنى كلمة «هيراتيق» باليونانية «كتابة الكهنة» حيث كان الكهنة هم الذين يكتبون بالهيراطيقية عندما ينسخون النصوص التجارية، والمقدسة، والأدبية؛ حيث تكون السرعة مطلوبة. وكان الكتبة الذين يجيدون الكتابة الهيراطيقية أكثر من الهيروغليفية يحصلون على وظائف أدنى مرتبة، مثل تسجيل الأعمال الحكومية.

وكانت «الديموطيقية» نوعاً آخر من أنواع الكتابة، ظهر نحو نهاية العصر المتأخر. وتعنى «ديموتيكس» باليونانية «عام» أو «شعبى». ونشأت «الديموطيقية» عن الهيراطيقية حوالى عام ٧٠٠ قبل الميلاد، وهى تكتب على نحو أسرع وحر وفها متصلة بصورة تزيد عن شكل الكتابة الهيراطيقية. واستخدم هذا النوع فى الكتابات اليومية، والتجارية، والحكومية، والقانونية. واستمرت كتابة النصوص الدينية بالهيراطيقية، وظلت النقوش المقدسة المنحوتة على الحجر مسجلة بالهيروغليفية. غير أن الديموطيقية صارت تستخدم فى الكتابات الأدبية، فضلاً عن المراسيم الملكية المنقوشة على الأعمدة الحجرية. وكانت الديموطيقية آخر اللغات المصرية القديمة التى تكتب، وهى وتقرأ - مثل الهيراطيقية - من اليمين إلى اليسار.

واستخدم البردى للمرة الأولى فى نهاية عصر الأسرة الأولى. وعثر على لفافة منه غير مستخدمة فى إحدى مقابر سقارة. غير أن أقدم بردية مكتوبة معروفة حتى اليوم، ترجع إلى عصر الأسرة الخامسة. وصنع ورق البردى من اللحاء الخارجى لسيقان النبات، الذى يغمس فى الماء ويدق حتى يصبح مسطحاً، ثم ترص شرائط الورق فى صورة طبقات متقاطعة، وتتشابك لتصبح أفرخ ورقية. ويستخدم العصير الناتج عن دق السيقان كمادة لاصقة، حيث تلتصق الأفرخ معاً من الأطراف. ثم تجفف الأفرخ فى الشمس، والناتج هو المعادل لكتبتنا المعاصرة. أما بالنسبة للوثائق الأقل رسمية، فالأوستراكا، وهى رقائق من الحجر الجيري، أو الحجر المسطح، أو قطع من الفخار المكسور، مثلت بديلاً فعالاً أقل تكلفة للبردى. وجاءت كلمة البردى «پاپيروس» من اللفظ المصرى القديم «پاپير او» وهو اسم النبات.

وفى المصرية القديمة، تعنى «بير» البيت؛ وسميت مدن مثل «بير باست» و «بير رعمسو» و «بير أوزير» بهذه الأسماء لأسباب واضحة. وتعنى كلمة «فرعون» فى الأصل «البيت الكبير» حيث اشتقت من «بير» (بيت) و «عا» (كبير). وكان الفرعون بالفعل «بيت» روح الإله. وخلال عصر الاضمحلال الثالث، أو أوائل عصر الدولة الحديثة، تطورت هذه الكلمة لتعنى «حاكم مصر»، حيث اعتبر الفرعون «البيت الكبير» الذى يضم شعبه. ومن هنا صار الملك فرعوناً. غير أن الإشارات التى استعملتها المؤلفه للملوك الأوائل، باعتبارهم فراعنة تهدف للتبسيط وتوحيد المصطلح.

ومنذ عصر الأسرة الخامسة، منح الفراعنة عدة أسماء وألقاب رسمية؛ تتكون من الاسم الأول، وهو الاسم الذى يمنح للفرعون عند تتويجه. وغالبا ما يأتى هذا الاسم الملكى بعد اللقب «نوست - بيتى» أو ملك الوجهين القبلى والبحرى. ويعتقد أنه استخدم فى أواخر عصر الأسرة الثالثة عند تتويج الفرعون بالتاج المزدوج. ونقش هذا اللقب بالهieroغليفية مع نبات البردى، أو «نوست» رمز الوجه القبلى، والنحلة أو «بيتى» رمز الوجه البحرى. وكان الاسم الثانى لرعمسيس الثانى هو «أوزير ماعت ستپنر» وهو يترجم إلى «قوة وماعت رع المختار بواسطة رع».






























أما اسم الميلاد، مثل «رعمسيس»، فغالبا ما يليه لقب التشريف «سارع» ومعناه «ابن رع». ويحمل الملك أيضا أحد أسماء «حورس» التى تصف الفرعون بأنه التجسيد الدنيوى لحورس. وبدأ استخدام اسم «حورس» على يد ملوك الوجه القبلى خلال أوائل عصر الأسرات.

وحذفت من الكتابة الهieroغليفية الحروف المتحركة، التى نالت أعظم تقديس فى مصر القديمة؛ فاعتبرت الروح الإلهية للكلمات، وجعلها مرئية يعنى انتهاكا لحرمتها. ولم يكن يمتلك المعرفة الحقيقية بأصواتها الفعلية سوى الكهنة، الذين ينشدونها فى الترانيم الدينية. ويرجع إلى غياب الحروف المتحركة عن الكتابة الهieroغليفية السبب فى أن آلهة معينة غالبا ما تكتب أسماؤها بأشكال مختلفة مثل «رع» و «أمون» (*). وليس لدينا طريقة لمعرفة كيف كانت تنطق المصرية القديمة.

(* تقصد المؤلفه اختلاف طرق كتابة أسماء هذه الآلهة بالانجليزية مثل «رع» = Ra, Re . وأمون = Amen, Amon, Amun - المترجمة .

وخلال عصر الدولة المتوسطة، استخدم ٧٠٠ رمز للكتابة، وبحلول العصر البطلمي، كان هناك سبعة آلاف حرف هيروغليفى مستخدمة. وتكونت الأبجدية من ٢٤ شكلا تمثل الحروف الساكنة، التى شكلت الكلمات، وكان من الممكن كتابتها من اليسار إلى اليمين، أو من اليمين إلى اليسار، أو من أعلى لأسفل. وفى الأغلب كانت تكتب من اليمين إلى اليسار. وكان الاتجاه الصحيح للنص، يحدد بواسطة قراءته باتجاه وجوه الأشكال البشرية أو الحيوانية المرسومة.

وانقسمت الهيروغليفية إلى فئتين؛ رموز ذات معانٍ صورية تسمى صوريات، ورموز أخرى ذات قيم صوتية تسمى صوتيات. والعلامات الأبجدية التالية لا تشمل فقط رموزا للحروف الأحادية، ولكن أيضا رموزا للمحددات، ومئات من الحروف الثنائية والثلاثية أيضا. فعندما يقصد من الرمز أن يمثل الصورة المرسومة فعليا، تضاف إليه حركة للأعلى. وتشير ثلاث حركات رأسية إلى شكل الجمع من الكلمة المكتوبة. أما شكل المؤنث من الكلمة فينتهى بالرمز الدال على الحرف «تاء».

A			N	
B			O	
C			P	
D			Q	
F			R	
F			S	
G			T	
H			U	
I			V	
J			W	
K			X	
L			Y	
M			Z	

الحروف الهيروغليفية ومقابلها بالانجليزية

وأحيانا يستخدم أكثر من حرف واحد لإظهار صوت الحرف مثل «آ» و «ح» و «س» وغيرها. ولانعدام وجود حرف هيروغليفي يماثل حرف V وكان حرف f هو الأقرب له من حيث الصوت، استخدم الصوت الثانى فى كتابة الأسماء الهيروغليفية بحروف إنجليزية(*) . كما أن الحرفين K و Q يمثلهما حرف هيروغليفي واحد، وكذلك U و W وأيضا الحرف C كما ينطق فى كلمة city، والحرفين S و Z.

ومن هذه الأبجدية يستطيع قارئ الانجليزية أن يقرأ ويكتب الهيروغليفية عبر استخدام الحروف الانجليزية. ولم يستخدم حرف «اللام» حتى وقت متأخر من تاريخ مصر القديم. وتعتبر الحروف المتحركة الواردة فى القائمة السابقة، حروفا شبه متحركة فعليا حيث تضاف عند الكلام.

ونقشت الحروف الهيروغليفية على الحجر الجيرى، ورسمت على نحو فنى مبهم يسمى «ترجمة الصور»، لا يترك لنا مسافات خالية بقدر الإمكان. ولا توجد علامات ترقيم فى الكتابة الهيروغليفية.

ورغم أن اسم الإله قد ينطق فى نهاية العبارة، إلا أنه غالبا ما ينقش أولا احتراماً لقدسيتها. وهذا ما يسمى «الترجمة التقديسية». ومثال على هذا اسم الفرعون «أخن أتون»، الذى يكتب «أتون أخن» بوضع اسم الإله أولا.

وعند تحليل أصل الكلمات، نجد أن العديد من الكلمات الانجليزية لها أصول، أو على الأقل كلمات تاريخية موازية لها، فى المصرية القديمة، كما يبدو من القائمة التالية:

night = نوت	ebony = هيبينى
desert = ديشرت	adobe = أچوب
chemistry, alchemy = خيم	Hibu = إبيس
fellow = فلاحين	mother = موت

(*) لما كان الكتاب الأسمى مؤلفاً باللغة الانجليزية، فالمؤلفة هنا تخاطب قراء الانجليزية - المترجمة.

ويرى بعض الباحثين أن اللقب الانجليزي «سير» مأخوذ من أكثر الآلهة احتراماً «أوزيريس» ، كما أن الكلمة المصرية الدالة على «مسئول» هي «سير» .

ومن السهل أن نعرف لماذا كانت القطة تسمى عند المصريين «مياو» ، وعرف النبيذ باسم «إرب» وطبقاً لما ورد في قاموس وبستر العالمى ، فإن معنى كلمة «قيصرية» مشتق من الطريقة التى جاء بها يوليوس قيصر إلى العالم . وعلى النقيض من الاعتقاد السائد ، فإن كلمة «چيپسيس» الانجليزية الدالة على العجر ، لا تشير إلى المصريين «إيچپشيانر» وإنما هو اسم أطلق على الهنود الذين هاجروا إلى أوروبا فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، وكان يعتقد أنهم من أصول مصرية .

ويقضى الكتبة سنوات عديدة من التدريب المكثف ، قبل التمكن من مهارة الكتابة . وتكونت أدواتهم من لوحة خشبية أو حجرية تحمل وعاءين للحبر ، وأنية للماء ، مع طاقم فرشاة مصنوع من براعم النباتات . وكان الحبر يستخرج من نباتات مثل العرعر ، ويمزج بالصمغ ، والماء ، وخلاصات نباتية ، ونحاس ، وتراب . ويصنع الحبر الأسود من الفحم النباتى والسناج . أما الأحمر الذى يستخدم فى عناوين السجلات ، والترقيم فى الهيراطيقية ، وبدايات الفقرات ، وعناوين فصول الكتب ، وأعمال الشر ، فيؤخذ من صدا الحديد . وفى مقبرة «توت عنخ آمون» عثر على أقلام من الحطب ولوحة تلوين من العاج ووعاءين للحبر . كما عثر أيضاً على غطاء قلم خشبى على شكل ساق نخلة ، مطلى بالذهب ومطعم بالزجاج الملون ، حتى يستطيع الفرعون أن يكتب فى الحياة الأخرى .

وخلال عصر الدولة القديمة ، كان الفنان أو الكاتب يرسم خطأ أسود عبر كل حرف هيروغليفى باللون الأحمر ، بغرض تحييد التأثير المؤذى الذى يعتقد أنه يحدثه . أما الأفعى ذات القرن ، رمز الصوت «ف» ، وأيضاً رمز الضمير المفرد المذكر الدال على الفاعل أو الملكية أو المفعول به ، فترسم غالباً مع فصل رأسها عن جسدها للحيلولة دون حدوث تأثيراتها الشريرة . وكان يعتقد أن «أبوفيس» له تأثير مهلك ، ويتعين أن يطمس اسمه بصورة سحرية . وفى مقبرة «سيتى الأول» بوادى الملوك ، رسمت سكين تفصل رأس «أبوفيس» كما يبدو فى الشكل المحدد لاسمه . ولنفس هذا السبب ، غالباً ما يرسم التمساح المخيف مع حربة أو سكين تخترق جسده .

وفى جزيرة فيلة، عثر على آخر نقش هيروغليفى معروف، وهو يرجع إلى عام ٣٩٤ ميلادياً. وبحلول العصر الرابع الميلادى، كان يعتقد أن الكتابة الهيروغليفية معادية للمسيحية، لأنها وثنية بطبيعتها. ومع ذلك، فمن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن اسم «أمون» الخالق وسيد الآلهة مازال يردد بعد صلاة الرب «أمين».

وفى عام ٣٩١ ميلادياً أغلقت الإمبراطورية البيزنطية جميع المعابد المصرية باعتبارها مراكز عبادة وثنية. ودمر السيرابيوم، وغيره من المزارات المصرية. وكان آخر من استخدم الهيروغليفية قلة من الكهنة الذين بقوا على قيد الحياة. وعندما ماتوا، ماتت أيضاً القدرة على تفسير وكتابة النقوش المقدسة لمصر القديمة.

وفيما بين سنة ١٠٠ و٦٤٠ الميلاديتين، ظهرت لغة جديدة فى مصر. تطورت بوجه خاص واكتسبت شعبية حوالى سنة ٣٠٠ ميلادية. وتكونت هذه اللغة الجديدة من الأبجدية اليونانية، مع ست علامات إضافية، تمثل الأصوات المصرية المشتقة من الديموطيقية، غابت عن الأبجدية اليونانية. وعرفت هذه اللغة باسم «القبطية»، وهى كلمة مشتقة من الكلمة العربية «قبط» (الاسم الذى أطلقه العرب على المسيحيين المصريين). ويعتقد البعض أن كلمة «قبط» بدورها مشتقة من الاسم اليونانى «أچيتوس».

وماتت اللغة القبطية ببطء، وحلت محلها العربية. غير أنها مازالت لغة الكنيسة القبطية فى مصر. ويتقن حوالى ١٠٪ من السكان المصريين حالياً اللغة القبطية(*).

حل الشفرة

فى أحد أيام عام ١٧٩٩ ميلادياً، عثر بمحض الصدفة على مفتاح الإجابة الذى كان من شأنه فك شفرة الهيروغليفية. وذلك فى مدينة رشيد الواقعة على فرع النيل الغربى. وجاء هذا المفتاح فى صورة حجر عثر عليه مصادفة أحد جنود نابليون.

(*) هذا التقدير مبالغ فيه، فاللغة القبطية مستخدمة فى بعض الصلوات الكنسية فقط، ومعروفة لدى عائلات قليلة فى مصر، فضلاً عن المتخصصين - فى الدراسات القبطية وفى الآثار - الذين يدرسون اللغة القبطية ضمن تخصصهم الأكاديمى، لكن نسبة متقنيها تقل كثيراً عن النسبة المذكورة هنا، وترجع كثير من مفردات العامية المصرية إلى اللغة القبطية - الناشر.

وعرف هذا الحجر البازلتى الأسود المصقول باسم «حجر رشيد»؛ الذى حمل مفتاح حل الألغاز المقدسة للماضى المنسى . وبلغ وزنه حوالى ١٥٠٠ رطل ، وارتفاعه ثلاثة أقدام تقريبا ، بعرض يزيد عن قدمين ، وسمك ١١ بوصة .

وكان النص المنقوش عليه ، وصفا لمرسوم ملكى بوقف لأحد المعابد ، ويرجع تاريخه إلى ١٩٦ قبل الميلاد فى اليوم الموافق للسابع والعشرين من مارس بتقويمنا . وهو موجه إلى الملك بطليموس الخامس «إيفيفانز» ، بمناسبة الذكرى السنوية لتوليه العرش ، وكان هذا هو الاحتفال الأخير له . واحتوى اللوح على نفس النص مكتوبا بثلاث لغات مختلفة ، وحمل شكر من كهنة منف للفرعون ذى الثلاثة عشر عاما على مكرمه التى منحها للمعبد .

ونظرا لأن نفس النص مدون باليونانية القديمة والديموطيقية ، صار تفسير النص المكتوب بالهيروغليفية ممكنا . غير أن الكتابة الهيروغليفية المنقوشة فى الجزء الأعلى ، لم تحتو إلا على قدر قليل من الرموز ؛ حيث لحقها الضرر الأكبر بين اللغات الثلاثة . ولم يتسن العثور على الأجزاء المفقودة أبدا .

ولم يتيسر استكمال أعمال الترجمة قبل عشرين عاما . وحقق الانجليزى «توماس يونج» (١٧٧٣ - ١٨٢٤ ميلاديا) أول خطوة ناجحة فى هذا المجال . و«يونيغ» الذى كان قد أصبح قادرا بالفعل على القراءة عندما بلغ الثانية من عمره ؛ وعندما صار فى الرابعة عشرة كان يجيد ١٢ لغة على الأقل ؛ أصبح بعد ذلك طبيبا بارعا ، وعالما فى الرياضيات واللغويات ، حقق اكتشافات مهمة فى سبر أغوار الكتابة الهيروغليفية . وحقق أعظم منجزاته فى مجال علم البصريات الفسيولوجى .

وكان يونج أول من خلص إلى أن الهيروغليفية ربما تمثل صوتيات متجمعة فى كلمات . كما استنتج أيضا أن بعض الرموز الديموطيقية والهيراطيقية نشأت عن الكتابة الهيروغليفية . وحالفه الصواب عندما افترض أن الهيروغليفية تحتوى على كل من الأبجدية والرموز . ولم يتقن «يونيغ» المصرية القديمة بطلاقة ، الأمر الذى جعل تقدمه محدودا للغاية . ومع ذلك ، اكتشف المعانى الحقيقية لعدة رموز صورية وحروف . وحالفه الصواب أيضا فى استنتاج أن الأسماء الملكية تنقش داخل «خرطوش» . ومن هذا الاستنتاج اكتشف اسمى «بطليموس» و «كليوباترا» . وقارن بين الاثنين ولاحظ

أن كلا منهما يحتوى على ما يعادل الحروف «p, t, o, l, e» فى اللغة الانجليزية، وبذلك استطاع تحديد الحروف الهيروغليفية المعادلة لهذه الحروف، وتمكن من تفسير كلمات أخرى بالاستعانة بحروف هذين الاسمين .

ونشرت نتائج «يونج» عام ١٨١٩ ميلاديا، ونقلت إلى فرنسى اسمه «جان فرانسوا شامپليون» (١٧٩٠ - ١٨٣٢)؛ الذى كان فى طفولته عبقرىا، علم نفسه القراءة فى سن الخامسة، ثم انتهى به الحال قبل أن يبلغ السابعة عشرة إلى تعلم اليونانية، والقبطية، والعبرية، والكلدانية، والسنسكريتية، والعربية، والسيرانية، والفارسية، والپالية(*)، والفارسية، والزندية(**). وطبقا لما يروى، فقيل أن تلده والدته، جاءها شبح، أو فلكى، وأبلغها أن الطفل «سيكون له شأن فى إلقاء الضوء على قرون من الماضى».

وكانت اليونانية والديموطيقية معروفتين خلال القرن التاسع عشر الميلادى، ومن ثم تبين أن ما كتب على الحجر بكل منهما نصوصا متطابقا. فكان من الطبيعى افتراض أن النص الهيروغليفى أيضا يحتوى نفس المعلومات. غير أن «شامپليون» لم يتفق فى أول الأمر مع فكرة «يونج» أن الهيروغليفية تجمع كلا من الأشكال الصورية والصوتية. واعتقد «شامپليون» أنها مجرد أشكال صورية، أكثر منها أبجدية، ومضى قدما فى نشر هذه النظرية عام ١٨٢١. ولم يستطع أن يحقق نجاحا كبيرا، سوى لاحقا عندما درس نظرية «يونج» بمرونة أكثر. وأتقن «شامپليون» أيضا اللغة القبطية، وفى نهاية الأمر نجح فى ترجمة النص المنقوش على حجر رشيد بالكامل. وتعتبر قيمة عمل «يونج» مساوية تقريبا لما حققه «شامپليون»، الذى استكمل العمل ونشره عام ١٨٢٨، غير أنه لم يعط «يونج» المصدقية التى يستحقها بالفعل. ويوجد حجر رشيد حاليا فى المتحف البريطانى.

(*) لغة النصوص البوذية المقدسة - المترجمة.

(**) لغة الكهنة الزرادشتيين - المترجمة.

الطب

نشأ علم الطب فى مصر القديمة ؛ وكان المصريين أول من طبق وسجل نتائج الممارسات الطبية المتقدمة على نحو مدهش . ويرجع أول بحث طبي معروف فى علم الجراحة إلى عصر الأسرة الأولى .

ويرجع قصر متوسط عمر المصرى القديم إلى أمراض مثل السل ، ومتاعب الجهاز التنفسى ؛ كالالتهاب الشعبى ، وذات الرئة . وعانى المصريون أيضا من الطفيليات التى تدخل أجسامهم بواسطة المياه غير النظيفة ، ومخاطر الولادة ، ولدغات الثعابين ، وشلل الأطفال ، والأورام ، والروماتيزم ، وانحراف العمود الفقرى ، والتهاب الزائدة الدودية ، والالتهاب السحائى ، والجدرى ، والملاريا ، والحصبة ، والكوليرا .

وقضى الأطباء الطموحون سنوات عديدة من التدريب الشاق فى مدارس المعابد ، يتعلمون كيفية علاج الأمراض ، ولحم العظام المكسورة باستخدام أساليب طبية سليمة ، مثل المواد النباتية والحيوانية ، والتقنيات الجراحية . غير أن الأمراض غير المألوفة أو غير المعروفة ، كانت تعالج بالسحر أو «حكا» . واستخدموا فى علاج الأمراض عمليات جراحية معقدة ، وتفسير الأحلام ، والعلاج الإيمانى ، والتمائم ، والأعشاب ، ووصفات تشمل مكونات غريبة .

واكتسب المصريون أول معرفة إنسانية بعلم التشريح من الطقوس الجنائزية ، كما أدى المعالجون عمليات التشريح كجزء من عملية التعلم . وتدرّب الأطباء وتخصصوا فى مجالات معينة ، مثل طب الدماغ ، والأمراض الباطنية ، وأمراض النساء ، والعيون ، وكانوا يرجعون للنصوص ويدونون الملاحظات .

ومارست الطبيبات مهاراتهم ومعارفهن تحت إشراف السيدة «پيشيشيت» أولى الطبيبات فى التاريخ (الأسرة الخامسة). ولعل أول طبيب عيون كان يدعى «إيرى»، وكان كحالها، وطيبيا للأسرة الملكية خلال عصر الأسرة السادسة. ومن الملفت للنظر أن نلاحظ أن «إيرى» بالمصرية القديمة تعنى «عيون» أو «يرى».

ومارس أطباء الأسنان عمليات الحشو بلاصق معدنى أو خليط من الراتنج وحجر الملاكيت. وأوضح فحص المومياوات أن الأسنان المخلخلة كانت تربط بسلك من الفضة أو الذهب. ويبدو أن سلك الفضة استخدم فى العصر المتأخر. وارتفع الطلب على أطباء الأسنان؛ لأن تسوس الأسنان مثل مشكلة كبيرة، نتيجة لاستهلاك الخبز والكعك الذى اختلطت به الرمال أثناء عملية طحن الحبوب. وأظهر فحص مومياوات التى ترجع إلى عصر الأسرة الرابعة ثقوبا تحت الضروس نجمت عن عمليات جراحية، استخدمت لتجفيف خراييج. وظهر من مومياء «رعسيس الثانى» أنه عانى من التهاب اللثة وتسوس شديد فى الأسنان. وكان طبيب أسنان اسمه «حسى-رع» عاش حوالى ٢٦٠٠ قبل الميلاد، يعمل أيضا وزيرا ومسئولا كبيرا فى عهد «زوسر»، وخلال عصر «إمحتب»؛ وتضمنت ألقابه الكثيرة «كبير أطباء الأسنان» و«أعظم الأطباء وأطباء الأسنان».

وكان عدد الأطباء شديدا واحترام والبراعة محدودا، وأغلبهم فى خدمة الطبقة العليا، باستثناء الفترة خلال عهد «أخن آتون» عندما أمر الأطباء بتقديم خدماتهم للفقراء دون مقابل.

وعرف «إمحتب»، المعمارى الشهير، بأنه طبيب بارع أيضا. وبعد ألفى عام من وفاته، نال الخلود رغم أنه لا يحمل الدم الملكى، وألهه الإغريق، باعتباره «راعى الطب». وبنيت المزارات والمعابد تخليدا له. فهو لم يكن طبيبا للشعب فقط، ولكن للآلهة أيضا. فغالبا ما كانت توضع نماذج من الطين للعضو المريض من جسد الشخص فى معبد «إمحتب» حتى يشفيها. فضلا عن الاعتقاد فى أنه يشفى ويخفف آلام المرضى خلال نومهم.

وأجرى المصريون جراحات ناجحة لكسور العظام، بالإضافة للجراحات فى منطقة الدماغ، حيث أجريت عمليات جراحية معقدة. أما النبض فاعتبر «صوت القلب»، حيث أدرك المصريون القدماء أن القلب والنبض متلازمان.

لتحصل عليها مكتوبة

اكتشفت سجلات بردية تحوى أنواعا من العقاقير والأدوية، مما يعطى صورة جيدة عن المعتقدات والممارسات الطبية لذلك العصر. وكانت هذه النصوص تستشار، وتستخدم كمراجع لأنواع العلاج، وهو ما يوضح معرفة المصرى القديم بالطب، والعلاج، والتحليل، والتشريح.

وكتبت إحدى هذه البرديات قبل ٣٦٠٠ عام، وهى تصف مائة علاج وعقار. ويتضمن أكثر من نصفها استخدام العسل كمسكن، لتنظيف وتجفيف الجروح، والتعجيل بالشفاء. وتحتوى «بردية إيبيرس»، حوالى ٩٠٠ وصفة طبية، وسحرية، وتعاويد، ورقى لأى علة. ويعود تاريخ هذه البردية إلى عام ١٥٣٤ قبل الميلاد، غير أن أجزاء من نصوصها تشير إلى أصول أقدم؛ ترجع إلى بداية عصر الأسرة الأولى. وهى تبحث اثنتى عشرة حالة مرضية، مع التعاويد المناسبة لها؛ وخصص قسم منها لأمراض العيون.

وكتبت بردية «إدوين سميث» حوالى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد، وتحتوى ٤٨ عملية جراحية، وتشخيصا علميا، وعلاجا للجروح، والتمزقات، وخلع العظام وكسورها. وهذه الإصابات تفحص وتعالج بأساليب إكلينيكية. وانعدم وجود السحر كلية تقريبا فى هذه البردية. غير أنه من المعتقد أن بياناتها اعتمدت أيضا على نصوص أقدم، خلال عصر الأسرة الثالثة. ويعتقد بعض الباحثين أن «إمحتب» نفسه مؤلف هذا النص.

وتتضمن «بردية لندن» حكمة طبية وسحرية، يعتقد أنها تنسب إلى الفرعون «خوفو» من الأسرة الرابعة. وترجع «بردية كاهون» المتعلقة بأمراض النساء، إلى حوالى ١٨٢٥ قبل الميلاد؛ وهى تبحث أنواعا من العلاجات مثل منع الحمل، واكتشاف حالات الحمل، وتقييم درجة الخصوبة، وتحديد جنس المولود، ومشكلات المثانة، وجميع الحالات الطبية المتعلقة بالحمل، والجهاز التناسلى للأنثى.

الأدوية

حظى العديد من أنواع العلاج بالأعشاب فى مصر القديمة، على تقدير بالغ، وسرعان ما انتشرت هذه العلاجات عبر منطقة البحر المتوسط؛ حيث حققت نتائج

ناجحة . واستخدمت «حشيشة ست الحسن»، و«الحشخاش»، و«الزعر» كمواد فعالة لتخفيف الألم ومسكنات . ومسحوق جذور نبات «الماندراك» لتهدئة تقلصات المعدة، وعلاج الأرق، والسيطرة على المخاوف والاكئاب . ولم يقتصر استعمال «البنج» (*) كعقار مهدئ فقط مثل «الماندراك»، وإنما استعمل أيضا كمحفز جنسى .

واحتوت البرديات الطبية على ذكر أعشاب مثل المر، والبخور، والقرفة الصينية، والزعتر، والأفيون، والعرعر، والصبار، وزيت الصبار، والشمر . وشاع استعمال الثوم، حيث يساعد فى عملية الهضم، ويحفز الحيوية، والقوة، كما يطرد الأرواح الشريرة . واستهلك المصريون القدماء الثوم والبصل بانتظام حيث اعتبروهما يطيلان العمر . واستعمل الثوم النىء كعلاج لمتاعب الجهاز التنفسى . ووصف العسل مع اللبن لاعتلال الجهاز التنفسى والزور . ومن أجل تهدئة السعال المتواصل وترطيب الرئتين الجافتين، وهى مشكلة شائعة فى مناخ الصحراء الجاف؛ أعدت تركيبة من التين المجفف والتمر وبذور الينسون والعسل والماء، تسخن ببطء حتى تصبح مزيجا ثخيناً وتؤخذ كعلاج فعال . وساعد حمض «التنيك» المستخرج من جوزة السنط فى علاج الحروق، كما وصف نبات «الكزبرة» لمتاعب المعدة، حيث اعتبر محتويا على خواص هاضمة . واستخدمت «الحناء» و«الزعفران» لعلاج الإصابات الصغيرة .

وشملت الجرعات الطبية مكونات مثل دم ودهن حيوان، ومسحوق عظام وحوافر، وقرور، يحل فى الماء، أو الحليب، أو الجعة أو النبيذ . واعتبر الحليب والماء يحتويان خواص علاجية فى ذاتهما . وغالبا ما كانت توصف علاجات توضع فى إحدى فتحات الجسد، ودهانات مصنوعة من العسل أو الدهون، مع أنواع معينة من الحميات الغذائية . واستخدم ملح النطرون كمنظف فعال، ومطهر، ومادة علاجية .

وأدرج طمى النيل فى وصفات علاجية باعتقاد أنه يعالج الجروح بسرعة . واعتقد المصريون أن نهر النيل يمتلك خواص علاجية وتعيد الشباب . غير أن المرء لا بد أن يعجب لخواص النيل الصحية .

احتفظ بخط الرجعة لنفسك

عادة ما تصاحب هذه الوصفات التعويذة السحرية المناسبة . وقسم الأطباء المصريون

(*) «البنج» بفتح الباء وتسكين النون، نبات مخدر وسام - المترجمة .

الجسد إلى ٣٦ قسما ، كل منها يحكمه عفريت معين . وعندما يُهاجم العفريت الصحيح ، يتخلص الجسد من تأثيراته الشريرة . وبالإضافة إلى ذلك ، كانت آلهة العلاج مكلفة بجميع مناطق الجسم الإنساني ، وهى تشفى المريض عند استدعائها . ومن ثم ، يرتل الطبيب تعويذات وأدعية معينة أثناء إعداد الدواء .

ولعبت «حكا» دورا مهما فى الممارسات الطبية ، باستخدام التعاويذ السحرية ، والرقى ، والتمايم ، وجرعات الدواء مع التعزيم . وكانت الوصفات الطبية تكتب على البردى ، وينصح المريض بابتلاعها .

واعتبرت الأمراض التى لا يمكن تفسيرها ، من عمل أرواح شريرة غزت الجسد المبتلى بعفريت أو إله غاضب . ويمكن للكاهن/ الطبيب/ الساحر أن يشفى المريض ويطرده الأرواح الشريرة التى سكنت الجسد ، بواسطة نطق كلمات سحرية معينة ، أو أسماء الآلهة ، بنبرة الصوت المحددة لها . وعرف هؤلاء المعالجون باسم «سونو» وهو لقب يرادف «الأطباء» . وكانت الأسر الملكية تحتفظ ببعض الأطباء المتخصصين فى مجالات فروع طبية معينة .

وإذا لم ينجح ذلك

وعبدت الإلهة القوية «سخت» ، بهيئاتها العديدة ، أيضا باعتبارها «راعية الأطباء» و«سيدة العلاج» ، ونسب إليها علاج الشفاء من الأوبئة ، حيث طبقت قدراتها التدميرية فى القضاء على العلل والأمراض . غير أن المعتقد أيضا أن «سخت» عندما استبد بها الغضب جلبت الأوبئة إلى البشر . وكان الأطباء المعروفون باسم «كهنة سخت» مدربين على فنون العلاج ، وبارعين فى علاج الأمراض التى ابتلت بها الجنس البشرى .

ويقدم لوح حجرى من «أواست» دليلا على أن «خنسو» أيضا ينسب إليه القدرة على العلاج وعبد باعتباره إله العلاج . فهو الذى خلص أميرة «بختن» من الأرواح الشريرة التى سببت علتها خلال عهد «رعمسيس العظيم» . واعتبرت «أوزيريس» أيضا إلهة معالجة ، فهى التى عاجلت بسحرها زوجها «أوزيريس» وأعادته إلى الحياة .

وكان «دواو» و «ورت» إلهين للعلاج أيضا ارتبطا بأمراض العيون . كما ارتبط «تحتو» بالعلاج ، فهو من أعاد البصر إلى عين «حورس» بعد معاركه مع «ست» . وكتب «تحتو» مجموعة مؤلفات قوامها ٤٢ من لفائف البردى تناول القانون ، والتربية ، والفلسفة ، واللاهوت ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والكتابة ، وعلم الفلك ، والتنجيم . كما كتب ستة كتب في الطب ، وعرفت هذه المجموعة كلها باسم «الكتب الهيرميسية» حيث صار «تحتو» معادلا للإله الإغريقي «هيرميس» .

ويرى البعض أن رمز الوصفات الطبية الحديث «Rx» اشتق من عين «حورس» كرمز للصحة والاكتمال - رغم أن الشائع أنه اختصار للكلمة اللاتينية الدالة على «الوصفة الطبية» .

وحوت الممارسات الطبية لذلك العصر العديد من عناصر علم التنجيم ؛ حيث قسم اليوم إلى ساعات تقع تحت تأثير نجوم معينة . وترشد البرديات الطبية الطبيب إلى تلمس الأوقات التي تحدد الدواء أو العقار أو العلاج الصحيح . وكان توقيت العملية الجراحية يحدد طبقا لملاحظة توافقات النجوم الملائمة لعلاج علة بعينها .

وفسرت توقعات الحياة والموت في بردية السحر بعنوان «جداول ديموقريطس» . ففي هذا الشكل القديم من علم الأرقام ، كان يسجل حالة القمر ، وعدد الأيام التي انقضت منذ بداية المرض قياسا إلى ثلاثين يوما . فإذا وقع عدد الأيام الباقية لتكتمل الأيام الثلاثين في القسم الأعلى من الجدول ، يكون من المتوقع أن يشفى المريض ، أما إذا وقعت في القسم الأسفل فلا يتوقع شفاؤه .

التقويم السنوى

قسمت السماء فى أول الأمر إلى ٣٦ قسما سمي كل قسم منها «ديكان» (وهى الكلمة اليونانية الدالة على الرقم عشرة). وكانت تلك هى النجوم التى تسطع فوق الأفق عشرة أيام قبل أن يسطع الـ «ديكان» التالى . وقسم كل شهر قمرى أو «أبد» إلى ثلاثة ديكانات . وعرفت هذه الديكانات باسم «سيبو شيبسو» ومعناها النجوم السامية . وجمعت الشهور فى ثلاثة مواسم فى كل منها أربعة شهور ، بما يصل إلى ٣٦٠ يوما . وأضيفت خمسة أيام مقدسة ، كما هو موضح فيما بعد ، لتكتمل السنة القمرية .

وواكبت المواسم «أخت» و «بيريت» و «شومو» دورة النيل ومراحل زراعة الأرض . وخلال موسم «أخت» يحدث فيضان النيل ، وفى «بيريت» تنبت المحاصيل ، وفى «شومو» تحصد الأرض . وانقسم كل شهر قمرى بدوره إلى ثلاثة أسابيع ، فى كل منها عشرة أيام . ومن هذا التقسيم ولد اليوم بساعاته الأربع والعشرين ، خصص منها ١٢ ساعة للنهار و١٢ أخرى لليل . غير أنه فى مصر ، وفى كل مكان آخر من ذلك الوقت لم يكن زمن الساعة موحدا ، بل أنهم قدروه على أساس أن الساعة تساوى ١٢/١ من فترة ضوء النهار أو الظلام ، الأمر الذى يختلف طبقا للموسم .

ولأغراض إدارية ، كانت الشهور تحدد وفقا لمواسمها ، من الأول للرابع - على سبيل المثال - سمي الشهر الرابع من الصيف «شومو الرابع» . غير أنه أشير إليها فى سياق دينى طبقا للمعبودات المعينة المخصصة لها .

واحتفظ الأقباط بأسماء الشهور القمرية المصرية القديمة كما يلى :

أخت الأول : توت	بيريت الأول : طوبة	شومو الأول : بشنس
أخت الثانى : بابه	بيريت الثانى : أمشير	شومو الثانى : بؤونة
أخت الثالث : هاتور	بيريت الثالث : برمهاث	شومو الثالث : أبيب
أخت الرابع : كيهك	بيريت الرابع : برمودة	شومو الرابع : مسرى

وأضيفت أيام النسيء الخمسة ، تكريما لمولد «أوزيريس» ، و «حورس» ، و «ست» و «إيزيس» ، و «نبت - حت» لإكمال السنة القمرية . وفى هذه الأيام الخمسة لا يؤدى أى عمل ، فهى وقت احتفال وبهجة . واعتبر يوم ميلاد «ست» أو يوم النسيء المخصص له ، يوما غير سعيد . بينما اعتبر اليوم المخصص لقرينته «نبت - حت» ، يوما محايدا بسبب إخلاصها للآلهة «أوزيريس» و «إيزيس» و «حورس» ؛ الذين اعتبرت ذكرى أيام ميلادهم مباشرة .

واعتمد هذا التقويم القمري على دورة مدتها ٢٩ أو ثلاثين يوما ؛ من ظهور القمر الجديد حتى ظهور الذى يليه . وخدم هذا التقويم الأغراض الزراعية والدينية بصورة جيدة ، كما سهل تأريخ الأحداث . وقيل أن إله القمر «تحت» واضع هذا التقويم «الأصلى» .

وفى عام ٢٩٠٠ قبل الميلاد تقريبا ، تبنى المصريون التقويم الشمسى ، الذى بدأ بظهور نجم الشعرى اليمانية الساطع . ففى كل عام ، قبل أن يسطع هذا النجم على الأفق الشرقى ، يختفى لمدة ٧٠ يوما ، خلف أشعة الشمس ، ليسطع مرة أخرى فى الشرق ، قبل الشمس مباشرة مؤشرا على حدوث فيضان النيل السنوى . ويجيء هذا السطوع فى حوالى العشرين من يونيو ، وقد سُمى «بيريت سوپدت» (بزوغ الشعرى اليمانية) لبدأ الشهر الأول من «أخت» . وعرفت بداية العام الجديد باسم «وبيت رينبت» (افتتاح العام) ؛ وهو الحدث الفلكى الأهم والأكثر بهجة ، لما يتعلق به من احتفالات رسمية هائلة . وقد بنى معبد «إيزيس» فى «لونت» لرصد سطوع الشعرى اليمانية قبل الشمس . وبحساب متوسط عدد الأيام بين كل دورة للنجم (الدورة الشعرانية) ، أمكن تحديد السنة ذات ٣٦٥ يوما ، أو التقويم المدنى .

وبناء على تواريخ بزوغ الشعري اليمانية (توجد تسجيلات من عدة سنوات مختلفة) استطاع الباحثون الربط بين تواريخ فترات حكم عدد من الفراعنة وبين التقويم المستخدم حالياً. ولحسن الحظ، سجل «سنسوريوس»، الكاتب والمؤرخ الروماني، حدث تلازم صعود الشعري مع فيضان النيل عام ١٣٩ ميلادياً؛ وهو ما مكن المؤرخين اللاحقين من حساب الأوضاع السابقة ومرات بزوغ النجم، واستنتاج أن التقويم الشمسي بدأ استخدامه حوالى عام ٢٧٧٣ قبل الميلاد.

ويعتبر أول تاريخ مسجل اعتماداً على بزوغ الشعري اليمانية فى العام السابع من حكم «سنوسرت الثالث»، من عصر الأسرة الثانية عشرة: فى اليوم السادس عشر من الشهر الرابع من الشتاء «بيريت». ومن هذه المعلومة تم التوصل إلى أن التاريخ يوافق ما نسميه العام ١٨٧٠ قبل الميلاد؛ مع هامش خطأ يتراوح بين سنة وخمس سنوات، طبقاً للمكان الذى جرى فيه الرصد داخل مصر. وهناك تاريخ مسجل مهم آخر؛ من العام التاسع من حكم «أمنحتب الأول» من الأسرة الثامنة عشرة: فى اليوم التاسع من الشهر الثالث من الصيف (شومو). وحسب هذا التاريخ على أنه يقع بين عامى ١٥٥٤ و ١٥٥٣ قبل الميلاد.

وقسمت السنة الشمسية المشتقة من السنة القمرية، إلى ثلاثة مواسم أيضاً، كل منها يتكون من أربعة شهور. ويتكون كل شهر من ثلاثة أسابيع، فى كل أسبوع عشرة أيام: وبإضافة خمسة أيام يصبح الإجمالى ٣٦٥ يوماً. وصار ذلك التقويم المدنى، المستخدم فى إدارة البلاد؛ بينما فى الزراعة وشئون الحياة اليومية، استمر استخدام التقويم القمري. ثم دمج التقويمان فى النهاية بغرض تنظيم مواعيد الاحتفالات الدينية والمهرجانات القمرية، التى كان يتعين أن تتسق مع الدوائر الفلكية ومراحل الزراعة.

غير أن تعارضاً حدث بين التقويمين، حيث تخلف النظام القمري عن التقويم الشمسى بمعدل يوم كل أربع سنوات. ونتج عن ذلك الاحتفال بالأعياد فى مواعيد خاطئة. وقدّر الخبراء أن عليهم أن ينتظروا ١٤٦٠ عاماً (٤×٣٦٥) حتى يتواكب بزوغ الشعري اليمانية قبيل الشمس مع أول أيام فيضان النيل مرة أخرى.

وهكذا، طبق حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد تقويم شمسي جديد؛ اعتمد على التقويم المدنى مع إضافة شهر زائد (ثالث عشر) كل عامين أو ثلاثة لتعويض هذا الفارق.

ومنذ عهد الدولة القديمة، استخدمت التقاويم الثلاثة معا: التقويم القمري الأصلي فى أغراض الزراعة (التي تعتمد على مراحل القمر والموسم)، والتقويم الشمسى فى الأعمال الحكومية، والتقويم المختلط «القمر شمسى» فى الأغراض الدينية، لتحديد الوقت المناسب لإقامة الاحتفالات. وساهمت كل هذه المعارف الرئيسة فى وضع أساس التقويم المستخدم حتى الآن.

فخلال عام ٢٣٩ قبل الميلاد، أدخل الملك «بطليموس الثالث يوريجيتس» الطريقة الحالية للتصويب باستخدام سنة كبيسة كل أربع سنوات لتحقيق استقرار أوضاع الشهور. ونشر الكهنة المصريون هذا التصويب باسم «مرسوم كانوپس» (*).

وفى عام ٤٦ قبل الميلاد، كلف «يوليوس قيصر» عالم الفلك «سوسيجينس» من الاسكندرية بالمساعدة فى تصحيح وتحسين التقويم القمري المتبع فى روما. فأشار «سوسيجينس» بالتخلى عن التقويم القمري تماما، واقترح ترتيب الشهور على أساس موسمى، باستخدام التقويم الشمسى القمري الذى يقوم على أن السنة ٢٥، ٣٦٥ يوم. واقترح لإعادة ربط التقويم بالمواسم إدخال إضافتين على عام ٤٦ قبل الميلاد: الأولى إضافة شهر بين فبراير ومارس، والإضافة الثانية عبارة عن شهرين يضافا بين نوفمبر وديسمبر. فزادت هذه الإضافات العام إلى ٤٤٥ يوما. ولا شك أن الرومان اعتبروا عام ٤٦ قبل الميلاد «عام الحيرة». وبعد هذا التعديل الذى طبق مرة واحدة، أسقط «قيصر» الزيادات وأبقى أيام النسيء، وأنشأ سبعة شهور عدد أيام كل منها ٣١ يوما، وأربعة شهور كل منها ٣٠ يوما وشهرا وحدا عدد أيامه ٢٩ يوما؛ يضاف إليه يوم واحد كل أربعة سنوات. وفى عام ٤٤ قبل الميلاد، غير مجلس الشيوخ الرومانى اسمى الشهرين السابع والثامن من «كوينتيليس» إلى «يوليو» نسبة إلى «يوليوس قيصر»، ومن «سيكستيليز» إلى «أغسطس» نسبة إلى «أوجستس». وأجرى تعديل آخر حذف يوما من فبراير وأضافه إلى «أغسطس»، حتى يصبح لأوجستس نفس عدد الأيام التى لىوليوس. وهكذا نشأ التقويم «الجوليانى»، وظل يستخدم حتى القرن السادس عشر الميلادى.

(*) كانوپس ميناء تجارى مصرى قديم من عصر البطالمة، مازالت آثار منه باقية فى ميناء «أبو قير» قرب الاسكندرية - المترجمة.

ولما كانت السنة فى التقويم «الچوليانى» تزيد نحو ١١ دقيقة عن السنة الشمسية ، أدى الفارق إلى تغير تدريجى فى المواسم ، تراكم ليصبح عشرة أيام . وبحلول عام ١٥٨٠ ميلاديا جاء الاعتدال الربيعى مبكرا عن موعده عشرة أيام .

وفى ١٥٨٢ ، أدخل الأب «جريجورى الثالث عشر» إصلاحا على التقويم «الچوليانى» ؛ فأسقط - بمشورة الفلكيين - عشرة أيام من أكتوبر ، كتعديل لمرة واحدة . وبهذا عاد الموسم التالى إلى موعده الصحيح وأصبح التقويم «الچوليانى» أقرب إلى السنة الشمسية . ولمزيد من تصويب التعارض ؛ أضاف الأب «جريجورى الثالث عشر» يوما إضافيا إلى فبراير فى السنوات التى تقبل القسمة على ٤٠٠ مثل ١٦٠٠ و ٢٠٠٠ ، ومن ثم أصبح «التقويم الجريجورى» يسبق التقويم «الچوليانى» بنحو أسبوعين . وسرعان ما اتبعت معظم دول العالم هذا التحديث ؛ رغم أن بعض البلاد أبطأت فى تبنيه ؛ فظلت بريطانيا العظمى تستخدم التقويم «الچوليانى» حتى عام ١٧٥٢ . ولم تتحول روسيا إلى التقويم الجريجورى حتى عام ١٩١٨ (وهو السبب فى أن ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى تقع الآن فى نوفمبر) ؛ وتحولت إليه تركيا فى ١٩٢٨ .

حكمة النجوم

فى بدايات الحضارة الإنسانية كان علم التنجيم وعلم الفلك شيئاً واحداً، فقد لاحظ الناس حركة الكواكب، وجرت محاولات للربط بين هذه التغيرات وبين «الوقائع على الأرض». واعتبرت تحركات الكواكب مؤشرات للتنبؤ بأحداث كبرى؛ مثل حالات كسوف الشمس، والفيضان، والأوبئة، والزلازل، والحروب، والمجاعات.

وتتضح معرفة المصريين القدماء بعلم الفلك من أنهم ابتكروا التقويم السنوى، واستطاعوا التنبؤ بأهم حدث سنوى - فيضان النيل - وهناك سجلات محفوظة، كما عثر على خرائط للبروج السماوية مستقيمة الخطوط ترجع إلى عام ٤٢٠٠ قبل الميلاد.

ومن الشائع أن الكلدانيين (أهل بابل) هم من أسسوا فن التنجيم. غير أن الأبحاث أوضحت أنهم ربما تعلموه من كهنة مصر. ويرى السير «اسحق نيوتن» أن هذا حدث بالفعل عندما غزا الإثيوبيون مصر خلال عصر الاضمحلال الثالث (١٨٠٧ - ٧١٢ قبل الميلاد) أو (الأرجح) خلال العصر المتأخر (٧١٢ - ٣٣٢ قبل الميلاد) مع فرار مصريين من الإثيوبيين وهجرتهم إلى أرض بابل، ولا بد أنهم نقلوا معهم دراسة النجوم، وقدموها للكلدانيين؛ الذين احتضنوها مباشرة وطوروها.

وقد عثر على خريطة بروج إغريقية، مدون بها ما ينسب للمصريين القدماء خلق علم التنجيم (والتفانى فيه) فضلاً عن أنهم أعطوا معرفتهم للأجيال. ومع ذلك، يبدو أنه لا يوجد تسجيل لخرائط بروج لأفراد كما نعرفها اليوم؛ حتى عصر البطالمة، عندما صارت خرائط البروج موضحة رائجة.

وكان كهنة المعابد المعروفون باسم «إيمى أونوت» (مراقبي الساعات) يستشيرون خرائط النجوم. وربما يكون اسمهم أصل كلمة «minute». ومن فوق أسطح معابدهم، راقب هؤلاء الفلكيون النجوم، وقاسوا بمرورها الزمن وسجلوه. كما كرسوا أنفسهم لدراسة النجوم والبحث عن علاماتها. وفي نظامهم المتماثل لبناء معابدهم، تمثل أرضية المعبد كوكب الأرض، كما أن البرك المقدسة ترمز للبحار والأنهار، والسقوف المقوسة تجسد السموات. ولاحظوا بعناية تحركات الكواكب، ونظامها، وظهورها واختفاءها. وكان لذلك أهمية بالغة؛ حيث تحدد حركات النجوم توقيت أداء الشعائر بالمعبد. واعتقد المصريون أن الكهنة مطلعين على أجوبة وأسرار الكون، وهكذا صار التنجيم/ الفلك جزءاً أساسياً من ديانتهم.

ورمز المصريون للتنجيم بفرع نخلة؛ وفي المواكب المهمة المصرية يحمله «العراف» مع ساعة زجاجية ترمز للوقت. و«العراف» هو لقب الكاهن الذى يمثل حكمة النجوم. ووجب على جميع الكهنة العرافين التمكن من حكمة «تحت»، والقدرة على استظهار كتب الفلك الأربعة من بين مجموعة مؤلفاته الاثني والأربعين. ووصفت الكتب الأربعة أوضاع النجوم الثابتة، وسطوع الشمس والقمر، وحالات اقتران النجوم، وحالات الكسوف بالإضافة إلى ظهور واختفاء الأجرام السماوية الأخرى. ولم يعثر حتى الآن على مجموعة هذه الكتابات، بيد أنه أشير إليها فى عدة برديات.

وكان «نخت» الكاتب من الأسرة الثامنة عشرة، والذى أتاحت لنا مقبرته التعرف على صورة رائعة للموسيقيين أثناء عملهم؛ مراقب نجوم مدرب أيضاً فى المعبد؛ مهمته رسم بيانات النجوم وتأثيرها على تغيرات الأرض موسمياً. وكان «إمحتب» العظيم ضليعاً أيضاً فى علم النجوم. وخلال العصر المتأخر، صار إليها ليس فقط باعتباره أبو الهندسة المعمارية والطب، ولكن كفلكى أيضاً. وعرف «پتوزوريس» أيضاً بتمكنه من فن التنجيم المصرى. وكان كبير مديرى معبد «خنمو» والكاهن الأكبر فى معبد «تحت».

وعثر على أقدم رسم بيانى فى مصر على سقف مقبرة «سنموت» كاتم أسرار الملكة «حتشبسوت» ومستشارها، والمهندس المعمارى من الأسرة الثامنة عشرة. وتوضح جدارية فى مقبرة «رعمسيس الخامس» (الأسرة العشرين) جسد «نوت» إلهة السماء، المقوس؛ وهو يبتلع الشمس كل مساء، ليولدها مرة أخرى فى الصباح التالى.

وقسم المصريون السماء إلى ١٢ قسما، لكل منها اسم وشكل . وفى حوالى ١٢٥٠ قبل الميلاد، حدد الفرعون «رعمسيس الثانى» (المعروف عنه أيضا التنجيم) الجهات الأصلية الأربعة فى البوصلة، باستخدام العلامات الأصلية فى البروج : الحمل، والسرطان، والميزان، والجدى . وعندما رحل «رعمسيس الثانى» عن العالم فى ١٢٢٣ قبل الميلاد، وضع جثمانه فى تابوت مزخرف برموز بروج، أحاطت أيضا مقبرته فى معبد «آمون» بالكرنك .

وكما ذكرنا فى الفصل السابق، قسم المصريون الشهر إلى ثلاثة أقسام «ديكانات»، وهو النظام الذى استخدمه حتى الآن المنجمون . والديكانات هى نجوم لوحظ صعودها فوق الأفق لمدة عشرة أيام، قبل أن تصعد الديكانات التالية . وكانت هذه التحركات حاسمة لتحديد توقيت الاحتفالات الدينية . ونقشت قوائم لديكانات سيارة على أغطية تابوت من الدولة الوسطى، توضح أن المصريين عرفوا مفهوم «زودياك» (كلمة يونانية معناها مجموعة الحيوانات) قبل أن يعرفها اليونانيون بألاف السنين . وتظهر اللوحة ٣٦ شكلا من أشكال النجوم لا تمت بصلة لعلامات البروج الكلدانية، ولا اليونانية، ولا الحديثة . غير أن اليونانيين هم الذين منحوا التنجيم شعبية، واصطبغت تفسيراتهم بالرموز والأساطير المصرية القديمة . ورغم أن علامات البروج كما نعرفها الآن ترتبط بمجموعات البروج لدى الكلدانيين واليونانيين ؛ إلا أن أول تصوير لهذه العلامات يأتى من خريطة البروج فى «دندرة» التى ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد . ويعتبر معبد «دندرة» أعجوبة فلكية ؛ فدائرة البروج التى تزين سقف المعبد الضخم يعتقد أنها تصور كسوف الشمس عام ٥١ قبل الميلاد . وإلى جانب علامات البروج، نحتت رسوما لنجم الشعرى اليمانية وللجوزاء على رواق الأعمدة فى مدخل المعبد الكبير .

وفى كل عام يبقى نجم الشعرى اليمانية مختفيا ٧٠ يوما قبل أن يبرز ؛ وهو نفس عدد الأيام الذى يستغرقه طقوس إعداد المتوفى الثرى وتخنيطه قبل أن يدفن، استعدادا لبعثه فى الأبدية . فكما تظهر الكواكب النجوم وتختفى، يمكن لجميع المصريين أن يبعثوا مرة أخرى ليتوحدوا مع أجسادهم السماوية بعد الموت الأرضى .

ونظرا لأن «الشعرى اليمانية» و«الجوزاء» ساطعان على نحو بالغ، فقد ألها . وصارت «إيزيس» خالدة فى هيئة الشعرى اليمانية و «أوزوريس» فى صورة «الجوزاء» .

أما النجوم الجنوبية، مثل تلك التى لها أفلاك محددة وسميت «أخمو ويردو» أو (النجوم التى لا ترتاح أبدا)، حيث إنها لا تستقر، فهى تظهر وتختفى. وكل ثمانية أعوام يسطع الشعري اليمانية والجوزاء معا، يرمزان للزواج المقدس بين أوزيريس وإيزيس. واعتبرت الأجرام السماوية، المعروفة باسم «زهور الليل» أو «زهور السماء» آلهة وأرواحًا؛ فهى أرواح الراحلين الذين سكنوا السماء (التى يشار إليها أيضا باسم «حقل العيدان»).

وعرفت النجوم القطبية أو الشمالية باسم «إخمو سكو» أو «التى لا تأفل» حيث تبقى ثابتة فى السماء ولا تسطع ولا تختفى. وحظيت هذه الأجرام السماوية باحترام خاص، باعتبارها تجسد الأرواح الخاصة بأولئك الذين حققوا كمالا أبديا. وعلى سقف حجرة الدفن فى مقبرة «سيتى الأول»، واحدة من أقدم خرائط البروج، توضح النجوم التى لا تأفل أبدا. وترجع هذه اللوحة إلى حوالى عام ١٢٨٠ قبل الميلاد، وهى توضح ساعات الليل الاثنتى عشرة، ومجموعات الأجرام السماوية ممثلة فى أشكال بشرية وحيوانية.

وسميت النجوم «سيباو» ورمزها نجمة خماسية، ونفس الرمز يشير إلى مفهوم التعلم، والمثير أنه يرمز أيضا لمملكة الموتى «دوات». وإلى جانب المنيرين: الشمس والقمر؛ عرف المصريون القدماء «سبيج» (عطارد) و«سيبا دجاي» أو «بنو» (الزهرة)، و«حور دشر» (الريخ)، و«حور - أبش - بت» (المشتري)، و«حور - كا - بت» (زحل). أما «خنسو» و«تحوت» باعتبارهما إلهين قمرين، يمثلان القمر، غير أن «تحوت» كإله للاتصال والتعلم يجسد عطارد أيضا.

ويمكن أن ينسب الكوكب بلوتو إلى «أوزيريس» و«أنوبيس» باعتبارهما إله العالم السفلى والتحول. أما «حورس» المنتقم، فيرتبط بكوكب المريخ النشط، بينما تتجسد قرينته «حتحور» - الإلهة البقرة - فى علامة الثور. وترتبط «سلكت» الإلهة العقرب بعلامة العقرب. ويعادل «حعبى» علامة الدلو - حامل الماء. أما أولى علامات البروج؛ الحمل، فربما سميت «فاتحة البروج»، والرمز الهيروغلىفى لهذه العلامة هو نفس رمز «پش - إن - كف»، الأداة المستخدمة فى الطقس الجنائزى «فتح الفم». ومن الواضح أن «ماعت» تجسد علامة الميزان، كفتى العدالة. والميزان علامة الهبوط أو الشمس الغاربة

فى خريطة البروج؁ وهو نفس الشكل الهيروغلىفى الذى يعنى الأفق . وفينوس هو الكوكب الحاكم للميزان؁ ورمزه يتطابق تقريبا مع «عنخ» فى المصرية القديمة؁ التى تمثل الحياة الدائمة . واعتبر المدخل إلى عالم الأفول؁ أرض الشمس الغاربة أو الغرب؁ البوابة إلى العالم السفلى . ويتجسد رمز الجوزاء فى التوأ م «شو» و «تفنو»؁ بينما تجسد الإلهة «سخت م» برأس الأسد خواص علامة برج الأسد . وخذل «أمون» فى علامة الحمل؁ الكبش؁ وجسد «خبر» علامة السرطان .

وتجسدت الشمس فى «رع» إله الشمس وكبير الآلهة الذى يقطع السماء فى مركبه الشمسى . وأقيم معبد «رع» فى لونو (هليوبوليس بالإغريقية التى تعنى مدينة الشمس)؛ التى صارت مركزا دائما لدراسة الفلك . وحظيت الشمس باحترام خاص؁ باعتبارها مصدر الطاقة كلها التى تتحكم فى النيل . فضلا عن أن الشمس عند شروقها وغروبها؁ تصبح رمزا للبعث .

وجسد القمر أيضا مفهوم التجدد؁ وعودة الشباب؛ حيث ينمو من هلال أو «سدن» إلى بدر مكتمل؁ ويعيد الكرة كل شهر . ورمز شحوبه واختفاؤه الشهرى إلى سرقة «ست» عين «حورس» القمرية . وتنسب عودة القمر إلى إصلاح «تحت» لعين «حورس» وإعادتها .

وقدست حالات كسوف الشمس؁ واعتبرت رمزا لقيام «أبوفيس» بابتلاع «رع» ومركبه الشمسى أثناء تنقله عبر سماء الليل . وحظيت «نبت - حت» بالتبجيل باعتبارها إلهة الكسوف الشمسى؁ وأنشدت أغانيها - مع أختها أوزيريس - عن الاقتران بين الشمس والقمر خلال «مشنو» (الكسوف)؛ الذى كان بالفعل حدثا يثير خوف المصريين؁ حيث تختفى عن الرؤية محبوبتهم الشمس مانحة الحياة .

ومن ال «ديكان» كان المصريون أيضا أول من قسم اليوم إلى ٢٤ ساعة . وقد عثر فى وادى الملوك؁ على قوائم توضح أوضاع النجوم خلال ساعات الليل الاثنى عشرة؁ خلال فترات ملاحظة مدة كل منها خمسة عشر يوما . وعثر على هذه اللوحة التى ترجع إلى عصر الأسرة العشرين؁ فى مقبرة «رعمسيس الخامس»؁ وهى فريدة بوجه خاص؛ حيث رسمت على هيئة رجل جالس .

واستخدمت الساعة المائية والمزولة لقياس الوقت . وقد وجدت ساعة مائية ترجع إلى «أمنحوتب الثالث» ، وهى على هيئة آنية زهور من المرمر مملوءة بالماء ، الذى يفرغ منها بمرور الوقت .

ووصل التنجيم وعلم الفلك إلى الذروة خلال عصر البطالمة؛ فأصبحت الاسكندرية مركزا رئيسا لدراسة النجوم . وارتبط التنجيم حينئذ بالرموز المصرية ، والرياضيات اليونانية ، والفلسفة الكلدانية . ولسوء الحظ ، دمرت نصوص التنجيم والفلك فى الاسكندرية فى حريق أشعله متعصبون مسيحيون فى القرن الخامس الميلادى .

وكان «نختنبو الثانى» فرعوننا/ عرافا/ ساحرا عظيما . وطبقا للأسطورة ، عندما كانت «أوليمبيا» أميرة «إيروس» وزوجة الملك «فيليب الثانى» ملك مقدونيا على وشك الوضع عام ٣٥٦ قبل الميلاد . وقف «نختنبو الثانى» إلى جوارها ليرصد النجوم ، وتوسل إليها أن تحتجز الطفل داخلها حتى ساعة ميمونة تتألف فيها الأجرام السماوية على نحو موات . ويبدو أنها نجحت فى ذلك ، فقد أنجبت «الاسكندر الأكبر» . وادعت «أوليمبيا» نفسها أن ابنها مولود إلهى من «آمون» ، كما ادعت «حتشبسوت» نفس الادعاء عن نفسها قبل أكثر من ألف عام . وربما كان «نختنبو الثانى» نفسه الوالد الحقيقى للاسكندر الأكبر؛ الذى من ضمن إنجازاته العديدة طرد الفرس من مصر وإقامة الأسرة النهائية فيها .

ومع انتهاء عصر الأسرات العظيم بغزو الرومان فى عام ٣٠ ميلاديا ، انتهت ثلاثة آلاف عام من الحكم الفرعونى العظيم . ومع ذلك ، بقيت روح مصر القديمة بالفعل ، وحققت هدفها المقدس فى الخلود .

المؤلفة فى سطور

- عضو جمعية ستافورد شاير للمصريات ومقرها بريطانيا
- عضو جمعية دراسة الآثار المصرية فى كندا
- بدأ عشقها لمصر القديمة قبل ٢٥ عاما

المتريجة فى سطور

- كاتبة صحفية و متريجة مصرية
- من مواليد ٣٠ يوليو ١٩٥٦ بمدينة المنصورة - محافظة الدقهلية - مصر .
- حاصلة على بكالوريوس علوم سياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٧٩ - وتعمل بالصحافة منذ ١٩٨٢ م .

الكتب المتريجة

- الطلبة والسياسة فى مصر - تأليف الدكتور أحمد عبد الله .
- الجيش والديمقراطية فى مصر (المشاركة بترجمة فصل ضمن الكتاب بعنوان المشير والرئيس) - دار سينا .
- قيام وسقوط القوى العظمى - تأليف بول كيندي - الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٩٢ م .
- دور جامعة القاهرة فى بناء مصر الحديثة - تأليف دونالد مالكولم ريد - المحروسة ، ١٩٩٧ م .
- الاحتجاج الهادئ (المرأة والتحجب الجديد والتغير فى القاهرة) - تأليف إرلين علوى ماكليود - المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩ م .
- بالإضافة إلى العديد من المقالات والدراسات والترجمات فى عدد من الصحف والدوريات العربية والمصرية .
- * عضو نقابة الصحفيين المصريين .
- * عضو اتحاد الكتاب المصريين .

المشروع القومي للترجمة

- | | | | |
|--|------------------------------|------------------------------------|-------|
| أحمد درويش | جون كوين | اللغة العليا | ١-٢ |
| أحمد فؤاد بلبع | ك. مادهو بانيكار | الوثنية والإسلام (ط١) | ٢-٣ |
| شوقى جلال | جورج جيمس | التراث المسروق | ٣-٤ |
| أحمد الحضرى | انجا كاريتنيكوف | كيف تتم كتابة السيناريو | ٤-٥ |
| محمد علاء الدين منصور | إسماعيل فصيح | ثريا فى غيبوبة | ٥-٦ |
| سعد مصلوح ووفاء كامل فايد | ميلكا إفيتش | اتجاهات البحث اللسانى | ٦-٧ |
| يوسف الأنطكى | لوسيان غولدمان | العلوم الإنسانية والفلسفة | ٧-٨ |
| مصطفى ماهر | ماكس فريش | مشعلو الحرائق | ٨-٩ |
| محمود محمد عاشور | أندرو. س. جودى | التغيرات البيئية | ٩-١٠ |
| محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى | چيرار چينيت | خطاب الحكاية | ١٠-١١ |
| هناء عبد الفتاح | فيسوفا شيمبوريسكا | مختارات شعرية | ١١-١٢ |
| أحمد محمود | ديفيد براونستون وأيرين فرانك | طريق الحرير | ١٢-١٣ |
| عبد الوهاب علوب | روبرتسن سميث | ديانة الساميين | ١٣-١٤ |
| حسن المودن | جان بيلمان نويل | التحليل النفسى للأدب | ١٤-١٥ |
| أشرف رفيق عفيفى | إدوارد لوسى سميث | الحركات الفنية منذ ١٩٤٥ | ١٥-١٦ |
| بإشراف أحمد عثمان | مارتن برنال | أثنية السوداء (ج١) | ١٦-١٧ |
| محمد مصطفى بدوى | فيليب لاركين | مختارات شعرية | ١٧-١٨ |
| طلعت شاهين | مختارات | الشعر التسائى فى أمريكا اللاتينية | ١٨-١٩ |
| نعيم عطية | چورچ سفيريس | الأعمال الشعرية الكاملة | ١٩-٢٠ |
| يمنى طريف الخولى وبنوى عبد الفتاح | ج. ج. كراوثر | قصة العلم | ٢٠-٢١ |
| ماجدة الغنائى | صمد بهرنجى | خوخة وألف خوخة وقصص أخرى | ٢١-٢٢ |
| سيد أحمد على الناصرى | جون أنتيس | مذكرات رحالة عن المصريين | ٢٢-٢٣ |
| سعید توفيق | هانز جيورج جادامر | تجلى الجميل | ٢٣-٢٤ |
| بكر عباس | باتريك بارنر | ظلال المستقبل | ٢٤-٢٥ |
| إبراهيم الدسوقى شتا | مولانا جلال الدين الرومى | مثنوى | ٢٥-٢٦ |
| أحمد محمد حسين هيكل | محمد حسين هيكل | دين مصر العام | ٢٦-٢٧ |
| بإشراف: جابر عصفور | مجموعة من المؤلفين | التنوع البشرى الخلاق | ٢٧-٢٨ |
| منى أبو سنة | جون لوك | رسالة فى التسامح | ٢٨-٢٩ |
| بدر الديب | جيمس ب. كارس | الموت والوجود | ٢٩-٣٠ |
| أحمد فؤاد بلبع | ك. مادهو بانيكار | الوثنية والإسلام (ط٢) | ٣٠-٣١ |
| عبد الستار الطوجى وعبد الوهاب علوب | جان سوفاجيه - كلود كاين | مصادر دراسة التاريخ الإسلامى | ٣١-٣٢ |
| مصطفى إبراهيم فهمى | ديفيد روب | الانقراض | ٣٢-٣٣ |
| أحمد فؤاد بلبع | أ. ج. هويكنز | التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية | ٣٣-٣٤ |
| حصاة إبراهيم المنيف | روجر آلن | الرواية العربية | ٣٤-٣٥ |
| خليل كلف | پول ب. ديكسون | الأسطورة والحدائثة | ٣٥-٣٦ |
| حياة جاسم محمد | والاس مارتن | نظريات السرد الحديثة | ٣٦ |

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	۳۷- واحة سيوة وموسيقاها
أنور مغيث	ألن تورين	۳۸- نقد الحداثة
منيرة كروان	بيتر والكوت	۳۹- الحسد والإغريق
محمد عيد إبراهيم	آن سكستون	۴۰- قصائد حب
عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد	بيتر جران	۴۱- ما بعد المركزية الأوروبية
أحمد محمود	بنجامين باربر	۴۲- عالم ماك
المهدى أخريف	أوكتافيو پاث	۴۳- اللهب المزدوج
مارلين تادرس	ألدوس هكسلي	۴۴- بعد عدة أصياف
أحمد محمود	روبرت دينا وجون فاين	۴۵- التراث المغدور
محمود السيد على	بابلو نيرودا	۴۶- عشرون قصيدة حب
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	۴۷- تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج۱)
ماهر جويجاتي	فرانسوا دوما	۴۸- حضارة مصر الفرعونية
عبد الوهاب علوب	ه . ت . نوريس	۴۹- الإسلام فى البلقان
محمد برداة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى	جمال الدين بن الشيخ	۵۰- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
محمد أبو العطا	داريو بيانوبيا وخ . م . بينياليستى	۵۱- مسار الرواية الإسبانو أمريكية
لطفى فطيم وعادل دمرداش	ب . نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	۵۲- العلاج النفسى التديعى
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجتون	۵۳- الدراما والتعليم
محسن مصيلحى	ج . مايكل والتون	۵۴- المفهوم الإغريقى للمسرح
على يوسف على	چون بولكنجهوم	۵۵- ما وراء العلم
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	۵۶- الأعمال الشعرية الكاملة (ج۱)
محمود السيد و ماهر البطوطى	فديريكو غرسية لوركا	۵۷- الأعمال الشعرية الكاملة (ج۲)
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	۵۸- مسرحيتان
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيث	۵۹- المحيرة (مسرحية)
صبرى محمد عبد الغنى	جوهانز إيتين	۶۰- التصميم والشكل
باشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	۶۱- موسوعة علم الإنسان
محمد خير البقاعى	رولان بارت	۶۲- لذة النص
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	۶۳- تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج۲)
رمسيس عوض	ألان وود	۶۴- برتراند راسل (سيرة حياة)
رمسيس عوض	برتراند راسل	۶۵- فى مدح الكسل ومقالات أخرى
عبد اللطيف عبد الحلیم	أنطونيو جالا	۶۶- خمس مسرحيات أندلسية
المهدى أخريف	فرناندو بيسوا	۶۷- مختارات شعرية
أشرف الصباغ	فالنتين راسيوتين	۶۸- نتاشا العجوز وقصص أخرى
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	۶۹- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينييو تشانج رودريجت	۷۰- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية
حسين محمود	داريو فو	۷۱- السيدة لا تصلح إلا للرمى
فؤاد مجلى	ت . س . إليوت	۷۲- السياسى العجوز
حسن ناظم وعلى حاكم	چين ب . تومبكنز	۷۳- نقد استجابة القارى
حسن بيومى	ل . ا . سيميونوفا	۷۴- صلاح الدين والمالک فى مصر

- ٧٥- فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦- جاك لكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من المؤلفين
- ٧٧- تاريخ النقد الألبى الحديث (ج٣) رينيه ويليك
- ٧٨- العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
- ٧٩- شعرية التأليف بوريس أوسبنسكى
- ٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
- ٨١- الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
- ٨٢- مسرح ميجيل دي أونامونو ميجيل دي أونامونو
- ٨٣- مختارات شعرية غوتفريد بن غوتفريد بن
- ٨٤- موسوعة الأدب والنقد (ج١) مجموعة من المؤلفين
- ٨٥- منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاي
- ٨٦- طول الليل (رواية) جنال مير صادقى
- ٨٧- نون والقلم (رواية) جلال آل أحمد
- ٨٨- الابتلاء بالثراب جلال آل أحمد
- ٨٩- الطريق الثالث أنتونى جيندز
- ٩٠- وسم السيف وقصص أخرى بورخيس وآخرون
- ٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربرا لاسوتسكا - بشونيك
- ٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسباني المعاصر كارلوس ميجيل
- ٩٣- محدثات العولة مايك فيذرستون وسكوت لاش
- ٩٤- مسرحيتا الحب الأول والصحة صمويل بيكيت
- ٩٥- مختارات من المسرح الإسباني أنطونيو بويرو بايخو
- ٩٦- ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى نخبة
- ٩٧- هوية فرنسا (مج١) فرنان برودل
- ٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى مجموعة من المؤلفين
- ٩٩- تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠) ديفيد روبنسون
- ١٠٠- مساعلة العولة بول هيرست وجراهام تومبسون
- ١٠١- النص الروائى: تقنيات ومناهج بيرنار فاليط
- ١٠٢- السياسة والتسامح عبد الكبير الخطيبي
- ١٠٣- قبر ابن عربى يليه آباء (شعر) عبد الوهاب المؤدب
- ١٠٤- أوبرا ماهوجنى (مسرحية) برتولت بريشت
- ١٠٥- مدخل إلى النص الجامع چيرارچينيت
- ١٠٦- الأدب الأندلسى ماريا خيسوس روبييرامتى
- ١٠٧- صورة الفنان فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر نخبة من الشعراء
- ١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى مجموعة من المؤلفين
- ١٠٩- حروب المياه چون بولوك وعادل درويش
- ١١٠- النساء فى العالم النامى حسنة بيجوم
- ١١١- المرأة والجريمة فرانسس هيدسون
- ١١٢- الاحتجاج الهادئ أرلين علوى ماكليود
- أحمد درويش
- عبد المقصود عبد الكريم
- مجاهد عبد المنعم مجاهد
- أحمد محمود ونورا أمين
- سعيد الغامى وناصر حلاوى
- مكارم الغمرى
- محمد طارق الشرقاوى
- محمود السيد على
- خالد المعالى
- عبد الحميد شيحة
- عبد الرازق بركات
- أحمد فتحى يوسف شتا
- ماجدة العنانى
- إبراهيم الدسوقى شتا
- أحمد زايد ومحمد محبى الدين
- محمد إبراهيم ميروك
- محمد هناء عبد الفتاح
- نادية جمال الدين
- عبد الوهاب علوب
- فوزية العشمواى
- سرى محمد عبد اللطيف
- إدوار الخراط
- بشير السباعى
- أشرف الصباغ
- إبراهيم قنديل
- إبراهيم فتحى
- رشيد بنحدو
- عز الدين الكتانى الإدريسى
- محمد بنيس
- عبد الغفار مكاوى
- عبد العزيز شبيل
- أشرف على دعدور
- محمد عبد الله الجعيدى
- محمود على مكى
- هاشم أحمد محمد
- منى قطان
- ريهام حسين إبراهيم
- إكرام يوسف

- ١١٣- راية التمرّد سادى پلانت
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع وول شوينكا
١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرچينيا وولف
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام لىلى أحمد
١١٨- النهضة النسائية فى مصر بث بارون
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط لىلى أبو لغد
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢- نظام العبودية القيم والنموذج المثالى للإنسان جوزيف فوجت
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية أنينل ألكسندرو فنادولينا
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية چون جراى
١٢٥- التحليل الموسيقى سيدرك ثورپ ديقى
١٢٦- فعل القراءة فؤلغانج إيسر
١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحتى
١٢٨- الأدب المقارن سوزان باسنيت
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته
١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندر فرانك
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين
١٣٢- ثقافة العولمة مايك فيذرستون
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) طارق على
١٣٤- تشریح حضارة بارى ج. كيمب
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت
١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كونو
١٣٧- مكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان
١٣٩- باريسقال (مسرحية) ريتشارد فاچنر
١٤٠- حيث تلتقى الأناهار هيريت ميسن
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولدونى
١٤٥- موت أرتيميو كروت (رواية) كارلوس فويتنس
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميچيل دى ليبس
١٤٧- مسرحيتان تانكريد دورست
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكى أندرسون إمبرت
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول
١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان

- ١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)
- ١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى
- ١٥٣- غرام الفراغة
- ١٥٤- مدرسة فرانكفورت
- ١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر
- ١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى
- ١٥٧- خسرو وشيرين
- ١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)
- ١٥٩- الأيديولوجية
- ١٦٠- آلة الطبيعة
- ١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسباني
- ١٦٢- تاريخ الكنيسة
- ١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (ج ١)
- ١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)
- ١٦٥- حكايات الثلج (قصص أطفال)
- ١٦٦- العلاقات بين المذنبين والعلمايين في إسرائيل
- ١٦٧- في عالم طاغور
- ١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة
- ١٦٩- إبداعات أدبية
- ١٧٠- الطريق (رواية)
- ١٧١- وضع حد (رواية)
- ١٧٢- حجر الشمس (شعر)
- ١٧٣- معنى الجمال
- ١٧٤- صناعة الثقافة السوداء
- ١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية
- ١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
- ١٧٧- أنطون تشيخوف
- ١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث
- ١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)
- ١٨٠- قصة جاويد (رواية)
- ١٨١- النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات
- ١٨٢- العنف والنبوة (شعر)
- ١٨٣- جان كوكو على شاشة السينما
- ١٨٤- القاهرة: حالة لا تنام
- ١٨٥- أسفار العهد القديم في التاريخ
- ١٨٦- معجم مصطلحات هيجل
- ١٨٧- الأرضة (رواية)
- ١٨٨- موت الأدب
- فرنان برودل
- مجموعة من المؤلفين
- فيولين فانويك
- فيل سليتر
- نخبة من الشعراء
- جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو
- النظامي الكنجوى
- فرنان برودل
- ديفيد هوكس
- بول إيرليش
- أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
- يوحنا الآسيوى
- جوردون مارشال
- جان لاکوتير
- أ.ن. أفاناسيفا
- يشعياهو ليفمان
- رابندرنا طاغور
- مجموعة من المؤلفين
- مجموعة من المؤلفين
- ميجيل دليبيس
- فرانك بيجو
- نخبة
- ولتر ت. ستيس
- إيليس كاشمور
- لورينزو فيلشس
- توم تيتنبرج
- هنرى تروايا
- نخبة من الشعراء
- أيسوب
- إسماعيل فصيح
- فنسنت ب. ليتش
- و.ب. بيتس
- رينيه جيلسون
- هانز ايندورفر
- توماس تومسن
- ميخائيل إنوود
- بُزرج علوى
- ألفين كرنان
- بشير السباعى
- محمد محمد الخطابى
- فاطمة عبدالله محمود
- خليل كلفت
- أحمد مرسى
- مى التلمسانى
- عبدالعزيز بقوش
- بشير السباعى
- إبراهيم فتحى
- حسين بيومى
- زيدان عبداللطيم زيدان
- صلاح عبدالعزيز محجوب
- بإشراف: محمد الجوهري
- نبيل سعد
- سهير المصادفة
- محمد محمود أبوغدير
- شكرى محمد عياد
- شكرى محمد عياد
- شكرى محمد عياد
- بسام ياسين رشيد
- هدى حسين
- محمد محمد الخطابى
- إمام عبد الفتاح إمام
- أحمد محمود
- وجيه سمعان عبد المسيح
- جلال البنا
- حصه إبراهيم المنيف
- محمد حمدى إبراهيم
- إمام عبد الفتاح إمام
- سليم عبد الأمير حمدان
- محمد يحيى
- ياسين طه حافظ
- فتحي العشرى
- دسوقى سعيد
- عبد الوهاب علوب
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمد علاء الدين منصور
- بدر الديب

- ١٨٩- العى والبصرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر پول دى مان
١٩٠- محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس
١٩١- الكلام وأسمال وقصص أخرى الحاج أبو بكر إمام وآخرون
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١) زين العابدين المراعى
١٩٣- عامل النجم (رواية) بيتر أبراهامز
١٩٤- مختارات من النقد الانجلو-أمريكى الحديث مجموعة من النقاد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية) إسماعيل فصيح
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية) فالنتين راسيوتين
١٩٧- سيرة الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى إدوين إمرى وآخرون
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندان
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل جيرمى سيبيروك
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٤) رينيه ويليك
٢٠٣- الشعر والشاعرية ألتاف حسين حالى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم زلمان شارازر
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافالى - سفورزا
٢٠٦- الهىولية تصنع علماً جديداً جيمس جلايك
٢٠٧- ليل أفريقي (رواية) رامون خوتاسنديز
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوريان
٢٠٩- السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر) سنائى الغزنوى
٢١١- فردينان دوسوسير جوناثان كلر
٢١٢- قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان مرزيان بن رستم بن شروين
٢١٣- مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر ريمون فلانور
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيدنز
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراعى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين
٢١٧- مسرحيتان طلبيعتان صمويل بيكيت وهارولد بينتر
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية) خوليو كورتاثان
٢١٩- بقايا اليوم (رواية) كازو إيشجورو
٢٢٠- الهىولية فى الكون بارى باركر
٢٢١- شعرية كفاى جريجورى جوزدانيس
٢٢٢- فرانز كافكا رونالد جراى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر باول فيرابند
٢٢٤- دمار يوغسلافيا برانكا ماجاس
٢٢٥- حكاية غريق (رواية) جابرييل جارتيا ماركيت
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى ديفيد هربت لورانس

- ٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر خوسيه ماريا ديث بوركي
- ٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن جانيت وولف
- ٢٢٩- مازق البطل الوحيد نورمان كيجان
- ٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر فرانسواز جاكوب
- ٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية) خايمي سالوم بيدال
- ٢٣٢- ما بعد المعلومات توم ستونير
- ٢٣٣- فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي آرثر هيرمان
- ٢٣٤- الإسلام في السودان ج. سينسر تريمينجهام
- ٢٣٥- ديوان شمس تبريزي (ج١) مولانا جلال الدين الرومي
- ٢٣٦- الولاية ميشيل شوكيفيتش
- ٢٣٧- مصر أرض الوادي روبين فيدين
- ٢٣٨- العولة والتحرير تقرير لمنظمة الأنكتاد
- ٢٣٩- العربي في الأدب الإسرائيلي جيلارامراز - رايوخ
- ٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار كاي حافظ
- ٢٤١- في انتظار البرابرة (رواية) ج. م. كوتزي
- ٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض وليام إمبسون
- ٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) ليفي بروفنسال
- ٢٤٤- الغليان (رواية) لاورا إسكيبيل
- ٢٤٥- نساء مقالات نساء إيزابيتا أديس وآخرون
- ٢٤٦- مختارات قصصية جابرييل جارتيا ماركيت
- ٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر والتر أرمبرست
- ٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية) أنطونيو جالا
- ٢٤٩- لغة التمزق (شعر) دراجو شتامبيوك
- ٢٥٠- علم اجتماع العلوم دومنيك فينك
- ٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) جوردون مارشال
- ٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية مارجو بدران
- ٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية ل. أ. سيمينوفا
- ٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة ديف روينسون وجودي جروفز
- ٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون ديف روينسون وجودي جروفز
- ٢٥٦- أقدم لك: ديكرات ديف روينسون وكريس جارات
- ٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة وليم كلى رايت
- ٢٥٨- العجر سير أنجوس فريزر
- ٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور نخبة
- ٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) جوردون مارشال
- ٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود زكي نجيب محمود
- ٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية) إدواردو مندوثا
- ٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن چون جرين
- ٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة هوراس وشلي
- السيد عبدالظاهر عبدالله
- ماري تيريز عبدال المسيح وخالد حسن
- أمير إبراهيم العمري
- مصطفى إبراهيم فهمي
- جمال عبدالرحمن
- مصطفى إبراهيم فهمي
- طلعت الشايب
- فؤاد محمد عكود
- إبراهيم الدسوقي شتا
- أحمد الطيب
- عنايات حسين طلعت
- ياسر محمد جادالله وعربي مدبولي أحمد
- نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
- صلاح محجوب إدريس
- ابتسام عبدالله
- صبرى محمد حسن
- بإشراف: صلاح فضل
- نادية جمال الدين محمد
- توفيق على منصور
- على إبراهيم منوفى
- محمد طارق الشرقاوى
- عبداللطيف عبداللطيم
- رفعت سلام
- ماجدة محسن أباطة
- بإشراف: محمد الجوهري
- على بدران
- حسن بيومي
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمود سيد أحمد
- عبادة كحيلة
- فاروجان كانانجيان
- بإشراف: محمد الجوهري
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمد أبو العطا
- على يوسف على
- لويس عوض

- ٢٦٥- روايات مترجمة أوسكار وايلد وصمويل جونسون لويس عوض
- ٢٦٦- مدير المدرسة (رواية) جلال آل أحمد عادل عبدالمنعم على
- ٢٦٧- فن الرواية ميلان كونديرا بدر الدين عرودىكى
- ٢٦٨- ديوان شمس تبريزى (ج٢) مولانا جلال الدين الرومى إبراهيم الدسوقى شتا
- ٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١) وليم جيفور بالجريف صبرى محمد حسن
- ٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها (ج٢) وليم جيفور بالجريف صبرى محمد حسن
- ٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ توماس سى. باترسون شوقى جلال
- ٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر سى. سى. والترز إبراهيم سلامة إبراهيم
- ٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر جوان كول عنان الشهاوى
- ٢٧٤- السيدة باربارا (رواية) رومولو جاييجوس محمود على مكى
- ٢٧٥- ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً مجموعة من النقاد ماهر شفيق فريد
- ٢٧٦- فنون السينما مجموعة من المؤلفين عبدالقادر التلمسانى
- ٢٧٧- الجينات والصراع من أجل الحياة براين فورد أحمد فوزى
- ٢٧٨- البدايات إسحاق عظيموف ظريف عبدالله
- ٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية ف.س. سوندرز طلعت الشنايب
- ٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى بريم شند وآخرون سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٢٨١- الفريديوس الأعلى (رواية) عبد الطليم شرر جلال الحفناوى
- ٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية لويس وولبرت سمير حنا صادق
- ٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى خوان رولفو على عبد الرؤف البمبى
- ٢٨٤- هرقل مجنوناً (مسرحية) يوريببديس أحمد عثمان
- ٢٨٥- رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى حسن نظامى الدهلوى سمير عبد الحميد إبراهيم
- ٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراغى محمود علاوى
- ٢٨٧- الثقافة والعولة والنظام العالمى أنتونى كنج محمد يحيى وآخرون
- ٢٨٨- الفن الروائى ديفيد لودج ماهر البطوطى
- ٢٨٩- ديوان منوچهرى الدامغانى أبو نجم أحمد بن قوص محمد نور الدين عبدالمنعم
- ٢٩٠- علم اللغة والترجمة جورج مونات أحمد زكريا إبراهيم
- ٢٩١- تاريخ المسرح الإشبانى فى القرن العشرين (ج١) فرانثسكو رويس رامون السيد عبد الظاهر
- ٢٩٢- تاريخ المسرح الإشبانى فى القرن العشرين (ج٢) فرانثسكو رويس رامون السيد عبد الظاهر
- ٢٩٣- مقدمة للأدب العربى روجر ألن مجدى توفيق وآخرون
- ٢٩٤- فن الشعر بوالو رجاء ياقوت
- ٢٩٥- سلطان الأسطورة جوزيف كامبل وبيل موريز بدر الديب
- ٢٩٦- مكبث (مسرحية) وليم شكسبير محمد مصطفى بدوى
- ٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى ماجدة محمد أنور
- ٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى نخبة مصطفى حجازى السيد
- ٢٩٩- ثورة فى التكنولوجيا الحيوية جين ماركس هاشم أحمد محمد
- ٣٠٠- أسطورة بروتيموس فى الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج١) لويس عوض جمال الجزيرى وبهاء جاهين وإيزابيل كمال
- ٣٠١- أسطورة بروتيموس فى الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج٢) لويس عوض جمال الجزيرى ومحمد الجندى
- ٣٠٢- أقدم لك: فنجنشتين جون هيتون وجودى جروفز إمام عبد الفتاح إمام

- ٣٠٣- أقدم لك: بوذا جين هوب وبورن فان لون
- ٣٠٤- أقدم لك: ماركس ريبوس
- ٣٠٥- الجلد (رواية) كروزيو مالابارته
- ٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ چان فرانسوا ليوتار
- ٣٠٧- أقدم لك: الشعور ديفيد بابينو وهوارد سلبنا
- ٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة ستيف جونز وبورين فان لو
- ٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت
- ٣١٠- أقدم لك: يونج ماجى هايد ومايكل ماكجنس
- ٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى ر.ج كولنجوود
- ٣١٢- روح الشعب الأسود وليم ديبيوس
- ٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر) خاير بيان
- ٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم جانيس مينيك
- ٣١٥- جرامشى فى العالم العربى ميشيل بروندينو والطاهر لبيب
- ٣١٦- محاكمة سقراط أى. ف. ستون
- ٣١٧- بلا غد س. شير لايموفا- س. زنيكين
- ٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة مجموعة من المؤلفين
- ٣١٩- صور دريدا جايترى اسبيفاك وكريستوفر نوريس
- ٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج مؤلف مجهول
- ٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ١) ليفى بروفنسال
- ٣٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى دبليو يوجين كلينباور
- ٣٢٣- فن الساتورا تراث يونانى قديم
- ٣٢٤- اللعب بالنار (رواية) أشرف أسدى
- ٣٢٥- عالم الآثار (رواية) فيليب بوسان
- ٣٢٦- المعرفة والمصلحة يورجين هابرماس
- ٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (ج١) نخبة
- ٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر) نور الدين عبد الرحمن الجامى
- ٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر) تد هيوز
- ٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت مارفن شبرد
- ٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى ستيفن جراى
- ٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى نخبة
- ٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥ نبيل مطر
- ٣٣٤- لقطات من المستقبل آرثر كلارك
- ٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية ناتالى ساروت
- ٣٣٦- متون الأهرام نصوص مصرية قديمة
- ٣٣٧- فلسفة الولاء جوزايا رويس
- ٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى نخبة
- ٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (ج٢) إدوارد براون
- ٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط بيرش بيربروجل
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- صلاح عبد الصبور
- نبيل سعد
- محمود مكى
- ممدوح عبد المنعم
- جمال الجزيرى
- محبى الدين مزيد
- فاطمة إسماعيل
- أسعد حليم
- محمد عبدالله الجعيدى
- هويدا السباعى
- كاميليا صبحى
- نسيم مجلى
- أشرف الصباغ
- أشرف الصباغ
- حسام نايل
- محمد علاء الدين منصور
- باشرف: صلاح فضل
- خالد مفلح حمزة
- هانم محمد فوزى
- محمود علاوى
- كريستين يوسف
- حسن صقر
- توفيق على منصور
- عبد العزيز بقوش
- محمد عيد إبراهيم
- سامى صلاح
- سامية دياب
- على إبراهيم منوفى
- بكر عباس
- مصطفى إبراهيم فهمى
- فتحي العشرى
- حسن صابر
- أحمد الأنصارى
- جلال الحفناوى
- محمد علاء الدين منصور
- فخرى لبيب

- ٢٤١- قصائد من رلكه (شعر) راينر ماريا رلكه
٢٤٢- سلامان وأيسال (شعر) نور الدين عبدالرحمن الجامى
٢٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية) نادين جورديمر
٢٤٤- الموت فى الشمس (رواية) بيتر بالانجيو
٢٤٥- الرخص خلف الزمان (شعر) بونه ندائى
٢٤٦- سحر مصر رشاد رشدى
٢٤٧- الصبية الطاششون (رواية) جان كوكتو
٢٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (ج١) محمد فؤاد كوبريلى
٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والدهورن وآخرون
٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية مجموعة من المؤلفين
٢٥١- مبادئ المنطق جوزايا رويس
٢٥٢- قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس
٢٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية باسيليو بابون مالدونادو
٢٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية باسيليو بابون مالدونادو
٢٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة حجت مرتجى
٢٥٦- الميراث المر بول سالم
٢٥٧- متون هرمس تيموثى فريك وبيتر غاندى
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية نخبة
٢٥٩- محاوره بارمنيدس أفلاطون
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة أندريه جاكوب ونويلا باركان
٢٦١- التصحر: التهديد والمجابهة آلان جرينجر
٢٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية) هاينرش شبورل
٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية ريتشارد جيبسون
٢٦٤- حداثه شكسبير إسماعيل سراج الدين
٢٦٥- سأم باريس (شعر) شارل بودلير
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب كلاريسا بنكولا
٢٦٧- القلم الجرىء مجموعة من المؤلفين
٢٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات جيرالد برنس
٢٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ فوزية العشماوى
٢٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية كليلا لويت
٢٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (ج٢) محمد فؤاد كوبريلى
٢٧٢- عاش الشباب (رواية) وانغ مينغ
٢٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه أومبرتو إيكو
٢٧٤- اليوم السادس (رواية) أندريه شديد
٢٧٥- الخلود (رواية) ميلان كونديرا
٢٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرقيات) جان أنوى وآخرون
٢٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (ج١) إدوارد براون
٢٧٨- المسافر (شعر) محمد إقبال
حسن حلمى
عبد العزيز بقوش
سمير عبد ربه
سمير عبد ربه
يوسف عبد الفتاح فرج
جمال الجزيرى
بكر الطلو
عبدالله أحمد إبراهيم
أحمد عمر شاهين
عطية شحاتة
أحمد الانصارى
نعيم عطية
على إبراهيم منوفى
على إبراهيم منوفى
محمود علاوى
بدر الرفاعى
عمر الفاروق عمر
مصطفى حجازى السيد
حبيب الشارونى
ليلى الشريبنى
عاطف معتمد وآمال شاور
سيد أحمد فتح الله
صبرى محمد حسن
نجلاء أبو عجاج
محمد أحمد حمد
مصطفى محمود محمد
البراق عبدالهادى رضا
عابد خزندار
فوزية العشماوى
فاطمه عبدالله محمود
عبدالله أحمد إبراهيم
وحيد السعيد عبدالحميد
على إبراهيم منوفى
حمادة إبراهيم
خالد أبو اليزيد
إدوار الخراط
محمد علاء الدين منصور
يوسف عبدالفتاح فرج

- ٢٧٩- ملك في الحديقة (رواية) سنيل باث جمال عبدالرحمن
- ٢٨٠- حديث عن الخسارة جونتر جراس شيرين عبدالسلام
- ٢٨١- أساسيات اللغة ر. ل. تراسك رانيا إبراهيم يوسف
- ٢٨٢- تاريخ طبرستان بهاء الدين محمد إسفنديار أحمد محمد نادى
- ٢٨٣- هدية الحجاز (شعر) محمد إقبال سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال سوزان إنجيل إيزابيل كمال
- ٢٨٥- مشترى العشق (رواية) محمد على بهزادراد يوسف عبدالفتاح فرج
- ٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوى جانيت تود ريهام حسين إبراهيم
- ٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر) چون دن بهاء جاهين
- ٢٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر) سعدى الشيرازى محمد علاء الدين منصور
- ٢٨٩- تفاهم وقصص أخرى نخبة سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٢٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى إم. فى. روبرتس عثمان مصطفى عثمان
- ٢٩١- الحافلة الليكسية (رواية) مايف بينشى منى الدروبي
- ٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية فرناندو دى لاجرانجا عبداللطيف عبداللطيم
- ٢٩٣- فى قلب الشرق ندوة لويس ماسينيون زينب محمود الخضيرى
- ٢٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون بول ديفيز هاشم أحمد محمد
- ٢٩٥- آلام سياوش (رواية) إسماعيل فصيح سليم عبد الأمير حمدان
- ٢٩٦- السافاك تقى نجارى راد محمود علاوى
- ٢٩٧- أقدم لك: نيتشه لورانس جين وكيتى شين إمام عبدالفتاح إمام
- ٢٩٨- أقدم لك: سارتر فيليب تودى وهوارد ريد إمام عبدالفتاح إمام
- ٢٩٩- أقدم لك: كامى ديفيد ميروفتش وألن كوركس إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٠٠- مومو (رواية) ميشائيل إنده باهر الجوهري
- ٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات زياودن ساردر وآخرون ممدوح عبد المنعم
- ٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت ممدوح عبدالمنعم
- ٤٠٣- رية المطر والملابس تصنع الناس (روايتان) تودور شتورم وجوتفرد كولر عماد حسن بكر
- ٤٠٤- تعويذة الحسى ديفيد إبرام طيبة خميس
- ٤٠٥- إيزابيل (رواية) أندريه جيد حمادة إبراهيم
- ٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩ مانويلا مانتاناريس جمال عبد الرحمن
- ٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر باقلام كتبه مجموعة من المؤلفين طلعت شاهين
- ٤٠٨- معجم تاريخ مصر جوان فوتشركنج عنان الشهاوى
- ٤٠٩- انتصار السعادة برتراند راسل إلهامى عمارة
- ٤١٠- خلاصة القرن كارل بوير الزواوى بغورة
- ٤١١- همس من الماضى جينيفر أكرمان أحمد مستجير
- ٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢) ليفى بروفنسال بإشراف: صلاح فضل
- ٤١٣- أغنيات المنفى (شعر) ناظم حكمت محمد البخارى
- ٤١٤- الجمهورية العالمية للأداب باسكال كازانوفيا أمل الصبان
- ٤١٥- صورة كوكب (مسرحية) فريديرش دورينمات أحمد كامل عبدالرحيم
- ٤١٦- مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر أ. أ. رتشاردز محمد مصطفى بدوى

- ٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٥) رينيه ويليك
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية جين هاثواى
٤١٩- العصر الذهبى للإسكندرية جون مارلو
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية) فولتير
٤٢١- الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول روى متحدة
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١) ثلاثة من الرحالة
٤٢٣- إسرءات الرجل الطيف نخبة
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر) نور الدين عبدالرحمن الجامى
٤٢٥- من طاووس إلى فرح محمود طلوعى
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى نخبة
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية) باى إنكلان
٤٢٨- الخزنة الخفية محمد هوتك بن داود خان
٤٢٩- أقدم لك: هيجل ليود سينسر وأندزجى كروز
٤٣٠- أقدم لك: كانط كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى
٤٣١- أقدم لك: فوكو كريس هوروكس وزوران جفتيك
٤٣٢- أقدم لك: ماكياقللى باتريك كبرى وأوسكار زاريت
٤٣٣- أقدم لك: جويس ديفيد نوريس وكارل فلنت
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية دونكان هيث وچودى بورهام
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة نيكولاس زربرج
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١) فردريك كوبلستون
٤٣٧- رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى شبلى النعمانى
٤٣٨- بطلات وضحايا إيمان ضياء الدين بيبرس
٤٣٩- موت المرابى (رواية) صدر الدين عينى
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة كرستن بروستاد
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية) أرونداتى روى
٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية فوزية أسعد
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها كيس فرستيغ
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة لاوريت سيجورنه
٤٤٥- حول وزن الشعر پرويز ناتل خانلرى
٤٤٦- التحالف الأسود ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كليلر
٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت
٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور ديلان إيفانز وأوسكار زاريت
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية نخبة
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية صوفيا فوكا وريبيكا رايت
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية ريتشارد أوزبورن ويورن فان لون
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة جان لوك أرنو
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية رينيه بريدال

محمود سيد أحمد	فردريك كويلستون	٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)
هويدا عزت محمد	مريم جعفرى	٤٥٦- لا تتسنى (رواية)
إمام عبدالفتاح إمام	سوزان مولر أوكين	٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى
جمال عبد الرحمن	مرثيديس غارثيا أرينال	٤٥٨- الموريكيون الأندلسيون
جلال البنا	توم تيتنبرج	٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وليتزا جانستز	٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية
إمام عبدالفتاح إمام	داريان ليدر وجودى جروفز	٤٦١- أقدم لك: لكن
عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى	٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون
كمال السيد	ويليام بلوم	٤٦٣- الدولة المارقة
حصه إبراهيم المنيف	مايكل بارنتى	٤٦٤- ديمقراطية للقله
جمال الرفاعى	لويس جنزبيرج	٤٦٥- قصص اليهود
فاطمة عبد الله	فيولين فانويك	٤٦٦- حكايات حب ويطولات فرعونية
ربيع وهبة	ستيفين ديلو	٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية
أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة
مجدى عبدالرازق	نصوص حبشية قديمة	٤٦٩- جلال الملوك
محمد السيد الننة	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية
عبد الله عبد الرازق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)
سليمان العطار	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)
سليمان العطار	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)
سهام عبدالسلام	بام موريس	٤٧٤- الأدب والنسوية
عادل هلال عنانى	فرجينيا دانيلسون	٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم
سحر توفيق	ماريلين بوث	٤٧٦- أرض الحباب بعيدة، بيرم التونسى
أشرف كيلانى	هيلدا هوخام	٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين
عبد العزيز حمدى	ليوشيه شنج و لى شى دونج	٤٧٨- الصين والولايات المتحدة
عبد العزيز حمدى	لاوشه	٤٧٩- المقهى (مسرحية)
عبد العزيز حمدى	كو مو روا	٤٨٠- تساي ون جى (مسرحية)
رضوان السيد	روى متحدة	٤٨١- برده النبى
فاطمة عبد الله	روبير جاك تيبو	٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية
أحمد الشامى	سارة چامبل	٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية
رشيد بنحو	هانسن روبييرت يابوس	٤٨٤- جمالية التلقى
سمير عبدالحميد إبراهيم	نذير أحمد الدهلوى	٤٨٥- التوبة (رواية)
عبدالطيم عبدالغنى رجب	يان أسمن	٤٨٦- الذاكرة الحضارية
سمير عبدالحميد إبراهيم	رفيع الدين المراد أبادى	٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى
محمود رجب	إدموند هُسرل	٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً
عبد الوهاب علوب	محمد قادرى	٤٩٠- أسمار البيغاء
سمير عبد ربه	نخبة	٤٩١- نصوص قصصية من روائع الألب الأفريقى
محمد رفعت عواد	جى فارجيت	٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة

محمد صالح الضالع	هارولد بالمر	٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات
شريف الصيفي	نصوص مصرية قديمة	٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج فى النهار
حسن عبد ربه المصرى	إدوارد نيفان	٤٩٥- اللوبى
مجموعة من المترجمين	إكوادو بانولى	٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج١)
مصطفى رياض	نادية العلى	٤٩٧- العلمانية والنوع والذولة فى الشرق الأوسط
أحمد على بدوى	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث
فيصل بن خضراء	مجموعة من المؤلفين	٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع
طلعت الشايب	تيتز رووكى	٥٠٠- فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية
سحر فراج	آرثر جولد هامر	٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (ج١)
هالة كمال	مجموعة من المؤلفين	٥٠٢- أصوات بديلة
محمد نور الدين عبدالمنعم	نخبة من الشعراء	٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	٥٠٤- كتابات أساسية (ج١)
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	٥٠٥- كتابات أساسية (ج٢)
عبدالحميد فهمى الجمال	آن تيلر	٥٠٦- ربما كان قديساً (رواية)
شوقى فهم	بيتر شيفر	٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية)
عبدالله أحمد إبراهيم	عبدالباقي جلبنارلى	٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى
قاسم عبده قاسم	آدم صبرة	٥٠٩- الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المالك
عبدالرازق عيد	كارلو جولونى	٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية)
عبدالحميد فهمى الجمال	آن تيلر	٥١١- كوكب مرقع (رواية)
جمال عبد الناصر	تيموثى كوريجان	٥١٢- كتابة النقد السينمائى
مصطفى إبراهيم فهمى	تيد أنتون	٥١٣- العلم الجسور
مصطفى بيومى عبد السلام	چونثان كولر	٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية
فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس	٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة
صبرى محمد حسن	آرنولد واشنطن ودونا باوندى	٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان
سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى
هاشم أحمد محمد	إسحق عظيموف	٥١٨- استكشاف الأرض والكون
أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة
أمل الصبان	أحمد يوسف	٥٢٠- الولوج الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع
عبدالوهاب بكر	آرثر جولد سميث	٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة
على إبراهيم منوفى	أميركو كاسترو	٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونادو	٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن
محمد مصطفى بدوى	وليم شكسبير	٥٢٤- الملك لير (مسرحية)
نادية رفعت	دنيس جونسون	٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى
محيى الدين مزيد	ستيفن كروول ووليم رانكين	٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية
جمال الجزيرى	ديفيد زين ميروفنتس وروبرت كرمب	٥٢٧- أقدم لك: كافكا
جمال الجزيرى	طارق على وفل إيفانز	٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية
حازم محفوظ	محمد إقبال	٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى
عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية

- ٥٢١- ما الذى حدث فى «حدث» ١١ سبتمبر؟
٥٢٢- المغامر والمستشرق هنرى لورنس
٥٢٣- تعلم اللغة الثانية سوزان جاس
٥٢٤- الإسلاميون الجزائريون سيقرين لايا
٥٢٥- مخزن الأسرار (شعر) نظامى الكنجوى
٥٢٦- الثقافات وقيم التقدم صمويل منتجتون ولورانس هاريزون
٥٢٧- للحب والحرية (شعر) نخبة
٥٢٨- النفس والأخر فى قصص يوسف الشارونى كيت دانييلز
٥٢٩- خمس مسرحيات قصيرة كاريل تشرشل
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية السير رونالد ستورس
٥٤١- هى تخيل وهالوس أخرى خوان خوسيه مياس
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث نخبة
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية باتريك بروجان وكريس جرات
٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين روبرت هنشل وآخرون
٥٤٥- يا له من سباق محموم فرانسيس كريك
٥٤٦- ريموس ت. ب. وايزمان
٥٤٧- أقدم لك: بارت فيليب تودى وأن كورس
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع ريتشارد أوزيرن وبورن فان لون
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات بول كوبلى وليتاجانز
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير نيك جروم وبيرو
٥٥١- الموسيقى والعولة سايمون ماندى
٥٥٢- قصص مثالية ميغيل دى ثربانتس
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر دانيال لوفرس
٥٥٤- مصر فى عهد محمد على عفاف لطفى السيد مارسوه
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين أناتولى أوتكين
٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار كريس هوروكس وزوران جيفتك
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد ستوارت هود وجراهام كرولى
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية زيودين سارداروبورين فان لون
٥٥٩- الماس الزائف (رواية) تشا تشاجى
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر) محمد إقبال
٥٦١- جناح جبريل (شعر) محمد إقبال
٥٦٢- بلايين وبلايين كارل ساجان
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية) خاينيتو بينابيتتى
٥٦٤- عش الغريب (مسرحية) خاينيتو بينابيتتى
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر ديبورا ج. جيرنر
٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى موريس بيشوب
٥٦٧- الوطن المغتصب مايكل رايس
٥٦٨- الأصولى فى الرواية عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومي بابا	تائر ديب
٥٧٠-	نول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١-	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب في زمن الفراغة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجانانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثباتنس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج ١)	جون فيزر ويول سبترجز	باشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحققي يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاج (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزیز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتب الثالث	أنيس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس دييوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالنواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (ج١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الطلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروياروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهريين	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليونثار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزیز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

- ٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (ج١) هارى سينت فيلبى
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (ج٢) هارى سينت فيلبى
٦٠٩- الانتخاب الثقافى أنجر فوج
٦١٠- العمارة المدمجة رفاثيل لويث جوشمان
٦١١- النقد والأيدولوجية تيرى إيجلتون
٦١٢- رسالة النفسية فضل الله بن حامد الحسينى
٦١٣- السياحة والسياسة كولن مايكل هول
٦١٤- بيت الأقصر الكبير (رواية) فوزية أسعد
٦١٥- عرض الأحداث التي وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩ أليس بسيرينى
٦١٦- أساطير بيضاء روبرت بانج
٦١٧- الفولكلور والبحر هوراس بيك
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة تشارلز فيلبس
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس ريمون استانبولى
٦٢٠- السلام، نمنينى توماش ماستناك
٦٢١- النوبة المعبر الحضارى وليم ى. آدمز
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين آى تشينغ
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى سعيد قانعى
٦٢٤- أزمة العالم الحديث رينيه جينو
٦٢٥- الجرح السرى جان جينيه
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (ج٢) نخبة
٦٢٧- حكايات إيرانية نخبة
٦٢٨- أصل الأنواع تشارلس داروين
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية نيقولاس جويات
٦٣٠- سيرتى الذاتية أحمد بللو
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر نخبة
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا دولورس برامون
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر) نخبة
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين
٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر جودة عبد الخالق
٦٣٦- حج يولدة جناب شهاب الدين
٦٣٧- مصر الخديوية ف. روبرت هنتر
٦٣٨- الديمقراطية والشعر روبرت بن وريين
٦٣٩- فندق الأرق (شعر) تشارلز سيميك
٦٤٠- ألكسياد الأميرة أناكومينا
٦٤١- برتراند رسل (مختارات) برتراند رسل
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور جوناثان ميلر وبورين فان لون
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر) عبد الماجد الدرايپادى
٦٤٤- العلوم عند المسلمين هوارد د. تيرنر
- صبرى محمد حسن
صبرى محمد حسن
شوقى جلال
على إبراهيم منوفى
فخرى صالح
محمد محمد يونس
محمد فريد حجاب
منى قطان
محمد رفعت عواد
أحمد محمود
أحمد محمود
جلال البنا
عايدة الباجورى
بشير السباعى
فؤاد عكود
أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
يوسف عبدالفتاح
عمر الفاروق عمر
محمد برادة
توفيق على منصور
عبدالوهاب علوب
مجدى محمود المليجى
عزة الخميسى
صبرى محمد حسن
باشراف: حسن طلب
رانيا محمد
حمادة إبراهيم
مصطفى البهنساوى
سمير كريم
سامية محمد جلال
بدر الرفاعى
فؤاد عبد المطلب
أحمد شافعى
حسن حبشى
محمد قدرى عمارة
ممدوح عبد المنعم
سمير عبدالحميد إبراهيم
فتح الله الشيخ

عبد الوهاب علوب	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	٦٤٥-
عبد الوهاب علوب	سيهر ذبيح	قصة الثورة الإيرانية	٦٤٦-
فتحي العشري	جون نيينه	رسائل من مصر	٦٤٧-
خليل كلفت	بياتريث سارلو	بورخيس	٦٤٨-
سحر يوسف	جى دى موياسان	الخوف وقصص خرافية أخرى	٦٤٩-
عبد الوهاب علوب	روجر أوين	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	٦٥٠-
أمل الصبان	وثائق قديمة	ديليسيس الذى لا نعرفه	٦٥١-
حسن نصر الدين	كلود ترونكر	ألهة مصر القديمة	٦٥٢-
سمير جريس	إيريش كستنر	مدرسة الطغاة (مسرحية)	٦٥٣-
عبد الرحمن الخميسى	نصوص قديمة	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	٦٥٤-
حليم طوسون ومحمود ماهر طه	إيزابيل فرانكو	أساطير ألهة	٦٥٥-
ممدوح البستاوى	ألفونسو ساسترى	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	٦٥٦-
خالد عباس	مرثديس غارثيا أرينال	محاكم التفتيش والموريكيون	٦٥٧-
صبرى التهامى	خوان رامون خيمينيث	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	٦٥٨-
عبداللطيف عبدالحليم	نخبة	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	٦٥٩-
هاشم أحمد محمد	ريتشارد فايفيلد	نافذة على أحدث العلوم	٦٦٠-
صبرى التهامى	نخبة	روائع أندلسية إسلامية	٦٦١-
صبرى التهامى	داسو سالدبيار	رحلة إلى الجنور	٦٦٢-
أحمد شافعى	ليوسيل كليفتون	امرأة عادية	٦٦٣-
عصام زكريا	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	الرجل على الشاشة	٦٦٤-
هاشم أحمد محمد	بول دافيز	عولم أخرى	٦٦٥-
جمال عبد الناصر ومدحت الجبار وجمال جاد الرب	وولفجانج اتش كليمن	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	٦٦٦-
على ليلة	ألن جولدرن	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	٦٦٧-
ليلي الجبالى	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ثقافات العولة	٦٦٨-
نسيم مجلى	وول شوينكا	ثلاث مسرحيات	٦٦٩-
ماهر البطوطى	جوستاف أدولفو بكر	أشعار جوستاف أدولفو	٦٧٠-
على عبدالأمير صالح	جيمس بولدوين	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	٦٧١-
إبتهاال سالم	نخبة	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	٦٧٢-
جلال الحفناوى	محمد إقبال	ضرب الكليم (شعر)	٦٧٣-
محمد علاء الدين منصور	آية الله العظمى الخمينى	ديوان الإمام الخمينى	٦٧٤-
باشرف: محمود إبراهيم السعدنى	مارتن برنال	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	٦٧٥-
باشرف: محمود إبراهيم السعدنى	مارتن برنال	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	٦٧٦-
أحمد كمال الدين حلمى	إدوارد جرانفيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، ج١)	٦٧٧-
أحمد كمال الدين حلمى	إدوارد جرانفيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، ج٢)	٦٧٨-
توفيق على منصور	وليام شكسبير	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	٦٧٩-
سمير عبد ربه	وول شوينكا	سنوات الطفولة (رواية)	٦٨٠-
أحمد الشيمى	ستانلى فش	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	٦٨١-
صبرى محمد حسن	بن أوكرى	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	٦٨٢-

صبرى محمد حسن	تى . م . ألوكو	سكين واحد لكل رجل (رواية)	٦٨٣-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الأعمال القصصية الكاملة (إنا كندا) (ج١)	٦٨٤-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الأعمال القصصية الكاملة (المصحاء) (ج٢)	٦٨٥-
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	امرأة محاربة (رواية)	٦٨٦-
ماجدة العنانى	فتانة حاج سيد جوادى	محبوبة (رواية)	٦٨٧-
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	فيليب م . دوبر وريتشارد أ . موار	الانفجارات الثلاثة العظمى	٦٨٨-
هناء عبد الفتاح	تادووش روجيفيتش	الملف (مسرحية)	٦٨٩-
رمسيس عوض	(مختارات)	محاكم التفتيش فى فرنسا	٦٩٠-
رمسيس عوض	(مختارات)	ألبورت أينشتين: حياته وغرامياته	٦٩١-
حمدى الجابرى	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	أقدم لك: الوجودية	٦٩٢-
جمال الجزيرى	حائيم برشيت وآخرون	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	٦٩٣-
حمدى الجابرى	جيف كولينز وبيل مايبلين	أقدم لك: دريدا	٦٩٤-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روبنسون وجودى جروف	أقدم لك: رسل	٦٩٥-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	أقدم لك: روسو	٦٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	روبرت ودفين وجودى جروفس	أقدم لك: أرسطو	٦٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سبنسر وأندريجي كروز	أقدم لك: عصر التنوير	٦٩٨-
جمال الجزيرى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	أقدم لك: التحليل النفسى	٦٩٩-
بسمة عبدالرحمن	ماريو بارجاس يوسا	الكاتب وواقعه	٧٠٠-
منى البرنس	وليم رود فيفيان	الذاكرة والحدائة	٧٠١-
محمود علاوى	أحمد وكيليان	الأمثال الفارسية	٧٠٢-
أمين الشواربى	إدوارد جرانثيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	٧٠٣-
محمد علاء الدين منصور وآخرون	مولانا جلال الدين الرومى	فيه ما فيه	٧٠٤-
عبدالحميد مذكور	الإمام الغزالى	فضل الأناث من رسائل حجة الإسلام	٧٠٥-
عزت عامر	جونسون ف. يان	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	٧٠٦-
وفاء عبدالقادر	هوارد كاليبج وآخرون	أقدم لك: قائلر بينامين	٧٠٧-
رعوف عباس	دونالد مالكولم ريد	فراغنة من؟	٧٠٨-
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	معنى الحياة	٧٠٩-
دعاء محمد الخطيب	إيان هاتشباى وجوموران - إليس	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	٧١٠-
هناء عبد الفتاح	ميرزا محمد هادى رسوا	درة التاج	٧١١-
سليمان البستانى	هوميروس	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج١)	٧١٢-
سليمان البستانى	هوميروس	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج٢)	٧١٣-
حنا صاوه	لامنيه	ميراث الترجمة: حديث القلوب	٧١٤-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج١)	٧١٥-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٢)	٧١٦-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٣)	٧١٧-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٤)	٧١٨-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٥)	٧١٩-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٦)	٧٢٠-

مصطفى لبيب عبد الغنى	هـ. أ. ولفسون	٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج ١)
الصفصافى أحمد القطورى	يشار كمال	٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى
أحمد ثابت	إفرايم نيمنى	٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية
عبد الريس	بول روبنسون	٧٢٤- اليسار القرويدى
مى مقلد	جون فيتكس	٧٢٥- الاضطراب النفسى
مروة محمد إبراهيم	غيرمو غوثالبيس بوستو	٧٢٦- الموريسكيون فى المغرب
وحيد السعيد	باچين	٧٢٧- حلم البحر (رواية)
أميرة جمعة	موريس آليه	٧٢٨- العولة: تدمير العمالة والنمو
هويدا عزت	صادق زيباكالام	٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران
عزت عامر	آن جاتى	٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية
محمد قدرى عمارة	مجموعة من المؤلفين	٧٣١- النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف
سمير جريس	إنجو شولتسه	٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)
محمد مصطفى بدوى	وليم شيكسبير	٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)
أمل الصبان	أحمد يوسف	٧٣٤- بونابرت فى الشرق الإسلامى
محمود محمد مكى	مايكل كوبرسون	٧٣٥- فن السيرة فى العربية
شعبان مكواى	هوارد زن	٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج١)
توفيق على منصور	باتريك ل. أبوت	٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج ٢)
محمد عواد	جيرار دى جورج	٧٣٨- دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الثورة الملوكية
محمد عواد	جيرار دى جورج	٧٣٩- دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر
مرفت ياقوت	بارى هندس	٧٤٠- خطابات السلطة
أحمد هيكل	برنارد لويس	٧٤١- الإسلام وأزمة العصر
رزق بهنسى	خوسيه لاكوادرا	٧٤٢- أرض حارة
شوقى جلال	روبرت أونجر	٧٤٣- الثقافة: منظور داروينى
سمير عبد الحميد	محمد إقبال	٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)
محمد أبو زيد	بيك الدنبلى	٧٤٥- المآثر السلطانية
حسن النعيمى	جوزيف أ. شومبيتر	٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج ١)
إيمان عبد العزيز	تريفور وايتوك	٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما
سمير كريم	فرانسيس بويل	٧٤٨- تدمير النظام العالمى
باتسى جمال الدين	ل.ج. كالفيه	٧٤٩- إيكلوجيا لغات العالم
باشراف: أحمد عثمان	هوميروس	٧٥٠- الإلياذة
علاء السباعى	نخبة	٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى
نمر عارورى	جمال قارصلى	٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف
محسن يوسف	إسماعيل سراج الدين وآخرون	٧٥٣- التنمية والقيم
عبد السلام حيدر	أنأ مارى شيميل	٧٥٤- الشرق والغرب
على إبراهيم منوفى	أندرو ب. ديبكى	٧٥٥- تاريخ الشعر الإيبانى خلال القرن العشرين
خالد محمد عباس	إنريكى خاردييل بونثيلا	٧٥٦- ذات العيون الساحرة
أمال الروبى	باتريشيا كرون	٧٥٧- تجارة مكة
عاطف عبد الحميد	بروس روبنز	٧٥٨- الإحساس بالعولة

- ٧٥٩- النثر الأردى مولوى سيد محمد
- ٧٦٠- الدين والتصور الشعبى للكون السيد الأسود
- ٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة (رواية) فيرجينيا وولف
- ٧٦٢- المسلم عدواً و صديقاً ماريا سوليداد
- ٧٦٣- الحياة فى مصر أنريكو بيا
- ٧٦٤- ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل) غالب الدهلوى
- ٧٦٥- ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف) خواجة الدهلوى
- ٧٦٦- الشرق المتخيل تيرى هنتش
- ٧٦٧- الغرب المتخيل نسيب سمير الحسينى
- ٧٦٨- حوار الثقافات محمود فهمى حجازى
- ٧٦٩- أدباء أحياء فريدريك هتمان
- ٧٧٠- السيدة بيرفيكتا بينيتو بيريث جالدوس
- ٧٧١- السيد سيجونو سومبرا ريكاردو جويرالديس
- ٧٧٢- بريخت ما بعد الحداثة إليزابيث رايت
- ٧٧٣- دائرة المعارف الدولية (ج٢) جون فيزر وبول ستيرجيز
- ٧٧٤- الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات مجموعة من المؤلفين
- ٧٧٥- مرآة العروس نذير أحمد الدهلوى
- ٧٧٦- منظومة مصيبت نامة (مج١) فريد الدين العطار
- ٧٧٧- الانفجار الأعظم جيمس إ. ليدسى
- ٧٧٨- صفوة المديح مولانا محمد أحمد ورضا القادرى
- ٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى نخبة
- ٧٨٠- من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠ غلام رسول مهر
- ٧٨١- الطريق إلى بكين هدى بدران
- ٧٨٢- المسرح المسكون مارفن كارلسون
- ٧٨٣- العولة والرعاية الإنسانية فيك جورج وبول ويلدنج
- ٧٨٤- الإساءة للطفل ديفيد أ. وولف
- ٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان كارل ساجان
- ٧٨٦- المذنب (رواية) مارجریت أتوود
- ٧٨٧- العودة من فلسطين جوزيه بوفيه
- ٧٨٨- سر الأهرامات ميروسلاف فرنز
- ٧٨٩- الانتظار (رواية) هاجين
- ٧٩٠- الفرانكفونية العربية مونيک بونتو
- ٧٩١- العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة محمد الشيمى
- ٧٩٢- دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحموظ منى ميخائيل
- ٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل جون جريفيس
- ٧٩٤- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج٢) هوارد زن
- ٧٩٥- مختارات من الشعر الإسباني (ج١) نخبة
- ٧٩٦- آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن نعوم تشومسكى
- جلال الحفناوى
- السيد الأسود
- فاطمة ناعوت
- عبدالعال صالح
- نجوى عمر
- حازم محفوظ
- حازم محفوظ
- غازى برو وخليلى أحمد خليل
- غازى برو
- محمود فهمى حجازى
- رندا النشار وضياء زاهر
- صبرى التهامى
- صبرى التهامى
- محسن مصيلحى
- بإشراف: محمد فتحي عبدالهادى
- حسن عبد ربه المصرى
- جلال الحفناوى
- محمد محمد يونس
- عزت عامر
- حازم محفوظ
- سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
- سمير عبد الحميد إبراهيم
- نبيلة بدران
- جمال عبد المقصود
- طلعت السروجى
- جمعة سيد يوسف
- سمير حنا صادق
- سحر توفيق
- إيناس صادق
- خالد أبو اليزيد البلتاجى
- منى الدرورى
- جيهان العيسوى
- ماهر جويجاتى
- منى إبراهيم
- رؤف وصفى
- شعبان مكاوى
- على عبد الرؤف البمبى
- حمزة المزينى

طلعت شاهين	نخبة	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	٧٩٧-
سميرة أبو الحسن	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	الإرشاد النفسى للأطفال	٧٩٨-
عبد الحميد فهمى الجمال	آن تيلر	سلم السنوات	٧٩٩-
عبد الجواد توفيق	ميشيل ماكارثى	قضايا فى علم اللغة التطبيقى	٨٠٠-
بإشراف: محسن يوسف	تقرير دولى	نحو مستقبل أفضل	٨٠١-
شرين محمود الرفاعى	ماريا سوليداد	مسلمو غرناطة فى الآداب الأوربية	٨٠٢-
عزة الخميسى	توماس باترسون	التغيير والتنمية فى القرن العشرين	٨٠٣-
درويش الحلوجى	دانيل هيرفيه-ليجيه وچان بول ويلام	سوسولوجيا الدين	٨٠٤-
طاهر البربرى	كازو إيشيجورو	من لا عزاء لهم (رواية)	٨٠٥-
محمود ماجد	ماجدة بركة	الطبقة العليا المتوسطة	٨٠٦-
خيرى دومة	ميريام كوك	يحي حقى: تشريح مفكر مصرى	٨٠٧-
أحمد محمود	ديفيد دابلو ليش	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	٨٠٨-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	تاريخ الفلسفة السياسية (ج١)	٨٠٩-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	تاريخ الفلسفة السياسية (ج٢)	٨١٠-
حسن النعيمى	جوزيف أ. شومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	٨١١-
فريد الزاهى	ميشيل مافيزولى	نامل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	٨١٢-
نورا أمين	أنى إرنو	لم أخرج من ليلى (رواية)	٨١٣-
آمال الروبى	نافتال لويس	الحياة اليومية فى مصر الرومانية	٨١٤-
مصطفى ليبي عبدالغنى	هـ. أ. ولفسون	فلسفة المتكلمين (مج٢)	٨١٥-
بدر الدين عرودكى	فيليب روجيه	العدو الأمريكى	٨١٦-
محمد لطفى جمعة	أفلاطون	مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	٨١٧-
ناصر أحمد وباتسى جمال الدين	أندريه ريمون	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (ج١)	٨١٨-
ناصر أحمد وباتسى جمال الدين	أندريه ريمون	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (ج٢)	٨١٩-
طانيوس أفندى	وليم شكسبير	ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	٨٢٠-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامى	هفت بيكر (شعر)	٨٢١-
محمد نور الدين عبد المنعم	نخبة	فن الرباعى (شعر)	٨٢٢-
أحمد شافعى	نخبة	وجه أمريكا الأسود (شعر)	٨٢٣-
ربيع مفتاح	دافيد برتش	لغة الدراما	٨٢٤-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (ج١)	٨٢٥-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (ج٢)	٨٢٦-
محمد على فرج	دونالد پ. كول وثرىا تركى	أهل مطروح: البوواستيون والذين يقضون العطلات	٨٢٧-
رمسيس شحاتة	ألبرت أينشتين	ميراث الترجمة: النظرية النسبية	٨٢٨-
مجدى عبد الحافظ	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مناظرة حول الإسلام والعلم	٨٢٩-
محمد علاء الدين منصور	حسن كريم بور	رقى العشق	٨٣٠-
محمد النادى وعطية عاشور	ألبرت أينشتين وليو بولد إنفلد	ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	٨٣١-
حسن النعيمى	جوزيف أ. شومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (ج٢)	٨٣٢-
محسن الدمرداش	فرنر شميدرس	الفلسفة الألمانية	٨٣٣-
محمد علاء الدين منصور	ذبيح الله صفا	كنز الشعر	٨٣٤-

- ٨٣٥- تشيخوف: حياة فى صور بيتر أوربان
علاء عزمى
- ٨٣٦- بين الإسلام والغرب مرثيدس غارثيا
ممدوح البستاوى
- ٨٣٧- عناكب فى المصيدة ناتاليا فيكو
على فهمى عبدالسلام
- ٨٣٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى نعوم تشومسكى
لبنى صبرى
- ٨٣٩- أقدم لك: النظرية النقدية ستيوارت سين وبورين فان لون
جمال الجزيرى
- ٨٤٠- الخواتم الثلاثة جوتهود ليسينج
فوزية حسن
- ٨٤١- هملت: أمير الدانمارك وليم شكسبير
محمد مصطفى بدوى
- ٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج ٢) فريد الدين العطار
محمد محمد بونس
- ٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى نخبة
محمد علاء الدين منصور
- ٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولة كريمة كريم
سمير كريم
- ٨٤٥- غياب السلام نيكولاس جويتا
طلعت الشايب
- ٨٤٦- الطبيعة البشرية ألفريد أدلر
عادل نجيب بشرى
- ٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية مايكل ألبرت
أحمد محمود
- ٨٤٨- ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية يوليوس فلهاوزن
عبد الهادى أبو ريده
- ٨٤٩- سونيات شكسبير وليم شكسبير
بدر توفيق
- ٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحدائة مقالات مختارة
جابر عصفور
- ٨٥١- ميراث الترجمة: الطب التجريبي كلود برنار
يوسف مراد
- ٨٥٢- العلم والحقيقة ريتشارد دوكنز
مصطفى إبراهيم فهمى
- ٨٥٣- العمارة فى الاندلس: عمارة المدن والحصون (مج ١) باسيليو بابون مالدونادو
على إبراهيم منوفى
- ٨٥٤- العمارة فى الاندلس: عمارة المدن والحصون (مج ٢) باسيليو بابون مالدونادو
على إبراهيم منوفى
- ٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب جيرارد ستيتم
محمد أحمد حمد
- ٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى فرانثيسكو ماركيث يانو بيانوبا
عائشة سويلم
- ٨٥٧- نادجا (رواية) أندريه بريتون
كامل عويد العامرى
- ٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية ثيو هرمانز
بيومى قنديل
- ٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم إيف شيميل
مصطفى ماهر
- ٨٦٠- مصر وأوروبا القاضى فان بملن
لطيفة سالم
- ٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا جين سميث
محمد الخولى
- ٨٦٢- ببغاء الكاكادو أرتور شنينسلر
محسن الدمرداش
- ٨٦٣- لقاء بالشعراء على أكبر دلفى
محمد علاء الدين منصور
- ٨٦٤- أوراق فلسطينية دورين إنجرامز
عبد الرحيم الرفاعى
- ٨٦٥- فكرة الثقافة تيرى إيجلتون
شوقى جلال
- ٨٦٦- رسائل خمس فى الآفاق والأنفس مجموعة من المؤلفين
محمد علاء الدين منصور
- ٨٦٧- المهمة الاستوائية (رواية) ديفيد مايلو
صبرى محمد حسن
- ٨٦٨- الشعر الفارسى المعاصر ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى
محمد علاء الدين منصور
- ٨٦٩- تطور الثقافة روبن دونبار وآخرون
شوقى جلال
- ٨٧٠- عشر مسرحيات (ج ١) نخبة
حمادة إبراهيم
- ٨٧١- عشر مسرحيات (ج ٢) نخبة
حمادة إبراهيم
- ٨٧٢- كتاب الطاو لاوتسو
محسن فرجاني

- ٨٧٣- معلمون لمدارس المستقبل
٨٧٤- النهر الخالد (مج١)
٨٧٥- النهر الخالد (مج٢)
٨٧٦- دراسات فى الموسيقى الشرقية (ج١) هنرى جورج فارمر
٨٧٧- أدب الجدل والدفاع فى العربية موريتس شنتينيدر
٨٧٨- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، مج١) تشارلز دوتى
٨٧٩- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، مج٢) تشارلز دوتى
٨٨٠- الواحات المفقودة أحمد حسنين بك
٨٨١- التنويريون ودورهم فى خدمة المجتمع جلال آل أحمد
٨٨٢- ميراث الترجمة: أغانى شيراز (ج١) حافظ الشيرازى
٨٨٣- ميراث الترجمة: أغانى شيراز (ج٢) حافظ الشيرازى
٨٨٤- تعلم الأطفال الصغار باربرا تيزار ومارتن هيوز
٨٨٥- روح الإرهاب جان بودريار
٨٨٦- الترجمة والإمبراطورية دوغلاس روبنسون
٨٨٧- غزليات سعدى (شعر) سعدى الشيرازى
٨٨٨- أزهار مسلك الليل (رواية) مريم جعفرى
٨٨٩- ميراث الترجمة: سارتوروس وليم فوكنر
٨٩٠- منخبات أشعار فراغى مخلومقلى فراغى
٨٩١- مفاوضات مع الموتى مارجريت أتوود
٨٩٢- تاريخ المسيحية الشرقية عزيز سوريال عطية
٨٩٣- عبادة الإنسان الحر برتراند راسل
٨٩٤- الطريق إلى مكة محمد أسد
٨٩٥- وادى الفوضى (رواية) فريدريش دورينمات
٨٩٦- شعر الضفاف الأخرى نخبة
٨٩٧- اختراق الجزيرة العربية ديفيد جورج هوجارث
٨٩٨- الإسلام والعلم برويز أمير على بهائى
٨٩٩- الدبلوماسية الفاعلة بيتر مارشال
٩٠٠- تيارات نقدية محدثة مقالات مختارة
٩٠١- مختارات من شعر لى جاو شينج لى جاو شينج
٩٠٢- آلهة مصر القديمة وأساطيرها روبرت أرنولد
٩٠٣- أفلام ومناهج (مج١) بيل نيكولز
٩٠٤- أفلام ومناهج (مج٢) بيل نيكولز
٩٠٥- تراث الهند ج. ت. جارات
٩٠٦- أسس الحوار فى القرآن هيربرت بوسة
٩٠٧- أرث... متعة الحياة (رواية) فرانسواز جيرو
٩٠٨- الحلقة النقدية ديفيد كوزنز هوى
٩٠٩- الفنون والآداب تحت ضغط العولمة جووست سمايرز
٩١٠- بروميثيوس بلا قيود دافيد س. ليندس
- بهاء شاهين
ظهر أحمد
ظهر أحمد
أمانى المنياوى
صلاح محجوب
صبرى محمد حسن
صبرى محمد حسن
عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
هويدا عزت
إبراهيم الشواربى
إبراهيم الشواربى
محمد رشدى سالم
بدر عرودى
ثائر ديب
محمد علاء الدين منصور
هويدا عزت
ميخائيل رومان
الصفصافى أحمد القطورى
عزة مازن
إسحاق عبيد
محمد قدرى عمارة
رفعت السيد على
يسرى خميس
زين العابدين فؤاد
صبرى محمد حسن
محمود خيال
أحمد مختار الجمال
جابر عصفور
عبد العزيز حمدى
مروة الفقى
حسين بيومى
حسين بيومى
جلال السعيد الحفناوى
أحمد هويدى
فاطمة خليل
خالد حامد
طلعت الشايب
مى رفعت سلطان

عزت عامر	جون جريبين	غبار النجوم	٩١١-
يحيى حقى	روايات مختارة	ميراث الترجمة: ترجمات يحيى حقى (ج١)	٩١٢-
يحيى حقى	مسرحيات مختارة	ميراث الترجمة: ترجمات يحيى حقى (ج٢)	٩١٣-
يحيى حقى	ديزمووند ستيوارت	ميراث الترجمة: ترجمات يحيى حقى (ج٣)	٩١٤-
منيرة كروان	روجر جست	المرأة فى أئينا: الواقع والقانون	٩١٥-
سامية الجندى وعبدالعظيم حماد	أنور عبد الملك	الجدلية الاجتماعية	٩١٦-
إشراف: أحمد عثمان	نخبة	موسوعة كمبريدج (ج١)	٩١٧-
إشراف: فاطمة موسى	نخبة	موسوعة كمبريدج (ج٤)	٩١٨-
إشراف: رضوى عاشور	نخبة	موسوعة كمبريدج (ج٩)	٩١٩-
فاطمة قنديل	چين جبران وجبران خليل جبران	خليل جبران: حياته وعالمه	٩٢٠-
ثرثيا إقبال	أحمدو كوروما	لله الأمر (رواية)	٩٢١-
جمال عبد الرحمن	ميكيل دى إيبالنا	الموريستيون فى إسبانيا وفى المنفى	٩٢٢-
محمد حرب	ناظم حكمت	ملحمة حرب الاستقلال (شعر)	٩٢٣-
فاطمة عبد الله	كريستيان دى روش نوبلكور	حتشيسوت: عظمة وسحر وغموض	٩٢٤-
فاطمة عبد الله	كريستيان دى روش نوبلكور	رمسيس الثانى: فرعون المعجزات	٩٢٥-
صبرى محمد حسن	تشارلز دوتى	ترجال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، ج٢)	٩٢٦-
صبرى محمد حسن	تشارلز دوتى	ترجال فى صحراء الجزيرة العربية (ج٢، ج٣)	٩٢٧-
عزت عامر	كيتى فرجسون	سهون الضوء	٩٢٨-
مجدى المليجى	تشارلز داروين	نشأة الإنسان (مج١)	٩٢٩-
مجدى المليجى	تشارلز داروين	نشأة الإنسان (مج٢)	٩٣٠-
مجدى المليجى	تشارلز داروين	نشأة الإنسان (مج٣)	٩٣١-
إبراهيم الشواربى	رشيد الدين العمري	ميراث الترجمة: حقائق السحر فى فنانق الشعر	٩٣٢-
على منوفى	كارلوس بوسونيو	اللاعقلانية الشعرية	٩٣٣-
طلعت الشايب	تشارلز لارسون	محنة الكاتب الأفريقى	٩٣٤-
علا عادل	فولكر جيهارت	تاريخ الفن الألمانى	٩٣٥-
أحمد فوزى عبد الحميد	إد ريجيس	بيولوجيا الجحيم	٩٣٦-
عبدالحى سالم	أحمد ندالو	هيا نحكى (قصص أطفال)	٩٣٧-
سعيد العليمى	بيير بورديو	الأنطولوجيا السياسية عند مارتن هيدجر	٩٣٨-
أحمد مستجير	ستيفن جونسون	سجن العقل	٩٣٩-
علاء على زين العابدين	مجموعة مقالات	اليابان الحديثة: قضايا وآراء	٩٤٠-
صبرى محمد حسن	أى كويشى أرماء	الجماليات لم يولدن بعد	٩٤١-
وجيه سمعان عبد المسيح	إريك هويسبوم	القرن الجديد	٩٤٢-
محمد عبد الواحد	مختارات من القصص الأفريقية	لقاء فى الظلام	٩٤٣-
سمير جريس	باتريك زوسكيند	الكونتراباص	٩٤٤-
ثرثيا توفيق	چان چاك روسو	ميراث الترجمة: أحلام يقظة جوال منفرد	٩٤٥-
محمد مهدي قناوى	ميشيل ليريس	الزار ومظاهر المسرحية فى إثيوبيا	٩٤٦-
محمد قدرى عمارة	برتراند راسل	ماوراء المعنى والحقيقة	٩٤٧-
فريد چورچ بورى	رونالد أوليفر وأنتونى أتمور	أفريقيا منذ عام ١٨٠٠	٩٤٨-

نافع معلا	أندريه فيش	مقبرة الصدا	٩٤٩-
منى طلحة وأنور مغيث	چاك ديريدا	فى علم الكتابة	٩٥٠-
عماد حسن بكر	فريدريش دورينمات	الاتهام (رواية)	٩٥١-
تعيمة عبد الجواد	أميرى بركة	العبد ومسرحيات أخرى	٩٥٢-
على عبد الرؤوف البمبى	نخبة من الشعراء	مختارات من الشعر الإسباني (ج٢)	٩٥٣-
عنان الشهاوى	فرد لوسون	الأصول الاجتماعية للسياسة التوسعية فى عبد محمد على	٩٥٤-
ماجدة أباطة	سيلفيا شيفولو	الطب والأطباء	٩٥٥-
سمير حنا صادق	أ. ك. ديونى	نعم، ليست لدينا نيوترونات	٩٥٦-
ربيع وهبة	تشارلز تلى	الحركات الاجتماعية: (١٧٦٨-٢٠٠٤)	٩٥٧-
صلاح حزين	مريام كوك	أصوات على هامش الحرب	٩٥٨-
وسام محمد جزر	ميغيل أنخيل بونيس	الموريسكيون فى الفكر التاريخى	٩٥٩-
هدى كشرود	الأمير عثمان إبراهيم وكارولين وعلى كورخان	محمد على الكبير	٩٦٠-
محمد صقر خفاجة	مختارات من الأدب اليونانى	ميراث الترجمة: شعر الرعاة	٩٦١-
عادل مصطفى	وليام جيمس إيرل	مدخل إلى الفلسفة	٩٦٢-
فاطمة سيد عبد المجيد	حسن رضا خان الهندى	منتخبات شعرية	٩٦٣-
هبة رعرف وتامر محمد عبد الوهاب	كيمبرلى بليكر	أصول التطرف	٩٦٤-
إكرام يوسف	أنا رويز	روح مصر القديمة	٩٦٥-

رقم الإيداع ٢٠٠٥/٢٠٩٨٥

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-09-1447-9

